



بسم الله الرحمن الرحيم  
جميع حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع ٢٠١١/١٩٧٩٢

الترقيم الدولي: ٨-٧٧١-٤٢٩-٩٧٧-٩٧٨

دار التقوى

---

### للنشر و الطبع و التوزيع

الإدارة: ٠١٠٠١٦٦٨٠٦٧-٤٤٧١٥٥٠٦

١٥ ش مايو - شبرا الخيمة

ف/ت/٠٦-٤٤٧١٥٥٠٦م / ٠١٠٠١٥٩٢٢٧١

٥ش ابن البيطار خلف جامع الازهر

ت/٠٤/١٧٠٤١٤٢٥

**أنبياء وعلماء وقضاة**

**خلف القضبان**

**تأليف**

**أبي همام / السيد مراد سلامة**

**دار التقوى**

## المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

[آل عمران : ١٠٢] .

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

[النساء : ١] .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

اعلم علمني الله وإياك : أن الدنيا دار ابتلاء و محن فهي طبعت على كدر و يبتلي الله تعالى الصالحين بالكفرة و الفسقة ليمحص الله —تعالى— الأخيار من الأشرار قال الله تعالى {الم (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ

كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) {

[العنكبوت: ١ - ٦]

الابتلاء في حية الأنبياء و المرسلين و من سار على نهجهم قال الله تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ {

[الأنعام: ١١٢]

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ {

[الأنعام: ١١٢]

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا {

[الفرقان: ٣١]

{ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ {

[إبراهيم: ١٣]

{ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا {

[الإسراء: ٧٦ ، ٧٧]

{ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ {

[غافر: ٥]

{ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا {

[الأنعام: ٣٤]

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ}

[آل عمران: ١٨٤]

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ}

[فاطر: ٤]

{إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ} [ص: ١٤]

ولهذا عندما سئل الشافعي رحمه الله : : أيما افضل للرجل أيمن أو يبتلى

فقال لا يكن حتى يبتلى فان الله بتلى نوحا و إبراهيم و موسى و عيسى ومحمدا صلوات الله عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم ، فلا يظن احد أن يخلص من الألم البتة فلا تمكين بدون ابتلاء ولا إصلاح بدون أذى ولا جنة بدون صعب .

فإذا ابتلي المسلم فليحمد رب الأرض و السماء فإن هذا طريق الأنبياء ثم الصالحين ثم الأمثل فالأمثل و قدة قضى الله أن العسر يتبعه يسر نعم إن الشدائد مهما تعاظمت و امتدت لا تدوم .

و في هذا الكتاب نقف مع صورة من صور الابتلاء ألا و هي السجن و الحبس و الاعتقال لمن أطاع الكبير المتعال . و جاءت الدراسة في عد أبواب :

الباب الأول أنبياء وراء القضبان ذكرت في هذا الباب أنبياء نالهم العذاب والمحن والسجن وراء القضبان وكل ذلك في ذات الله وتبليغ دعوته واستعذاب ذلك.

\* خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: لما كسر الخليل الأصنام ونصبت له المحاكمة أخذ الخليل لينظر في شأنه و بالفعل حبسوه حتى يُقضى في أمره و لكن هيهات فالله تعالى وليه و ناصره.

\* نب الله دانيال عليه السلام : فقد ناله من الحبس و الضيم ما الله تعالى به عليم و لكنه صبر و لجأ الى الله تعالى الذي عرف عليه في وقت الرخاء فنجاه الله من كيدهم في وقت الشدة .

نبي الله ارميا عليه السلام : و قد صبر و صابر على شتى أنواع البلاء

✽ نبي الله يوسف عليه السلام و قد أورد الله تعالى قصة محبسه مفصلة كما سنعرها بالتفصيل ان شاء الله تعالى

**الباب الثاني: من حبس من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين :** وفي هذا الباب نقف مع ثلة مباركة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من حبسوا وراء القضبان ولكنهم يعون أن الطريق إلى الله تعالى ليس مفروشا بالورود و الرياحين و إنما هو طريق شاق نوح فيه نوح عليه السلام الف سنة إلا خمسين عام و ذكرت ترجمة هؤلاء الأصحاب و بعض مناقبهم .

**الباب الثالث من سجن من التابعين : رحمة الله عليهم اجمعين-** و جاء هذا الباب ليضع بين يدي الامة ترجمة لثلة من العلماء و الدعاة الربانيين الذين أوقفوا انفسهم لاعلاء كلمة التوحيد و نشر سنة النبي صلى الله عليه وسلم فنالهم ما نالهم من محن و سجن فصبروا و رضوا بما قدر الله تعالى .

**الباب الرابع: من حبس في فتنة القول بخلق القرآن:**

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل بلفظه ومعناه كما دل عليه القرآن نفسه وليس هناك أي دليل يعارض ذلك.

ومن الالة قوله تعالى { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } [التوبة: ٦]

وقوله تعالى { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء: ١٦٤]

و قال الله لموسى عليه السلام: { وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } [طه: ١٣ ، ١٤]

والقرآن الكريم كلام الله وكلام الله صفة من صفاته و هو ليس بمخلوق

و أورد اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد أهل السنة أقوال أكثر من خمسمائة و خمسين عالما قالوا بهذا القول.

و قد امتحن أئمة الإسلام من قبل الجهمية و من نحا نحوهم من المعتزلة و أصاب أئمة الإسلام السجن و التعذيب و القتل .... في هذه الباب نقف مع الجبال الرواسي من أئمة السلف الين امتحنوا في هذه

الفتنة لتتعلم كيف نثبت على دين الله تعالى وكيف نرد الباطل ونفحم أهله بالحق الذي أنزله الله سبحانه وتعالى في كتابه وما جاء على لسان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم-

**الباب الخامس: قضاة وراء القضاة:** وفي هذا الباب نقف مع قضاة الإسلام الذين كانوا بالحق

يحكمون وبالعدل ينصفون فهم أهل القسط الذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا قَالَ مُحَمَّدٌ فِي حَدِيثِهِ وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ<sup>(١)</sup>

فذكرت في هذا الباب النجوم اللوامع في تاريخ القضاء وكيف نالهم في الصدع بالحق والعدل ما نالهم من سجن وتعذيب

فالله تعالى أسأل أن ينفع به المسلمين والمسلمات وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم

**أبو همام**

**الشيخ السيد مراد سلامة**

**إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية**



<sup>١</sup> - أخرجه أحمد (١٥٩/٢ ، رقم ٦٤٨٥) ، ومسلم (١٤٥٨/٣ ، رقم ١٨٢٧) ، والنسائي (٢٢١/٨ ، رقم ٥٣٧٩) وأخرجه أيضاً : الحاكم (١٠٠/٤ ، رقم ٧٠٠٦) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والخطيب (٣٦٧/٥) .



## الباب الأول

### أنبياء وراء القضاة

## محنة خليل الرحمن إبراهيم الصلاة والسلام

### ترجمته عليه الصلاة والسلام:

وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح (١)

### منزلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

هو أحد أولي العزم الخمسة الكبار الذين اخذ الله منهم ميثاقا غليظا وهم : نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد بترتيب بعثهم

وهو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء مبين

بلاء فوق قدرة البشر وطاقة الأعصاب ورغم حدة الشدة وعنت البلاء كان إبراهيم هو العبد الذي وفى

و زاد على الوفاء بالإحسان

وقد كرم الله تبارك وتعالى إبراهيم تكريما خاصا فجعل ملته هي ملة التوحيد الخالص النقي من الشوائب

و جعل العقل في جانب الذين يتبعون دينه

### صفة إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ ضَرْبُ مِنَ الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، فَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةً بَيْنَ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا

١ - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠ هـ)، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ط

١، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٧ هـ) ج ١ ص ١٩٦

أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةَ<sup>(١)</sup>

تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه و بهذا اللفظ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " رَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ ، فَأَمَّا عِيسَى ، فَأَحْمَرُ جَعْدُ عَرِيضُ الصَّدْرِ ، وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ " قَالُوا لَهُ : فَأِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ : " انظُرُوا إِلَيَّ صَاحِبُكُمْ " يَعْنِي نَفْسَهُ<sup>(٢)</sup>

### صفاته الخلقية و شمائله صلى الله عليه و سلم

#### ١- أمة :

قال تعالى : ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً...)) وهذه الكلمة تأتي لعدة معان ، منها الجماعة ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)) ، ومنها الزمان والحين ((وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)) ومنها : الرجل الجامع لخصال الخير حتى يقوم مقام أمة من الناس ، وهذا هو المقصود في حق إبراهيم ، وهذه تدلنا على عظيم ما كان يتصف به إبراهيم من عبادة ودعوة وخلق حري بأن يحتذي به الدعاة في حياتهم وتزكية أنفسهم ، واجتهاد أحدهم في تقويم أخلاقه والنشاط في دعوته ليقوم مقام أمة في ذلك . وقيل أن المقصود بالأمة هنا : أي الإمام ، أي قدوة يقتدى به في الخير ، ومن قال به ابن جرير الطبري وابن كثير .

#### ٢- قانت :

<sup>١</sup> - مسند أحمد ط الرسالة (٤٤٣ / ٢٢) وأخرجه عبد بن حميد (١٠٤٥) ، ومسلم (١٦٧) ، والترمذي في "السنن" (٣٦٤٩) ، وفي

"الشمائل" (١٢) ، وأبو يعلى (٢٢٦١) ، وابن حبان (٦٢٣٢)

<sup>٢</sup> - مسند أحمد ط الرسالة (٤٣١ / ٤) وأخرجه البخاري (٣٤٣٨) ، والطبراني (١١٠٥٧) ، وابن منده في "الإيمان" (٧٢٦)

قال تعالى : **((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا))** ، والقنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع ، وكذا يجب أن يكون الداعية ملازماً لطاعة الله على كل حال ، فلا يكون كالمنبت يجتهد حتى تكلّ راحلته ، ثم ينقطع ، بل يلزم ويستقيم .

### ٣- حنيفاً :

والحنف : الميل عن الضلال إلى الاستقامة ، والحنيفُ : المائل والجنف : ضده . والأحنف : مَنْ في رجله ميل سمي بذلك تفاقلاً ، وقيل لمجرد الميل .

قال ابن كثير: الحنيف : المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد . وقد كان ذلك من إبراهيم حتى عُدَّ إمام الحنفاء الموحدين ، قال تعالى : **((وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))** ، وقال : **((وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))** ، وهكذا فليكن أولياء الله .

### ٤- شاكراً :

قال تعالى : **((شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ))** أي قائماً بشكر نعم الله عليه (وأصل الشكر ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان ظهوراً بيّناً . يقال : شكرت الدابة : أي سمنت وظهر عليها العلف ، وكذلك حقيقته في العبودية : وهذا ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه : شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه : انقياداً وطاعة . والشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثنائؤه عليه ، وأن لا يستعملها فيما يكره (١) ، وقد كان ذلك من إبراهيم -عليه السلام- .

### ٥- الحلم :

قال تعالى : **((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ))** .

والحلم : ضبط النفس والطبع عن الهيجان عند الاستثارة . والحليم : الكثير الحلم وموقف إبراهيم من مقالة أبيه **((لَأَرْجُمَنَّكَ))** ومن العتاة قوم لوط حينما مرت به الملائكة

وأخبرته بما أمرت بها قال : **((فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ \* إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ))** ، ولم يكن حلم إبراهيم ذريعة يتذرع للسكوت عن المنكر بل كان يعلن الحق وينكر الباطل **((وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ))**.

#### ٦- أَوَّاه :

قال الراغب الأصفهاني : "الذي يكثر التأوه وهو أن يقول : أَوَّاه وكل كلام يدل على حزن يقال له التأوه، ويعبر بالأَوَّاه ، عمن يظهر خشية الله تعالى"(\*) ، والذي يتحقق من معنى الأَوَّاه أنه الخاشع الدعاء المتضرع ، وكثرة تأوه إبراهيم وتضرعه بين يدي ربه قد ذكرت في آيات كثيرة تدل على تحقيق إبراهيم **((رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ))** وجدير بمن سلك طريق الدعوة أن يجعل تعجيل الإنابة من أبرز سماته ليكسب عون ربه وتسديده ومحبته .

#### ٧- السخاء :

قال تعالى : **((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ \* فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ \* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ))** فذكر أن الضيف مكرمون لإكرام إبراهيم لهم ، ولم يذكر استئذانهم ليدل على أنه قد عرف بإكرام الضيفان ، مع أنهم قوم منكرون لا يعرفهم فقد ذبح لهم عجلاً واستسمنه ، ولم يعلمهم بذلك بل راح : أي ذهب خفية حتى لا يشعر به ، تجاوباً لضيافة ، فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهيناً للضيفان ، وخدمهم بنفسه ، فجاء به ومر به إليهم ولم يقربهم إليه ، وتلطف مبالغة في الإكرام فقال : **((أَلَا تَأْكُلُونَ))** . قال ابن القيم : "فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب ، وما عداها من التكاليف التي هي

تَحَلَّفَ وتكلف : إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم ، وكفى بهذه الآداب شرفاً وفخراً  
فصلى الله على نبيينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما وعلى سائر النبيين" (٢) .

#### ٨- صبره ﷺ:

كان إبراهيم مثلاً يحتذى في الصبر حتى استحق أن يكون من أولي العزم الذين أمر رسولنا  
- صلى الله عليه وسلم - أن يصبر كصبرهم ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)).  
وكان صبر إبراهيم شاملاً لابتلاءات كثيرة ، سيأتي بيان جملة منها بإذن الله .

#### ٩- رعايته لأهله ﷺ:

لم يكن إبراهيم ممن يلتفت إلى الناس بدعوته ويترك أهله ، بل بدأ بهم وخصهم بمزيد  
الرعاية والعناية وقد قال الله لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ((وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ  
الْأَقْرَبِينَ)) وكذلك كان إبراهيم ، فدعا أباه ((يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ)) ،  
ووصى أبناءه بالتمسك بالدين ((وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى  
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ..)) ، وكان يدعو ((وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ  
الْأَصْنَامَ)) ، ويتضرع بقوله : ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ  
بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ  
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)).

#### ١٠- شجاعته ﷺ:

واجه إبراهيم قومه ولم يخش كيدهم وقال مقسماً : ((وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا  
مُدْبِرِينَ)) ، وقوله لهم : ((أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ..)).

وكان ذلك لعلم إبراهيم بأن معه القوة التي لا تهزم، وأن ما أصابه لم يكن يخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فرسم للدعاة منهجاً في الشجاعة المنضبطة بضوابط الشرع بلا تهور يحتذونه في مواجهة الباطل من إقرار الحق .

#### ١١- تحقيقه الكامل لعقيدة الولاء والبراء :

قال تعالى عن ((فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي)) ، وقال : ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)) فكل عدو لله وإن قربه النسب تجب البراءة منه ، وكل ولي لله وإن باعدت به الأوطان والأزمان تجب موالاته ومحبته وقد أمرنا أن نتأسى بإبراهيم في ذلك : ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ..)) .

#### ١٢- سلامة القلب :

قال تعالى : ((وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ \* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) وسلامة القلب نوعان : كلاهما داخل في مضمون الآية ، أحدهما : في حق الله وهو سلامة قلبه من الشرك ، وإخلاصه العبودية لله ، وصدق التوكل عليه . والثاني : في حق المخلوقين بالنصح لهم وإيصال الخير إليهم ، وسلامة القلب من الحقد والحسد وسوء الظن والكبر وغير ذلك .

محنة خليل الرحمن إبراهيم ﷺ

مواجهة إبراهيم ﷺ

خرج إبراهيم ﷺ على قومه بدعوته و قال بحسم غاضب و غيره على الحق { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ

وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكِّكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ { [الأنبياء: ٥٢ - ٥٦]

انتهى الامر و بدأ الصراع بين إبراهيم عليه السلام وقومه ..... كان أشدهم ذهولا وغضبا هو أباه أو  
عمه الذي رباه كأب.. واشتبك الأب والابن في الصراع. فصلت بينهما المبادئ فاختلعا..  
الابن يقف مع الله، والأب يقف مع الباطل.

قال الأب لابنه: مصيبتني فيك كبيرة يا إبراهيم.. لقد خذلتني وأسأت إلي.

قال إبراهيم:

{يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي  
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ  
كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ  
وَلِيًّا (٤٥) } (مريم ٤٢/٤٥)

انتفض الأب واقفا وهو يرتعش من الغضب. قال لإبراهيم عليه السلام وهو ثائر إذا لم تتوقف عن  
دعوتك هذه فسوف أرحمك، سأقتلك ضربا بالحجارة. هذا جزاء من يقف ضد الآلهة..  
اخرج من بيتي.. لا أريد أن أراك.. اخرج.

انتهى الأمر وأسفر الصراع عن طرد إبراهيم عليه السلام من بيته. كما أسفر عن تهديده بالقتل رميا  
بالحجارة. رغم ذلك تصرف إبراهيم عليه السلام كابن بار ونبى كريم. خاطب أباه بأدب الأنبياء.  
قال لأبيه ردا على الإهانات والتجريح والطرود والتهديد بالقتل:

{قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ  
اللَّهِ وَادْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) } (مريم ٤٧/٤٨)



وخرج إبراهيم عليه السلام من بيت أبيه. هجر قومه وما يعبدون من دون الله. وقرر في نفسه أمرا. كان يعرف أن هناك احتفالا عظيما يقام على الضفة الأخرى من النهر، وينصرف الناس جميعا إليه. وانتظر حتى جاء الاحتفال وخلت المدينة التي يعيش فيها من الناس.

وخرج إبراهيم حذرا وهو يقصد بخطاه المعبد. كانت الشوارع المؤدية إلى المعبد خالية. وكان المعبد نفسه مهجورا. انتقل كل الناس إلى الاحتفال. دخل إبراهيم المعبد ومعه فأس حادة. نظر إلى تماثيل الآلهة المنحوتة من الصخر والخشب. نظر إلى الطعام الذي وضعه الناس أمامها كندور وهدايا. اقترب إبراهيم من التماثيل وسألهم: **(أَلَا تَأْكُلُونَ)** كان يسخر منهم ويعرف أنهم لا يأكلون. وعاد يسأل التماثيل: **(مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ)** ثم هوى بفأسه على الآلهة.

وتحولت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشمة.. إلا كبير الأصنام فقد تركه إبراهيم **(لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)** فيسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة! ولعلمهم حينئذ يراجعون القضية كلها، فيرجعون إلى صوابهم.

إلا أن قوم إبراهيم عليه السلام الذين عطّلت الخرافة عقولهم عن التفكير، وغلّ التقليد أفكارهم عن التأمل والتدبر. لم يسألوا أنفسهم: إن كانت هذه آلهة فكيف وقع لها ما وقع دون أن تدفع عن أنفسها شيئا؟! وهذا كبيرها كيف لم يدفع عنها؟! وبدلا من ذلك **(قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ)**.

عندئذ تذكر الذين سمعوا إبراهيم عليه السلام ينكر على أبيه ومن معه عبادة التماثيل، ويتوعددهم أن يكيد لآلهتهم بعد انصرافهم عنها!

فأحضروا إبراهيم عليه السلام، وتجمّع الناس، وسألوه **(أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟)** فأجابهم إبراهيم **(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)** والتهكم واضح في هذا الجواب الساخر. فلا داعي لتسمية هذه كذبة من إبراهيم -عليه السلام-

والبحث عن تعليلها بشتى العلل التي اختلف عليها المفسرون. فالأمر أيسر من هذا بكثير! إنما أراد أن يقول لهم: إن هذه التماثيل لا تدري من حطمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك مثلها حراكا. فهي جماد لا إدراك له أصلا. وأنتم كذلك مثلها مسلوبو الإدراك لا تميزون بين الجائز والمستحيل. فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتها أم أن هذا التمثال هو الذي حطمها!

ويبدو أن هذا التهمك الساخر قد هزهم هذا، وردهم إلى شيء من التدبر التفكر:

**{فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) { (الأنبياء ٦٤)}**

وكانت بادرة خير أن يستشعروا ما في موقفهم من سخف، وما في عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم. وأن تتفتح بصيرتهم لأول مرة فيتدبروا ذلك السخف الذي يأخذون به أنفسهم، وذلك الظلم الذي هم فيه سادرون. ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام، وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الخمود:

**{ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ} (الأنبياء)**

وحقا كانت الأولى رجعة إلى النفوس، وكانت الثانية نكسة على الرؤوس؛ كما يقول التعبير القرآني المصور العجيب.. كانت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر. أما الثانية فكانت انقلابا على الرأس فلا عقل ولا تفكير. وإلا فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم. وأية حجة لإبراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون؟

ومن ثم يجيبهم بعنف وضيق على غير عادته وهو الصبور الحليم. لأن السخف هنا يجاوز صبر الحليم:

**{قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ بِأَنْ يَنْفَعَكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرَّكُمْ (٦٦) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ**

**دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) { (الأنبياء)}**

وهي قولة يظهر فيها ضيق الصدر وغيظ النفس ، والعجب من السخف الذي يتجاوز كل مألوف.

عند ذلك أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائما حين يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل ، فيلجأون إلى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ:

**{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) } (الأنبياء)**

**سجن خليل الرحمن إبراهيم ﷺ :**

وقف خليل الرحمن إبراهيم عليه ﷺ أمام تلك المحكمة الظالمة وبين لهم بيانا لا يدع مجالا للشك إلا أن القوم ركبوا الهوى و نكسوا على رؤوسهم و تغافلوا عن الحجج القاطعات و البراهين الساطعات و صدر ضد الخليل ذلك الحكم الذي لا يعرف الرحمة ولا الرأفة فاجمعوا أمرهم على إحراقه بالنيران

وهنا طوى القرآن الكريم الحديث عن المدة التي قضاها إبراهيم عليه الصلاة و السلام حتى موعد تنفيذ الأحكام ضده و يبدووا من السياق انه لم يكن حرا طليقا والا للاذ بالفرار و الهرب و لكنهم أودعوه في غيابات السجن حتى يجمعوا له الحطب ليشعلوا النيران.

**يقول الفخر الرازي رحمه الله - :**

أما كيفية القصة: فقال مقاتل: لما اجتمع نمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كال حظيرة، وذلك قوله: **{ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ }** [الصافات: ٩٧] ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى إن المرأة لو مرضت قالت: إن عافاني الله لأجعلن حطباً لإبراهيم، ونقلوا له الحطب على الدواب أربعين يوما، فلما اشتعلت النار اشتدت وصار الهواء بحيث لو مر الطير في أقصى الهواء لاحترق، ثم أخذوا إبراهيم ﷺ ورفعوه على رأس البنيان وقيدوه، ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا، فصاحت السماء والأرض

ومن فيها من الملائكة إلا الثقليين صيحة واحدة، أي ربنا ليس في أرضك أحد يعبدك غير إبراهيم، وإنه يحرق فيك فأذن لنا في نصرته، فقال سبحانه: إن استغاث بأحد منكم فأغيثوه، وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه، فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار، أتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم عليه السلام: لا حاجة بي إليكم، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، أنت حسبنا ونعم الوكيل» وقيل إنه حين ألقى في النار قال: «لا إله إلا أنت سبحانه رب العالمين، لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك» ثم وضعوه في المنجنيق ورموا به النار، فأتاه جبريل عليه السلام وقال: يا إبراهيم هل لك حاجة، قال: أما إليك فلا؟ قال: فاسأل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

فقال الله تعالى: **{ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ }** [الأنبياء: ٦٩]

وقال السدي: إنما قال ذلك جبريل عليه السلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية مجاهد: ولو لم يتبع بردا سلاما لمات إبراهيم من بردها، قال: ولم يبق يومئذ في الدنيا نار إلا طفئت، ثم قال السدي: فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم وأقعدوه في الأرض، فإذا عين ماء عذب، وورد أحمر، ونرجس. ولم تحرق النار منه إلا وثاقه، وقال المنهال بن عمرو: أخبرت أن إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار كان فيها إما أربعين يوما أو خمسين يوما، وقال: ما كنت أياما أطيب عيشا مني إذ كنت فيها،

وقال ابن إسحاق: بعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم، فقعد إلى جنب إبراهيم يؤنسه، وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة، وقال: يا إبراهيم إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبابي، ثم نظر نمرود من صرح له وأشرف على إبراهيم فرآه جالسا في روضة، ورأى الملك قاعدا إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب، فناداه نمرود: يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، قال: قم فاخرج، فقام يمشي حتى خرج منها، فلما

خرج قال له نمروذ: من الرجل الذي رأيته معك في صورتك؟ قال: ذاك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني فيها. فقال نمروذ:

إني مقرب إلى ربك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك. فإني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال إبراهيم عليه السلام: لا يقبل الله منك ما دمت على دينك، فقال نمروذ: لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبحها له، ثم ذبحها له وكف عن إبراهيم عليه السلام،

ورويت هذه القصة على وجه آخر، وهي أنهم بنوا لإبراهيم بنيانا وألقوه فيه، ثم أوقدوا عليه النار سبعة أيام، ثم أطبقوا عليه، ثم فتحوا عليه من الغد، فإذا هو غير محترق يعرق عرقا، فقال لهم هاران أبو لوط: إن النار لا تحرقه لأنه سحر النار، ولكن اجعلوه على شيء وأوقدوا تحته فإن الدخان يقتله، فجعلوه فوق بئر وأوقدوا تحته، فطارت شرارة ف وقعت في لحية أبي لوط فأحرقتة. (١)

لا يحدثنا القرآن الكريم عن عمر إبراهيم حين حطم أصنام قومه، لا يحدثنا عن السن التي كلف فيها بالدعوة إلى الله. ويبدو من استقراء النصوص القديمة أن إبراهيم كان شابا صغيرا حين فعل ذلك، بدليل قول قومه عنه: **(سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)**. وكلمة الفتى تطلق على السن التي تسبق العشرين.

<sup>١</sup> - تفسير الرازي (٢٢/ ١٥٧-١٥٨)

## محنة نبي الله دانيال عليه السلام

### ذكر شيء من خبر دانيال عليه السلام:

قال ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: ضرى بخت نصر أسدين، فألقاهما في جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما، فلم يهيجه فمكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب، فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشام: أن أعد طعاما وشرابا لدانيال.

فقال: يا رب، أنا بالأرض المقدسة، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق.

فأوحى الله إليه: أن أعد ما أمرناك به فإننا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت. ففعل، وأرسل إليه من حملة وحمل ما أعد حتى وقف على رأس الجب فقال: دانيال، دانيال.

فقال: من هذا؟

قال: أنا أرميا. فقال: ما جاء بك؟

فقال: أرسلني إليك ربك.

قال: وقد ذكرني ربي؟

قال: نعم.

فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره

والحمد لله الذي لا يخيب من رجاه

والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره

والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا

والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة

والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا بعد كربنا

والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا

والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا.

قال أبو العالية قال : لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرا عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعبا فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا . فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟

قال : سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد .

قلت : فما صنعتكم بالرجل ؟

قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها ؛ لنعميه على الناس فلا ينبشونه .

قلت : فما يرجون منه ؟

قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون .

قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟

قال : رجل يقال له دانيال .

قلت : منذ كم وجدتموه قد مات ؟

قال : منذ ثلثمائة سنة .

قلت : ما تغير منه شيء ؟

قال: لا إلا شعرات من قفاه؛ إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.

وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلثمائة سنة، فليس بنبي بل هو رجل صالح؛ لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي، بنص الحديث الذي في البخاري، والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة، وقيل: ستمائة. وقيل: ستمائة وعشرون سنة. وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة، وهو قريب من وقت دانيال، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر؛ فإنه قد يكون رجلا آخر؛ إما من الأنبياء أو الصالحين ولكن قربت الظنون أنه دانيال؛ لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجوناً كما تقدم. وقد روى بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شبر.

وعن أنس بن مالك بإسناد جيد، أن طول أنفه ذراع. فيحتمل على هذا أن يكون رجلا من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد. والله أعلم.

وقد قال أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب "أحكام القبور": عن أبي الأشعث الأحمر

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن دانيال دعا ربه عز وجل أن تدفنه أمة محمد فلما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجده في تابوت تضرب عروقه ووريده، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من دل على دانيال، فبشروه بالجنة فكان الذي دل عليه رجل يقال له: حرقوص، فكتب أبو موسى إلى عمر بخبره، فكتب إليه عمر، أن ادفنه، وابعث إلى حرقوص؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة. وهذا مرسل من هذا الوجه، وفي كونه محفوظا نظر. والله أعلم.

ثم قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو بلال حدثنا قاسم بن عبد الله عن عنبسة بن سعيد -وكان عالما- قال: وجد أبو موسى مع دانيال مصحفا وجرة فيها ودك ودرهم وخاتمة، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: أما المصحف فابعث به إلينا، وأما الودك فابعث إلينا منه، ومر من قبلك من المسلمين يستشفون به، واقسم الدراهم بينهم، وأما الخاتم فقد



نفلنا كه. وروى ابن أبي الدنيا من غير وجه، أن أبا موسى لما وجدته وذكروا له أنه دانيال التزمه وعانقه وقبله، وكتب إلى عمر يذكر له أمره وأنه وجد عنده مالا موضوعا قريبا من عشرة آلاف درهم، وكان من جاء اقترض منها، فإن ردها وإلا مرض، وأن عنده ربعة، فأمر عمر بأن يغسل بماء وسدر ويكفن ويدفن ويخفى قبره فلا يعلم به أحد وأمر بالمال أن يرد إلى بيت المال وبالربعة فتحمل إليه ونقله خاتمه. وروي عن أبي موسى أنه أمر أربعة من الأسراء فسكروا نهرا، وحفروا في وسطه قبرا، فدفنه فيه، ثم قدم الأربعة الإسراء فضرب أعناقهم، فلم يعلم موضع قبره غير أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.

وقال ابن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن عبد الله، حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري خاتما، نقش فسه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل، قال أبو بردة: هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال، أخذه أبو موسى يوم دفنه. قال أبو بردة: فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له: إنه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور ملكك ويفسده. فقال الملك: والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته. إلا أنهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد، فبات الأسد ولبوته يلحسانه، ولم يضراه، فجاءت أمه فوجدتهما يلحسانه، فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ. قال أبو بردة: قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية: فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه؛ لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك. إسناده حسن.<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - قصص الأنبياء - ص ٣٣١-٣٣٣

### بشارتان من دانيال عليه السلام

وقال: دانيال عليه السلام، وذكر محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه، فقال: " ستتزع في قسيك إغراقا، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً "

فهذا تصريح بغير تعريض،<sup>(١)</sup>

عن أحمد بن عمرو بن أبي عاصم قال : أول من قضى بشاهد ويمين دانيال عليه السلام ؟

قال : وقال حبان بن بشر : اليمين الكاذبة تقطع النسل<sup>(٢)</sup>

<sup>١</sup> - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢٧٥ / ٥)  
<sup>٢</sup> - معجم ابن المقرئ (٢ / ١٩٩ ، )

### محنة نبي الله أرميا عليه السلام

**ترجمته عليه السلام:** هو أرميا، وقيل: أرمياء، وقيل: يرميا، وقيل: يرميه، وقيل: رميا

بن حليقا، وقيل: حزقيا من سبط ابن نبي الله يعقوب عليه السلام، وقيل من سبط هارون بن عمران أخى موسى بن عمران عليه السلام.

أحد أنبياء بني إسرائيل بعد شيعا عليه السلام، وهناك من وحده مع نبي الله عزير عليه السلام ونبي الله الخضر عليه السلام، وقيل: إن الخضر لقب من ألقابه. كان مؤمنا، صالحا، ورعا، زاهدا، قديسا، كثير البكاء من خشية الله، فعرف بالبكاء.

بعثه الله إلى بني إسرائيل بعد أن عصوا الله، وأظهروا المعاصي، وقتلوا الأنبياء والصلحاء، ليهديهم ويرشدهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحذرهم غضب الجبار، فوقف بكل حزم أمام شركهم ومظالمهم الاجتماعية، فكانت مدة خدمته ٤١ سنة، قابلوه بالعصيان والتمرد والتكذيب، ثم ألقوا القبض عليه وسجنوه، وذلك في عهد ملكهم صدقيا، وبعد أن مكث في السجن عشر سنين أرسل الله عليهم نبوخذ نصر وجحافل عساكره، فنزل في أراضيهم، وبطش بهم، وقتل منهم جمعا غفيرا، وخرب ديارهم، وسبى الآلاف منهم، ثم أمر بهدم بيت المقدس، وأسر صدقيا الملك، وأصدر أمرا بإلقاء القاذورات والجيف في معابدهم.

ولما علم نبوخذ نصر بتولد المترجم له في أحد سجون بني إسرائيل، وكونه من الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم ليرشدهم ويهديهم طريق الحق والصواب، ولكنهم كذبوه وعذبوه ثم حبسوه، فأمر بإطلاق سراحه من السجن، وأحضره لديه وقال له: أكنت تحذر قومك ما أصابهم؟ فقال أرميا عليه السلام: بعم، فان الله أرسلني إليهم فكذبوني، قال نبوخذ نصر: كذبوك وضربوك وسجنوك؟ قال عليه السلام: نعم، قال نبوخذ نصر: بئس القوم قوم كذبوا نبيهم، وكذبوا رسالة ربهم، ثم خيره بين المجيء معه أو البقاء في فلسطين، ففضل أرميا عليه السلام البقاء في بلاده، فتركه بعد أن أحسن إليه.

وبعد رحيل نبوخذ نصر عن بيت المقدس اجتمع إلى المترجم له من بقي من ضعفاء بني إسرائيل فقالوا: نحن قد أسانا وظلمنا، ونحن نتوب إلى الله مما صنعنا، فادع الله أن يقبل توبتنا، فدعا أرميا عليه السلام ربه، فأوحى الله إليه أنه غير قابل توبتهم، فان كانوا صادقين في أقوالهم فليقيموا معك في بيت المقدس، فأخبر قومه بما أمره الله به، فقالوا: لانقم بهذه البلدة المخربة التي غضب الله على أهلها.

أمر الله المترجم له بأن يأتي إلى مكة ويخرج منها معد بن عدنان لكيلا تصيبه النعمة، فأخرجه وهو شاب، وأتى به إلى حران، فلما انصرف نبوخذ نصر عن العرب رده إلى مكة المكرمة.

وكان قد تنبأ لبني إسرائيل بسقوط أورشليم وخرابها وتدمير هيكل سليمان عليه السلام، فدعاهم للخضوع والاذعان لنبوخذ نصر فكذبوه واضطهدوه. ويقال: أنه خاف في أول الأمر من نبوخذ نصر عندما هجم على بيت المقدس، فاحذ تابوت السكينة وخبأه في مغارة؛ خوفاً من أن يقضي عليه نبوخذ نصر وجنوده. عاصر من ملوك بني إسرائيل كلا من يوشيا، ويواحاز، ويهوياقيم، وصدقيا، وعاصر الملك الفارسي لهراسب.

كان أكثر الناس تصديقا وإخلاصا إليه تلميذه اليميني باروخ بن نريا الكاتب، وتتلذذ عليه زرادشت، ثم قام زرادشت بعمل أغضب فيه المترجم له، فدعا عليه فبرص، فعند ذاك فارق أستاذه واخترع دين المجوسية أو الديانة الزرادشتية.

ويقال: إن أرميا عليه السلام انتقل إلى مصر فألقى اليهود القبض عليه وسجنوه في بئر، ثم أخرجوه ورجموه حتى استشهد، فدفنوه في مصر، وفي عهد الاسكندر نقل تابوته إلى الإسكندرية ودفنوه بها، ويقال: إنه رجع من مصر إلى بيت المقدس وعاش فيها ٣٠٠ سنة ثم توفي.

ينسب إليه سفر يدعى " سفر أرميا " وله رسالة مطولة ضد عبادة الأوثان في بابل، وينسب

إليه المزمور الثاني والعشرون المنسوب لنبي الله داود عليه السلام، وينسبون إليه ثلاثين مزمورا.

وله مراثي في خراب ودمار أورشليم تعرف بـ "مراثي أرميا" أو "سفر المراثي".  
توفي حدود سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، وقيل: حوالي سنة ٥٧٠ قبل الميلاد، وكانت ولادته بمدينة عثاتوث حدود سنة ٦٢٦ قبل الميلاد، وقيل: حدود سنة ٦٥٠ قبل الميلاد، وقيل: حدود سنة ٦٤٠ قبل الميلاد.

### القرآن الكريم وأرميا عليه السلام:

أوحى الله إليه، أن اخرج إلى بيت المقدس إني عامرها، فخرج إليها فرآها خرابا، فقال: متى يعمرها الله ومتى يحييها بعد أن خربت ومات أهلها فوضع رأسه ونام، فمكث في نومه سبعين عاما ثم استيقظ -وكان نبوخذ نصر مات- فرأى المدينة قد عمرت، وسكنها الناس، ثم أنامه الله حتى مكث في نومه مائة عام، ثم بعثه الله وهو يظن أنه ما نام أكثر من ساعة، فقال: أعلم أن الله على كل شيء قدير، فنزلت فيه، وقيل في غيره الآية ٢٥٩ من سورة البقرة: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

وقال وهب بن منه و عبد الله بن عبيد الله بن عمير : هو أرميا حلقيا (١)

<sup>١</sup> -تفسير بن كثير - دار طيبة (١-٩٨٧)

## محنة نبي الله يوسف عليه السلام مع إخوته

### ترجمته عليه السلام:

هو يوسف بن يعقوب (إسرائيل الله) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

وهو أحد أولاد يعقوب الاثني عشر ذكرا الذين ولدوا في فدان آرام أثناء رعاية غنم خاله (لابان) مقابل تزوجه ابنتيه، إلا بنيامين فقد ولد في أرض كنعان بعد رحيله إليها.

قال النبي ﷺ عن يوسف فيما أخرجه أحمد والبخاري عن ابن عمر: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» .

وكان يوسف رائع الجمال، محبوبا لدى أبيه، مما أثار حقد إخوته عليه وتآمرهم عليه. وقد رأى في منامه في صغره في سن السابعة عشرة سنة

محنته عليه السلام مع اخوته: قال تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَكِّلِينَ (٧) إِذْ قَالَُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ (١٤) [يوسف/٦-١٤]

{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) [يوسف/١٥-٢١]

يبين الله تعالى تلك الحال التي كان عليها هؤلاء الإخوة تجاه يوسف عليه السلام فيقول **{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ (٧)}**

**يقول الزمخشري - رحمه الله - { في يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ } أي في قصتهم وحديثهم { آيات } علامات** ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء **{ لِلْسَّائِلِينَ }** لمن سأل عن قصتهم وعرفها . وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوهم من اليهود عنها ، فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب . وقرئ : «آية» ، وفي بعض المصاحف : عبرة ، وقيل : إنما قص الله تعالى على النبي عليه الصلاة والسلام خبر يوسف وبغي إخوته عليه ، لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به . وقيل أساميهم : يهوذا : وروبييل ، وشمعون ، ولاوي ، وربالون ، ويشجر ، ودينه ، ودان ، ونفتالي ، وجاد ، وآشر : السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب ، والأربعة الآخرون من سريتين : زلفة ، وبلهة . فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل ، فولدت له بنيامين ويوسف<sup>(١)</sup> والسائلون هنا إما من المشركين الذين حرّضهم اليهود على أن يسألوا رسول الله ﷺ عن مسألة يوسف ، وإما من المسلمين الذين يطلبون العبر من الأمم السابقة ، وجاء الوحي لينزل على الرسول الأُمِّي بتلك السورة بالأداء الرفيع المعجز الذي لا يقوى عليه بشر.

### الحسد داء الأمم:

اعلم علمني الله وإياك: أن سبب محنة يوسف عليه السلام مع إخوته إنما كان سببها الحقد والحسد الذي دب إلى تلك القلوب فأشعل فيها نار الانتقام والكراهية ليوسف عليه السلام يقول الله تعالى مخبرا عنهم :

**{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨)}**

والحسد - عافانا الله وإياكم منه - يورث البغضاء بين الناس ، لأن الحاسد يبغض المحسود ، وهذا يتنافى مع واجب الأخوة بين المؤمنين ، وقد يتدرج الحسد بالحاسد إلى الوقوع في الموبقات والمهلكات ، بقصد محاولة إزالة النعمة عن المحسود سواءً بالإيذاء المباشر ، أو التسبب في الإيذاء ، وقد يصل إلى القتل كما قص الله تعالى علينا في قصة ابني آدم يقول :

<sup>١</sup> - الكشف - ( ج ٣ / ص ١٤٤ )

{وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) المائدة }

فالذي دفع قابيل لقتل أخيه هابيل هو الحسد و هو نفس الداء الذي دب إلى قلوب إخوة يوسف عليه السلام .

ونبينا ﷺ يقول لنا: (( لا تحاسدوا )) (١)، أي لا يحسد بعضكم بعضاً؛ فإن الحسد بغي، وظلم، وعدوان، والحاسد لم يرض بقسم الله، هو متهم الله في قسمه، وربك حكيم عليم.

وأخبرنا عن الآثار السيئة للحسد فقال ﷺ: ((ياكم والحسد؛ فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)) (٢)

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنا في المسجد عند رسول الله فقال النبي ﷺ: ((يدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة))، قال: فدخل رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده، فسلم على النبي وجلس، قال: ولما كان اليوم الثاني قال: ((يدخل من هذا الباب عليكم رجل من أهل الجنة))، قال: فدخل ذلك الرجل الذي دخل بالأمس، تنطف لحيته من وضوئه، مُعلقاً نعليه في يده فجلس، ثم في اليوم الثالث، قال عبد الله بن عمرو بن العاص: فقلت في نفسي: والله لأختبرن عمل ذلك الإنسان، فعسى أن أوفق لعمل مثل عمله، فأنال هذا الفضل العظيم أن النبي أخبرنا أنه من أهل الجنة في أيام ثلاثة، فأتى إليه عبد الله بن عمرو فقال: يا عم، إني لاحتيت أبي - أي خاصمت أبي - فأردت أن أبيت ثلاث ليال عندك، آليت على نفسي أن لا أبيت عنده، فإن أذنت لي أن أبيت عندك تلك الليالي فافعل، قال: لا بأس، قال عبد الله: فبيت عنده ثلاث ليال، والله ما رأيت كثير صلاة ولا قراءة، ولكنه إذا انقلب على فراشه من جنب إلى جنب ذكر الله، فإذا أذن الصبح

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري في الأدب [٦٠٦٤ ، ٦٠٦٥] ، ومسلم في البر والصلة [٢٥٦٣ ، ٢٥٥٩] من حديث أبي هريرة ومن حديث أنس رضي الله عنهما.

<sup>٢</sup> - أخرجه أبو داود في الأدب [٤٩٠٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال البخاري في التاريخ الكبير (٢٧٢/١) : "لا يصح" ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة [١٩٠٢].



قام فصلي، فلما مضت الأيام الثلاثة قلت: يا عم، والله ما بيني وبين أبي من خصومة، ولكن رسول الله ذكرك في أيام ثلاثة أنك من أهل الجنة، فما رأيت مزيد عمل!! قال: هو يا ابن أخي ما رأيت، قال: فلما انصرفت دعاني فقال: غير أنني أبويت ليس في قلبي غش على مسلم ولا أحسد أحداً من المسلمين على خير ساقه الله إليه، قال له عبد الله بن عمرو: تلك التي بلغت بك ما بلغت، وتلك التي نعجز عنها<sup>(١)</sup>

انظر كيف سلامة الصدر، وخلوه من الحسد، كيف بلغ بصاحبه تلك المنزلة الرفيعة، فقليل من الأعمال الخالصة يجعلها الله سبباً لنيل صاحبها الخير والفضل { **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** [الجمعة: ٤]، هذا الفضل العظيم لمن وفقه الله فسلم صدره، وصح إيمانه، ورضي بما قسم الله له، ولم يحسد أحداً من المسلمين، على خير ساقه الله إليه، لا يحاول التنقص منه، ولا الحط من قدره، ولا تشويه سمعته، ولا إلحاق الأذى به بأقواله وأعماله، بل هو متقٍ لله، راضٍ بقسم الله، عالم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين.

قيل للحسن البصري أيحسد المؤمن، قال: ويلك أنسييت قصة أبناء يعقوب لما حسدوا يوسف عليه السلام، قال: إذا حسدت فلا تبغ، إذا حسدت أحداً فأحفه تسيء في قلبك، ولا تسيء بكلمة، لا تجرح عرضه، لا تسيء إليه بحركة غير مسئولة.

### المؤامرة ضد يوسف عليه السلام:

و بدأت تلك النفوس التي حرقها الحسد و حلق كل خير فيها جاه يوسف عليه السلام تخطط المؤامرة البشعة للتخلص مهن عليه السلام يقول الله تعالى و هو يقص علينا ذلك { **إِنْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)** }

<sup>١</sup> - أخرجه أحمد (١٦٦/٣)، والبيهقي في الشعب (٦٦٠٥)، وابن عبد البر في التمهيد (١٢١/٦-١٢٢) وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٧٢٨، ١٧٢٩).

يقول الرازي - رحمه الله - واعلم أنه لما قوي الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه : وذلك لا يحصل إلا بأحد طريقين : القتل أو التغريب إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظم من ذلك ، ثم ذكروا العلة فيه وهي قولهم : **{ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ }** والمعنى أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا أفقده أقبل علينا بالميل والمحبة **{ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ }** وفيه وجوه : الأول : أنهم علموا أن ذلك الذي عزموا عليه من الكبائر فقالوا : إذا فعلنا ذلك تبنا إلى الله ونصير من القوم الصالحين . والثاني : أنه ليس المقصود ههنا صلاح الدين بل المعنى يصلح شأنكم عند أبيكم ويصير أبوكم محباً لكم مشتغلاً بشأنكم . الثالث : المراد أنكم بسبب هذه الوحشة صرتم مشوشين لا تتفرغون لإصلاح مهم ، فإذا زالت هذه الوحشة تفرغتم لإصلاح مهماتكم ، واختلفوا في أن هذا القائل الذي أمر بالقتل من كان؟ على قولين : أحدهما : أن بعض إخوته قال هذا . والثاني : أنهم شاوروا أجنبياً فأشار عليهم بقتله ، ولم يقل ذلك أحد من إخوته ، فأما من قال بالأول فقد اختلفوا فقال وهب : إنه شمعون ، وقال مقاتل : روبيل .

فإن قيل : كيف يليق هذا بهم وهم أنبياء؟

قلنا : من الناس من أجاب عنه بأنهم كانوا في هذا الوقت مراهقين وما كانوا بالغين ، وهذا ضعيف ، لأنه يبعد من مثل نبي الله تعالى يعقوب عليه السلام أن يبعث جماعة من الصبيان من غير أن يكون معهم إنسان عاقل يمنعهم من القبائح.

وأيضاً أنهم قالوا : **{ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ }** وهذا يدل على أنهم قبل التوبة لا يكونون صالحين ، وذلك ينافي كونهم من الصبيان ، ومنهم من أجاب بأن هذا من باب الصغائر ، وهذا أيضاً بعيد لأن إيذاء الأب الذي هو نبي معصوم ، والكذب معه والسعي في إهلاك الأخ الصغير كل واحد من ذلك من أمهات الكبائر ، بل الجواب الصحيح أن يقال : إنهم ما كانوا أنبياء ، وإن كانوا أنبياء إلا أن هذه الواقعة إنما أقدموا عليها قبل النبوة .

ثم إنه تعالى حكى أن قاتلاً قال : **{ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ }** قيل إنه كان روبيل وكان ابن خالة يوسف وكان أحسنهم رأياً فيه فمنعهم عن القتل ، وقيل يهودا ، وكان أقدمهم في الرأي والفضل والسن .<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - تفسير الرازي - (ج ٩ / ص ٢)

و هكذا بتوا الحكم في قضية يوسف عليه السلام و اختار قذفه في الثر ثم يباع بعد ذلك ببيع الرقيق و تخيل لذلك الفكر المشوش بأنهم رتبوا صالحهم على اقتراف تلك الجريمة فأى صلاح يأتي من خلال تلك المؤامرة الفظيعة ؟!

يقول سيد قطب — رحمه الله — **{وتكونوا من بعده قوماً صالحين} ! . .**

هكذا ينزغ الشيطان، وهكذا يسول للنفوس عندما تغضب وتفقد زمامها، وتفقد صحة تقديرها للأشياء والأحداث. وهكذا لما غلا في صدورهم الحقد برز الشيطان ليقول لهم: اقتلوا . . والتوبة بعد ذلك تصلح ما فات! وليست التوبة هكذا. إنما تكون التوبة من الخطيئة التي يندفع إليها المرء غافلاً جاهلاً غير ذاك؛ حتى إذا تذكر ندم، وجاشت نفسه بالتوبة. أما التوبة الجاهزة! التوبة التي تعد سلفاً قبل ارتكاب الجريمة لإزالة معالم الجريمة، فليست بالتوبة، إنما هي تبرير لارتكاب الجريمة يزينه الشيطان!

ولكن ضميراً واحداً فيهم، يرتعش لهول ما هم مقدمون عليه. فيقترح حلاً يريحهم من يوسف، ويخلي لهم وجه أبيهم، ولكنه لا يقتل يوسف، ولا يلقيه في أرض مهجورة يغلب فيها الهلاك. إنما يلقيه في الجب على طريق القوافل، حيث يرجح أن تعثر عليه إحدى القوافل فتنقذه وتذهب به بعيداً:

**{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}**

[يوسف: ١٠] .

ونحس من قوله: **{إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} . .**

روح التشكيك والتثبيط. كأنه يشككهم في أنهم مصرون على إيقاع الأذى بيوسف. وهو أسلوب من أساليب التثبيط عن الفعل، واضح فيه عدم الارتياح للتنفيذ. ولكن هذا كان أقل ما يشفي حقدهم؛ ولم يكونوا على استعداد للتراجع فيما اعتزموه. نفهم هذا من المشهد التالي في السياق.<sup>(١)</sup>

**من التخطيط إلى التنفيذ:** لما اقترح احدهم عليه بالطرح في غيابت الجب كأنهم وجدوا ذلك لحلا مناسباً للتخلص من يوسف عليه السلام و اجمعوا على ذلك و بدؤوا في التنفيذ السريع الذي لا يحتمل

<sup>١</sup> - في ظلال القرآن - (ج ٤ / ص ٢٩٤)

التوقف فذهبوا إلى أبيهم ليأذن لهم في صحبة يوسف عليه السلام و دار الحوار الذي نذكره العزيز الجبار فقال تعالى {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤) يوسف } {

فها هم أولاء عند أبيهم، يراودنه في اصطحاب يوسف معهم منذ الغداة . وها هم أولاء يخادعون أباهم، ويمكرون به ويوسف. فلنشهد ولنستمع لما يدور: {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤) } [يوسف: ١١ - ١٤].

والتعبير يرسم بكلماته وعباراته كل ما بذلوه ليتدسسوا به إلى قلب الوالد المتعلق بولده الصغير الحبيب، الذي يتوسم فيه أن يكون الوارث لبركات أبيه إبراهيم . . { يَا أَبَانَا } . .

بهذا اللفظ الموحى المذكر بما بينه وبينهم من آصرة . { مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ } . .

سؤال فيه عتب وفيه استنكار خفي ، وفيه استجاشة لنفي مدلوله من أبيهم ، والتسليم لهم بعكسه وهو تسليمهم يوسف . فهو كان يستبقي يوسف معه ولا يرسله مع إخوته إلى المراعي والجهات الخلوية التي يرتادونها لأنه يحبه ويخشى عليه ألا يحتمل الجو والجهد الذي يحتملونه وهم كبار، لا لأنه لا يأمنهم عليه. فمبادرتهم له بأنه لا يأتمنهم على أخيهام وهو أبوهم، مقصود بها استجاشته لنفي هذا الخاطر؛ ومن ثم يفقد إصراره على احتجاج يوسف. فهي مبادرة مكرة منهم خبيثة!

{ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ } . .

قلوبنا له صافية لا يخالطها سوء وكاد المريب أن يقول خذوني فذكر النصح هنا وهو الصفاء والإخلاص يشي بما كانوا يحاولون إخفاءه من الدغل المريب.

{ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [يوسف: ١٢] . .

زيادة في التوكيد ، وتصويراً لما ينتظر يوسف من النشاط والمسرة والرياضة ، مما ينشط والده لإرساله معهم كما يريدون .

ورداً على العتاب الاستنكاري الأول جعل يعقوب ينفي بطريق غير مباشر أنه لا يأمنهم عليه ، ويعلل احتجازه معه بقلّة صبره على فراقه وخوفه عليه من الذئاب : **{ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } [يوسف : ١٣]**

**{ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي }** إنني لا أطيق فراقه ولا بد أن هذه هاجت أحقادهم وضاعفتها أن يبلغ حبه له درجة الحزن لفراقه ولو لبعض يوم ، وهو ذاهب كما قالوا له للنشاط والمسرة .

**{ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ }** ولا بد أنهم وجدوا فيها عذراً كانوا يبحثون عنه ، أو كان الحقد الهائج أعماهم فلم يفكروا ماذا يقولون لأبيهم بعد فعلتهم المنكرة ، حتى لقنهم أبوهم هذا الجواب !

واختاروا أسلوباً من الأساليب المؤثرة لنفي هذا الخاطر عنه : **{ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ } [يوسف : ١٤]** لئن غلبنا الذئب عليه ونحن جماعة قوية هكذا فلا خير فينا لأنفسنا وإننا لخاسرون كل شيء ، فلا نصلح لشيء أبداً !

وهكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد ولذلك الإحراج.

ليتحقق قدر الله وتتم القصة كما تقتضي مشيئته !

والآن لقد ذهبوا به ، وها هم أولاء ينفذون المؤامرة النكراء . والله سبحانه يلقي في روع الغلام أنها محنة وتنتهي ، وأنه سيعيش وسيذكر إخوته بموقفهم هذا منه وهم لا يشعرون أنه هو : **{ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } [يوسف : ١٥] .**

فقد استقر أمرهم جميعاً على أن يجعلوه في غيابة الجب ، حيث يغيب فيه عنهم . وفي لحظة الضيق والشدة التي كان يواجه فيها هذا الفزع ، والموت منه قريب ، ولا منقذ له ولا مغيث . وهو وحده صغير وهم عشرة أشداء .

في هذه اللحظة اليايسة يلقي الله في روعة أنه ناج ، وأنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع ، وهم لا يشعرون بأن الذي يواجههم هو يوسف الذي تركوه في غيابة الجب وهو صغير .

وندع يوسف في محنته في غيابة الجب ، يؤنسه ولا شك ما ألقى الله في روعه ويطمئنه ، حتى يأذن الله بالفرج . ندعه لنشهد إخوته بعد الجريمة يواجهون الوالد المفجوع : **{ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف: ١٦ - ١٨]**.

لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة ، فلو كانوا أهدأ أعصاباً ما فعلوها منذ المرة الأولى التي يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم ! ولكنهم كانوا معجلين لا يصبرون ، يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى.

كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلاً على التسرع ، وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس ، وهم ينفقونها ، ويكادون يتهمون بها . فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح ليتركوا للذئب الذي حذرهم أبوهم منه أمس ! وبمثل هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لظخوه به في غير إتقان ، فكان ظاهر الكذب حتى ليوصف بأنه كذب .

فلما لافعلوا هذا **{ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ } . .**

ويحسون أنها مكشوفة ، ويكاد المريب أن يقول خذوني ، فيقولون : **{ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ }** أي وما أنت بمطمئن لما نقوله ، ولو كان هو الصدق ، لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقول . وأدرك يعقوب من دلائل الحال ، ومن نداء قلبه ، أن يوسف لم يأكله الذئب ، وأنهم دبوا له مكيدة ما . وأنهم يلفقون له قصة لم تقع ، ويصفون له حالاً لم تكن . فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمراً منكراً وذلتته ويسرت لهم ارتكابه ؛ وأنه سيصبر متحملاً متجماً لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو ، مستعيناً بالله على ما يلفقونه من حيل وأكاذيب : **{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف: ١٨]**.

محنته عليه السلام وهو في الحب وبيعه :

ثم لنعد سريعاً إلى يوسف في الحب {وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) يوسف }

وقوله : {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} أي : يعلم ما يفعله إخوة يوسف ومشتروه، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه، ولكن له حكمة وقدر سابق، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين.

وفي هذا تعريض لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وإعلامه له بأنني عالم بأذى قومك، وأنا قادر على الإنكار عليهم، ولكنني سأملئ لهم، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم، كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على إخوته.

وقوله : {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} يقول تعالى : وباعه إخوته بثمن قليل، قاله مجاهد وعكرمة.

والبخس : هو النقص، كما قال تعالى : {فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا} [الجن : ١٣] أي : اعتاض عنه إخوته بثمن دُون قليل، وكانوا مع ذلك فيه من الزاهدين، أي : ليس لهم رغبة فيه، بل لو سألوه بلا شيء لأجابوا.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك : إن الضمير في قوله : {وَشَرَوْهُ} عائد على إخوة يوسف.

وقال قتادة : بل هو عائد على السيارة.

والأول أقوى ؛ لأن قوله : {وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} إنما أراد إخوته، لا أولئك السيارة؛ لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه، فيرجح من هذا أن الضمير في {وَشَرَوْهُ} إنما هو لإخوته.

وقيل : المراد بقوله : {بَخْسٍ} الحرام. وقيل : الظلم. وهذا وإن كان كذلك، لكن ليس هو المراد هنا؛ لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على كل حال، وعلى كل أحد، لأنه نبي ابن نبي، ابن

نبي، ابن خليل الرحمن، فهو الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، وإنما المراد هنا بالبخس الناقص أو الزيوف أو كلاهما، أي: إنهم إخوته، وقد باعوه ومع هذا بأنقص الأثمان؛ ولهذا قال: **{ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ }** فعن ابن مسعود باعوه بعشرين درهما، وكذا قال ابن عباس، ونُوفَ الْبَكَالِي، والسُّدِّي، وقتادة، وعطية العوفي وزاد: اقتسموها درهمين درهمين.

وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهما.

وقال محمد بن إسحاق وعكرمة: أربعون درهماً.

وقال الضحاك في قوله: **{ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ }** وذلك أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل.

وقال مجاهد: لما باعوه جعلوا يتبعونهم ويقولون لهم: استوثقوا منه لا يَأْبِقُ حتى وقفوه بمصر، فقال: من يبتاعني وليبشر؟ فاشتراه الملك، وكان مسلماً.<sup>(١)</sup>

**{ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }**

أخي المسلم: تأمل كيف خطط هؤلاء للتخلص من يوسف عليه السلام وكيف كانت عناية الملك العلام بهذا الطفل الصغير الذي تنكر له أقرب الناس إليه و لكن

وإذا العناية لحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

**{ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }**

**{ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) }**

يقول الرازي — رحمه الله: **{ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ }** أي كما أنعمنا عليه بالسلامة من الجب مكناه بأن عطفنا عليه قلب العزيز، حتى توصل بذلك إلى أن صار متمكناً من الأمر والنهي في أرض مصر.

<sup>١</sup> - تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٣٧٦-٣٧٧)



واعلم أن الكمالات الحقيقية ليست إلا القدرة والعلم وأنه سبحانه لما حاول إعلاء شأن يوسف ذكره بهذين الوصفين ، أما تكميله في صفة القدرة والمكنة فإليه الإشارة بقوله : **{ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ }** وأما تكميله في صفة العلم ، فإليه الإشارة بقوله : **{ وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ }** وقد تقدم تفسير هذه الكلمة .

ثم قال تعالى : **{ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ }** وفيه وجهان : الأول : غالب على أمر نفسه لأنه فعال لما يريد لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه في أرضه وسمائه ، والثاني : والله غالب على أمر يوسف ، يعني أن انتظام أموره كان إلهياً ، وما كان بسعيه وإخوته أرادوا به كل سوء ومكروه والله أراد به الخير ، فكان كما أراد الله تعالى ودبر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله . واعلم أن من تأمل في أحوال الدنيا وعجائب أحوالها عرف وتيقن أن الأمر كله لله ، وأن قضاء الله غالب .<sup>(١)</sup> وقد وصل يوسف إلى مصر ، وبيع ببيع الرقيق ؛ ولكن الذي اشتراه توسم فيه الخير والخير يتوسم في الوجوه الصباح ، وبخاصة حين تصاحبها السجايا الملاح فإذا هو يوصي به امرأته خيراً ، وهنا يبدأ أول خيط في تحقيق الرؤيا .

ولكن محنة أخرى من نوع آخر كانت تنتظر يوسف حين يبلغ أشده ، وقد أوتي حكماً وعلماً يستقبل بهما هذه المحنة الجارفة التي لا يقف لها إلا من رحم الله . إنها محنة التعرض للغواية في جو القصور ، وفي جو ما يسمونه «الطبقة الراقية» وما يغشاها من استهتار وفجور . . ويخرج يوسف منها سليماً معافى في خلقه وفي دينه ، ولكن بعد أن يخالط المحنة ويصلاها . .

**{ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }**

[يوسف : ٢١]

<sup>١</sup> - تفسير الرازي - (ج ٩ / ص ١٥)

إن السياق لا يكشف لنا حتى الآن عن اشتراه ، وسنعلم بعد شوط في القصة أنه عزيز مصر ( قيل : إنه كبير وزرائها ) ولكننا نعلم منذ اللحظة أن يوسف قد وصل إلى مكان آمن ، وأن المحنة قد انتهت بسلام ، وأنه مقبل بعد هذا على خير :

**{ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ }** والمثوى مكان الثويّ والمبيت والإقامة ، والمقصود بإكرام ماثواه إكرامه ، ولكن التعبير أعمق ، لأنه يجعل الإكرام لا لشخصه فحسب ، ولكن لمكان إقامته . . وهي مبالغة في الإكرام. في مقابل ماثواه في الجب وما حوله من مخاوف وآلام!

ويكشف الرجل لامرأته عما يتوسمه في الغلام من خير، وما يتطلع إليه فيه من أمل :

**{ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا } . .**

ولعلهما لم يكن لهما أولاد كما تذكر بعض الروايات . ومن ثم تطلع الرجل أن يتخذه ولداً إذا صدقت فراسته ، وتحققت مخايل نجابته وطيبته مع وسامته .

وهنا يقف السياق لينبه إلى أن هذا التدبير من الله ، وبه وبمثله قدر ليوسف التمكين في الأرض وها قد بدأت بشائره بتمكين يوسف في قلب الرجل وبيته ويشير إلى أنه ماض في الطريق ليعلمه الله من تأويل الأحاديث على الوجهين اللذين ذكرناهما من قبل ويعقب السياق على هذا الابتداء في تمكين يوسف بما يدل عليه من قدرة الله غالبة ، لا تقف في طريقها قوة ، وأنه مالك أمره ومسيطر عليه فلا يخيب ولا يتوقف ولا يضل :

**{ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ**

**النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [يوسف : ٢١]** وها هو ذا يوسف أراد له إخوته أمراً ، وأراد له الله أمراً ، ولما كان الله غالباً على أمره ومسيطراً فقد نفذ أمره ، أما إخوة يوسف فلا يملكون أمرهم فأفلت من أيديهم وخرج على ما أرادوا : **{ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } . (١)**

<sup>١</sup> - في ظلال القرآن - ( ج ٤ / ص ٢٩٨ )

ولما بلغ يوسف الصديق مبلغ الرجال منحه الملك العلام النبوة والحكمة و بين سبحانه أنه كان لذلك أهلاً و انه تعالى لا يضيع عمل محسن في هذه الحياة فقال - سبحانه و تعالى - **{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }**

يقول الشوكاني - رحمه الله - **{ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }** أي : ومثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين ، فكل من أحسن في عمله أحسن الله جزاءه . وجعل عاقبة الخير من جملة ما يجزيه به . وهذا عام يدخل تحته جزاء يوسف على صبره الحسن دخولاً أولياً .

قال الطبري - رحمه الله : هذا وإن كان مخرجه ظاهراً على كل محسن فالمراد به محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول الله تعالى كما فعل هذا بيوسف ثم أعطيته ما أعطيته كذلك أنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة ، وأمكن لك في الأرض . والأولى ما ذكرناه من حمل العموم على ظاهره فيدخل تحته ما ذكره ابن جرير الطبري .<sup>(١)</sup>

#### محنة الإغراء والشهوة و الفتنة:

وما إن شب يوسف عليه السلام حتى أخذت صورته تجذب العقول والألباب فالله تعالى أعطاه شطر الجمال **{ وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) }** وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) } وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) } قَالَ هِيَ رَأَوْدَتُنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) } وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) } فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) } يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) } يوسف

<sup>١</sup> - فتح القدير - ( ج ٤ / ص ١٥ )

يقول السعدي رحمه الله - هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكرما في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن **{ رَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ }** أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر.

**{ وَ }** زادت المصيبة، بأن **{ غَلَقَتْ الْأَبْوَابَ }** وصار المحل خاليا، وهما آمانان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دعتة إلى نفسها **{ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ }** أي: افعل الأمر المكروه وأقبل إليّ، ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عذب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم.

فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه - وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما حرم الله - ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، و **{ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ }** أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه مما يسخط الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي.

فلا يليق بي أن أقابله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح، والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما من الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه.

ولما امتنع من إجابة طلبها بعد المراودة الشديدة، ذهب ليهرب عنها ويبادر إلى الخروج من الباب ليتخلص، ويهرب من الفتنة، فبادرت إليه، وتعلقت بثوبه، فشقت قميصه، فلما وصلا إلى الباب في تلك الحال، ألقيا سيدها، أي: زوجها لدى الباب، فرأى أمرا شق عليه، فبادرت إلى الكذب، أن المراودة قد كانت من يوسف، وقالت: **{ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا }** ولم تقل "من فعل بأهلك سوءاً" تبرئة لها وتبرئة له أيضا من الفعل.

وإنما النزاع عند الإرادة والمراودة **{ إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }** أي: أو يعذب عذاباً أليماً.

فبرأ نفسه مما رمت به، وقال: **{ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي }** فحينئذ احتملت الحال صدق كل واحد منهما ولم يعلم أيهما.

ولكن الله تعالى جعل للحق والصدق علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمن الله في هذه القضية بمعرفة الصادق منهما، تبرئة لنبيه وصفيه يوسف عليه السلام، فانبعث شاهد من أهل بيتها، يشهد بقرينة من وجدت معه، فهو الصادق، فقال: **{ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ }** لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المارود لها المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقت قميصه من هذا الجانب.

**{ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ }** لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فشقت قميصه من هذا الجانب.

**{ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ }** عرف بذلك صدق يوسف وبراءته، وأنها هي الكاذبة.

فقال لها سيدها: **{ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ }** وهل أعظم من هذا الكيد، الذي برأت به نفسها مما أرادت وفعلت، ورمت به نبي الله يوسف عليه السلام، ثم إن سيدها لما تحقق الأمر، قال ليوسف: **{ يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا }** أي: اترك الكلام فيه وتناسه ولا تذكره لأحد، طلباً للستر على أهله، **{ وَاسْتَغْفِرِي }** أيتها المرأة **{ لَدُنْكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ }** فأمر يوسف بالإعراض، وهي بالاستغفار والتوبة.<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٣٩٦)

يقول ابن القيم - رحمه الله : فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه مع إن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع وكان الداعي ها هنا في غاية القوة وذلك من وجوه :

أحدها: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة كما يميل العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام حتى إن كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء وهذا لا يذم إذا صادف حلال بل يحمد كما في كتاب الزهد للإمام أحمد من حديث يوسف بن عطية الصغار عن ثابت ألبناني عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم "حبيب إلى من دنياكم الطيب والنساء أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن"

الثاني: إن يوسف عليه الطريق كان شبا وشهوة الشباب وحدته أقوى.

الثالث: أنه كان عزبا لا زوجة له ولا سرية تكسر شدة الشهوة.

الرابع: أنه كان في بلاد غربة يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره في وطنه وأهله ومعارفه.

الخامس: إن المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث إن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى موافقتها.

السادس: أنها غير آبية ولا ممتنعة فإن كثيرا من الناس يزيل رغبته في المرأة إباؤها وامتناعها لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها وكثير من الناس يزيده الآباء والامتناع زيادة حب كما قال الشاعر:

وزادني كلفا في الحب إن منعت أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

فطباع الناس مختلفة في ذلك الآفات من يتضاعف حبه عند بذل المرأة ورغبتها وتضمحل عند إباؤها وامتناعها وأخبرني بعض القضاة إن إرادته وشهوته

تضمحل عند امتناع زوجته أو سريته وإبائها بحيث لا يعاودها ومنهم من يتضاعف حبه وإرادته بالمنع ويشتد شوقه بكل ما منع وتحصل له من اللذة بالظفر نظير ما يحصل من لذة بالظفر بالصد بعد امتناعه ونفاره واللذة بإدراك المسألة بعد استصعابها وشدة الحرص علي إدراكها.

**السابع:** أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد فكفته مؤنة الطلب وذل الرغبة إليها بل كانت هي الراغبة الذليلة وهو العزيز المرغوب إليه.

**الثامن:** إنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى إن لم يطاوعها من إذا هاله فاجتمع داعي الرغبة والرغبة.

**التاسع:** إنه لا يخشى إن تنم عليه هي ولا أحد من جهتها فإنها هي الطالبة والرغبة وقد غلقت الأبواب وغيببت الرقباء.

**العاشر:** أنه كان مملوكا لها في الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه وكان الأنس سابقا علي الطلب وهو من أقوى الدواعي كما قيل لامرأة شريفة من أشرف العرب: ما حملك علي الزنا؟ قالت: قرب الوسادة وطول السرار تعني قرب وساد الرجل من وسادتي وطول السرار بيننا.

**الحادي عشر:** أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتتيال فأرتته إياهن وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه فاستعان هو بالله عليهن فقال: **{وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ}**.

**الثاني عشر:** أنها تواعدته بالسجن والصغار وهذا أنواع إكراه إذ هو تهديد ممن يغلب علي الظن وقوع ما هدد به فيجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن والصغار.

**الثالث عشر:** إن الزوج لم يظهر منه الغيرة والنخوة ما راحم به بينهما ويبعد كلا منهما عن صاحبه بل كان غاية ما قابلها به إن قال ليوسف: **{أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}** وللمرأة **{إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ}** وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع وهذا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه لدواعي كلها فآثر مرضات الله وخوفه وحمله حبه لله علي إن اختار السجن علي الزنا **{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}** وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه وأن ربه تعالى لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه.

وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد علي ألف فائدة لعلنا إن وفقنا الله إن نفردها في مصنف مستقل.)<sup>(١)</sup>

### محنته — عليه السلام — مع نساء عليّة القوم:

وشاع خبر المراودة بين نساء عليّة القوم و تحدثوا بذلك دون خجل و لا وجل فلما بلغها الخبر أرادت أن تبين لهم أنها معذورة في تلك المراودة و لو أن إحداهن مكانها و قد قص الله تعالى تلك المحنة التي إصابته نبيه — عليه السلام من عليّة نساء القوم فقال تعالى { فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَاِستَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) }

يقول السعدي — رحمه الله — { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } .

يعني: أن الخبر اشتهر وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلمنها، ويقلن: { امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } أي: هذا أمر مستقيح، هي امرأة كبيرة القدر، وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه، ومع هذا فإن حبه قد بلغ من قلبها مبلغا عظيما.

{ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } أي: وصل حبه إلى شغاف قلبها، وهو باطنه وسويداؤه، وهذا أعظم ما يكون من الحب، { إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } حيث وجدت منها هذه الحالة التي لا تنبغي منها، وهي حالة تحط قدرها وتضعه عند الناس، وكان هذا القول منهن مكرًا، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقبح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز لتحقق امرأة العزيز، وتريهن إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكرًا، فقال: { فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ } تدعوهن إلى منزلها للضيافة.

<sup>١</sup> - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي — ص ٢٥٨-٢٦٠



**{ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً }** أي: محلاً مهياً بأنواع الفرش والوسائد، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة، وكان في جملة ما أنتت به وأحضرتة في تلك الضيافة، طعام يحتاج إلى سكين، إما أترج، أو غيره، **{ وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا }** ليقطعن فيها ذلك الطعام **{ وَقَالَتْ }** ليوسف: **{ أَخْرِجْ عَلَيْنَهُنَّ }** في حالة جماله وبهائه.

**{ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ }** أي: أعظمته في صدورهن، ورأين منظراً فائقاً لم يشاهدن مثله، **{ وَقَطَّعْنَ }** من الدهش **{ أَيَّدِيَهُنَّ }** بتلك السكاكين اللاتي معهن، **{ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ }** أي: تنزيهاً لله **{ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ }** وذلك أن يوسف أعطي من الجمال الفائق والنور والبهاء، ما كان به آية للناظرين، وعبرة للمتأملين.

فلما تقرر عندهن جمال يوسف الظاهر، وأعجبهن غاية، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز، شيء كثير - أرادت أن تريهن جماله الباطن بالعفة التامة فقالت معلنة لذلك ومبينة لحبه الشديد غير مبالية، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة: **{ وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ }** أي: امتنع وهي مقيمة على مراودته، لم تزدها مرور الأوقات إلا قلقاً ومحبة وشوقاً لوصاله وتوقاً.<sup>(١)</sup>

يقول الشيخ عبد الحي الفرماوي - ويكشف السياق القرآني في هذا المشهد عن صنع تلك المرأة الجريئة، التي تعرف كيف تواجه نساء طبقتها بمكرٍ كمكرهنَّ، وَكَيْدٍ ككيدهن.

خاصة .. وأن الحل الذي تم، والحكم الذي صدر قبلاً، في المشهد السابق: لم يقنعها، ولم يوقفها عن اندفاعها.

**{ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ }** كأنها ازدادت إصراراً على إصرار، ورغبة في فتاها أكثر من ذي قبل، وأرادت أن تكسبهن إلى صفها، أو تسكتهن عن ملامتها وانتقادها، بحيلة نسائية، وخدعة ترفية.

فماذا فعلت ؟..

<sup>١</sup> - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٣٦٩-٣٧٠)

{ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ } دعوة لحضور قصرها ، و الاجتماع على مأدبة طعامها .

{ وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَّكَاً } وثيرا ، يسترحن إليه ، و يجلسن عليه .

فلما حضرت المدعوات ، و هن نساء هذه الطبقة المترفة ربات القصور ،

و صواحب الغمز و اللمز عليها بفتاها الذي شغفها حبا : قدمت لهن الأطعمة ، و أحضرت لهن

الفاكهة التي تحتاج إلى تقطيع و تقشير بالسكاكين .

{ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا } لتقشير الفاكهة و تقطيعها حسب المعتاد ، و ظاهر الأمر ، و لكنها

كانت تبيت لهن أمرا .

و بينما هن في لهوهن و أكلهن و سمرهن و غمزهن و لمزهن ، إذ :

{ وَقَالَتْ } ليوسف

{ اخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ }

و لاحظوا أيها الإخوة و الأخوات : أنها لم تقل (أخرج إليهن) و يقول علماء اللغة العربية : أن **كلمة**

(**اخرج**) تتعدى إلى ما بعدها بـ (إلى) أو بـ (على) ، و أنها تتعدى بعلى إذا كان الخروج بقهر و غلبة ،

أو بجمال يُبهر، أو بزينة تسحر الألباب ، أو بآية ، أ و أمر

{ أَكْبَرَتْهُ } أي بُهَتْنَ لَطَلْعَتِهِ ، و أعظمته ، و دُهِشْنَ لذلك الحُسْنِ الرائق ، و الجمال الفائق ، الذي

لم يرين له مثيلا ، و استغرقتهم الدهشة ، و استولى عليهن الانبهار ، و ذهبن لذلك ذهولا شديدا .

{ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ } و جرحن أيديهن ، و قد عبر عن التجريح بالتقطيع ، على عادة هذه الطبقة من

المبالغة في أي ألم يصيبهن أو ينزل بهن ، و إلا فإنهن ما قطعن أيديهن حسب المعروف من لفظ القطع

الوارد في قوله تعالى { فاقطعوا أيديهما } .

و ليس الانبهار بالجمال الذي حباه الله ليوسف ، و الدهشة لطلعته عليهن ، و التي أذهلتهن عن

تجريح أيديهن فقط هو التصرف الذي حدث منهن.. بل إنهن :

**{ وَقُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا } فقد رأينا البشر، و عرفنا أصنافهم من مواقعنا العالية في طبقتنا**

الراقية !!

إذن ماذا يكون هذا؟

إنه من أحسن ما خلق الله !!

فما أحسن ما خلق الله؟

يقول الناس: إنهم الملائكة

إذن فهذا ليس ملكا فقط

**{ إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ }**

كل هذا وهنٌ في ذهول ذهول في إكباره وإجلاله !! ذهول في تقطيع أيديهن !! ذهول في البحث عن

وصف يناسبه !!

و كأنَّ لسان حالهن، و هن في هذه الحال، يقول لامرأة العزيز: ما نرى عليك من لوم فيما فعلته، أو

تفعلينه، به أو معه، بعد هذا الذي رأيناه بعيوننا و قلوبنا.

و إلى هنا و استراحت امرأة العزيز، و نجحت في خطتها، و استعادت قوتها.

كما رأت أنها قد انتصرت على نساء طبقتها، اللاتي لم يتمالكن أنفسهن أمام طلعة يوسف، من

الدهشة و الدهول و الإعجاب.

فسارعت و قالت قولة المرأة المنتصرة، التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها و طبقتها، و التي

ازدادت عليهن -فيما ترى- قوة بهذا الموقف، و التي تفخر عليهن بأن هذا الذي بهرن في متناول

يديها.

و إذا كان قد استعصى قياد ه عليها، و استعصم منها مرة، فهي تملك هذا القياد، و تعرف كيف تعالج

هذا الاستعصام مرة أخرى، إذ:

**{ قَالَتْ } لهن، و هن في هذه الحال:**

**{ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ }** قد بهركن جماله وأدهشكن، ولمجرد نظرة فقط: أكبرتوهن، وتقطعت من ذهولكن لجماله الأيدي، ونطقت ألسنتكن بما يثبت العجز عن وصف هذا الجمال.

و لقد بهرني مثلما بهركن.

ثم اعترفت اعترافا خطيرا أمام هؤلاء النسوة، و هن في هذه الحال ، من الافتتان بيوسف عليه السلام. اعتراف كله تبجح، وإعلان لاستمرارها على موقفها ، دون خجل أو حياء ، إذ قالت :

**{ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ }**

نعم راودته عن نفسه

ولكنه : تجلد وتماسك أمام فتنتي وأنوثتي وجمالي.

وعلى كل حال فما زلت أريده، ولا بد أن ينهار تماسكه ، وأن يتخلى عن ادعاء العصمة.

ولئن كان هذا الكلام: تحت تأثير الغريزة العمياء، وكيد الشيطان للإنسان، وذهاب والحياء.

فلقد استولت عليها كذلك حمى الطغيان، و بطش السلطة، و اندفاع الغرور، إذ قالت مهددة متوعدة، في صورة قرار، لا راد لتنفيذه:

**{ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ }** به، و أريده منه: **{ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ }** الأذلاء ، مع

السراق و السفاك و الأباقي في السجن ، كما سرق مني قلبي ، وسفك دمي بالفراق ،

و أبق مني، و هرب بعيدا عني فلا يهنأ له في السجن طعام أو شراب أو منام بعد ذلك ، كما منعني هنا كل ذلك.

و من لم يرض بمثلي في الحرير على السرير أميرا : فليكن في السجن على الحصير أسيرا (١) .

و بهذا التهديد و بهذا القرار : حسم الموقف من جهة امرأة العزيز.

و أصبح على يوسف أن يختار بين مبادئه التي يتمسك بها ، و سوف يعذب من أجلها ، و قد تزهق حياته في سبيلها ، و بين هذا النعيم الذي تعدّه به هذه السيدة الأولى في البلاد ، و صاحبة الحول و الطول ، و الأمر و النهي فيها .

بين : أن يبيع نفسه لله تعالى ، و لو ناله من العذاب في الدنيا ، و المهانة بين أهلها ، و المذلة في سجونها ، ما يناله !!

و بين : أن يبيع نفسه للهوى و الشيطان ، فينال النعيم العاجل في الدنيا ، و الاحترام الزائف بين أهلها ، و التمتع بمباهجها و مناصبها .. الخ.

هذا ما نقوله نحن .. (١)

### السجن ولا معصية ربي :

و لقد خيرت يوسف عليه السلام بين أن يستجيب لها و يلبي رغبتها و إما أن يكون مصيره غيابات السجن فماذا كان رد يوسف عليه السلام على هذه الضغوط ؟

اعلم علمني الله و إياك : أن المسلم إذا خير بين معصية ربه و بين العذاب فانه يستعذب العذاب و يرضى بالهوان و لا يخالف طاعة الرحيم الرحمن حاله كما يقول نبي الله يوسف — عليه السلام — { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) [يوسف/٣٣-٣٦] }

يقول ابن عاشور — رحمه الله — وفضل السجن مع ما فيه من الألم والشدة وضيق النفس على ما يدعونه إليه من الاستمتاع بالمرأة الحسنة النفيسة على ما فيه من اللذة ولكن كرهه لفعل الحرام فضل عنده مقاساة السجن .

١ - سورة يوسف عليه السلام - ص ٤٤-٤٦

فلما علم أنه لا مَحِيص من أحد الأمرين صار السجن محبوباً إليه باعتبار أنه يخلصه من الوقوع في الحرام فهي محبة ناشئة عن ملاءمة الفكر ، كمحبة الشجاع الحرب .

فالإخبار بأن السجن أحبُّ إليه من الاستمتاع بالمرأة مستعمل في إنشاء الرضى بالسجن في مرضاة الله تعالى والتباعد عن محارمه ، إذ لا فائدة في إخبار من يعلم ما في نفسه فاسم التفضيل على حقيقته ولا داعي إلى تأويله بمسلوب المفاضلة.

وعبر عما عرضته المرأة بالوصولية لما في الصلة من الإيماء إلى كون المطلوب حالة هي مظنة الطوعية ، لأن تمايل الناس على طلب الشيء من شأنه أن يوطن نفس المطلوب للفعل ، فأظهر أن تماثلهم على طلبهن منه امتثال أمر المرأة لم يَقُلْ من صارم عزمه على الممانعة ، وجعل ذلك تمهيداً لسؤال العصمة من الوقوع في شرك كيدهن ، فانتقل من ذكر الرضى بوعيدها إلى سؤال العصمة من كيدها .

وأسند فعل **{ يدعونني }** إلى نون النسوة ، فالواو الذي فيه هو حرف أصلي وليست واو الجماعة ، والنون ليست نون رفع لأنه مبني لاتصاله بنون النسوة ، ووزنه يَفْعُلْنَ . وأسند الفعل إلى ضمير جمع النساء مع أن التي دعت امرأة واحدة ، إما لأن تلك الدعوة من رغبات صنف النساء فيكون على وزان جمع الضمير في **{ كيدهن }** ، وإما لأن النسوة اللاتي جمعتن امرأة العزيز لما سمعن كلامها تمالأن على لوم يوسف عليه السلام وتحريضه على إجابة الداعية ، وتحذيره من وعيدها بالسجن . وعلى وزان هذا يكون القول في جمع الضمير في **{ كيدهن }** [ سورة يوسف : ٢٨ ] أي كيد صنف النساء ، مثل قول العزيز **{ إن كيدهن عظيم }** ، أي كيد هؤلاء النسوة .

وجملة **{ وإلا تصرف عني كيدهن }** خبر مستعمل في التخوف والتوقع التجاء إلى الله وملازمة للأدب نحو ربه بالتبرؤ من الحول والقوة والخشية من تقلب القلب ومن الفتنة بالميل إلى اللذة الحرام . فالخبر مستعمل في الدعاء ، ولذلك فرع عنه جملة **{ فاستجاب له ربه }** .<sup>(١)</sup>

و لقد صرف الله تعالى عن نبيه عليه السلام تلك الفتنة وعصمه من الوقوع في تلك الرزيلة ، فقرر هذا المجلس الظالم ليوسف عليه السلام مع علمهم الجازم بأن يوسف بريء من تلك التهمة الظالمة و لكنهم

<sup>١</sup> - التحرير والتنوير - ( ج ٧ / ص ٢٦٣ )

فعلوا ذلك حماية لجناب تلك المرأة إذ لو أنهم لم يحكموا عليه بالسجن لتقرر عن الجميع أنها هي التي دعت له لفعل الفاحشة

يقول تعالى {ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)}

يقول العلامة ابن عاشور حمه الله - : {ثم} هنا للترتيب الرتبي ، كما هو شأنها في عطف الجمل فإن ما بدا لهم أعجب بعد ما تحققت براءته . وإنما بدا لهم أن يسجنوا يوسف عليه السلام حين شاعت القالة عن امرأة العزيز في شأنه فكان ذلك عقب انصراف النسوة لأنها خشيت إن هُنَّ انصرفن أن تشيع القالة في شأنها وشأن براءة يوسف عليه السلام فرامت أن تغطي ذلك بسجن يوسف عليه السلام حتى يظهر في صورة المجرمين بإرادته سوء بامرأة العزيز ، وهي ترمي بذلك إلى تطويعه لها . ولعلها أرادت أن تُوهم الناس بأن مرادته إيّاها وقعت يوم ذلك المجمع ، وأن تُوهم أنّهن شواهد على يوسف عليه السلام (١).

### محنة السجن

و بالفعل دخل العفيف السجن و حكم عليه بمدة غير محددة و في السجن وجد نبي الله تعالى فرصة سانحة للدعوة الى الله تعالى و بيان انه نبي من أنبيائه جل في علاه - و بيان انه من أسرة كريمة ضاربة في أعماق التاريخ و أن تلك الأسرة هي أسرة التوحيد و التوجه إلى الغني الحميد فهو الكريم ابن الكريم يقول الله تعالى و هو يحدثنا عن أحداث تلك الحقبة {وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبِي السَّجْنَ الْأَرْيَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا

١ - التحرير والتنوير - (ج ٧ / ص ٢٦٥)

صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) {

وهكذا ، دخل يوسف السجن ظلماً ، وهذه هي المحنة الثالثة والأخيرة من محن الشدة في حياة يوسف ، فكل ما بعدها رخاء .

ودخل معه السجن فتّيان ، كان أحدهما رئيس الخبازين عند الملك ، والثاني رئيس السقاة . وقد سُجِنَا لخيانة نُسبت إليهما كانت ستودي بحياة الملك .

وبعد أن استقر يوسف في السجن ظهر أمره للناس ، وأنه يختلف عن السجناء الآخرين . وفي ذات يوم جاءه صاحب شراب الملك واخبرنه انه رأى في منامه انه يعصر خمرًا للملك ، وجاءه الخباز وقال له : إني رأيتُ فوق رأسي طبقاً من الخبز تأكل منه الطيور ، وطلبا اليه ان يفسر لكل واحد منهما ما رأى في منامه .

فانتهاز يوسف هذه الفرصة ليعلنَ لهم دينَه ويدعوهم اليه ، وقال لأهل السجن ينبئهم بمقدرته على تأويل الرؤيا : لن يأتیکما طعام الا نباتكما بشأنه .

كل ذلك مما علّمني ربّي . ثم أضاف :

**{ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } .**

إني برئت من ملة من لا يصدق بالله ولا يقر بوحدانيته ، ويعبد عدداً من الآلهة لا تضر ولا تنفع ، لأن هؤلاء الناس يكفرون بالآخرة والحساب والجزاء . وبدلاً من ذلك ، أجدني اتبعتُ ملة آبائي الذين دعوا الى التوحيد الخالص وهم : إبراهيم وإسحق ويعقوب .

ثم بيّن أساس الملة التي ورثها عن آبائه الكرام بقوله :

**{ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ }**

وذلك كله من فضل الله علينا أهل بيت النبوة ، **{ ولكن أكثر الناس لا يشكرون } .**



يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ  
 سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ  
 الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)

واسترسل يوسف يبيِّن دينه القويم . . . وبعد ان بين بطلان الشرك اتَّجه الى السائلين وقال لهما : يا  
 رفيقي في السجن ، هل عبادة أرباب كثيرين متفرقين لا ينفعون ولا يضرّون خيرٌ لكما ولغيركما ، ام  
 عبادة الله الواحد القهار الذي له ملك السماوات والارض وبيده كل شيء ؟ .

ثم بيّن لهما ان ما يعبدونه ويسمونه آلهة انما هي من اختراعهم ، وتسمية من تلقاء انفسهم توارثها  
 خلف من سلف ، ليس لها مستندٌ من عقل ولا وحي سماوي . فقال :

**{ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ }** .

وان هذه الأرباب ، سواء كانت من البشر أم من غيرهم ، ليست من الربوبية في شيء . . . انظروا ،  
 ليس لها قوة ولا إرادة . أما الربوبية الحقّة فلا تكون إلا لله الواحد القهار ، لقد أمر أن لا تعبدوا سواه .

**{ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }** . لا يدركون ماهم عليه من جهل وضلالة .

و لقد ركز نبي الله تعالى في دعوته على عدة قضايا و هي :

\* إقامة البراهين على انه صادق في كل ما يقوله لهم و ذلك من خلال انه لن يأتيهم طعام إلا و هو  
 سيخبرهم عن نوع ذلك الطعام قبل أن يأتيهم فإذا ثبت لهم صدقه في ذلك فانه سيكون صادقا في جميع  
 ما يخبرهم به **{ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي**

**رَبِّي إِنَّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧)}**

\* ثم اخبرهم أن ذلك ليس عن طريق التخمين أو التنجيم و إنما هو علم من عند الله تعالى ،

\* وأراد بالقوم الذين لا يؤمنون بالله ما يشمل الكنعانيين الذين نشأ فيهم والقبط الذين شبّ بينهم ،

\* بيان المهج الشديد الذي جاء به الأنبياء و الرسل و ذكر منهم آبائه إبراهيم و إسحاق و يعقوب **{**

**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**

**عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) }**

قال أبو جعفر : يعني بقوله : **(واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب)** ، واتبعت دينهم لا دين أهل الشرك **(ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء)** ، يقول : ما جاز لنا أن نجعل لله شريكاً في عبادته وطاعته ، بل الذي علينا إفراده بالألوهة والعبادة **(ذلك من فضل الله علينا)** ، يقول : إتباعي ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب على الإسلام ، وتركى ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، من فضل الله الذي تفضل به علينا ، فأنعم إذ أكرمنا به = **(وعلى الناس)** ، يقول : وذلك أيضاً من فضل الله على الناس ، إذ أرسلنا إليهم دعاءً إلى توحيد طاعته = **(ولكن أكثر الناس لا يشكرون)** ، يقول : ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه ، لأنه لا يعلم من أنعم به عليه ولا يعرف المتفضل به (١)

\* ثم اخذ يحاورهم في تلك القضية العقدية و يبين لهم أن ما هم عليه إنما هو ضلال ناتج عن انطماس الفطرة و غياب العقل الذي يميز المر به ما هو ضار و ما هو نافع فقال **{ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) }**

يقول أبو حيان — رحمه الله — لما ذكر ما هو عليه من الدين الحنيفي تلتطف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم الفتيين من عبادة الأصنام ، فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتتمخض فيه النصيحة . واحتمل قوله : يا صاحبي السجن ، أن يكون من باب الإضافة إلى الظرف ، والمعنى : يا صاحبي في السجن ، واحتمل أن يكون من إضافته إلى شبه المفعول كأنه قيل : يا ساكني السجن ، كقوله **{ أصحاب النار } { وأصحاب الجنة }** ثم أورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله : أرباب ، فأبرز ذلك في صورة الاستفهام حتى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بالدليل من غير استفهام . وهكذا الوجه في محاجة الجاهل أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها ، فإذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها ، ثم كذلك إلى أن يصل إلى الإذعان بالحق . وقابل تفرق أربابهم بالواحد ، وجاء بصفة القهار تنبيهاً على أنه تعالى له هذا الوصف الذي معناه الغلبة والقدرة التامة ، وإعلاماً بعروء أصنامهم عن هذا الوصف الذي لا ينبغي أن يعبد إلا المتصف به ، وهم عالمون بأن تلك

١ - تفسير الطبري - (ج ١٦ / ص ١٠٣)

الأصنام جماد . والمعنى : أعبادة أرباب متكاثرة في العدد خير أم عبادة واحد قهار وهو الله؟ فمن ضرورة العاقل يرى خيرية عبادته ، ثم استطرد بعد الاستفهام إلى إخبار عن حقيقة ما يعبدون . والخطاب بقوله : ما تعبدون ، لهما ولقومهما من أهل . ومعنى إلا أسماء : أي ألفاظاً أحدثتموها أنتم وآباؤكم فهي فارغة لا مسميات تحتها ، وتقدم تفسير مثل هذه الجملة في الأعراف . إن الحكم إلا لله أي : ليس لكم ولا لأصنامكم حكم ما الحكم في العبادة والدين إلا لله ثم بين ما حكم به فقال أمر أن لا تعبدوا إلا إياه . ومعنى القيم : الثابت الذي دلت عليه البراهين . لا يعلمون بجهالاتهم وغلبة الكفر عليهم .(١)

و هكذا ينبغ على الداعية أن ينتهز الفرص التي يكون فيها المدعو مقبلاً عليه مشتاقاً الى الاستماع ليغرس في نفسية المدعو الدعوة و العقيدة الصحيحة

### تأويل الرؤيا

فلما انتهى يوسف عليه السلام من بيان ما أراد إيصاله إليهما اخذ في بيان تأويل الرؤية لهما { يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان (٤١) وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين (٤٢)

يقول الخازن في تفسيره : ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء إلى الله وعبادته رجع إلى تعبير رؤياهما فقال { يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً } يعني أن صاحب شراب الملك يرجع إلى منزلته ويسقي الملك خمراً كما كان يسقيه أولاً والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعو به الملك ويرده إلى منزلته التي كان عليها { وأما الآخر فيصلب } يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعو به الملك فيصلبه { فتأكل الطير من رأسه } قال ابن معسود رضي الله عنه فلما سمعا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالاً ما رأينا شيئاً إنما كنا نلعب قال يوسف { قضي الأمر الذي فيه تستفتيان } يعني فرغ من الأمر الذي سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به رأيتما شيئاً أم لم ترياً { وقال } يعني يوسف { للذي ظن } يعني علم وتحقق فالظن

<sup>١</sup> - تفسير البحر المحيط - (ج ٧ / ص ٢١)

بمعنى العلم { أنه ناج منهما } يعني ساقى الملك { اذكرني عند ربك } يعني سيدك وهو الملك الأكبر  
**فقل له إن في السجن غلاماً محبوباً مظلوماً** طال حبسه { فأنساه الشيطان ذكر ربه } في هاء الكناية  
 في فأنساه إلى من تعود قولان :

أحدهما : أنها ترجع إلى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنس الشيطان الساقى أن يذكر  
 يوسف عند الملك قالوا لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى  
 من صرفها إلى يوسف

**والقول الثاني:** وهو قول أكثر المفسرين أن هاء الكناية ترجع إلى يوسف ، والمعنى أن الشيطان أنسى  
 يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وتلك غفلة  
 عرضت ليوسف عليه السلام فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف  
 أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذاً بهذا القدر  
 فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

فإن قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه.

قلت بشغل خاطر وإلقاء الوسوسة فإنه قد صح في الحديث « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى  
 الدم » فأما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه .

وقوله سبحانه وتعالى: **{ فلبث في السجن بضع سنين }** .

اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد ما بين الثلاثة إلى السبع وقال قتادة: هو ما بين الثلاث إلى التسع ،  
 وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف  
 قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب: أصاب أيوب البلاء سبع  
 سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين .

وقال مالك بن دينار : لما قال يوسف للساقى اذكرني عند ربك قال له يا يوسف اتخذت من دوني  
 وكيلاً لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي ذكرك كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن  
 قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث »  
 يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس ذكره الثعلبي

مرسلاً وبغير سند وقيل إن جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر بن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني أن أستغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي لأبثنك في السكن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال إذن لا أبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله فمن رزقك قال الله قال فمن حببك إلى أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرفك عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين<sup>(١)</sup>.

**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ :**

و لما بلغ يوسف عليه السلام الأجل المكتوب و انتهت المحنة المحتومة اذن الله تعالى لها بالانفراج و لكن كان لانفراجه قصة عجيبة غريبة فقد رأى الملك رؤيا أفزعته و طلب من أعوانه أن يجدوا لها تفسيراً و تعبيرا يقول الله تعالى {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤)}

يقول القطن: بعد أن أمضى يوسف عدداً من السنين في السجن أراد الله أن يبعث بالفرج فهيئ الأسباب لذلك . إذ رأى الملك رؤيا أفزعته. لقد رأى سبع بقرات سمان ترعى في روضة ، ثم جاءت سبع بقرات أخرى هزيلات قبيحات المنظر خرجت من النهر وأكلت البقرات الأولى السمان . كذلك رأى سبع سنابل خضر حسنة طالعة في ساق واحدة، وإذا سبع سنابل يابسات خلفها قد فلحتهن الرياح تهجم على السنابل الخضر فتأكلها .

استيقظ الملك منزعاً لهذين المنامين، وفي الصباح دعا إليه بالسحرة وكبراء دولته، وقص عليهم الرؤيا وسألهم عن تأويلها فلم يجد عند احد جواباً. قالوا :

**{ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ } .**

<sup>١</sup> - تفسير الخازن - (ج ٤ / ص ١٨-١٩)

هذه أحلام مضطربة أيها الملك. (١)

{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)}

وفي ذلك الوقت انتبه رئيس سقاة الملك ، رفيق يوسف في السجن الذي فسر الرؤيا ، وتذكره ، فقال للملك : إن في السجن شاباً ذكياً له علم في تعبير الرؤيا ، فأرسلوني اليه لأسأله عن تفسير هذين المنامين . وأرسله الملك اليه فلما التقى بيوسف قال له :

{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ } .

قال يوسف : سيأتي على مصر سبع سنين مخصبات تجود الأرض فيها بالغلات الوفرة ، ثم يأتي ذلك سبع مُجْدِبَةٍ تأتي على المخزون من السنين السبع التي تقدمتها .

نصحهم أن يقتصدوا في السنين ويخزنوا ما فضل عن القوت في سنبله ، حتى اذا حلَّ الجذب وجدوا ما يسدّ الرمق إلى أن يأتي الخصب من جديد. (٢)

إعادة التحقيق في قضيته حتى تظهر براءته:

{وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا

<sup>١</sup> - تفسير القطن - (ج ٢ / ص ٢٥٥)

<sup>٢</sup> - تفسير القطن - (ج ٢ / ص ٢٥٥)

عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ  
(٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) {يوسف/٥٠-٥٢}

يقول الخازن - رحمه الله - قوله عز وجل : **{ وقال الملك ائتوني به }** وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر برؤياه استحسنته الملك وعرف أن الذي قاله كائن لا محالة فقال ائتوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقى إلى يوسف وقال له أجب الملك فذلك قوله تعالى : **{ فلما جاءه الرسول }** فأبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص **{ قال }** يعني قال يوسف للرسول **{ ارجع إلى ربك }** يعني إلى سيدك وهو الملك **{ فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن }** ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدباً واحتراماً لها ( ق ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي » أخرجه الترمذي ، وزاد فيه « ثم قرأ فلما جاء الرسول قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن » هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادراً إلى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وأرسل الملك في كشف أمره الذي سجن بسبه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله : **{ إن ربي بكيدهم عليم }** يعني أن الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف إلى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و **{ قال }** لهن **{ ما خطبكن }** أي شأنكن وأمركن **{ إن راودتن يوسف عن نفسه }** إنما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب ، والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها وقيل إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب **{ قلن }** يعني النسوة جميعاً مجيبات للملك **{ حاش لله }** يعني معاذ الله **{ ما علمنا عليه من سوء }** يعني من خيانة في شيء من الأشياء { قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق } يعني ظهر وتبين وقيل إن النسوة أقبلن على امرأة العزيز فعزرنها وقيل خافت أن يشهد عليها فأقرت فقالت **{ أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين }** يعني في قوله هي راودتني عن نفسي .

واختلفوا في قوله **{ ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب }** على قولين :

**أحدهما:** أنه من قول المرأة ووجه هذا القول أن هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ، ثم قالت : ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أنني لم أخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم أكذب عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين وإن كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ، ثم بالغت في تأكيد هذا القول فقالت **{ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين }** يعني أنني لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم أنني افتضحت لأن الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين .

**والقول الثاني :** إنه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الأكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر إذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أن لما بلغ يوسف قولاً للمرأة أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أي الذي فعلت من ردي رسول الملك إليه ليعلم يعني العزيز أنني لم أخنه في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته ، فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لأنه ذكر كلام إنسان ثم أتبعه بكلام إنسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى : **{ يريد أن يخرجكم من أرضكم }** هذا من قول الملائكة ، فماذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى : **{ وجعلوا أعزة أهلها أذلة }** هذا من قول بلقيس **{ وكذلك يفعلون }** من قوله عز وجل تصديقاً لها وعلى هذا القول اختلفوا أين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين :

**أحدهما:** أنه كان في السجن وذلك أنه لما رجع إليه رسول الملك وهو في السجن وأخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج .

**والقول الثاني:** إنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس فإن قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهي إشارة للغائب مع حضوره عندهم. قلت قال ابن الأنباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه فصار كالمشاهد الذي يشار إليه بهذا وقيل ذلك إشارة إلى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته من ردي الرسول ليعلم أنني لم أخنه



بالغيب أي لم أكن العزيز في حال غيبته ؛ ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدي الكاذبين يعني أنني لو كنت خائناً لما خلصني الله من هذه الورطة التي وقعت فيها لأن الله لا يهدي أي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا في قوله

**{ وما أبرئ نفسي }** من قول من؟ على قولين أيضاً :

أحدهما: أنه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال إن قوله ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه .

والقول الثاني : وهو الأصح وعليه أكثر المفسرين أنه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما قال ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس أيضاً وهو قول الأكثرين وقال الحسن إن يوسف لما قال ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب خاف أن يكون قد زكى نفسه فقال وما أبرئ نفسي لأن الله تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم ، ففي قوله وما أبرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فإن رؤية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فراد إزالة ذلك عن نفسه فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين **{ إن النفس }** لأمانة بالسوء **{ }** والسوء لفظ جامع لكل ما يهمل الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية والسيئة الفعلة القبيحة . (١)

و بعد أن ظهرت براءة يوسف عليه السلام و بلغ ذلك جميع الأنام أنه العفيف الذي لم تبد منه هفوة و لم يمسك عليه زلة خرج عليه السلام و قد ناله من التكريم و التبجيل

**التمكين له عليه السلام:**

فلما ظهرت براءته وظهرت ساحته دعاه الملك ليكون من خاصته المقربين فلما مَثَّل بين يديه و كلمه جرى ذلك الحديث الذي نال من خلاله يوسف عليه السلام على تلك المنزلة العالية و التمكين له في ارض مصر و جعله بمثابة وزيراً للاقتصاد يقول الله تعالى مخبراً عن ذلك الحوار :

١ - تفسير الخازن - ( ج ٤ / ص ٢٣ )

{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أُمِينٌ (٥٤) قَالَ  
اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) يوسف ٥٤-٥٥ }

يقول ابن عاشور - رحمه الله - واقترح يوسف عليه السلام ذلك إعداد لنفسه للقيام بمصالح الأمة على سنة أهل الفضل والكمال من ارتياح نفوسهم للعلم في المصالح، ولذلك لم يسأل مالاً لنفسه ولا عَرَضاً من متاع الدنيا، ولكنه سأل أن يوليه خزائن المملكة ليحفظ الأموال ويعدل في توزيعها ويرفق بالأمة في جمعها وإبلاغها لمحالها.

وعَلَّ طلبه ذلك بقوله: { إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } المفيد تعليل ما قبلها لوقوع ( إِنَّ ) في صدر الجملة فإنه علم أنه اتصف بصفتين يعسر حصول إحداهما في الناس بله كليتهما، وهما: الحفظ لما يليه، والعلم بتدبير ما يتولاه، ليعلم الملك أن مكانته لديه واثمائه إياه قد صادفا محلها وأهلها، وأنه حقيق بهما لأنه متصف بما يفي بواجبهما، وذلك صفة الحفظ المحقق للائتمان، وصفة العلم المحقق للمكانة. وفي هذا تعريف بفضله ليهتدي الناس إلى اتباعه وهذا من قبيل الحسبة.

وشبه ابن عطية بمقام يوسف عليه السلام هذا مقام أبي بكر رضي الله عنه في دخوله في الخلافة مع نهيه المستشار له من الأنصار من أن يتأمر على اثنين. قلت: وهو تشبيه رشيق، إذ كلاهما صديق. وهذه الآية أصل لوجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من أمور الأمة إذا علم أنه لا يصلح له غيره لأن ذلك من النصح للأمة، وخاصة إذا لم يكن ممن يتهم على إثثار منفعة نفسه على مصلحة الأمة. وقد علم يوسف عليه السلام أنه أفضل الناس هنالك لأنه كان المؤمن الوحيد في ذلك القطر، فهو لإيمانه بالله يثبت أصول الفضائل التي تقتضيها شريعة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. فلا يعارض هذا ما جاء في «صحيح مسلم» عن عبد الرحمان بن سمرة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا عبد الرحمان لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها " لأن عبد الرحمان بن سمرة لم يكن منفرداً بالفضل من بين أمثاله ولا راجحاً على جميعهم.

ومن هذه الآية أخذ فقهاء المذهب جواز طلب القضاء لمن يعلم أنه أهل وأنه إن لم يؤلّ ضاعت الحقوق. قال المازري: «يجب على من هو أهل الاجتهاد والعدالة السعي في طلب القضاء إن علم أنه إن لم يله

ضاعت الحقوق أو وليه من لا يحل أن يولى . وكذلك إن كان وليه من لا تحل توليته ولا سبيل لعزله إلا بطلب أهله» .

وقال ابن مرزوق: لم أقف على هذا لأحد من قدماء أهل المذهب غير المازري .

وقال عياض في كتاب الإمارة ، أي من «شرح صحيح مسلم» ، ما ظاهره الاتفاق على جواز الطلب في هذه الحالة ، وظاهر كلام ابن رشد في «المقدمات» حرمة الطلب مطلقاً . قال ابن مرزوق : وإنما رأيت مثل ما نقل المازري أو قريباً منه للغزالي في «الوجيز» .<sup>(١)</sup>

**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) [يوسف/٥٦-٥٧]**

و هكذا مكن الله تعالى لنبيه — عليه السلام و أصبح على خزائن مصر كلها يدير بحكمة الأنبياء و المحسنين الذين علت منزلتهم و سمت مكانتهم لإحسانهم و و صدق الله تعالى اذ يقول **{ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) }** فيوسف عليه السلام — من سادات أهل الإحسان

و الإحسان هو أعلى مراتب الإيمان بالله تعالى و جزاؤه لا يكون إلا من جنس عمله فمن أحسن أحسن الله إليه و زيادة

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية (السابق لعصره) حيث يقول : (الولاية وإن كانت جائزة أو مستحبة أو واجبة فقد يكون في حق الرجل المعين غيرها أوجب أو أحب ، فيقدم حينئذ خير الخيرين وجوباً تارة واستحباً أخرى ، ومن هذا الباب تولي يوسف الصديق — عليه السلام — على خزائن الأرض لملك مصر ، بل ومسألته له أن يجعله على خزائن الأرض ، وكان هو وقومه كفاراً ، كما قال تعالى : **؟ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ؟ [غافر : ٣٤]** ، وقال تعالى عنه : **؟ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمِيَتْهُمْ أَرْثًا وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؟ [يوسف : ٣٩-٤٠]** ، ومعلوم أنه مع كفرهم لا بد أن يكون لهم عادة وسنة في قبض الأموال وصرفها على حاشية الملك وأهل بيته وجنده ورعيته ، ولا تكون تلك جارية على سنة الأنبياء وعدلهم ، ولم يكن يوسف — عليه السلام — يمكنه أن

يفعل كل ما يريد وهو ما يراه من دين الله، فإن القوم لم يستجيبوا له، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان، ونال يوسف - عليه السلام - بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته، وهم مسلمون، بل وفيهم أبوه نبي الله يعقوب - عليه السلام - ما لم يكن يمكن أن يناله بدون ذلك، وهذا كله داخل في قوله تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [التغابن: ١٦] (١)

يقول الدكتور ناصر بن سليمان العمر - حفظه الله - وهنا يأتي سؤال مهم جداً، لماذا اختار يوسف أن يكون على الخزائن دون غيرها؟  
والجواب:

أولاً: أنها من أرفع الولايات، وهي ولاية العزيز، كما ذكر المفسرون، ومن خلالها يستطيع أن يحكم ويأمر وينفذ ما استطاع من شريعة الله.

ثانياً: أنها هي الولاية التي تناسب مؤهلات يوسف "إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ" (يوسف: من الآية ٥٥)، وهذا هو التخصص.

ثالثاً: أن لها الأثر العظيم على الناس، وبخاصة أيام الشدائد، حيث تتعلق بجانب المال، ولذلك فإن وزير المالية في أي وزارة له مكانة خاصة، حيث يرتبط مع مصالح الناس، ومن خلالها يستطيع أن يؤدي رسالة ربه.

رابعاً: أنه عرف واقع ذاك البلد وما يحدث فيه من ظلم، والدليل على ذلك أنه سجن ظمناً والبلد مقبل على أزمة، وقل من يعدل أيام المحن، وبخاصة في جانب المال، فكانت تحتاج إلى الحفيظ العليم الأمين.

فبمجموع هذه الأمور يتضح أن هذه الولاية قد تكون من أعظم وسائل تبليغ الدعوة "اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ" لارتباط الناس بالمال، وأثر المال في حياة الناس.

وهذه حقيقة ينبغي أن يعيها من مَن الله عليه بالمال وجعله على شيء من الخزائن العامة أو الخاصة فليتق الله فيما ولي وليتذكر قول نبيه \_ صلى الله عليه وسلم \_ : إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا ، عن يمينه ومن شماله ومن خلفه ، وقليل ما هم . [البخاري وغيره (١)]

### اللقاء مع الإخوة:

و بعد هذه الفترة الزمنية الطويلة التي عاشها يوسف عليه السلام عن بعيدا أبيه و إخوته بدأت بشائر تلك الرؤيا التي قصها على أبيه و هو طفل صغير تتحقق على ارض الواقع فهامهم الإخوة الذين تأمروا على قتله و باعوه بيع الهوان أصابهم ما أصابهم من مجاعة ضربت بلادهم و حلت في ديارهم فما وجدوا منفسا لتلك المجاعة إلا بالذهاب إلى ارض مصر لينالوا من خيراتها ما يخفف عنهم ضراوة الجوع و لكن كانت هنالك مفاجئة لم تكن في حساباتهم إن الأخ الذي بيع و تأمروا عليه هو الذي يتولى توزيع الطعام و الميرة للناس.

تعال أخي لترى هذا المشهد بين الإخوة الجفاة و بين الأخ البار الذي لا يحمل لأحد غلا و لا حقدا {  
وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ [ ٥٨ ] وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ  
اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا  
كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُأْوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا  
بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) يوسف }

يقول الخازن-رحمه الله - في تفسيره قوله تعالى : { وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم

### له منكرون }

قال العلماء : لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل إلى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطي أحداً أكثر من حمل بغير وإن كان عظيماً تقسيطاً ومساواة بين الناس ونزل بآل يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه إلى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وأبيه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء إخوة يوسف وكانوا عشرة وكان

١ - موسوعة البحوث والمقالات العلمية مقال لماذا يحرصون على الحقايب المالية ! ١٠/٣/١٤٢٦

مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين والعربات تغور الشام وكانوا أهل بادية وإبل وشياه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون إليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم .

قال ابن عباس ومجاهد : بأول نظرة نظر إليهم عرفهم ، وقال الحسن : لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان بين أن قذفوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فلذلك أنكروه وقال عطاء : إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لأنه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الأسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه ، وقيل إن العرفان إنما يقع في القلب بخلق الله تعالى له فيه وإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقاً لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فإني قد أنكرت حالكم قالوا : نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فجئنا نمتار؟ قال يوسف لعلمكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا : لا والله ما نحن بجواسيس إنما نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قال وكم أنتم؟ قالوا كنا اثني عشر فذهب أدخل لنا معنا إلى البرية فهلك فيها وكان أحبنا إلى أبينا قال : فكم أنتم الآن ، قالوا : عشرة قال : وأين الآخر قالوا هو عند أبينا لأنه أخو الذي هلك لأمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم أن الذي تقولون حق قالوا أيها الملك إننا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد قال فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين فأنا راض بذلك منكم قالوا إن أبانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به فافترعوا فيما بينهم فأصابته القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف فخلفوه عنده . (١)

<sup>١</sup> - تفسير الخازن - (ج ٤ / ص ٣١)

**بين الولد و بين أبنائه:** فلما أخذ يوسف عليه السلام منهم العهد على أن يأتوا بأخيهم إليه ما كان من بد من الذهاب إلى بلدهم لإحضار أخيهم فلما مثلوا بين يديه و طلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين لأن الكيل موقف على ذهابه إلى هناك تذكر الوالد عليه السلام ما حل بيوسف عليه السلام فذكرهم بذلك و أنه يخشى عليه أن يحدث له ما حدث لأخيه من قبل يقول الله تعالى و هو يقص علينا هذا الحوار : { فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنْعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ (٦٥) } {

**{ و لما فتحوا متاعهم }** ليخرجوا ما فيها من غلال : وجدوا الغلال ، و وجدوا شيئاً آخر.

ما هذا ؟..

إنها بضاعتهم التي أخذوها معهم ، ليشتروا بها الغلال.

نعم !!

**{ وجدوا بضاعتهم ردت إليهم }**

يا الله ... !!

الغلال ، والبضاعة ، معاً !! ؟

ما هذا الكرم؟

تَوْفِيَّةٌ فِي الْكَيْلِ لَنَا، وَعَوْدٌ لِبِضَاعَتِنَا مَعَنَا.

وهنا: أرادوا أن يطيبوا نفس أبيهم.

**{ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي }** أي شيء نطلب وراء هذا؟

وفى لنا الكيل، وردّ لنا الثمن (١) !!

{ هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا } هذه المرة،

و لو عدنا إلى مصر و معنا (بنيامين) فسوف نأتي بالطعام.

{ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا } أي: ن جلب لهم كذلك طعاما.

{ وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ } أي: بوجود أخينا معنا؛ ستزداد حملتنا كيل بعير.

وذلك: أن يوسف عليه السلام كان يعطي كل فرد فقط حمل بعير.

{ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ } أي ذلك سهل ميسر في مقابلة أن يأخذوا أخاهم معهم.

كل هذه المحاولات، و الاغراءات ، و الضمانات : و يعقوب عليه السلام صامت لا ينطق ، ساكت لا يَعدُّ بشيء.

و أخيرا ..

استسلم على كره، ووافق على مضمض.

ولكنه جعل لموافقته على تسليم ابنه الباقي شرطا.

فما هذا الشرط ...؟

{ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ } أي : لتقسمن بالله

قسما يربطكم ، أن تردوا علي ولدي ، إلا إذا غُلِبْتُمْ على أمركم غَلَبًا لا حيلة لكم فيه ، و لا تجدي مدافعتكم عنه.

ولذلك: أخذ كل الوثائق عليهم، وأغلق كل المسالك أمامهم، في محاولة التفریط فيه أو إيذاؤه.

و هذا درس تربوي. في ضرورة الأخذ بالأسباب، مع الإيمان بالله تعالى .

و هنا .. سارعوا ، فأقسموا ، و آتوه موثقهم ...!!



**{ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ }** لم يكتف به ، و لم يركن إليه فقط ، بل : **{ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ }** أي : أفوض أمري لله ، و هو وكيلني فيما تعاهدنا عليه ، و قلتموه و قلته ، و هو الرقيب عليكم ، و المطلع على نياتكم ، و ما تضررونه.<sup>(١)</sup>

### وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه:

فلما أخذ عليه العهود و المواثيق على أن يأتوا بأخيهم أرشدهم و نصحهم و هو الوالد العطوف على أبنائه أوصاهم بما يحفظهم من أعين الناس خوفاً عليهم من الحسد يقول الله تعالى **{ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) }**

يقول الألوسي - رحمه الله - **{ وَقَالَ }** ناصحاً لهم لما عزم على إرسالهم جميعاً **{ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا }** مصر **{ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ }** نهاهم عليه السلام عن ذلك حذراً من إصابة العين فإنهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد اشتهروا بين أهل مصر بالزلفى والكرامة التي لم تكن لغيرهم عند الملك فكانوا مظنة لأن يعانوا إذا دخلوا كوكبة واحدة ، وحيث كانوا مجهولين مغمورين بين الناس لم يوصهم بالتفرق في المرة الأولى ،

وجوز أن يكون خوفه عليه السلام عليهم من العين في هذه الكرة بسبب أن فيهم محبوبه وهو بنيامين الذي يتسلى به عن شقيقه يوسف عليه السلام ولم يكن فيهم في المرة الأولى فأهمل أمرهم ولم يحتفل بهم لسوء صنيعهم في يوسف ، والقول أنه عليه السلام نهاهم عن ذلك أن يستراب بهم لتقدم قول أنتم جواسيس ليس بشيء أصلاً ، ومثله ما قيل : إن ذلك كان طمعاً أن يتسمعوا خبر يوسف عليه السلام ، والعين حق كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح أيضاً بزيادة " ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين " و " إذا استغسلتم فاغتسلوا " وقد ورد أيضاً : «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر» وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله : " أعوذ بكلمات الله تعالى التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة " وكان يقول : " كان أبوكما يعوذ بهما إسماعيل وإسحق عليهم السلام "

<sup>١</sup> - سورة يوسف عليه السلام - (ج ١ / ص ٨٧)

ولبعضهم في هذا المقام كلام مفصل مبسوط لا بأس بإطلاعك عليه ، وهو أن تأثير شيء في آخر إما نفساني أو جسماني وكل منهما إما في نفساني أو جسماني ، فالأنواع أربعة يندرج تحتها ضروب الوحي والمعجزات والكرامات والإلهامات والمنامات وأنواع السحر والأعين والنيرنجات ونحو ذلك . أما النوع الأول : أعني تأثير النفساني في مثله فكتأثير المبادئ العالية في النفوس الإسلامية بإفاضة العلوم والمعارف ، ويندرج في ذلك صنفان :

أحدهما : ما يتعلق بالعلم الحقيقي بأن يلقي إلى النفس المستعدة لذلك كمال العلم من غير واسطة تعليم وتعلم حتى تحيط بمعرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية كما ألقى إلى نبينا صلى الله عليه وسلم علوم الأولين والآخرين مع أنه عليه الصلاة والسلام ما كان يتلوه من قبل كتاباً ولا يخطه بيمينه .

وثانيهما : ما يتعلق بالتخيل القوي بأن يلقي إلى من يكون مستعداً له ما يقوى به على تخيلات الأمور الماضية والإطلاع على المغيبات المستقبلية ، والمنامات والإلهامات داخلة أيضاً تحت هذا النوع ، وقد يدخل تحته نوع من السحر وهو تأثير النفوس البشرية القوية فيها قوتا التخيل والوهم في نفوس بشرية أخرى ضعيفة فيها هاتان القوتان كنفس البله والصبيان والعوام الذين لم تقوّتهم العقلية فتتخيل ما ليس بموجود في الخارج موجوداً فيه وما هو موجود فيه على ضد الحال الذي هو عليها ؛ وقد يستعان في هذا القسم من السحر بأفعال وحركات يعرض منها للحس حيرة وللخيال دهشة ومن ذلك الاستهتار في الكلام والتخليط فيه .<sup>(١)</sup>

**الحذر لا يمنع القدر: يقول الله تعالى { وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٦٨)**

يقول القاسمي - رحمه الله - { وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [ ٦٨ ] .

<sup>١</sup> - تفسير الألوسي - ( ج ٩ / ص ٧١ )

**{ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ } أي : من الأبواب المتفرقة : { مَا كَانَ } أي : ذلك الدخول :**  
**{ يُغْنِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا } أي : أبدأها { وَإِنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا**  
**عَلَّمْنَاهُ } أي : علم جليل ، لتعليمنا إياه بالوحي ، ونصب الأدلة ، حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع**  
 القدر ، وأن التدبير له حظ من التأثير . وفي تأكيد الجملة بـ ( إن ) و ( اللام ) وتنكير العلم ، وتعليقه  
 بالتعليم المسند إلى ذاته سبحانه ؛ من الدلالة على شأن يعقوب عليه السلام ، وعلو مرتبة علمه  
 وفخامته ما لا يخفى - أفاده أبو السعود - .

**{ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } أي : فيظنون الأسباب مؤثرات .**

قال ابن حزم في " الملل " : كان أمر يعقوب عليه السلام بدخولهم من أبواب متفرقة ، إشفافاً عليهم ،  
 إما من إصابة العين ، وإما من تعرض عدو ، أو مستريب بإجماعهم ، أو ببعض ما يخوفه عليهم .  
 وهو عليه السلام معترف أن فعله ذلك ، وأمره إياهم بما أمرهم به من ذلك ؛ لا يغني عنهم من الله  
 شيئاً يريده عز وجل بهم . ولكن لما كانت طبيعة البشر جارية في يعقوب عليه السلام ، وفي سائر  
 الأنبياء عليهم السلام ، كما قال تعالى حاكياً عن الرسل أنهم قالوا : **{ إِنَّ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ }** [   
 إبراهيم : من الآية ١١ ] ، حملهم ذلك على بعض النظر المخفف لحاجة النفس ونزعها وتوقها إلى  
 سلامة من تحب ، وإن كان ذلك لا يغني شيئاً ، كما كان عليه السلام يحب الفأل الحسن .

تنبيهه :

قال السيوطي في " الإكليل " : في هذه الآية - على ما روي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما - أن  
 العين حق ، وأن الحذر لا يرد القدر . ومع ذلك لا بد من ملاحظة الأسباب . انتهى .  
 وقال بعض اليمانيين : لهذه الجملة ثمرات وهي : استحباب البعد عن مضار العباد ، والحذر عنها .  
 فأما فعل الله تعالى فلا يغني الحذر عنه . ثم قال : وفي " التهذيب " أن أبا علي أنكر الضرر بالعين ،  
 وهو مروي عن جماعة من المتكلمين .

وصحح الحاكم والأمير الحسين وغيرهما جواز ذلك ؛ لأخبار وردت فيها .

ثم قال : واختلف من أين أتت المضرة الحاصلة بالعين :

فمن قائل: بأنه يخرج من عين العائن شعاع يتصل بمن يراه، فيؤثر فيه تأثير السم. وضعفه الحاكم بأنه لو كان كذلك لما اختص ببعض الأشياء دون بعض، ولأن الجواهر متماثلة، فلا يؤثر بعضها في بعض.

ومن قائل: بأنه فعل العائن. قال: وهذا لا يصح؛ لأن الجسم لا يفعل في جسم آخر شيئاً إلا بمماسته، أو ما في حكمها من الاعتمادات، ولأنه لو كان فعله وقف على اختياره.

ومن قائل: بأنه فعل الله، أجرى الله العادة بذلك لضرب من الإصلاح. وصح هذا الحاكم، وهو الذي ذكره الزمخشري والأمير الحسين، وهو قول أبي هاشم. ذكره عنهما في " التهذيب " . انتهى (١).

### لقاء أخ بأخيه:

ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم و التقوا بـيوسف عليه السلام و { وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) يوسف }

يقول ابن كثير رحمه الله - : يخبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعه أخوه شقيقه بنيامين، فأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته، وأفاض عليهم الصلة والإلطف والإحسان، واختلى بأخيه فأطلعته على شأنه، وما جرى له، وعرفه أنه أخوه، وقال له: " لا تبتئس " أي: لا تأسف على ما صنعوا بي، وأمره بكتمان ذلك عنهم، وألا يطلعهم على ما أطلعته عليه من أنه أخوه، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقية عنده، مُعَزِّزًا مكرما معظما. (٢)

### أيتها العير إنكم لسارقون:

وبعد أن بين يوسف عليه السلام لأخيه بنيامين انه هو أخو يوسف الذي تأمر عليه إخوته منذ زمن بعيد أمره أن يصفح عنه و لا يبتئس بما صدر منهم و خطط يوسف عليه السلام لإبقاء أخيه عنده ووضع لذلك خطة حكيمة يقول الله تعالى { فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَدِّنٌ أَيَّتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ

١ - محاسن التأويل (تفسير القاسمي) - (تفسير سورة يوسف)

٢ - تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٤٠٠)

الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) [يوسف/٧٠-٧٦]

يقول القرطبي - رحمه الله - قوله تعالى: (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه) لما عرف بنيامين أنه يوسف قال له: لا تردني إليهم، فقال: قد علمت اغتنام يعقوب بي فيزداد غمه، فأبى بنيامين الخروج، فقال يوسف: لا يمكن حبسك إلا بعد أن أنسبك إلى ما لا يجمل بك: فقال: لا أبالي! فدس الصاع في رحله، إما بنفسه من حيث لم يطلع عليه أحد، أو أمر بعض خواصه بذلك. والتجهيز التسريح وتنجيز الأمر، والسقاية والصواع شيء واحد، إناء له رأسان في وسطه مقبض، كان الملك يشرب منه من الرأس الواحد، ويكال الطعام بالرأس الآخر، قاله النقاش عن ابن عباس، وكل شيء يشرب به فهو صواع،

وأنشد: نشرب الخمر بالصواع جهارا واختلف في جنسه، فروى شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان صواع الملك شيء من فضة يشبه المكوك، من فضة مرصع بالجواهر، يجعل على الرأس،

**وهنا اعتراض:** الأول - إن قيل: كيف رضي بنيامين بالقعود طوعا وفيه عقوق الأب بزيادة الحزن، ووافقه على ذلك يوسف؟

وكيف نسب يوسف السرقة إلى إخوته وهم براء وهو - الثاني -

فالجواب عن الأول: أن الحزن كان قد غلب على يعقوب بحيث لا يؤثر فيه فقد بنيامين كل التأثير، أولا تراه لما فقدته قال: **"يا أسفا على يوسف"** [يوسف: ٨٤] ولم يعرج على بنيامين، ولعل يوسف إنما وافقه على القعود بوحى، فلا اعتراض.

وأما نسبة يوسف السرقة إلى إخوته فالجواب: أن القوم كانوا قد سرقوه من أبيه فألقوه في الحب، ثم باعوه، فاستحقوا هذا الاسم بذلك الفعل، فصدق إطلاق ذلك عليهم.

جواب آخر - وهو أنه أراد أيتها العير حالكم حال السراق، والمعنى: إن شيئاً لغيركم صار عندكم من غير رضا الملك ولا علمه.

جواب آخر - وهو أن ذلك كان حيلة لاجتماع شمله بأخيه، وفصله عنهم إليه، وهذا بناء على أن بنيامين لم يعلم بدس الصاع في رحله، ولا أخبره بنفسه.

وقد قيل: إن معنى الكلام الاستفهام، أي أو إنكم لسارقون؟ كقوله: **"وتلك نعمة"** (الشعراء: ٢٢) أي أو تلك نعمة تمنها علي؟ والغرض ألا يعزى إلى يوسف صلى الله عليه وسلم الكذب.<sup>(١)</sup>

### تبرئة الإخوة ساحتهم من تلك التهمة التي نسبت إليهم:

فملما نادى المنادي فيهم أنهم سارقون و أن من يأتي بذلك الصواع له حمل بغير جعالة له على ما جاء به، عندها صدم هؤلاء الإخوة تجاه تلك التهمة الفظيعة من قبل ذلك المنادي فما كان منه إلا أن نفوا عن أنفسهم ذلك و أقسموا بالله أنهم ما جاءوا للسرقة و الفساد في الأرض يقول الله تعالى **{قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣)}**

يقول السعدي - رحمه الله - **{ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ }** بجميع أنواع المعاصي، **{ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ }** فإن السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنما أقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم عرفوا أنهم سبوا من أحوالهم ما يدلهم على عفتهم وورعهم، وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهموهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة، من أن لو قالوا: " تالله لم نفسد في الأرض ولم نسرق " <sup>(٢)</sup>

**جزاء من ارتكب هذه الجريمة:** فلما اقسم هؤلاء الإخوة على أنهم ما سرقوا واصل الفتيان في بيان جزاء من وجد في رحله ذلك الصواع و جعلهم يحددون العقوبة المناسبة لمن تثبت على الجناية **{ قَالُوا**

<sup>١</sup> - تفسير القرطبي - (ج ٩ / ص ٢٢٩-٢٣٠)

<sup>٢</sup> - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٤٠٢)

فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ \* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ { [ ٧٤ - ٧٥ ] .

يقول الخازن - رحمه الله - { قَالُوا } يعني إخوة يوسف { قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ } يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم برقبته إلى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم إليهم ، والمعنى أن جزاء السارق أن يستعبد سنة جزاء له على جرمه وسرقته { فَهُوَ جَزَاؤُهُ } يعني هذا الجزاء جزاؤه { كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } يعني مثل هذا الجزاء وهو أن يسترق السارق سنة نجزي الظالمين ثم قيل إن هذا الكلام من بقية كلام إخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب يوسف فعلى هذا إن أخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين .

قوله عز وجل : { فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ } قال أهل التفسير إن إخوة يوسف لما أقروا أن جزاء السارق أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم إلى يوسف فأمر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لإزالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحداً واحداً .

قال قتادة : ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر وعاء إلا استغفر تأثماً مما قذفهم به حتى لا يبق إلا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئاً قال إخوته والله لا نترك حتى ننظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ } إنما أُنْتُ الكناية لأنه ردها إلى السقاية ، وقيل : إن الصواع يذكر ويؤنث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوة يوسف رؤوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ما صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا منك بلاء حتى أخذت هذا الصواع ، فقال بنيامين : بل بنو راحيل ما زال لهم منك بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية إن الذي وضع هذا الصواع في رحلي وضع البضاعة في رحالكم قالوا فأخذ بنيامين رقيقاً ،

وقيل : إن المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذه برقبته وردوه إلى يوسف **{ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ }** يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو إشارة إلى الحكم الذي ذكره إخوة يوسف باسترقاق السارق أي مثل ذلك الحكم الذي ذكره إخوة يوسف حكمنا ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد يعني كما فعلوا بيوسف بأن حكموا أن جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل أخيه ليضمه إليه على ما حكم به إخوته ، ...

وقوله تعالى : **{ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ }** يعني في حكم الملك وقضائه لأنه كان في حكم الملك أن السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل إلى ذلك **{ إِنْ أُنْشِئَ اللَّهُ }** يعني أن ذلك الأمر كان بمشيئة الله وتدبيره لأن ذلك كله كان إلهاماً من الله ليوسف وإخوته حتى جرى الأمر على وفق المراد **{ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ }** يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته

وفي هذه الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لأن الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على إخوته بالعلم وبما ألهمه على وجه الهداية والاصواب في الأمور كلها **{ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ }** قال ابن عباس : فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فوق كل عالم لأنه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على أن إخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم ، قال ابن الأنباري : يجب أن يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه في الغلبة لأنه لا يخلو عالم من عالم فوقه .<sup>(١)</sup>

**فَأَسْرَهَا يُّوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ :** فلما وجد الصواع في رحل بنيامين و تيقن الإخوة بما حدث قالوا إن سرق هذا فقد سرق أخو له من قبل يعنون بذلك يوسف عليه السلام و هم لا يدرون إن الذي أمامهم هو يوسف عليه السلام و عندها اسر ذلك يوسف عليه السلام في نفسه و لم يظهر ذلك لهم ويقول الله تعالى

<sup>١</sup> - تفسير الخازن - ( ج ٤ / ص ٣٩ )



قَالُوا إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) {

يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي أن إخوة يوسف قالوا للملك إن هذا الأمر ليس بغريب منه فإن أخاه الذي هلك كان سارقاً أيضاً وكان غرضهم من هذا الكلام أن لسنّا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كان على هذه الطريقة وهذه السيرة لأنهما من أم أخرى غير أمنا (١)

عن مجاهد قال: كان أول ما دخل على يوسف من البلاء، فيما بلغني، أن عمته ابنة إسحاق، وكانت أكبر ولد إسحاق، وكانت إليها منطقة إسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من اختبأها ممن وليها كان له سَلَمًا لا يَنَازَعُ فيه، يصنع فيه ما يشاء وكان يعقوب حين وُلِدَ له يوسف قد حضنته عمته، فكان منها وإليها، فلم يُحِبْ أَحَدٌ شَيْئًا من الأشياء حبها إياه، حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات وقعت نفس يعقوب عليه فأتاها، فقال: يا أَخِيهِ سَلِّمْ إِلَيَّ يوسف، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة. قالت: فوالله ما أنا بتاركته. ثم قالت: فدعه عندي أياما أنظر إليه وأسكن عنه، لعل ذلك يسليني عنه -أو كما قالت. فلما خرج من عندها يعقوب، عمدت إلى منطقة إسحاق، فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت: فقدت منطقة إسحاق، عليه السلام، فانظروا من أخذها ومن أصابها؟ فالتمست ثم قالت: اكشفوا أهل البيت. فكشفوهم فوجدوها مع يوسف. فقالت: والله إنه لي لسَلَمٌ، أصنع فيه ما شئت. فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر. فقال لها: أنت وذاك، إن كان فعل ذلك فهو سَلَمٌ لك ما أستطيع غير ذلك. فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت. قال: فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه: {إِنْ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} (٢).

يقول الفرماوي: إنما قال لهم: {أنتم شر مكانا} أي: أنكم بهذا القذف شر مكانا عند الله من المقذوف.

و يبدو -كما يرى كثير من المفسرين- أنه قال ذلك في نفسه أيضا، دون أن يجهر لهم به.

<sup>١</sup> - تفسير الخازن - (ج ٤ / ص ٤٠)

<sup>٢</sup> - رواه الطبري في تفسير (١٩٦/١٦) وتفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٤٠٢)

و لكنه -في ذات الوقت- أراد أن يقطع الجدل في هذا الموضوع الذي لا دخل له بالقضية الأصلية ، محل النزاع ، فقال : **{ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ }** و بحقيقة ما تقولون. أي : لا دخل لي بما تقولون ، و ليست عندي أدلة لتحقيقه ، و لذلك : أفوض أمر العلم فيه إلى الله تعالى ، فهو الأعلم ، بالذي تصفون إن كان صدقا أو كذبا.

و هذا درس تربوي (١) بليغ يفيد أنه ليس كل ما يعرف يقال، حيث إن يوسف عليه السلام يعرف ما يقولون، و يعرف كذبهم في الذي يقولونه، و لم يدافع عن نفسه ، و لم يدافع عن أخيه ، و لم يفصح كذبهم ، بل فوض الأمر لله تعالى قائلا **{ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ }** و ذلك لحكمة أرادها الله تعالى.(٢)

### محاولة الإخوة تخليص بنيامين من الرق :

أخي المسلم بعد هذا الحديث الذي نتج منه رمي يوسف و أخيه بالسرقة و أن ذلك من عادتهم حاول الإخوة تخليص بنيامين من الرق و إن أدى ذلك إلى استرقاق احدهم مكانه لان يعقوب عليه السلام قد أخذ عليهم العهد أن يحفظوا بنيامين و دار الحوار بين العزيز و بين الإخوة يقول الله تعالى **{ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩) }**

يقول الشوكاني رحمه الله - ثم أرادوا أن يستعطفوه ليطلق له أخاهم بنيامين يكون معهم يرجعون به إلى أبيهم لما تقدّم من أخذه الميثاق عليهم بأن يردّوه إليه ، فقالوا : **{ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا }** أي : إن لبنيامين هذا أباً متصفاً بهذه الصفة ، وهي كونه شيخاً كبيراً لا يستطيع فراقه ولا يصبر عنه ، ولا يقدر على الوصول إليه **{ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ }** يبقى لديك ، فإن له منزلة في قلب أبيه ليست لواحد منا فلا يتضرّر بفراق أحدنا كما لا يتضرّر بفراق بنيامين ، ثم عللوا ذلك بقوله : **{ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }** إلى الناس كافة ، وإلينا خاصة ، فنعم إحسانك إلينا بإجابتنا إلى هذا المطلب ، فأجاب يوسف عليهم بقوله : **{ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ }** أي : نعوذ بالله

١ - الظلال ١٣ / ٢٠٢٢

٢ - سورة يوسف عليه السلام - (ص ١٠٣)

معاذاً ، أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ، وهو بنيامين لأنه الذي وجد الصواع في رحله فقد حلّ لنا استعباده بفتواكم التي أفتيتموها بقولكم : **{ جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ }** .<sup>(١)</sup>

**قالوا يا أبانا إن ابنك سرق :**

فلما انتهت المحاورة بينهم و بين يوسف عليه السلام بأنه لا مفر من استرقاق بنيامين جلسوا جميعا يتشاورون فيما بينهم ماذا سيقولون لأبيهم و قد اخذ عليهم العهد و الميثاق ألا يفرطوا في أخيههم و دار بينهم ذلك الحوار الساخن **{ فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنَ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) }**

يقول ابن كثير — رحمه الله — يخبر تعالى عن إخوة يوسف : أنهم لما يئسوا من تخليص أخيههم بنيامين ، الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه ، وعاهدوه على ذلك ، فامتنع عليهم ذلك ، **{ خَلَصُوا }** أي : انفردوا عن الناس **{ نَجِيًّا }** يتناجون فيما بينهم .

**{ قَالَ كَبِيرُهُمْ }** وهو رؤبيل ، وقيل : يهوذا ، وهو الذي أشار عليهم بإلقائه في البئر عندما هموا بقتله ، قال لهم : **{ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ }** لتردته إليه ، فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ما تقدم لكم من إضاعة يوسف عنه ، **{ فَلَنَ أَبْرَحَ الْأَرْضَ }** أي : لن أفارق هذه البلدة ، **{ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي }** في الرجوع إليه راضياً عني ، **{ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي }** قيل : بالسيف . وقيل : بأن يمكنني من أخذ أخي ، **{ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ }** (١) .

<sup>١</sup> - فتح القدير - ( ج ٤ / ص ٥٩ )

ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ما وقع ، حتى يكون عذرا لهم عنده ويتنصلوا إليه ، ويبرءوا مما وقع بقولهم.

وقوله : **{ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ }** قال عكرمة وقتادة: ما [كنا] نعلم أن ابنك سرق .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما علمنا في الغيب أنه يسرق له شيئا، إنما سألنا ما جزاء السارق؟

**{ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا }** قيل: المراد مصر. قاله قتادة، وقيل: غيرها، **{ وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا }** أي: التي رافقناها، عن صدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا، **{ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }** فيما أخبرناك به، من أنه سرق وأخذوه بسرقة. (١)

**وقع النبأ على قلب ونفس يعقوب عليه السلام:**

فلما جاءه نبا ابنه بنيامين ما كان منه إلا أن اسلم أمره لمن بيده الأمر و تذكر يوسف و تأسف لأجل ذلك ، و علم أن الفرج قد دنا و أن الله تعالى سيجمع بينه و بين ابنه يقول الله تعالى **{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) }**

**{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا }** فيه اختصار تقديره فرجعوا إلى أبيهم فأخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه لأبيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم أنفسكم أمراً وهو حمل أحيكم معكم إلى مصر لطلب نفع عاجل فآل أمركم إلى ما آله ، وقيل : معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق ما سرق **{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ }** تقدم تفسيره في أول السورة .

**وقوله { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا }** يعني بيوسف وبنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر وإنما قال يعقوب هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً

١ - تفسير ابن كثير - ( ج ٤ / ص ٤٠٣ )

عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لأنه إذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع إلى الفرج ، وقيل : إن يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من أول الأمر وهو رؤيا يوسف وقوله { قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا } [يوسف : ٥] فلما تناهى الأمر قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً { إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } يعني بحزني ووجدني عليهم { الْحَكِيمُ } فيما يدبره ويقضيه . (١)

يقول ابن عادل — رحمه الله : { يَا أَسَفًا عَلَى يُوسُفَ } يا حزنا على يوسف .

والأسفُ: أشدُّ الحُزْنِ ، وإنما عظم حزنه على مُفارقةِ يوسف عند هذه الواقعة لوجوه :

الأول: أنَّ الحزن القديم الكامل إذا وقع عليه حزن آخر كان أوجع ، قال متمم بن نويرة :

فَقَالَ أَتُبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِمَيِّتٍ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى وَالذَّكَاءِ

فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى فَدَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ

وذلك؛ لأنه كلما رأى قبراً تجددَّ عليه حزنه على أخيه مالك ، فلاموه؛ فأجاب : إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى .

الثاني: أنَّ ينيامين ، ويوسف كانا من أمٍّ واحدة ، وكانت المشابهة بينهما في الصِّفة متقاربة ، فكان يعقوب عليه الصلاة والسلام يتسلَّى برؤيته عن رؤية يوسف عليه السلام ، فلما وقع ما وقع ، زال ما يوجبُ السَّلوَةَ ، فعظم الألم .

الثالث: أنَّ المصيبة بيوسف كانت أصل مصائبه التي عليها ترتب سائر المصائب، فكان الأسفُ عليه أسفًا على الكلِّ.

الرابع: أنَّ هذه المصائب كانت أسبابها جارية مجرى الأمور المعلومَةِ، فلم يبحث عنها يوسف صلوات الله وسلامه عليه فهو عليه السلام كان يعلمُ كذبهم في السَّبَبِ الذي ذكروه ، وأما السَّبَبُ الحقيقي ، فلم يعلمه .

١ - تفسير الخازن - (ج ٤ / ص ٤٣)

وأيضاً: أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم حياة هؤلاء ، وأماً يوسف فما كان يعلم أنه حي ، أو ميت ، فلهذه الأسباب عظم حزنه على مفارقتة .

قوله: { **يَا أَسَفَا** } الألف منقلبة عن ياء المتكلم ، وإثما قلبت ألفاً؛ لأنَّ الصَّوت معها أتم ، ونداؤه على سبيل المجاز ، كأنَّه قال : هذا أوأئك فاحضر ، نحو : « **يَا حَسْرَتَا** » (١).

**إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ:**

وبعد ذلك التأسف و الألم الذي حل بيعقوب عليه السلام طلب من أبنائه الذهاب مرة ثانية إلى مصر و لكنه كشف لهم عن غطاء الحقيقة التي غابت عن أذهانهم أن ذلك العزيز إنما هو يوسف الصديق عليه السلام —و أمرهم أن لا ييأسوا من روح الله تعالى و من فرجه فان فرجه سبحانه وتعالى قريب لا ييأس منه إلا كافر بقدرة الله تعالى و رحمته فقال لهم

{ **يَا بَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)** فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) }

يقول ابن كثير— رحمه الله يقول تعالى مخبرا عن يعقوب، عليه السلام، إنه ندب بنيه على الذهاب في الأرض، يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين.

والتحسس يكون في الخير، والتجسس يستعمل في الشر.

ونَهَضَهُمْ وبشرهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله، أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس من الله إلا القوم الكافرون (٢)

**أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي:** في هذا المشهد القرآني سارع الأبناء إلى تلبية رغبة أبيهم الذي بلغ من الكبر عتياً و توجهوا إلى الديار المصرية ليقفوا بين يدي يوسف عليه السلام و غرضهم معرفة الأخبار و ما

١ - تفسير اللباب لابن عادل - (ج ٩ / ص ٣٣٩)

٢ - تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٤٠٦)

سيؤول إليه أمر إختوتهم فلما وقفوا بين يديه شكوا إليه ما مسهم من عناء و بلاء و طلبوا من العزيز أن يتصدق عليهم و دار بينهم الحوار التالي يقول الله تعالى { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) }

يقول الشوكاني - رحمه الله - قوله : { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ } أي : على يوسف ، وفي الكلام حذف ، والتقدير : فذهبوا كما أمرهم أبوهم إلى مصر ليتحسسوا من يوسف وأخيه ، فلما دخلوا على يوسف { قَالُوا أَيُّهَا الْعَزِيزُ } أي : الملك الممتنع القادر { مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ } أي : الجوع والحاجة ، وفيه دليل على أنه تجوز الشكوى عند الضرورة إذا خاف من إصابته على نفسه ، كما يجوز للعليل أن يشكو إلى الطبيب ما يجده من العلة ، وهذه المرة التي دخلوا فيها مصر هي المرة الثالثة ، كما يفيد ما تقدم من سياق الكتاب العزيز { وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ } البضاعة هي القطعة من المال يقصد بها شراء شيء ، والإجزاء : السوق بدفع . قال الواحدي : الإجزاء في اللغة : السوق والدفع قليلاً قليلاً ، والمعنى : أنها بضاعة تدفع ولا يقبلها التجار . قال ثعلب : البضاعة المزجاة الناقصة غير التامة . قال أبو عبيدة : إنما قيل للدراهم الرديئة : مزجاة لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة . ثم طلبوا منه بعد أن أخبروه بالبضاعة التي معهم أن يوفي لهم الكيل ، أي : يجعله تاماً لا نقص فيه ، وطلبوا منه أن يتصدق عليهم إما بزيادة يزيدها لهم على ما يقابل بضاعتهم ، أو بالإغماض عن رداءة البضاعة التي جاءوا بها ، وأن يجعلها كالبضاعة الجيدة في إيفاء الكيل لهم بها ، وبهذا قال أكثر المفسرين . وقد قيل : كيف يطلبون التصدق عليهم وهم أنبياء والصدقة محرمة على الأنبياء . وأجيب باختصاص ذلك بنبينا صلى الله عليه وسلم ، { إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } بما يجعله لهم من الثواب الأخروي ، أو التوسيع عليهم في الدنيا .<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - فتح القدير - ( ج ٤ / ص ٦٥ )

وما إن انتهوا من شكواهم حتى بادروهم يوسف عليه السلام بتلك المفاجئة فقال لهم { قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) } قَالُوا أَأَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) } قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) } قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) }

يقول ابن كثير - رحمه الله - يقول تعالى مخبرا عن يوسف، عليه السلام: أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجذب، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه، مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته، وبدره البكاء، فتعرف إليهم، يقال إنه رفع التاج عن جبهته، وكان فيها شامة، وقال: { هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ } ؟ يعني: كيف فرقوا بينه وبينه { إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ } أي: إنما حملكم على هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه، كما قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل، وقرأ: { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ } إلى قوله: { إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [النحل: ١١٩].

والظاهر - والله أعلم - أن يوسف، عليه السلام، إنما تعرف إليهم بنفسه، بإذن الله له في ذلك، كما أنه إنما أخفى منهم نفسه في المرتين الأوليين بأمر الله تعالى له في ذلك، والله أعلم، ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر، فرج الله تعالى من ذلك الضيق، كما قال تعالى: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } [الشرح: ٥، ٦]، فعند ذلك قالوا: { أَأَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفُ } ؟

وقرأ أبي بن كعب: "أو أنت يوسف"، وقرأ ابن محيصين: "إنك لأنت يوسف". والقراءة المشهورة هي الأولى؛ لأن الاستفهام يدل على الاستعظام، أي: إنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه، فلماذا قالوا على سبيل الاستفهام: { أَأَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي } { قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا } أي: بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد المدة، { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ } يقولون معترفين له بالفضل والأثرة عليهم في الخلق والخلق، والسعة والملك، والتصرف والنبوة أيضا - على قول من لم يجعلهم أنبياء - وأقروا له بأنهم أساءوا إليه وأخطئوا في حقه.



**{ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ }** يقول: لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم، ولا أعيد ذنبكم في حقي بعد اليوم.

ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال: **{ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }**

قال السدي: اعتذروا إلى يوسف، فقال: **{ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ }** يقول: لا أذكر لكم ذنبكم.

وقال ابن إسحاق والثوري: **{ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ }** أي: لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم

**{ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ }** أي: يستر الله عليكم فيما فعلتم، **{ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }**

**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ:**

أخي المسلم: لما عرف يوسف عليه السلام نفسه لإخوته وابدوا له الاعتذار عما سلف منهم و تقبل يوسف عليه السلام ذلك بصدر رحب أمرهم أن يرجعوا إلى أبيهم و أعطاهم قميصه و بين لهم أنه ما إن يضعوا القمص على وجه يعقوب حتى يرد إليه بصره مرة ثانية فلما تحركت العير من بلاد مصر حتى اخبر يعقوب أبنائه بما وجد يقول الله تعالى **{ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) }**

أي: قال يوسف عليه السلام لإخوته: **{ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا }** لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص - لما كان فيه أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم - أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، وتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، ولله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من ذلك على هذا الأمر.

**{ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ }** أي: أولادكم وعشيرتكم وتوابعكم كلهم، ليحصل تمام اللقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرزق.

**{ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ }** عن أرض مصر مقبلة إلى أرض فلسطين، شمَّ يعقوب ريح القميص، فقال: **{ إِنِّي**

**لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ }** أي: تسخرون مني، وتزعمون أن هذا الكلام، صدر مني من غير

شعور، لأنه رأى منهم من التعجب من حاله ما أوجب له هذا القول.

فوقع ما ظنه بهم فقالوا: **{ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ }** أي: لا تزال تائها في بحر الحب لا تدري ما تقول.<sup>(١)</sup>

يقول القرطبي - رحمه الله - : وقال ابن السدي عن أبيه عن مجاهد: قال لهم يوسف: " اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا " قال: كان يوسف أعلم بالله من أن يعلم أن قميصه يرد على يعقوب بصره، ولكن ذلك قميص إبراهيم الذي البسه الله في النار من حرير الجنة، وكان كساه إسحاق، وكان إسحاق كساه يعقوب، وكان يعقوب أدرج ذلك القميص في قسبة من فضة وعلقة في عنق يوسف، لما كان يخاف عليه من العين، وأخبره جبريل بأن أرسل قميصك فإن فيه ريح الجنة، و إن ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي.

وقال الحسن رحمه الله - : لولا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره، وكان الذي حمل قميصه يهوذا، قال ليوسف: أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته، وأنا الذي أحمله الآن لأسره، وليعود إليه بصره، فحمله، حكاها السدي.<sup>(٢)</sup>

واعلم أن وصول تلك الرائحة إلى يعقوب من هذه المسافة البعيدة أمر مناقض للعادة فكان ذلك معجزة ، ولكن لمن منهما؟ والأقرب أنها ليعقوب حيث أخبروه عنه ، ونسبوه إلى ما لا ينبغي؛ فظهر الأمر كما قال؛ فكانت معجزة له .

قال أهل المعاني: إن الله تعالى أوصل ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء وقت الروح والفرج من المكان البعيد، ومنع من وصول خبره إليه مع قرب إحدى البلدين من الأخرى في مدة ثمانين سنة، وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمن المحنة صعب، وكل صعب في زمن الإقبال سهل، ومعنى: **{ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ }** : أشم ، وعبر عنه بالوجود؛ لأنه وجدان له بحاسة الشم .

قوله: **{ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونِ }** التَّفْنِيدُ : الإفساد،<sup>(٣)</sup>

<sup>١</sup> - تفسير السعدي - ( ج ١ / ص ٤٠٥ )

<sup>٢</sup> - تفسير القرطبي - ( ج ٩ / ص ٢٥٨ )

<sup>٣</sup> - تفسير اللباب لابن عادل - ( ج ٩ / ص ٣٥٥ )

**إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ: و هنا وقف الأبناء أمام أبيهم ليطالبوا منه العفو و الدعاء و الاستغفار لهم عما حدث منهم تجاه يوسف عليه السلام { فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) [يوسف/٩٦-٩٨] }**

لكم، فإنه المتجاوز عن السيئات، الرحيم لمن تاب.

قال المهايمي : صرحوا بالذنوب دون الله ؛ لمزيد اهتمامهم بها ، وكأنهم غلب عليهم النظر إلى قهره .  
وصرح يعقوب بذكر الرب دون الذنوب، إذ لا مقدار لها بالنظر إلى رحمته التي ربي بها الكل. انتهى .  
وهذا من دقائق لطائف التنزيل ومحاسنها فيه .

#### تنبيه :

قيل : في هذه الآيات دلالة على جواز التبشير ببشائر الدنيا واستحبابه ، وجواز السرور بحصول النعم الحاصلة في الدنيا . وفيها دلالة على إرجاء الاستغفار والدعاء لوقت يرى أنه أحضر فيه قلباً من غيره أو أنه أفضل وأقرب للإجابة.

وقد روي أنه أخر الاستغفار إلى السحر. وتخصيص الأوقات الفاضلة بالاستغفار والدعاء معروف في السنة ، ومنه شرع الاستغفار في السحر ، وعقب الصلوات ، وقضاء الحج . وكان الدعاء في السجود ، وعند الأذان ، وبينه وبين الإقامة ، والإفطار من الصيام أقرب للإجابة مما عدا

#### هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي :

أخي بعد هذه الفترة الطويلة و الغيبة المضنية و الفراق الذي اوجع القلوب و ادمع العيون و الشوق الى هز الجوانح التقى الجميع في الوقت الذي حدده الله تعالى و في المكان الذي أراده المولى عز جل — انه فرج الله تعالى مفرج الكروب و كاشف هموم و مزيل الخطوب و صدق الشاعر إذا يقول :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - الفرج بعد الشدة للتوخي - ص ١٢٧

فيأمن خائف ويفكّ عانٍ ويأتي أهله النائي الغريب)

وقال آخر:

وقد يجمع الله الشيتيتين بعدما يظنّ أن لا تلاقيا<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) }

يقول سيد قطب — رحمه الله — "ويا له من مشهد! بعد كر الأعوام وانقضاء الأيام . وبعد اليأس والقنوط وبعد الألم والضيق وبعد الامتحان والابتلا وبعد الشوق المضني والحزن الكامد واللهف الظامي الشديد .

يا له من مشهد ختامي بالانفعال والخفقات والفرح والدموع!

ويا له من مشهد ختامي موصول بمطلع القصة : ذلك في ضمير الغيب وهذا في واقع الحياة . ويوسف بين هذا كله يذكر الله ولا ينساه:

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ } [يوسف : ٩٩] }

..

ويذكر رؤياه ويرى تأويلها بين يديه في سجود إخوته له وقد رفع أبويه على السرير الذي يجلس عليه كما رأى الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين :

<sup>١</sup> - الفرج بعد الشدة للتنوشي - ص ٣٦٩

{ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي } . . ثم يذكر نعمة الله عليه : { وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ

مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي } ويذكر لطف الله في تدبيره لتحقيق مشيئته :

{ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ } يحقق مشيئته بلطف ودقة خفية لا يحسها الناس ولا يشعرون بها :

{ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } ذات التعبير الذي قاله يعقوب وهو يق<sup>١</sup>ص عليه رؤياه في مطلع القصة :

{ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } ليتوافق البدء والختام حتى في العبارات.(٢)

<sup>١</sup> - في ظلال القرآن - (ج ٤ / ص ٣٤١)

<sup>٢</sup> - في ظلال القرآن - (ج ٤ / ص ٣٤١)

## **الباب الثاني**

**من سجن من الصحابة  
رضوان الله عليهم أجمعين**

## أبو جندل

### ترجمته

أبو جندل (١) ابن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر العامري القرشي، واسمه العاص.

إن من سننه تعالى كما عرفنا قبل ذلك أن يبتلى عباده المؤمنين ليمحصهم و ليرفع من درجتهم و ممن ناله من الأذى و الحبس ذلك الصحابي الجليل رضي الله عنه — فقد أشرق نور الإيمان في قلبه و رسخت شجرة التوحيد في نفسه حتى ملأت عليه حياته فهانت عليه نفسه في ذات الله حاله

رضاك رضاك يا مولاي عني فهل يرضيك أن قدمت نفسي

ذبحت الروح فيك و كل ذبح لغير هداك مقرون بنحس

فقد كان من خيار الصحابة، وقد أسلم وحبسه أبوه وقيده، فلما كان يوم صلح الحديبية، هرب يحجل في قيوده، وأبوه حاضر بين يدي النبي، صلى الله عليه وسلم، لكتاب الصلح.

**فقال:** هذا أول من أقاضيك عليه يا محمد.

**فقال:** هبه لي.

فأبى. فرده وهو يصيح ويقول: يا مسلمون! أرد إلى الكفر؟ ثم إنه هرب.

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبية على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رده إليهم ومن أتاها من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (١ / ١٩٢) طبقات ابن سعد: ٧ / ٢ / ١٢٧، طبقات خليفة: ٢٦، ٣٠٠، تاريخ خليفة: ١١٣، التاريخ الصغير: ١ / ٥٠، الاستيعاب: ١١ / ١٧٣، أسد الغابة: ٦ / ٥٤ - ٥٦، تهذيب الأسماء واللغات: ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦، تاريخ الإسلام: ٢ / ٢٦، العبر: ١ / ٢٢، العقد الثمين: ٨ / ٣٣ - ٣٤، الإصابة: ٥ / ١٣، ٢٦٧، شذرات الذهب: ١ / ٣٠، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٧ / ١٣٤ - ١٣٧.

ويقيم بها ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه فجاء أبو جندل يحجل في قيوده فرده إليهم قال أبو عبد الله لم يذكر مؤمل عن سفيان أبا جندل وقال إلا بجلب السلاح<sup>(١)</sup>

عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قال خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا (حتى كانوا) ببعض الطريق قال النبي ؟ إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة (طليعة) فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي ﷺ ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني (لا يسألوني) خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ؟ من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلون وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجئ لقتال أحد ولكننا جننا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا مادتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول قال فانطلق حتى أتى قريشا قال إنا قد جنناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي ﷺ فقام عروة بن مسعود فقال أي قوم أستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني (تتهموني) قالوا لا قال أستم تعلمون أنني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جنئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فإن هذا قد عرض لكم (عليكم) خطة رشد اقبلوها ودعوني آتية (آته) قالوا ائته فأتاه

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري ح ٢٧٠٠



فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحووا من قوله لبدليل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله (أصله) قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها وإنني لأرى أشوبا (أوشابا) من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق امصص (امصص) ببظر (بظر) اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم (كلمه) أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له أخر يدك عن لحية رسول الله ؟ فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألتست أسعى في غدركت وكان المغيرة سحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ؟ أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه قال فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا تواضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم (تكلموا) خفصوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدا والله إن تنخم (يتنخم) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا تواضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم (تكلموا) خفصوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له وإنه قد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتية (آته) فقالوا آتته فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ؟ هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبنون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتية (آته) فقالوا آتته فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ لقد (قد) سهل لكم من أمركم

قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ؟

بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ والله إنني لرسول الله وإن كذبتُموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسألوني (لا يسألونني) خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها فقال له النبي ﷺ

على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا نتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما (من) أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي ﷺ إنا لم نقض (نقض) الكتاب بعد قال فوالله إذا لم أصالحك (لا أصالحك) على شيء أبدا قال النبي ؟ فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه لك (بمجيز ذلك) قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بل قد أجزناه لك قال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله قال فقال عمر بن الخطاب فأتيت نبي الله ؟ فقلت ألسنت نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذا قال إنني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى فأخبرتكم (أفأخبرتكم) أنا نأتيه العام قال قلت لا قال فإنك آتية ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذا قال أيها الرجل إنه لرسول الله ؟ وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بعرزته فوالله إنه على الحق قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى فأخبرك أنك تأتيه العام قلت لا قال فإنك آتية ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال

رسول الله ؟ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه (هديه) ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

**آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}** [المتحنة: ١٠] حتى بلغ [بعصم الكوافر] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي ؟ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال قتل (قتل) والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا نبي الله قد والله أوفى الله

ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم قال النبي ﷺ ويل أمه (ويل أمه) مسعر (مسعر) حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوه وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم (الله والرحم) لما أرسل فمن أتاه

فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى **{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ**

**مَكَّةَ}** [الفتح: ٢٤] حتى بلغ **{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ}** [الفتح:

٢٦] وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ولم يقرؤا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت قال أبو عبد الله [معرة] العر الجرب [تزيلوا] تميزوا وحميت القوم منعتهم حماية وأحميت الحمى جعلته حمى لا يدخل وأحميت الحديد وأحميت الرجل إذا أغضبته إحماء (١)

وفي هذه الكلمات النبوية المشرقة العظيمة دلالة ليس فوقها دلالة على مقدار حرص رسول الله ﷺ وتمسكه بفضيلة الوفاء بالعهد مهما كانت نتائجه وعواقبه فيما يبدو للناس لقد كان درس أبي جندل امتحاناً قاسياً ورهيباً لهذا الوفاء بالعهد أثبت فيه الرسول ﷺ والمسلمون نجاحاً عظيماً في كبت عواطفهم وحبس مشاعرهم، وقد صبروا لمنظر أخيههم أبي جندل وتأثروا من ذلك المشهد عندما كان أبوه يجتذبه من تلايبه، والدماء تنزف منه مما زاد في إيلاهم حتى أن الكثيرين منهم أخذوا ببيكون بمرارة أشفاقاً منهم على أخيههم في العقيدة، وهم ينظرون إلى أبيه المشرك وهو يسحبه بفضاطة الوثني الجلف ليعود به مرة أخرى إلى سجنه الرهيب في مكة.

وقد صبر أبو جندل واحتسب لمصابه في سبيل دينه وعقيدته وتحقق فيه قول الله تعالى: **{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا صدق الله العظيم وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا صدق الله العظيم }** (سورة الطلاق، آية: ٢-٣).

فلم تمر أقل من سنة حتى تمكن مع إخوته المسلمين المستضعفين بمكة من الإفلات من سجون مكة وأصبحوا قوة صار كفار مكة يخشونها بعد أن انظموا إلى أبي بصير وسيطروا على طرق قوافل المشركين الآتية من الشام<sup>(١)</sup>

قال الخطابي: تأول العلماء ما وقع في قصة أبي جندل على وجهين:

**أحدهما:** أن الله قد أباح التقية للمسلم؛ إذا خاف الهلاك، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضرار الإيمان، إن لم يمكنه التورية، فلم يكن رده إليهم إسلاماً لأبي جندل إلى الهلاك مع وجود السبيل إلى الخلاص من الموت بالتقية.

**والوجه الثاني:** أنه إنما رده إلى أبيه، والغالب أن أباه لم يبلغ به إلى الهلاك، وإن عذبه، أو سجنه، فله مندوحة بالتقية أيضاً.

وأما ما يخاف عليه من الفتنة: فإن ذلك امتحان من الله يبتلي به صبر عباده المؤمنين.

<sup>١</sup> - صلح الحديبية، باشميل، ص ٣٢٢ الى ٣٢٥. و السيرة النبوية - (٨ / ٩٢)

واختلف العلماء: هل يجوز الصلح مع المشركين؛ على أن يرد إليهم من جاء مسلماً من عندهم أم لا؟  
ف قيل: نعم على ما دلت عليه قصة أبي جندل، وأبي بصير.

وقيل: لا وأن الذي وقع في القصة منسوخ، وأن ناسخه حديث: "أنا بريء من مسلم بين المشركين"  
؛ وهو قول الحنفية.

والشافعية تفصل بين العاقل، والمجنون والصبي؛ فلا يُردان.

وقال بعض الشافعية: مناط جواز الرد أن يكون المسلم؛ بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب.  
والله أعلم.



## عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه

**ترجمته - رضي الله عنه** عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدن (١) بن سعد بن سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة أبو حذافة القرشي السهمي صحب رسول الله ﷺ وأسلم قديما وهاجر إلى ارض الحبشة وبعثه النبي ﷺ رسولا إلى كسرى وحدث عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) خرج إلى الشام مجاهدا فأسرته الروم على قيسارية وحمل إلى الطاغية ففتنه عن دينه فلم يفتتن فأطلقه

عن مسعود بن الحكم عن عبد الله بن حذافة السهمي قال امرني رسول الله ﷺ أن أنادي في أهل منى في مؤذنين أن لا يصوم هذه الأيام أحد فإنها أيام أكل وشرب وذكر

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس أخبره أن رسول الله ﷺ، بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه خرقة. قال ابن شهاب: فحسبت أن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ، أن يمزقوا كل ممزق. (٢)

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى لهم صلاة الظهر، فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن قبلها أموراً عظماً ثم قال: " من أحب أن يسأل عن شيء فليس عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا " قال أنس بن مالك: فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ وأكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: " سلوا " قال أنس: فقام عبد الله بن حذافة السهمي، قال: من أبي يا رسول الله، قال: " أبوك حذافة " قال: ثم أكثر رسول الله ﷺ أن يقول: " سلوا " قال: فبرك عمر بن الخطاب على ركبتيه فقال:

١ - (ترجمته وأخباره في تاريخ دمشق - (٢٧ / ٣٤٥): أسد الغابة ٣ / ١١٠٧ والإصابة ٢ / ٢٩٦ والاستيعاب ٢ / ٢٨٨ هامش الإصابة وجمهرة الأنساب ص ١٦٥ ، وتهذيب الكمال ١٠ / ٨١ وتهذيب التهذيب ٣ / ١٢٣ والوافي بالوفيات ١٧ / ١٢٥ وسير الأعلام ٢ / ١١ وتاريخ الإسلام ( عهد الخلفاء الراشدين ) ص ٣٤٢

٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد - (٤ / ١٨٩)

يا رسول الله، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً! قال: فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر بن الخطاب. ثم قال رسول الله ﷺ: "أما والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط وأنا أصلي، فلم أر كاليوم في الخير والشر! ".

عن أبي سعيد الخدري قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً وأمر عليهم علقمة بن مجرز قال: فخرجنا معه حتى انتبهنا إلى رأس غزاتنا وكان ببعض الطريق، فأذن لطائفة من الجيش وأمر عليهم عبد الله ابن حذافة بن قيس السهمي، قال: فرجعت معه حتى إذا كنا ببعض الطريق أوقد القوم ناراً يصطلون عليها ويصنعون عليها صنيعاً لهم، فقال لهم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى! قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي لما توثبتم في هذه النار! فقام بعض القوم فتحجزوا حتى إذا ظن أنهم واثبون فيها قال: اجلسوا فإني إنما كنت أضحك معكم! فقدمنا على رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال: " من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه! " قال الشيخ الحافظ أبو بكر رضي الله عنه: وكذا ساق الواقدي هذه القصة في كتاب المغازي. (١)

**تحمل عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه الشدائد** ما لقي عبد الله من الأذى من ملك الروم وتقبيل عمر لرأسه حين قدم عليه

أخرج البيهقي، وابن عساكر عن أبي رافع قال: وجّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جشاف إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب النبي ﷺ فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا له: إن هذا من أصحاب محمد. فقال له الطاغية: هل لك أن تنصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ فقال له عبد الله: لو أعطيتني ما تملك وجميع ما ملكته العرب، على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت. قال: إذا أقتلك. قال: أنت وذاك. فأمر به فصُلب، وقال للرماة: أرموه قريباً من يديه، قريباً من رجله، وهو يعرض عليه وهو يأبى. ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر فصب فيه ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقى فيه وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يُلقى فيها. فلما ذهب به بكى، فقيل له: إنه قد بكى، فظن أنه جزع فقال: ردّوه فعرض عليه النصرانية؛ فأبى. فقال: ما أباك إذا؟ قال: أبكاني أني قلت في نفسي تُلقى الساعة في هذه القدر

١ - الأسماء المبهمة في الأنبياء المحكمة - (١ / ٤٠)

فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تُلقى في الله. قال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ قال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله، أقبل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين لا أبالي. فدنا منه فقبل رأسه، فدفع إليه الأسارى. فقدم بهم على عمر رضي الله عنه، فأخبر عمر بخبره؛ فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ، فقام عمر فقبل رأسه. (١)



١ - سير أعلام النبلاء - (٢ / ١٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق البيهقي، وكذا الحافظ في "الاصابة"، وله شاهد من حديث ابن عباس، موصولا عند ابن عساكر، وابن الاثير في "أسد الغابة" ٣ / ٢١٢، وقد ظن الاستاذ الايباري أن ضرار بن عمرو كما في الاصل تحريف، فأبدله إلى ضرار بن مرة، فأخطأ في ظنه، وضرار بن عمرو هذا مترجم في "الجرح والتعديل" ٤ / ٤٦٥، "والتاريخ الكبير" للبخاري ٤ / ٣٤٠.



## الوليد بن الوليد رضي الله عنه

**ترجمته رضي الله عنه** الوليد بن الوليد: بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أخو خالد بن الوليد. كان حضر بدمراً مع المشركين فأسر فافتداه أخواه: هشام وخالد. وكان هشام شقيقه أهمها آمنة أو عاتكة بنت حرملة فلما افتدى أسلم وعاتبوه في ذلك فقال: أجبت. فقال: كرهت أن يظنوا بي أنني جزعت من الأسر ذكر الواقدي بأسانيده. ولما أسلم حبسه أخواله فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو له في القنوت كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة - أنه رضي الله عنه كان يقول: " اللهم أنج الوليد بن الوليد والمستضعفين من المؤمنين " .

ثم أفلت من أسرهم ولحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في عمرة القضية. ويقال: إنه مشى على رجله لما هرب وطلبوه فلم يدركوه ويقال: إنه مات ببئر أبي عتبة قبل أن يدخل المدينة. ويقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما اعتمر خرج خالد من مكة حتى لا يرى المسلمين دخلوا مكة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للوليد بن الوليد: " لو أتانا خالد لأكرمناه وما مثله سقط عليه الإسلام في عقد " .

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج الوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله \* قال ابن أبي الزناد عن أبيه هذا كله في الصباح (١)

فكتب الوليد بذلك إلى خالد فكان ذلك سبب هجرته حكاها الواقدي أيضاً وذكر الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك عن أبيه: لما هاجر الوليد بن الوليد قالت أمه:

هاجر الوليد ربع المسافة

فاشتر منها جملًا وناقه

واسم بنفس نحوهم تواقه

قال: وفي رواية عمي مصعب:

وارم بنفس عنهم ضياقه

وفي شعرها إشعار بأنها أسلمت. ولما مات الوليد قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي ابنه عمه:

يا عين فابكي للولي د بن الوليد بن المغيرة

قد كان غيثاً في السني ن ورحمة فينا منيره

ضخم الدسيعة ماجداً يسمو إلى طلب التويره

مثل الوليد بن الولي د أبي الوليد كفى العشيره (١)



<sup>١</sup> - الإصابة في معرفة الصحابة - (٣ / ٢٤٨)

## سلمة بن هشام بن المغيرة رضي الله عنه

**ترجمته - رضي الله عنه** سلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، أبو هاشم المخزومي له صحبة، وهو قديم الإسلام، دعا له سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته. شهد غزوة مؤتة في حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج إلى الشام مجاهداً فقتل بأجنادين ويقال: يوم مرج الصفر.

روى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صبيحة خمس عشرة من رمضان يقوم في صلاة الصبح، فإذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة. قال: اللهم، أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم، أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم، أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم، اشد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف، اللهم العن رعلأ، والعن لحيان، والعن ذكوان، بنو غفار، غفر الله لها، اسلم سالمها الله، وبنو عصىة عصوا الله ورسوله، الله أكبر، فدعا كذلك خمس عشرة ليلة حتى إذا كان صبيحة الفطر ترك الدعاء لهم، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا نبي الله مالك لا تدعو للنفر؟ قال: وما علمت أنه قدموا؟! قال: بينا هو يذكرهم انفتح عنهم الطريق، يسوق بهما الوليد بن الوليد قد نُكِب بالحرّة، وقد سار بهم ثلاثاً على قدميه يقول:

هل أنت غلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

يا نفسي إلا تقتلي تموتي

قال: فهيج بن يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضى الدنيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هذا الشهيد، أنا عليه شهيد " .

ولما خرج الوليد بن الوليد من المدينة إلى عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام خرجا جميعاً معه، وجاء الخبر قريشاً، فخرج خالد بن الوليد معه نفر من قومه، حتى بلغوا عسفان فلم يصيبوا أثراً ولا خبراً عنهم، وكان القوم قد أخذوا على يد بحر حتى خرجوا على أصح طريق النبي صلى الله عليه وسلم التي سلك حين هاجر إلى المدينة.

وكان سلمة بن هشام في بعث مؤتة، فدخلت امرأته على أم سلمة زوج النبي ﷺ فقالت أم سلمة: ما لي لا أرى سلمة بن هشام! أيشتك شيئا؟ قالت امرأته: لا والله، ولكنه لا يستطيع الخروج، إذا خرج صاحوا به وبأصحابه: يا فرار أفررتم في سبيل الله؟! حتى قعد في البيت، فذكرت ذلك أم سلمة لرسول الله ﷺ: بل هم الكرار في سبيل الله. فليخرج، فخرج.

وأم سلمة بن هشام: ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة. وهو قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم رجع سلمة بن هشام من أرض الحبشة إلى مكة، فحبسه أبو جهل، وضربه وأجاعه وأعطشه، فدعا له النبي ﷺ. قال: ثم أفلت سلمة بن هشام، فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدين، وذلك بعد الخندق فقالت أم ضباعة: من الرجز

اللهم رب الكعبة المسلمة أظهر على كل عدو سلمة

له يدان في الأمور المبهمة كف بها يعطي وكف منعمة

فلم يزل معه إلى أن قبض رسول الله ﷺ، فخرج مع المسلمين إلى الشام حين بعث أبو بكر الجيوش لجهاد الروم، فقتل سلمة بن هشام بمرج الصفر شهيداً في المحرم سنة أربع عشرة في أول خلافة عمر بن الخطاب. وقيل: قتل يوم أجنادين. وقد تقدم أن أجنادين كانت في سنة ثلاث عشرة.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي - (١ / ٩١) مختصر تاريخ دمشق - (٣ / ٣٦٣)

## أبو هاشم: صحابي، من السابقين. ﷺ

وهو أخو أبي جهل.

حبسه كفار قريش عن الهجرة وآذوه، فهرب منهم، وشهد بعض الوقائع.

ثم خرج إلى الشام بعد وفاة النبي ﷺ فاستشهد بمرج الصفر (١)

وهو الذي كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لَهُ فِي القنوت لما حبسه أبو جهل وأجاعه. توفي سنة ثلاث عشرة وقيل سنة أربع عشرة للهجرة يوم مرج الصفر، وقيل: بأجنادين قال الحافظ ابن عساكر: ولا أعلم لَهُ رواية. ولما لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد الخندق قالت لَهُ أمه ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير من الرجز:

لا همَّ رب الكعبة المحرَّمة    أظهر عَلَى كل عدو سلمه

لَهُ يدان فِي الأمور المبهمة    كفَّ بِهَا يعطي وكفَّ مبهمة (٢)

وكان من مهاجرة الحبشة وكان من خيار الصحابة وفضلاتهم كانوا خمسة إخوة أبو جهل والحارث وسلمة والعاص وخالد. فأما أبو جهل والعاص فقتلا ببدر كافرين وأسر خالد يومئذ ثم فدى ومات كافراً. وأسلم الحارث وسلمة وكانا من خيار المسلمين وكان سلمة قديم الإسلام واحتبس بمكة وعذب في الله عز وجل وكان رسول الله ﷺ يدعو له في صلاته يقنت بالدعاء له ولغيره من المستضعفين بمكة ولم يشهد سلمة بدرًا لما وصفنا.

قتل يوم مرج الصفر سنة أربع عشرة في خلافة عمر. وقيل: بل قتل بأجنادين سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى قبل موت أبي بكر بأربع وعشرين ليلة.

ذكر الواقدي أن مسلمة بن هشام لما لحق برسول الله ﷺ بالمدينة وذلك بعد الخندق قالت له أمه ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير:

١ - (الإصابة، الترجمة ٣٣٩٦ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٣٤).

٢ - الوافي بالوفيات - (٥ / ١٠٢)

لا هم رب الكعبة المحرمة      أظهر على كل عدو سلمة

له يدان في الأمور المبهمة      كف بها يعطي وكف منعمة

فلم يزل سلمة مع النبي ﷺ إلى أن توفي رسول الله ﷺ فخرج مع المسلمين الى الشام حين بعث أبو بكر الجيوش لقتال الروم فقتل سلمة شهيداً بمرج الصفر في المحرم سنة أربع عشرة وذلك في أول خلافة عمر رضى الله عنه. (١)



١ - الإستيعاب في معرفة الأصحاب - ( ١ / ١٩٤ )

### خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس رضي الله عنه

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس: صحابي، من الولاة الغزاة.

قديم الإسلام، أسلم ورسول الله يبيت الدعوة للدين سرا، فكان الثالث أو الرابع من الداخلين في الإسلام بعد البعثة، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي معه في نواحي مكة خاليا، فبلغ ذلك أبا أحيحة، وهو أبوه، (وكان من خصوم الإسلام الأشداء) فدعاه وكلمه في أن يدع ما هو عليه، فأبى، فضربه أبو أحيحة بعصا كانت في يده حتى كسرهما على رأسه ثم حبسه (بمكة) وضيق عليه وأجاعه وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر.

ثم هاجر إلى الحبشة فأقام بضع عشرة سنة، وعاد سنة ٧ هـ، فغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم وحضر فتح مكة ثم وقعة تبوك.

وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة والمدينة.

وهو الذي خط كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف ومشى بالصلح بينهم وبين النبي.

ثم بعثه رسول الله عاملا على اليمن، فأقام إلى أن استخلف أبو بكر فعزله عن اليمن ودعاه إليه، فجاءه.

وخرج مجاهدا فشهد فتح أجنادين (قرب الرملة في فلسطين) سنة ١٣ هـ، ثم شهد وقعة مرج الصفر (قرب دمشق) فقتل فيها. ولعمرو ابن معدي كرب قصيدة يمدحه بها (١).



<sup>١</sup> - الأعلام للزركلي - (٢ / ٢٩٦)

### هشام بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم رضي الله عنه

ترجمته رضي الله عنه هشام بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم، أخو عمرو بن العاص. وهو قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم قدم مكة للهجرة إلى المدينة، فحبسه أبوه، فلم يزل محبوساً بمكة حتى مات أبوه آخر السنة الأولى من الهجرة، ثم حبسه قومه بعد أبيه، فلم يزل يحتال، حتى تخلص وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الخندق، وجاهد فقتل بالشام، وكان أصغر سنّاً من عمرو بن العاص أخيه. وكان يكنى أبا العاص، فكانه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا مطيع، وأمّه أم حرملة بنت هشام بن المغيرة، وكان واعد عمر أن يمضي معه إلى المدينة، وقال له: انتظرنني في أضاة بني غفار. فأخذه أبوه فكبّله (١)

وقدم بعد الخندق على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وشهد ما بعد ذلك من المشاهد وكان أصغر سنّاً من أخيه عمرو وكان فاضلاً خيراً. سئل عمرو بن العاص من أفضل؟ أنت أو أخوك هشام فقال أحدثكم عني وعنه أمّه بنت هشام بن المغيرة وأمي سبية وكانت أحب إلى أبيه مني وتعرفون فراسة الوالد في ولده واستبقنا إلى الله عز وجل فسبقني أمسك على الستر حتى تطهرت وتحنطت ثم أمسكت عليه حتى فعل مثل ذلك ثم عرضنا أنفسنا على الله فقبله وتركني.

وقتل هشام بن العاص بالشام يوم أجنادين في خلافة أبي بكر سنة ثلاث عشرة وروى ابن المبارك عن أهل الشام أنه استشهد يوم اليرموك.

وقال الواقدي: أخبرنا عبد الملك ابن وهب عن جعفر بن يعيش عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة حدثني من حضر أن هشام بن العاص ضرب رجلاً من غسان فأبدى منحره فكرت غسان على هشام فضربوه بأسيا فمهم حتى قتلوه فلقد وطئته الخيل حتى كر عليه عمرو فجمع لحمه فدفنه قال حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال: لما انهزمت الروم يوم أجنادين انتهوا إلى موضع لا يعبره إلا إنسان إنسان فجعلت الروم تقاتل عليه وقد تقدموه وعبروه فتقدم هشام ابن العاص يقاتلهم حتى قتل ووقع علي تلك الثلثة فسدها. فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يوطئوه الخيل فقال عمرو بن العاص: أيها الناس إن الله قد استشهده ورفع روحه وإنما هي جثة فأوطئوه الخيل ثم أوطأه هو ثم تبعه الناس



حتى قطعوه فلما انتهت الهزيمة ورجع المسلمون إلى العسكر كر إليه عمرو فجعل يجمع لحمه وأعضاؤه وعظامه ثم حمله في نطع فواراه روى عن النبي ﷺ أنه قال: " ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام " .

رواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . (١)

عن ثور بن يزيد عن خلف ابن معدان قال: لما انهزمت الروم يوم أجنادين انتهوا إلى موضع لا يعبره إلا إنسان وجعلت الروم تقاتل عليه وقد تقدموه وعبروه وتقدم هشام بن العاص بن وائل فقاتل عليه حتى قتل، ووقع على تلك الثلثة فسدها، فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يوطئوه الخيل فقال عمرو بن العاص: أيها الناس إن الله قد استشهده ورفع روحه وإنما هو جثة فاوطئوه الخيل، ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه، فلما انتهت الهزيمة ورجع المسلمون إلى العسكر كر إليه عمرو بن العاص فجعل يجمع لحمه وأعضائه وعظامه ثم حمله في نطع فواراه. (٢)

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ابنا العاص مؤمنان. (٣)



<sup>١</sup> - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - (١ / ٤٨٧)

<sup>٢</sup> - الطبقات الكبرى لابن سعد - (٤ / ١٩٣) أسد الغابة - (٣ / ٩١)

<sup>٣</sup> - أخرجه ابن سعد (٤/١٩١) ، وأحمد (٢/٣٠٤) ، رقم (٨٠٢٩) ، والطبراني (٢٢/١٧٧) ، رقم (٤٦١) ، والحاكم (٣/٢٦٨) ، رقم (٥٠٥٣) وقال : صحيح على شرط مسلم . وسكت عنه الذهبي

## خبيب بن عدي رضي الله عنه

**ترجمته رضي الله عنه** خبيب بن عدي الأنصاري من بني جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري<sup>(١)</sup>

قال ابن شهاب فمكث خبيب عندهم أسيراً حتى إذا اجتمعوا على قتله استعار موسى من إحدى بنات الحارث ليستحد بها فأعارته. قالت فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه قالت فأخذه فوضعه على فخذه فلما رأيته فرغت فزعاً عرفه في، والموسى في يده فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل إن شاء الله قال: فكانت تقول ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ من حديقة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقاً آتاه الله إياه. قال: ثم خرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أصلي ركعتين ثم قال: لولا أن يروا أن ما بي من جزع من الموت لزدت. قال فكان أول من صلى ركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً وأقتلهم بديداً ولا تبق منهم أحداً " ثم قال:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

قال: ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله. هذا كله فيما ذكره ابن هشام عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة.

وذكر ابن إسحاق قال: وقال خبيب حين صلبه: الطويل

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا \* قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وقد قربوا أبناءهم ونساءهم \* وقربت من جذع طويل ممنع

وكلهم يبدي العداوة جاهاً علي، لأنني في وثاق بمضيع

<sup>١</sup> - الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (١ / ١٣٠)

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما جمع الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش صبرني على ما أصابني فقد بضعوا لحمي وقد ضل مطمعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ببارك على أوصال شلو ممزع

وقد عرضوا بالكفر والموت دونه وقد ذرفت عينا من غير مدمع

وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذاري حر نار تلفع

فلست بمببد للعدو تخشعا ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي حال كان في الله مصرعي

وصلب بالتنعيم رضي الله عنه وكان الذي تولى صلبه عقبة بن الحارث وأبو هبيرة العبدي وذكر من الركعتين نحو ما ذكر ابن شهاب قال: وقال عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: هو أول من سن الركعتين عند القتل.

عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن عقبة بن الحارث بن نوفل اشترى خبيب بن عدي من بني النجار، وكان خبيب قد قتل أباه يوم بدر، قال: واشترك في ابتياع خبيب فيما زعموا أبو إهاب ابن عزيز وعكرمة بن أبي جهل والأخنس بن شريق وعبيدة بن حكيم بن الأوقص وأميمة بن أبي عتبة وبنو الحضرمي وصفوان بن أمية بن خلف وهم أبناء من قتل من المشركين يوم بدر ودفعوه إلى عقبة بن الحارث فسجنه في داره وكانت امرأة عقبة تقوته وتفتح عنه وتطعمه، وقال لها: إذا أرادوا قتلي فأذنيني. فلما أرادوا قتله أذنته فقال: لها أعطيني حديدة أستحد بها، فأعطته موسى، فقال - وهو يمزح: قد أمكن الله منكم فقالت ما كان هذا ظني بك فطرح موسى وقال: إنما كنت مازحاً.

وروى عمر بن أمية الضمري قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى خبيب بن عدي لأنزله من الخشبة فصعدت خشبته ليلاً، فقطعت عنه وألقيته فسمعت وجبة خلفي فالتفت فلم أر شيئاً. روى سفيان بن

عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر أنه سمع يقول الذي قتل خبيباً أبو سروعة عقبة بن الحارث بن نوفل.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (١ / ١٣١) سير أعلام النبلاء - (١ / ٢٤٦)

## جندب بن كعب بن عبد الله رضي الله عنه

**ترجمته - رضي الله عنه -** (١) جندب بن كعب بن عبد الله بن غنم بن جزء بن عامر بن مالك بن ذهل بن ثعلبة بن ظبيان بن غامد الأزدي ثم الغامدي، وقيل في نسبه غير ذلك. وهو أحد جنادب الأزد. وهو قاتل الساحر عند الأكثر. وممن قاله الكلبي والبخاري.

روى عنه الحسن، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغيره، قالوا بإسنادهم عن محمد بن عيسى، أخبرنا أحمد بن منيع، أخبرنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حد الساحر ضربة بالسيف " .

قد اختلف في رفع هذا الحديث، فمنهم من رفعه بهذا الإسناد، ومنهم من وقفه على جندب.

وكان سبب قتله الساحر أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط لما كان أميراً على الكوفة حضر عنده ساحر، فكان يلعب بين يدي الوليد يريد أنه يقتل رجلاً، ثم يحييه، ويدخل في فم ناقة ثم يخرج من حيائها، فأخذ سيفاً من صيقل واشتمل عليه، وجاء إلى الساحر فضربه ضربة فقتله، ثم قال له: أحي نفسك ثم قرأ: " أفتأتون السحر وأنتم تبصرون " (٢) فرفع إلى الوليد فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " حد الساحر ضربة بالسيف " (٣)، فحبسه الوليد، فلما رأى السجن صلاته وصومه خلى سبيله، فأخذ الوليد السجن فقتله، وقيل: بل سجنه؛ فأتاه كتاب عثمان بإطلاقه، وقيل: بل حبس الوليد جندباً، فأتى ابن أخيه إلى السجن فقتله، وأخرج جندباً فذلك قوله: " الطويل "

## أفي مضرب السحار يحبس جندب ويقتل أصحاب النبي الأوائل

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ١٧٥) تهذيب التهذيب ١ / ١١١ آ، تاريخ الاسلام ٣ / ٣، الاصابة ١ / ٢٥٠، خلاصة تهذيب الكمال: ٥٥، تهذيب ابن عساكر ٣ / ٤١٣.

٢ - أخرجه الطبراني برقم (١٧٢٥) من طريق محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم، حدثنا هشيم، أخبرنا خالد الحذاء، وهو في " تهذيب ابن عساكر " ٣ / ٤١٣، وذكره المؤلف في " تاريخ الاسلام " ٣ / ٣، وقال: إسناده صحيح، وأخرجه الدار قطني ٣ / ١١٤ إلا أنه قال جندب البجلي.

٣ - إسناده ضعيف لضعف إسماعيل بن مسلم وهو المكي، وهو في " سنن الترمذي " (١٤٦٠) في الحدود، و " المستدرک " ٤ / ٣٦٠، و " الدار قطني " ٣ / ١١٤. قال الألباني: ضعيف، الضعيفة (١٤٤٦)، المشكاة (٣٥٥١ / التحقيق الثاني) // ضعيف الجامع

الصغير (٢٦٩٩) //

فإن يك ظني بآبن سلمى ورهطه هو الحق يطلق جندياً ويقاقل

وانطلق إلى أرض الروم، فلم يزل يقاتل بها المشركين، حتى مات لعشر سنوات مضين من خلافة معاوية.

وقيل لابن عمر: إن المختار قد اتخذ كرسياً يطيف به أصحابه يستسقون به ويستنصرون، فقال: أين بعض جنادة الأزدي عنه؟ وهم: جندب بن زهير من بني ذبيان، وجندب الخير بن عبد الله، وجندب بن كعب، وجندب بن عفيف.<sup>(١)</sup>

عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال: ساق رسول الله ﷺ بأصحابه فجعل يقول: جندب وما جندب! حتى أصبح فقال أصحابه لأبي بكر لقد لفظ بكلمتين ما ندري ما هما فسأله فقال: " يضرب ضربة فيكون أمة وحده " قال: فلما ولي عثمان ولي الوليد بن عقبة الكوفة فأجلس رجلاً يسحر يريهم أنه يحيي ويميت فذكر قصة جندب في قتله وأن أمره رفع إلى عثمان فقال له أشهرت سيفاً في الإسلام لولا ما سمعت رسول الله ﷺ فيك لضربتك بأجود سيف بالمدينة وأمر به إلى جبل الدخان.<sup>(٢)</sup>

وعن أبي مخنف لوط، عن خاله، عن رجل، قال: جاء ساحر من بابل، فأخذ يري الناس الاعاجيب، يريهم حبلاً في المسجد وعليه فيل يمشي، ويرى حماراً يشتد حتى يجيء فيدخل في فمه ويخرج من دبره، ويضرب عنق رجل، فيقع رأسه، ثم يقول له: قم، فيعود حياً.

فرأى جندب بن كعب ذلك، فأخذ سيفاً، وأتى والناس مجتمعون على الساحر، فدنا منه، فضربه، فأذري رأسه، وقال: أحي نفسك، فأراد الوليد بن عقبة قتله، فلم يستطع، وحبسه.<sup>(٣)</sup>

عن محمد بن مخنف، قال: كان أول عمال عثمان أحدث منكراً، الوليد بن عقبة كان يذني السحرة، ويشرب الخمر، وكان يجالسه على شرابه أبو زبيد الطائي، وكان نصرانياً، وكان صفياً له، فأنزله دار القبطي، وكانت لعثمان بن عفان اشتراها من عقيل بن أبي طالب وكانت لاضيفه، وكان يجالس أيضاً على شرابه عبد الرحمان بن حبيش الأسدي، وكان الناس يتذكرون شربهم وإسرافهم على أنفسهم،

<sup>١</sup> - أسد الغابة - (ج ١ / ص ١٩٣)

<sup>٢</sup> - الإصابة في معرفة الصحابة - (ج ١ / ص ١٦٩)

<sup>٣</sup> - تهذيب ابن عساکر " ٣ / ٤١٤، سير أعلام النبلاء - (ج ٣ / ص ١٧٦)

فخرج بكير بن حمران الأحمر من القصر، فأتى النعمان بن أوس المزني، وجريير بن عبدالله البجلي، فأسر إليهما أن الوليد يشرب الساعة، فقاما ومعهما رجل من جلسائهما فمروا بحذيفة بن اليمان، فأخبروه الخبر، فقال: ادخلا عليه، فانظرا إن أحببتهما، فمضيا حتى دخلا عليه، فلسما، ونظر إليهما الوليد، فأخذ كل شيء كان بين يديه، فأدخله تحت السرير، فأقبلا حتى جلسا، فقال لهما: ما جاء بكما، قالوا: ما هذا الذي تحت السرير، ولم يريا بين يديه شيئا،

فأدخلا أيديهما تحت السرير، فإذا هو طبق عليه قطف من عنب قد أكل عامته فاستحييا، وقاما، فأخذا يظهران عذره ويردان الناس عنه، ثم لم يرعهما من الوليد إلا وقد أخرج سريره فوضعه في صحن المسجد، وجاء ساحر يدعى بطروني وكان ابن الكلبي يسميه البشتاني من أهل بابل، فاجتمع إليه الناس، فأخذ يريهم الأعاجيب، يريهم حبلا في المسجد مستطيلا، وعليه فيل يمشي وناقاة تخب وفرس يركض، والناس يتعجبون مما يرون، ثم يدع ذلك ويريهما حمارا يجئ يشدد حتى يدخل من فيه، فيخرج من دبره (١) ثم يعود فيدخل من دبره فيخرج من فيه، ثم يريهم رجلا قائما ثم يضرب عنقه فيقع رأسه جانبا، ويقع الجسد جانبا ثم يقول له: قم فيرونه يقوم وقد عاد حيا كما كان، فرأى جندب بن كعب ذلك، فخرج إلى معقل مولى لصقعب بن زهير بن أنس الأزدي وكانت عنده سيوف، وكان معقل صيقلا، فقال: أعطني سيفا قاطعا، فأعطاه إياه، فأقبل، فمر على معضد التيمي من بني تميم الله من ثعلبة، فقال له: أين تريد يا أبا عبدالله؟ قال: أريد أن أقتل هذا الطاغوت الذي الناس عليه عكوف، قال: من تعني؟ قال: هذا العليج الساحر الذي سحر أميرنا الفاجر العاتي، فإني والله لقد مثلت الرأي فيهما فظننت أني إن قتلت الأمير سيوقع بيننا فرقة تورث عداوة، فأجمع رأيي على قتل الساحر.

قال: فاقتله ولا تك في شك فأنت على هدى، وأنا شريكك.

فجاء حتى انتهى إلى المسجد والناس فيه مجتمعون على الساحر، وقد التحف على السيف بمطرف (١) كان عليه، فدخل بين الناس، فقال: أفرحوا، أفرجوا، فأفرجوا له، ودنا من العليج فشد عليه فضربه بالسيف، فأذري رأسه، ثم قال: أحي نفسك، فقال الوليد: علي به، فأقبل به إليه عبد الرحمان بن حبيش الاسدي، وهو على شرطه فقال: اضرب عنقه، فقام مخنف بن سليم في رجال من الازد، فقالوا: سبحان الله، أيقتل صاحبنا بعلج ساحر، لا يكون هذا أبدا! فحالوا بين عبد الرحمان وبين جندب، فقال الوليد: علي بمضر، فقام إليه شبث بن ربعي، فقال: لم تدعو مضر، تريد أن تستعين بمضر على

قوم منعوا أخاهم منك أن تقتله بعرج ساحر كافر من أهل السواد، لا تجيبك والله مضر إلى الباطل، ولا إلى ما لا يحل، فقال الوليد: انطلقوا به إلى السجن حتى أكتب فيه إلى عثمان، قالوا: أما السجن فإننا لا نمنعك أن تحبسه، فلما حبس جندب، أقبل، ليس له عمل إلا الصلاة، الليل كله وعامة النهار، فنظر إليه رجل يدعى دينارا ويكنى أبا سنان، وكان صالحا مسلما، وكان على سجن الوليد، فقال له: يا أبا عبدالله، ما رأيت رجلا قط خيرا منك، فإذهب رحمك الله حيث أحببت، فقد أذنت لك، قال: فإني أخاف عليك هذا الطاغية أن يقتلك، قال أبو سنان: ما سعدني إن قتلني، انطلق أنت راشدا، فخرج فانطلق إلى المدينة، وبعث الوليد إلى أبي سنان، فأمر به، فأخرج إلى السبخة (١)، فقتل، فانطلق جندب بن كعب، فلحق بالحجاز فأقام بها سنين، ثم إن مخنفا وجندب بن زهير قدما على عثمان فأتيا عليا فقضا عليه قصة جندب بن كعب، فأقبل علي فدخل معهما على عثمان، فكلمه في جندب بن كعب، وأخبره بظلم الوليد له، فكتب عثمان إلى الوليد: أما بعد، فإن مخنف بن سليم، وجندب بن زهير، شهدا عندي لجندب بن كعب بالبراءة وظلمك إياه، فإذا قدما عليك فلا تأخذن جندبا بشئ مما كان بينك وبينه، ولا الشاهدين بشهادتهما، فإني والله أحسبهما قد صدقا ووالله لئن أنت لم تعتب وتنتب لأعزلنك عنهم عاجلا، والسلام (٢).



<sup>١</sup> -الخبر بطوله في تاريخ دمشق، ومنه نقل المؤلف، وهو ضعيف، وأبو مخنف لوط بن يحيى متروك هالك. تهذيب الكمال - (ج ٥ / ص



**الباب الثالث**

**من سجن من التابعين  
رحمة الله عليهم أجمعين**

### الباب الثالث

#### من سجن من التابعين

#### رحمة الله عليهم أجمعين

أخي المسلم: بعد أن عشنا مع الصحابة الأخيار هيا لنعيش مع التابعين لهم بإحسان و لنرى قمة الثبات على الإيمان ومن أجله يسترخص المسلم كل غال و نفيس

نسيت في حبك الدنيا وما حملت وبعثت من أجلك الأنفاس و النفسا

#### محمد بن الحنفية

**ترجمته - رحمه الله -** (١) السيد الإمام أبو القاسم وأبو عبد الله، محمد بن الإمام علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، شيبه بن هاشم، عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، القرشي الهاشمي، المدني، أخو الحسن والحسين. وأمه من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق، وهي خولة بنت جعفر الحنفية.

فروى الواقدي، حدثني ابن أبي الزناد،

عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء قالت: رأيت الحنفية وهي سوداء، مشرطة حسنة الشعر، اشتراها علي بن أبي المجر، مقدمه من اليمن، فوهبها لفاطمة فباعتها، فاشترها مكمل الغفاري فولدت له عون (٢).

وقيل: بل تزوج بها مكمل، فولدت له عون، وقيل: إن أبا بكر وهبها عليا.

ولد في العام الذي مات فيه أبو بكر. (٣)

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١١٠) طبقات ابن سعد ٥ / ٩١، نسب قريش ص ٤١، طبقات خليفة ت ١٩٧١، تاريخ البخاري ١ / ١٨٢، المعارف ٢١٠ و ٢١٦، المعرفة والتاريخ ١ / ٥٤٤، الجرح والتعديل القسم الأول من المجلد الرابع ٢٦، البدء والتاريخ ٥ / ٧٥، الحلية ٣ / ١٧٤، طبقات الشيرازي ٦٢، تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٦٤، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ٨٨، وفيات الأعيان ٤ / ١٦٩، تهذيب الكمال ص ١٢٤٥، تاريخ الإسلام ٣ / ٢٩٤، العبر ١ / ٩٣، البداية والنهاية ٩ / ٣٨، العقد الثمين ٢ / ١٥٧، طبقات القراء لابن الجزري ت ٣٢٦٢، تهذيب التهذيب ٩ / ٣٥٤، خلاصة تهذيب الكمال ٣٥٢، شذرات الذهب ١ / ٨٨، نزهة الجليس ٢ / ٢٥٤.

<sup>٢</sup> - طبقات ابن سعد ٥ / ٩١

<sup>٣</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١١١)

## مولده - ﷺ

قال محمد بن سعد: مولده في خلافة أبي بكر (١).

عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: رأيت أم محمد بن الحنفية سندية سوداء، كانت أمة لبني حنيفة، لم تكن منهم وإنما صالحهم خالد على الرقيق، ولم يصلحهم على أنفسهم (٢).

وكانه أبو عمر الضرير والبخاري أبا القاسم.

عن منذر، سمع ابن الحنفية يقول: كانت رخصة لعلي، قال: يا رسول الله، إن ولد لي بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: "نعم" (٣).

عن يحيى بن سعيد، قلت لابن المسيب: ابن كم كنت في خلافة عمر؟ قال: ولدت لستين بقيتا من خلافته.

فذكرت ذلك لمحمد بن الحنفية، فقال: ذاك مولدي (٤).

روى الربيع بن منذر الثوري، عن أبيه قال: وقع بين علي وطلحة كلام، فقال طلحة: لجرأتك على رسول الله ﷺ سميت باسمه وكنيت بكنيته.

وقد نهى أن يجمعهما أحد.

قال: إن الجرئ من اجترأ على الله ورسوله، اذهب يا فلان فادع لي فلانا وفلانا لنفر من قريش، فجاؤوا فقال: بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن رسول الله ﷺ قال: "سيولد لك بعدي غلام، فقد نحلته اسمي وكنيتي، ولا تحل لأحد من أمتي بعده" (٥) رواه ثقتان عن الربيع، وهو مرسل.

١ - تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٦٥

٢ - طبقات ابن سعد ٥ / ٩١.

٣ - وأخرجه أبو داود (٤٩٦٧) والترمذي (٢٨٤٦) إسناده صحيح، وقال الترمذي: حديث صحيح.

٤ - تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٦٦

٥ - ابن سعد في الطبقات ٥ / ٩١، و ٩٢ وابن عساكر ١٥ / ٢٦٦ و ٣٦٧ آ.

والربيع بن منذر مترجم في ابن أبي حاتم ٣ / ٤٧٠

عن الربيع بن منذر، حدثنا أبي، سمعت ابن الحنفية يقول: دخل عمر وأنا عند أختي أم كلثوم، فضمني وقال: ألطفه بالحلواء (١).

سالم بن أبي حفصة: عن منذر، عن ابن الحنفية، قال: حسن وحسين خير مني، ولقد علما أنه كان يستخيلني دونهما، وإني صاحب البغلة الشهباء (٢).

قال إبراهيم بن الجنيد: لا نعلم أحدا أسند عن علي أكثر ولا أصح مما أسند ابن الحنفية.

إسرائيل: عن عبد الأعلى، أن محمد بن علي كان يكنى أبا القاسم.

وكان ورعا كثير العلم.

ابن سعد (٣)، حدثنا أبونعيم، حدثنا فطر عن منذر الثوري، قال: كنت عند محمد بن الحنفية فقال: ما أشهد على أحد بالنجاة، ولا أنه من أهل الجنة

بعد رسول الله ﷺ، ولا على أبي، فنظر إليه القوم، فقال: من كان في الناس مثل علي سبق له كذا، سبق له كذا.

أبو نعيم: حدثنا إسماعيل بن مسلم الطائي، عن أبيه قال: كتب عبد الملك: من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمد بن علي، فلما نظر محمد إلى عنوان الكتاب قال: إنا لله، الطلقاء ولعناء رسول الله ﷺ،

على المنابر! والذي نفسي بيده إنها لأمر لم يقر قرارها

قلت: كتب إليه يستميله فلما قتل ابن الزبير واتسق الأمر لعبد الملك بايع محمد.

أنبأنا أحمد بن سلامة، عن ابن كليوب، أنبأنا ابن بيان، أنبأنا ابن مخلد، أنبأنا إسماعيل الصفار، حدثنا ابن عرفة، حدثنا ابن المبارك، عن الحسن بن عمرو، عن منذر الثوري، عن ابن الحنفية قال: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله من أمره فرجا، أو قال: مخرجا (٤).

١ - تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٦٧

٢ - المصدر السابق ١٥ / ٣٦٧

**شجاعته ﷺ :** و لقد كان رضي الله عنه — شجاعا لا يهاب الموت و يصرع الأبطال قال أبو

عاصم النبيل: صرع محمد بن علي مروان يوم الجمل، وجلس على صدره.

قال: فلما وفد على عبد الملك قال له: أتذكر يوم جلست على صدر مروان؟ قال: عفوا يا أمير المؤمنين.

قال: أم والله ما ذكرته لك وأنا أريد أن أكافئك، لكن أردت أن تعلم أنني قد علمت (١).

الواقدي: حدثنا معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه، قال: لما صار محمد بن علي إلى المدينة، وبنى داره بالبقيع، كتب إلى عبد الملك يستأذنه في الوفود عليه، فأذن له، فوفد عليه في سنة ثمان وسبعين إلى دمشق، فأنزله بقربه.

وكان يدخل على عبد الملك في إذن العامة، فيسلم مرة ويجلس، ومرة ينصرف.

فلما مضى شهر، كلم عبد الملك خاليا، فذكر قرابته ورحمه، وذكر ديننا، فوعده بقضائه، ثم قضاه وقضى جميع حوائجه (٢).

قلت: كان ماثلا إلى عبد الملك لإحسانه إليه، ولإساءة ابن الزبير إليه.

إبراهيم بن بشار: حدثنا ابن عيينة، سمع الزهري يقول: قال رجل لابن الحنفية: ما بال أبيك كان يرمي بك في مرام لا يرمي فيها الحسن والحسين؟ قال: لانهما كانا خديه وكنت يده، فكان يتوقى بيديه (٣) عن خديه.

وقال خليفة، قال أبو اليقظان: كانت راية علي رضي الله عنه لما سار من ذي قار مع ابنه محمد (٤).

### من جميل أقواله ﷺ

وعن ابن الحنفية قال: من كرمتم عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر (٥).

١ - تاريخ الإسلام ٣ / ٢٩٤ وابن عساكر ١٥ / ٣٦٤

٢ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١١٢)

٣ - لفظ ابن عساكر ١٥ / ٣٦٨ وتاريخ الاسلام ٣ / ٢٩٦ (بيده). سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١١٧)

٤ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١١٦)

٥ - سير أعلام النبلاء - (٤ / ١١٧ و المنتظم - (٢ / ٢٨٨ و عيون الأخبار - (١ / ٢٥٩)

وعنه: أن الله جعل الجنة ثمناً لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها (١)

### محنته وحبسه

ولقد ناله - رضي الله عنه من الحبس والتضييق ففي (سجن عارم حُبس فيه محمد بن الحنفية حبسه عبد الله بن الزبير فخرج المختار بالكوفة ودعا إليه ثم كان بعد ذلك سجنًا للحجاج ولا أعرف موضعه وأظنه بالطائف، وقال محمد بن كثير في محمد بن الحنفية ويخاطب عبد الله بن الزبير:

تُخْثِرُ مَنْ لَقَّيْتِ أَنْكَ عَاثُذَ بِلِ الْعَاثُذِ الْمَحْبُوسِ فِي سَجْنِ عَارِمِ

وَمَنْ يَلْقَ هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنْى مَنْ النَّاسُ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمِ

سَمِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ وَفَكَأْ أَغْلَالٍ وَقَاضِي مَعَارِمِ

أَبِي فَهَوَ لَا يَشْرِي هُدًى بِضَالَةٍ وَلَا يَتَّقِي فِي اللَّهِ لُومَةَ لَائِمِ

وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَتْلُو كِتَابَهُ حُلُولًا بِهَذَا الْخَيْفِ خَيْفَ الْمَحَارِمِ

بَحِيثِ الْحَمَامِ أَمَنَاتِ سَوَاكِنِ وَتَلْقَى الْعَدُوَّ كَالصَّدِيقِ الْمَسَالِمِ

فَمَا رَوْنَقُ الدُّنْيَا بَبَاقٍ لِأَهْلِهِ وَلَا شِدَّةُ الْبَلَوِ بِضَرْبَةٍ لِأَزْمِ (٢)

وروى الواقدي بإسناده قال: لما جاء نعي معاوية إلى المدينة كان بها الحسين، وابن الحنفية وابن الزبير، وكان ابن عباس بمكة، فخرج الحسين وابن الزبير إلى مكة، وأقام ابن الحنفية، فلما سمع بدنو جيش مسرف زمن الحرة رحل إلى مكة، وأقام مع ابن عباس، فلما مات يزيد ببيع ابن الزبير، فدعاهما إلى بيعته، فقالا: لا حتى تجتمع لك البلاد.

فكان مرة يكاشرهما ومرة يلين لهما، ثم غلظ عليهما، ووقع بينهما حتى خافاه، ومعهما النساء والذرية، فأساء جوارهم وحصرهم، وقصد محمدا، فأظهر شتمه وعيبه، وأمرهم وبني هاشم أن يلزموا شعبهم، وجعل عليهم الرقباء، وقال فيما يقول: والله لتبايعن أو لاحرقنكم.

١ - سير أعلام النبلاء - (٤ / ١١٧) و تاريخ دمشق - (٥٤ / ٣٣٦) و المنتظم - (٢ / ٢٨٨)

٢ - معجم البلدان - (٣ / ١٨٧) و مروج الذهب - (١ / ٣٨١) و آثار البلاد وأخبار العباد - (١ / ٣٨) معجم ما استعجم - (١ / ٢٥٠) و الروض المعطار في خبر الأقطار - (١ / ٤٠٧)

فخافوا.

قال سليم أبو عامر: فرأيت ابن الحنفية محبوسا في زمزم، والناس يمنعون من الدخول عليه، فقلت: والله لأدخلن عليه، فقلت: ما بالك وهذا الرجل؟ قال: دعاني إلى البيعة فقلت: إنما أنا من المسلمين، فإذا اجتمعوا عليك فأنا كأحدهم، فلم يرض بهذا مني، فاذهب إلى ابن عباس فسلم عليه وقل: ما ترى؟ قال: فدخلت على ابن عباس وهو ذاهب البصر فقال: من أنت؟ قلت: أنصاري.

قال: رب أنصاري هو أشد علينا من عدونا.

قلت: لا تخف، أنا ممن لك كله، قال: هات، فأخبرته، فقال: قل له: لا تطعه ولا نعمة عين إلا ما قلت، ولا تزده عليه.

فأبلغته.

فهم ابن الحنفية أن يسير إلى الكوفة.

وبلغ ذلك المختار، فثقل عليه قدومه فقال: إن في المهدي علامة يقدم بلكم هذا، فيضربه رجل في السوق بالسيف لا يضره ولا يحيك (١) فيه.

فبلغ ذلك ابن الحنفية فأقام.

ف قيل له: لو بعثت إلى شيعتك بالكوفة فأعلمتهم ما أنت فيه.

فبعث أبا الطفيل إلى شيعتهم، فقال لهم: إنا لا نأمن ابن الزبير على هؤلاء، وأخبرهم بما هم فيه من الخوف، فقطع المختار بعثا إلى مكة، فانتدب معه أربعة آلاف، فعقد لأبي عبد الله الجدلي عليهم، وقال له: سر، فإن وجدت بني هاشم في حياة، فكن لهم عضدا وانفذ لما أمروك به، وإن وجدت ابن الزبير قد قتلهم، فاعترض أهل مكة حتى تصل إلى ابن الزبير، ثم لا تدع لآل الزبير شعرا ولا ظفرا.

وقال: يا شرطة الله، لقد أكرمكم الله بهذا المسير، ولكم بهذا الوجه عشر حجج وعشر عمر.

وساروا حتى أشرفوا على مكة، فجاء المستغيث: عجلوا فما أراكم تدركونهم.

فانتدب منهم ثمانمائة رأسهم عطية بن سعد العوفي حتى دخلوا مكة، فكبروا تكبيرة سمعها ابن الزبير، فهرب إلى دار الندوة، ويقال: تعلق بأستار الكعبة وقال: أنا عاخذ الله.

قال عطية: ثم ملنا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابهما في دور قد جمع لهم الحطب فأحيط بهم حتى ساوى الجدر، لو أن نارا تقع فيه مارئي منهم أحد.

فأخْرناه عن الابواب وعجل علي ابن عبدالله بن عباس وهو يومئذ رجل، فأسرع في الحطب ليخرج فأدماه.

وأقبل أصحاب ابن الزبير، فكنا صفين، نحن وهم في المسجد نهارنا لا ننصرف إلى صلاة حتى أصبحنا، وقدم الجدلي في الجيش، فقلنا لابن عباس وابن الحنفية: ذرونا نرح الناس من ابن الزبير، فقالا: هذا بلد حرمه الله، ما أحله لأحد إلا لنبيه ساعة، فامنعونا وأجبرونا.

قال: فتحملوا وإن مناديا لينادي في الجبل: ما غنمت سرية بعد نبيها، ما غنمت هذه السرية.

إن السرية تغنم الذهب والفضة، وإنما غنمتم دماءنا.

فخرجوا بهم، فأنزلوهم منى، فأقاموا مدة، ثم خرجوا إلى الطائف، وبها توفي ابن عباس، وصلى عليه محمد، فبقينا معه.

فلما كان الحج، وافى محمد بأصحابه فوقف، ووقف نجدة بن عامر الحنفي في الخوارج ناحية، وحجت بنو أمية على لواء، فوقفوا بعرفة (١).

وعن محمد بن جبير أن الذي أقام الحج ابن الزبير.

وحج ابن الحنفية في الخشبية (٢) أربعة آلاف نزلوا في الشعب الأيسر من منى، فخفت الفتنة، فجئنت ابن الحنفية، فقلت: يا أبا القاسم اتق الله، فإننا في مشعر حرام، في بلد حرام، والناس وفد الله، فلا

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١١٨) طبقات ابن سعد ٥ / ١٠٠، وهو مطول في ابن عساكر ١٥ / ٣٦٩ و

تاريخ دمشق - (٥٤ / ٣٣٩)

<sup>٢</sup> - الخشبية: هم أصحاب المختار بن عبيد الثقفي المتقلب الذي لم يوقف له على مذهب، وانظر في سبب تسميتهم بالخشبية ما نقله شارح القاموس مادة: خشب عن البلاذري في "الانساب".



تفسد عليهم حجهم، فقال: والله ما أريد ذلك، ولكنني أدفع عن نفسي، وما أطلب هذا الأمر إلا أن لا يختلف علي فيه اثنان، فأتى ابن الزبير وكلمه، وعليك بنجدة فكلمه.

فجئت ابن الزبير فقال: أنا أرجع ! قد اجتمع علي وبايعني الناس.

وهؤلاء أهل خلاف.

قلت: إن خيرا لك الكف.

قال: أفعل.

ثم جئت نجدة الحروري، فأجده في أصحابه وعكرمة عنده.

فقلت: استأذن لي عليه.

قال: فدخل فلم ينشب أن أذن لي، فدخلت، فعظمت عليه وكلمته، فقال: أما أن أيتدئ أحدا بقتال، فلا.

قلت: إني رأيت الرجلين لا يريدان قتالك.

ثم جئت شيعة بني أمية، فكلمتهم، فقالوا: لا نقاتل، فلم أر في تلك الألوية أسكن من أصحاب ابن الحنفية.

ووقفت تلك العشيّة إلى جنبه، فلما غابت الشمس، التفت إلي، فقال: يا أبا سعيد ادفع، فدفعت معه، فكان أول من دفع (١).

قال خليفة: في سنة خمس وستين دعا ابن الزبير ابن الحنفية إلى بيعته، فأبى، فحصره في شعب بني هاشم وتوعدهم، حتى بعث المختار أبا عبدالله الجدلي إلى ابن الحنفية في أربعة آلاف سنة ست، فأقاموا معه حتى قتل المختار في رمضان سنة سبع وستين.

عن إسحاق بن يحيى بن طلحة وغيره، قالوا: كان المختار أشد شئ على ابن الزبير، وجعل يلقي إلى الناس أن ابن الزبير كان يطلب هذا الامر لابن الحنفية ثم ظلمه، وجعل يعظم ابن الحنفية ويدعو إليه

<sup>١</sup> - ابن سعد ٥ / ١٠٣، وابن عساكر ١٥ / ٣٧٠ سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٢٠) تاريخ الإسلام للذهبي - (٢ / ٢١٦) مختصر

تاريخ دمشق - (٧ / ٨٣)

فبيبايعونه سرا ، فشك قوم وقالوا : أعطينا هذا عهدنا أن زعم أنه رسول ابن الحنفية وهو بمكة ليس منا ببعيد .

فشخص إليه قوم فأعلموه أمر المختار ، فقال : نحن قوم حيث ترون محبوسون ، وما أحب أن لي سلطان الدنيا بقتل مؤمن ، ولوددت أن الله انتصر لنا بمن يشاء ، فاحذروا الكذابين ، قال : وكتب المختار كتابا على لسان ابن الحنفية إلى إبراهيم بن الأشتر وجاءه يستأذن - وقيل : المختار أمين آل محمد ورسولهم - فأذن له ورحب به ، فتكلم المختار وكان مفوها ، ثم قال : إنكم أهل بيت قد أكرمكم الله بنصرة آل محمد وقد ركب منهم ما قد علمت ، وقد كتب إليك المهدي كتابا وهؤلاء الشهود عليه فقالوا : نشهد أن هذا كتابه ورأيناه حين دفعه إليه .

فقرأه إبراهيم ، ثم قال : أنا أول من يجيب ، قد أمرنا بطاعتك ومؤازرتك ، فقل ما بدا لك .

ثم كان يركب إليه [ في كل يوم ] .

فزرع ذلك في الصدور .

وبلغ ذلك ابن الزبير ، فتنكر لابن الحنفية .

وجعل أمر

المختار يغلظ ، وتتبع قتلة الحسين ، فقتلهم ، وجهز ابن الاشتر في عشرين ألفا إلى عبيد الله بن زياد ، فظفر بن ابن الاشتر ، وبعث برأسه إلى المختار ، فبعث به إلى ابن الحنفية وعلي بن الحسين ، فدعت بنو هاشم للمختار ، وكان ابن الحنفية لا يحب كثيرا مما يأتي به ، وكتب المختار إليه : لمحمد المهدي من المختار الطالب بئار آل محمد .

أبو غسان النهدي : حدثنا عمر بن زياد ، عن الاسود بن قيس ، قال : لقيت رجلا من عنزة فقال :

انتهيت إلى ابن الحنفية ، فقلت : السلام عليك يا مهدي ، قال : وعليك السلام .

قلت : إن لي حاجة .

فلما قام ، دخلت معه ، فقلت : ما زال بنا الشين في حبكم حتى ضربت عليه الاعناق ، وشردنا في البلاد وأوذينا .

ولقد كانت تبلغنا عنك أحاديث من وراء وراء، فأحببت أن أشافهك.

فقال: إياكم وهذه الاحاديث، وعليكم بكتاب الله، فإنه به هدي أولكم، وبه يهدي آخركم، ولئن أوديتكم، لقد أودى من كان خيرا منكم، ولأمر آل محمد أبين من طلوع الشمس (١).

ابن عيينة: عن ليث، عن منذر الثوري، عن محمد بن علي: سمعت أبا هريرة يقول: لا حرج إلا في دم امرئ مسلم.

فقلت: يطعن على أبيك.

قال: لا، بايعه أولو الأمر، فنكت ناكث فقاتله، وإن ابن الزبير يحسدني على مكاني، ود أني ألد في الحرم كما ألد (٢).

الثوري: عن الحارث الأزدي، قال: قال ابن الحنفية: رحم الله امرأ أغنى نفسه، وكف يده، وأمسك لسانه، وجلس في بيته، له ما احتسب، وهو مع من أحب.

ألا إن أعمال بني أمية أسرع فيهم من سيوف المسلمين.

ألا إن لأهل الحق دولة يأتي بها الله إذا شاء.

فمن أدرك ذلك، كان عندنا في السهم الأعلى، ومن يمت، فما عند الله خير وأبقى (٣).

قال أبو عوانة: حدثنا أبو جمرة قال: كانوا يقولون لابن الحنفية: سلام عليك يا مهدي، فقال: أجل أنا مهدي، أهدي إلى الرشيد والخير، اسمي محمد، فقولوا: سلام عليك يا محمد أو يا أبا القاسم (٤).

عن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، قال: وفدت مع أبان على عبد الملك وعنده ابن الحنفية، فدعا عبد الملك بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا بصيقل (٥) فنظر فقال: ما رأيت حديدة قط أجود منها، قال عبد الملك: ولا والله ما رأى الناس مثل صاحبها، يا محمد، هب لي هذا السيف.

١ - رواه ابن سعد مطولا ٥ / ٩٥ وكذا ابن عساكر ١٥ / ٣٧١

٢ - تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٧١ / ١٥ / ٣٧٢ عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه.

٣ - ابن سعد ٥ / ٩٧، وابن عساكر ١٥ / ٣٧٢

٤ - ابن سعد ٥ / ٩٤، وابن عساكر ١٥ / ٣٧٢ سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٢٣)

قال [ محمد ]: أينا أحق به فليأخذه.

قال [ عبد الملك ]: إن كان لك قرابة فلكل قرابة.

فأعطاه محمد إياه ثم قال: يا أمير المؤمنين [ إن ] هذا - وأشار إلى الحجاج - قد استخف بي وآذاني، ولو كانت خمسة دراهم أرسل إلي فيها.

قال: لا إمرة له عليك.

فلما ولي محمد، قال عبد الملك للحجاج: أدركه فسل سخيمته.

فأدركه فقال: إن أمير المؤمنين قد أرسلني إليك لأسل سخيمتك، ولا مرحبا بشيء ساءك، قال: ويحك يا حجاج اتق الله واحذره، ما من صباح إلا والله في كل عبد من عبادة ثلاث مئة وستون لحظة، إن أخذ، أخذ بمقدرة، وإن عفا، عفا بحلم، فاحذر الله.

فقال: لا تسألني شيئا إلا أعطيتك، قال: وتفعل؟ قال: نعم.

قال: صرم الدهر<sup>(١)</sup>.

عن الحسن بن محمد بن الحنفية قال: لم يبايع أبي الحجاج، [ لما قتل ابن الزبير ] بعث [ الحجاج ] إليه أن قد قتل عدو الله، فقال: إذا بايع الناس بايعت.

قال: والله لاقتلنك.

قال: إن لله في كل يوم ثلاث مئة وستين نظرة

، [ في كل لحظة ثلاث مئة وستون قضية ] فلعله أن يكفيناك [ في قضية من قضاياها ]، وكتب الحجاج فيه إلى عبد الملك بذلك، فأعجب عبد الملك وكتب إلى الحجاج: قد عرفنا أن محمدا ليس عنده خلاف، فارق به فسيبايعك.

فلما اجتمع الناس على عبد الملك، وبايع له ابن عمر، قال ابن عمر لمحمد: ما بقي شيء فبايع، فكتب بالبيعة إلى عبد الملك وهي: أما بعد، فإني لما رأيت [ الأمة ] قد اختلفت، اعتزلتهم.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٢٦)

فلما أفضى الأمر إليك، وبايعك الناس، كنت كرجل منهم، فقد بايعتك وبايعت الحجاج لك، ونحن نحب أن تؤمننا، وتعطينا ميثاقا على الوفاء فإن الغدر لا خير فيه.

فكتب إليه عبد الملك: إنك عندنا محمود، أنت أحب إلينا وأقرب بنا رحما من ابن الزبير، فلك ذمة الله ورسوله أن لا تهاج ولا أحد من أصحابك بشئ<sup>(١)</sup>.

### وفاته رحمته الله:

قال أبو نعيم الملائي: مات ابن الحنفية سنة ثمانين.

وقال الواقدي: أنبأنا زيد بن السائب، قال: سألت عبدالله بن الحنفية: أين دفن أبوك؟ قال: بالبقيع، سنة إحدى وثمانين في المحرم، وله خمس وستون سنة.

فجاء أبان بن عثمان والي المدينة ليصلي عليه، فقال أخي: ما ترى؟ فقال أبان: أنتم أولى بجنائزكم. فقلنا: تقدم فصل، فتقدم<sup>(٢)</sup>.

الواقدي: حدثنا علي بن عمر بن علي بن الحسين، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، سمعت ابن الحنفية سنة إحدى وثمانين يقول: لي خمس

وستون سنة، جاوزت سن أبي.

فمات تلك السنة<sup>(٣)</sup>.

<sup>١</sup> سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ١٢٧) وابن سعد ٥ / ١١٠

<sup>٢</sup> - ابن سعد ٥ / ١١٦.

<sup>٣</sup> = ابن سعد ٥ / ١١٥.



### الحسن بن محمد بن الحنفية رحمته الله

**ترجمته - رحمته الله** (١) الحسن بن محمد بن الحنفية وهو بن علي بن أبي طالب، وأمه جمال بنت قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي. وكان الحسن يكنى أبا محمد وكان من ظرفاء بني

١ - تهذيب الأسماء - (ج ١ / ص ٢١٤) بقات ابن سعد ٣٢٨/٥، التاريخ الكبير للبخاري ٢/٢٥٦٠، الجرح والتعديل ٣/١٤٤، تاريخ الإسلام ٣/٣٥٧، ٣٥٩، سير أعلام النبلاء ٤/١٣٠، ١٣١، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/٣٢٠، ٣٢١، تقريب التهذيب (١٢٤٨) وقال: "ثقة فقيه يقال إنه أول من تكلم في الأرجاء من الثالثة مات سنة مائة أو قبلها بسنة ع".

(٢) انظر: الجرح والتعديل (٣٦/٣)، والثقات لابن حبان (١٧٧/٨)، وتاريخ بغداد (٤٠٧/٧ - ٤١٠)، ووفيات الأعيان (٧٣/٢، ٧٤)، وتهذيب الكمال (٣١٠/٦ - ٣١٣)، والمختصر في أخبار البشر (٤٩/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٢/١٢ - ٢٦٥) برقم (١٠٠)، ومروءة

هاشم وأهل العقل منهم، وكان يقدم على أخيه أبي هاشم في الفضل والهيئة، وهو أول من تكلم في الإرجاء.

عن حماد بن سلمة عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة أنهما دخلا على الحسن بن محمد بن علي فلاماه على الكتاب الذي وضع في الإرجاء فقال لزاذان: يا أبا عمر لوددت أني كنت مت ولم أكتبه. قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن علي بن خالد عن أنيس أبي العريان قال: رأيت على الحسن بن محمد قميصا رقيقا وعمامة رقيقة.

### محنته ﷺ - وسجنه :

وحبس عبد الله بن الزبير الحسن بن محمد بن الحنفية في الحبس المعروف بحبس عارم، وهو حبس موحشٌ مُظلم، وأراد قتله، فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن، وتعمَّسَ الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية ففي ذلك يقول كثير:

تخبر من لاقيت أنك عائد بل العائد المظلوم في سجن عارم

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمي نبي الله وابن وصيه وفكأك أغلال وقاضي مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد إلى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب، وجمع لهم حطباً عظيماً لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد، وفي القوم محمد بن الحنفية.<sup>(١)</sup>

### من جميل أقواله ﷺ

الجنان (١٧١/٢، ١٧٢)، والوافي بالوفيات (٢٣٥/١٢)، وتهذيب التهذيب (٣١٨/٢، ٣١٩)، وتقريب التهذيب (١/ البداية والنهاية -

ج ٩ / ص ١٦٠)

<sup>١</sup> - مروج الذهب - (١ / ٣٨١)

يقول ابن عساكر: عن هلال بن خباب عن الحسن بن محمد بن الحنفية أنه قال يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا تقولوا في أبي بكر وعمر ما ليس له بأهل إن أبا بكر الصديق كان مع رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) في الغار ثاني اثنتين وأن عمر أعز الله به الدين (١)

عن إبراهيم بن مسلم المديني قال: قال الحسن بن محمد بن الحنفية من أحب حبيباً لم يعصه ثم قال

تعصي الإله وأنت تظهر حبه عار عليك إذا فعلت شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته أن المحب لمن أحب مطيع

ثم قال \*

ما ضر من كانت الفردوس منزله ما كان في العيش من بؤس واقتار

تراه يمشي حزينا جائعا شعنا إلى المساجد يسعى بين اطمار (٢)

### وفاته رحمه الله:

عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال توفي الحسن بن محمد بن الحنفية عند عبد الملك بن مروان وذلك قبل الجماجم وذكر أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن الهروي أن الحسن بن محمد مات سنة خمس وتسعين

قال أبو عبيد الله قال سنة خمس وتسعين فيها مات الحسن بن محمد بن الحنفية

قال خليفة بن خياط قال (٣): سنة إحدى ومائة فيها مات الحسن بن محمد بن الحنفية

١ - تاريخ دمشق - (ج ١٣ / ص ٣٧٨)

٢ - تاريخ دمشق - (ج ١٣ / ص ٣٧٩)

٣ - تاريخ دمشق - (ج ١٣ / ص ٣٧٩) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٢٥ وتقدم قوله في الطبقات ص ٤١٧ برقم ٢٠٤٧ أنه مات سنة مائة أو تسع وتسعين





### محمد بن سيرين رحمته الله

ترجمته رحمته الله (١) محمد بن سيرين \* الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، الأنسي البصري،  
مولى أنس بن مالك، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦٠٦) طبقات ابن سعد ٧ / ١٩٣، الزهد لأحمد ٣٠٦، طبقات خليفة ت ١٧٢٨، تاريخ البخاري ١ / ٩٠، المعارف ٤٤٢، المعرفة والتاريخ ٢ / ٥٤، ذيل المذيل ٦٤٠، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الثالث ٢٨٠، الحلية ٢ /

وكان أبوه من سبي جرجاريا (١)، تملكة أنس، ثم كاتبه على ألوف من المال، وفوفاه، وعجل له مال الكتابة قبل حلوله، فتمنع أنس من أخذه لما رأى سيرين قد كثر ماله من التجارة، وأمل أن يرثه، فحاكمه إلى عمر رضي الله عنه، فألزمه تعجيل المؤجل.

### مولده و نشأته ووصفه رحمته الله (٢)

قال أنس بن سيرين: ولد أخي محمد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وولدت بعده بسنة قابلة.

روى عنه: قتادة، وأيوب، ويونس بن عبيد، وابن عون، وخالد

قال خالد بن خدّاش: حدثنا حماد، عن أنس بن سيرين: ولد أخي محمد لسنتين بقيتا من خلافة عمر.

قال الحاكم: هكذا وجدت في كتابي: عمر، وقال غيره: عثمان.

قلت: الثاني أشبه، ولو كان أولاهما الأول لكان ابن سيرين في سن الحسن، ومعلوم أن محمدا كان أصغر بسنوات، لكن يشهد للأول قول عارم، عن حماد بن زيد: عاش ابن سيرين نيفا وثمانين سنة. ويشهد للثاني قول ميسرة، عن معلى بن هلال، حدثنا يونس بن عبيد قال: مات محمد بن سيرين وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

حماد بن زيد، عن هشام، عن ابن سيرين، قال: حج بنا أبو الوليد فمر بنا على المدينة، فأدخلنا على زيد بن ثابت، ونحن سبعة ولد سيرين، فقال له: هؤلاء بنو سيرين، فقال زيد: هذا لام، وهذان لام، وهذان لام، وهذا من أم.

قال: فما أخطأ.

٢٦٣، تاريخ بغداد ٥ / ٣٣١، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٨، تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٢١٠، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ٨٢، وفيات الأعيان ٤ / ١٨١، تهذيب الكمال ص ١٢٠٧، تاريخ الإسلام ٤ / ١٩٢، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٣، العبر ١ / ١٣٥، تهذيب التهذيب ٣ / ٢١٠ ب، مرآة الجنان ١ / ٢٣٢، البداية والنهاية ٩ / ٢٦٧ و ٢٧٤، غاية النهاية ت ٣٠٥٧، تهذيب التهذيب ٩ / ٢١٤، النجوم الزاهرة ١ / ٢٦٨، طبقات الفقهاء للسيوطي ٣١، خلاصة تهذيب التهذيب ٣٤٠، شذرات الذهب ١ / ١٣٨.

<sup>١</sup> - جرجاريا: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي، انظر معجم البلدان.

<sup>٢</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦٠٧)

وكان يحيى أخا محمد من أمه.

وقيل: بل معبد كان أخا محمد لأمه (١).

قال هشام بن حسان: أدرك محمد ثلاثين صحابيا.

عمر بن شبة: حدثنا يوسف بن عطية: رأيت ابن سيرين قصيرا عظيم

البطن، له وفرة، يفرق شعره، كثير المزاح والضحك، يخضب بالحناء).

قال ابن عون: كان محمد يأتي بالحديث على حروفه، وكان الحسن صاحب معنى.

عون بن عمارة: حدثنا هشام، حدثني أصدق من أدركت، محمد بن سيرين.

قال حبيب بن الشهيد: كنت عند عمرو بن دينار فقال: والله ما رأيت مثل طاووس، فقال أيوب

السختياني وكان جالسا: والله لو رأى محمد بن سيرين لم يقله.

معاذ بن معاذ: سمعت ابن عون يقول: ما رأيت مثل محمد بن سيرين.

وعن خليف بن عقبة، قال: كان ابن سيرين نسيج وحده.

وقال حماد بن زيد، عن عثمان البتي، قال: لم يكن بالبصرة أحد أعلم بالقضاء من ابن سيرين (٢).

وعن شعيب بن الحبحاب، قال: كان الشعبي يقول لنا: عليكم بذلك الاصم يعني ابن سيرين (٣).

وقال ابن يونس: كان ابن سيرين أفطن من الحسن في أشياء (٤).

### منزلته وثناء العلماء عليه رحمه الله (٥)

وقال عوف الأعرابي: كان ابن سيرين حسن العلم بالفرائض والقضاء والحساب (٦).

<sup>١</sup> - المعرفة والتاريخ ٢ / ٥٨، وانظر بن سعد ٧ / ١٩٣ وتاريخ الخطيب ٥ / ٣٣٢، ٣٣٣

<sup>٢</sup> - ابن سعد ٧ / ١٩٦ وتاريخ الخطيب ٥ / ٣٣٧، ولفظهما: "لم يكن أحد بهذه النقرة أعلم بالقضاء.." وابن عساكر ١٥ / ٢١٧

<sup>٣</sup> - ابن سعد ٧ / ١٩٥ وابن عساكر ١٥ / ٢١٧ ب، ٢١٨

<sup>٤</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦٠٨) ابن عساكر ١٥ / ٢١٧

<sup>٥</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦٠٩)

<sup>٦</sup> - تاريخ البخاري ١ / ٩١

حماد بن زيد، عن عاصم، سمعت مورقا العجلي يقول: ما رأيت أحدا أفقه في ورعه، ولا أروع في فقهه من محمد بن سيرين . (١).

وقال عاصم: وذكر محمد عند أبي قلابة، فقال: اصرفوه كيف شئتم، فلتجدنه أشدكم ورعا، وأملككم لنفسه . (٢).

حماد: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة قال: ومن يستطيع ما يطيق ! ؟ محمد يركب مثل حد السنان . (٣).

النضر بن شميل، عن ابن عون قال: ثلاثة لم تر عيناى مثلهم: ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام، كأنهم التقوا فتواصوا.

وقد وقف على ابن سيرين دين كثير من أجل زيت كثير أراقه، لكونه وجد في بعض الظروف فأرة.

حماد بن سلمة، عن ثابت، قال لي محمد: يا أبا محمد، لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة، فلم يزل بي البلاء حتى قمت على المصطبة، فقيل: هذا ابن سيرين، أكل أموال الناس، وكان عليه دين كثير . (٤).

قال أبو عوانة: رأيت محمد بن سيرين في السوق، فما رآه أحد إلا ذكر الله . (٥).

محمد بن عمر الباهلي: سمعت سفيان يقول: لم يكن كوفي ولا بصري له مثل ورع محمد بن سيرين.

وعن زهير الأقطع: كان محمد بن سيرين، إذا ذكر الموت، مات كل عضو منه على حدة . (٦).

١ - ابن سعد ٧ / ١٩٦، والمعرفة والتاريخ ٢ / ٥٦

٢ - ابن عساکر ١٥ / ٢١١، ب، ٢١٦، آ، وانظر ابن سعد ٧ / ١٩٦ والمعرفة والتاريخ ٢ / ٥٦ وتاريخ الخطيب ٥ / ٣٣٤ وتاريخ البخاري ١ / ٩٠، ٩١.

٣ - ابن عساکر ١٥ / ٢١١، آ، وأورد ابن سعد ٧ / ١٩٨ بنحوه، وكذا المعرفة والتاريخ ٢ / ٥٧ والحلية ٢ / ٢٦٧ وتاريخ الخطيب ٥ / ٣٣٧.

٤ - ابن سعد ٧ / ١٩٩ والمعرفة والتاريخ ٢ / ٦١ والحلية ٢ / ٢٧١ وتاريخ الخطيب ٥ / ٣٣٥

٥ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦١٠) المعرفة والتاريخ ٢ / ٦٣

٦ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦١٠) الزهد ٣٠٨ والمعرفة والتاريخ ٢ / ٥٩.

وقال ابن عون: كان محمد يرى أن أهل الأهواء أسرع الناس ردة، وأن هذه نزلت فيهم { وَإِذَا رَأَيْتَ  
الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا  
تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [الأنعام: ٦٨]

وما رأيت أحدا أسخى نفسا منه ابن عون

قال مسلم بن إبراهيم، عن قرّة، قال: أكلت عند ابن سيرين فقال: إن الطعام أهون من أن يقسم عليه  
(١)

وعن ثابت البناني، قال: كان الحسن متواريا من الحجاج، فماتت بنت له، فبادرت إليه رجاء أن  
يقول لي صل عليها، فبكى حتى ارتفع نحيبه، ثم قال لي: اذهب إلى محمد بن سيرين، فقل له  
ليصل عليها.

فعرف حين جاء الحقائق، أنه لا يعدل بابن سيرين أحد (٢).

الانصاري: حدثنا ابن عون، قال: كان إبراهيم بن الحسن والشعبي يأتون بالحديث على المعاني،  
وكان القاسم وابن سيرين ورجاء بن حيوة، يقيدون الحديث على حروفه.

خارجة بن مصعب، عن ابن عون، عن محمد، قال: ما رأيت سود الرؤوس أفقه من أهل الكوفة إلا أن  
فيهم حدة.

قال محمد بن جرير الطبري: كان ابن سيرين فقيها، عالما، ورعا أديبا، كثير الحديث، صدوقا، شهد  
له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حجة.

حماد بن زيد، عن أيوب، قال محمد: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم (٣).

**عبادته وورعه ﷺ (٤)**

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦١٠) الحلية ٢ / ٢٦٨، ٢٦٩.

٢ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦١٠) انظر ابن سعد ٧ / ٢٠٤.

٣ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦١١) ابن سعد ٧ / ١٩٤ والحلية ٢ / ٢٧٨.

٤ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦١٥).

وقال هشام بن حسان: كان محمد يتجر، فإذا ارتاب في شيء تركه

وقال ابن عون: كان محمد بن أشد الناس إزراء على نفسه . (١)

وقال غالب القطان: خذوا بحلم ابن سيرين، ولا تأخذوا بغضب الحسن (٢).

حماد بن سلمة، عن أيوب، قال: كان محمد يصوم يوما ويفطر يوما (٣)

وقال ابن عون: كان محمد يصوم عاشوراء يومين ثم يفطر بعد ذلك يومين (٤).

قال جرير بن حازم: كنت عند محمد، فذكر رجلا، فقال: ذاك الاسود، ثم قال: إن لله، إني اغتبطه (٥)

معاذ بن معاذ: عن ابن عون، أن عمر بن عبد العزيز بعث إلى الحسن فقبل، وبعث إلى ابن سيرين فلم يقبل (٦)

ضمرة بن ربيعة، عن رجاء، قال: كان الحسن يجرى إلى السلطان ويعيبهم، وكان ابن سيرين لا يجرى إليهم ولا يعيبهم (٧)

قال هشام: ما رأيت أحدا عند السلطان أصلب من ابن سيرين (٨).

### محنته و سجنه - رَحِمَهُ اللهُ (٩)

وقد اختلفت الروايات في سبب محنته و حبسه - رحمه الله - فقد جاء عن محمد بن سعد، قال:

سألت محمد بن عبد الله الأنصاري، عن سبب الدين الذي ركب محمد بن سيرين حتى حبس به ؟ فقال: كان باع من أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص جارية، فرجعت إلى محمد فشكت

١ - ابن سعد ٧ / ١٩٥ .

٢ - ابن سعد ٧ / ٢٠٠ وابن عساكر ١٥ / ٢٢١ ، وانظر الزهد ٣٠٧

٣ - ابن عساكر ١٥ / ٢٢١

٤ - وابن عساكر ١٥ / ٢٢٢

٥ - ابن سعد ٧ / ١٩٦ بنحوه، وانظر الحلية ٢ / ٢٦٨

٦ - ابن سعد ٧ / ٢٠٢ وابن عساكر ١٥ / ٢٢٤

٧ - المعرفة والتاريخ، ٢ / ٦٤ وابن عساكر ١٥ / ٢٢٤

٨ - ابن عساكر ١٥ / ٢٢٤

٩ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٦١٢)

أنها تعذبها، أخذها محمد وكان قد أنفق ثمنها، فهي التي حبسته، وهي التي تزوجها سلم ابن زياد، وأخرجها إلى خراسان، وكان أبوها يلقب كركرة (١).

و ذكر ابن المائني أن سبب حبسه - رحمه الله - ورعه و خشيته في تحري الحلال من الحرام قال المدائني : كان سبب حبسه أنه أخذ زيتا بأربعين ألف درهم،

فوجد في زق منه فأرة، فظن أنها وقعت في المعصرة، وصب الزيت كله.

وكان يقول: إني ابتليت بذنب أذنبته منذ ثلاثين سنة.

قال: فكانوا يظنون أنه غير رجلا بفقر (٢).

### مورقا العجلي رحمته الله

**مورق (٣) العجلي**، أبو المعتمر البصري، ويقال: الكوفي، وهو مورق بن مشمرج، ويقال: ابن عبد الله.

روى عن: انس بن مالك وجندب بن عبد الله البجلي، وسلمان الفارسي، وصفوان بن محرز، و عبد الله بن جعفر و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن عمر بن الخطاب وأبيه عمر بن الخطاب، ومحمد بن سيرين، وأبي الاحوص الجشمي وأبي الدرداء، وأبي ذر الغفاري

<sup>١</sup> -انظر ابن سعد ٧ / ١٩٩ وصفحة ٦١٦

<sup>٢</sup> -ابن عساكر ١٥ / ٢٢٦ آ بنحوه، وانظر تاريخ الخطيب ٥ / ٣٣٥.

<sup>٣</sup> - تهذيب الكمال - (ج ٢٩ / ص ١٦) طبقات ابن سعد: ٧ / ١٣، وتاريخ خليفة: ٣٣٥، وطبقاته: ٢٠٩، والزهد لأحمد: ٣٠٥، وتاريخ البخاري الكبير: ٨ / الترجمة ٢١١٧، وثقات العجلي، الورقة ٥٣، والمعرف لابن قتيبة: ٤٧٠، والمعرفة ليعقوب: ٢ / ٥١، ٥٦، ٢٥٢، والجرح والتعديل: ٨ / الترجمة ١٨٥١، والمراسيل: ٢١٦، وثقات ابن حبان: ٥ / ٤٤٦، وعلل الدارقطني: ٢ / ٩٧، وحلية الأولياء: ٢ / ٢٣٤، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه، الورقة ١٨٠، وحلية الأولياء: ٢ / ٢٣٤، وإكمال ابن ماكولا: ٧ / ٣٠٢، ورجال البخاري للباقي: ٢ / ٢٥٨، والجمع لابن القيسراني: ٢ / ٥١٨، وانساب السمعاني: ٨ / ٤٠٠، وسير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٥٣، والعبر: ١ / ١٢٢، والكاشف: ٣ / الترجمة ٥٧٦٨، وتهذيب التهذيب: ٤ / الورقة ٨٦، ومعرفة التابعين، الورقة ٤٢، وتاريخ الإسلام: ٤ / ٢٠٦، ونهاية السؤل، الورقة ٣٨٩، وتهذيب التهذيب: ١٠ / ٣٣١ - ٣٣٢، والتقريب: ٢ / ٢٨٠، وخلاصة الخزرجي: ٣ / الترجمة ٧٤٤٤، وشذرات الذهب: ١ / ١٢٢. مغاني الأخبار - (ج ٥ / ص ٩٦) بحر الدم - (ج ١ / ص ١٥٨)

روى عنه: ابان بن أبي عياش، وإسماعيل بن أبي خالد،

### منزلته العلمية :

قال النسائي: ثقة.

وذكره ابن حبان في كتاب " الثقات "

وقال محمد بن سعد: كان ثقة عابداً، قال: لقد سألت الله عزوجل حاجة عشرين سنة فما شفّعني فيها وما سئمت من الدعاء.

وقال أبو علي محمد بن علي بن حمزة المروزي: هو مورك ابن مشمرج بن رفاعة بن بدر بن ضبيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، كان يحج مع ابن عمر ويصحبه، قدم خراسان أيام قتيبة، وكان معه في فتح سمرقند.

قال محمد بن سعد: وقالوا: توفي في ولاية عمر بن هبيرة على العراق

روى له الجماعة

### كرمه وجوده وأدبه ﷺ :

عن معلى بن زياد، قال: قال مورك العجلي: ما من أمر يبلغني، أحب إلي من موت أحب أهلي إلي (١).

وقال: تعلمت الصمت في عشر سنين، وما قلت شيئاً قط إذا غضبت، أندم عليه إذا زال غضبي (٢).

روى حماد بن زيد، عن جميل بن مرة، قال: كان مورك رحمه الله يجيئنا فيقول: أمسكوا لنا هذه الصرة، فإن احتجتم فأنفقوها.

فيكون آخر عهده بها.

<sup>١</sup> - الحلية ٢ / ٢٣٤، وانظر ابن سعد ٧ / ٢١٥. سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٣٥٤)

<sup>٢</sup> - الحلية ٢ / ٢٣٥، وانظر ابن سعد ٧ / ٢١٣، ٢١٤. سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٣٥٤)



قال جعفر بن سليمان: [ حدثنا بعض أصحابنا، قال ]: كان مورك يتجر فيصيب المال، فلا يأتي عليه جمعة وعنده منه شيء.

وكان يأتي الأخ فيعطيه الأربع مئة والخمس مئة ويقول: ضعها لنا عندك، ثم يلقاه بعد، فيقول: شأنك بها، لا حاجة لي فيها<sup>(١)</sup>.

عن هشام بن حسان، عن مورك قال: ما امتلأت غضبا قط، ولقد سألت الله حاجة منذ عشرين سنة، فما شفّعني فيها، وما سئمت من الدعاء<sup>(٢)</sup>.

عن امرأة يقال: لها ميمونة بنت مذعور قالت: مر بنا مورك العجلي فطبخ له غلام لنا بيضا في قدر صغيرة فقال له مورك: ما هذه القدر؟ قال: رهن عندي، فقال له مورك: أتستطيع أن تغني عني ببيضك هذا؟ قالت: وكره استعماله الرهن<sup>(٣)</sup>.

**وصيته - رحمه الله -** قال عبد الله بن صالح بن مسلم وجدت في كتاب لأبي صالح بن مسلم قال لما حضر مورك العجلي الوفاة دعا ابنا له فقال يا بني إن سمعت يوما كلمة حاسد فكن كأنك لست بشاهد فإنك إن أمضيتها حيا لها رجع العيب على من قالها وخذ في ذلك بقول حاتم طي

وما من شيمتي شتم ابن عمي      وما أنا مخلف من يرتجيني

وكلمة حاسد في غير جرم      سمعت فقلت مري فأنقذيني

فعابوها علي ولم تعبني      ولم يعرق لها يوما جيبيني

بصرت بعينه فكففت عنه      محافظة على حسبي وديني<sup>(٤)</sup>

**محنته و سجنه ﷺ :**

<sup>١</sup> - ابن سعد ٧ / ٢١٥. سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٣٥٤)

(٥) ابن سعد ٧ / ٢١٥، ٢١٦، والحلية ٢ / ٢٣٦، سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٣٥٤)

<sup>٢</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٣٥٥)

<sup>٣</sup> - تاريخ دمشق - (ج ١١ / ص ٣٧٣)

<sup>٤</sup> - تاريخ دمشق - (ج ١١ / ص ٣٧٣)

عن غيلان بن جرير قال: حبس الحجاج مورقا العجلي في السجن، قال: فلقيني مطرف فقال: ما صنعت في صاحبكم؟ قال قلت: محبوس، قال: تعال حتى ندعو، قال: فدعا مطرف وأمنا على دعائه، فلما كان العشي خرج الحجاج فجلس وأذن للناس فدخلوا عليه فدخل أبو مورك فيمن دخل فدعا الحجاج حرسيا فقال: اذهب بذاك الشيخ إلى السجن فادفع إليه ابنه، قالوا: وتوفي مورك في ولاية عمر بن هبيرة على العراق.<sup>(١)</sup>

### إبراهيم بن أدهم رحمته الله

**ترجمته رحمته الله (٢)** إبراهيم بن أدهم \* ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي، الخراساني البلخي، نزيل الشام. مولده في حدود المئة.

حدث عن: أبيه، ومحمد بن زياد الجمحي -صاحب أبي هريرة- وأبي إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر، ومالك بن دينار، وأبي جعفر محمد ابن علي، وسليمان الاعمش، وابن عجلان، ومقاتل بن حيان.

<sup>١</sup> - الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٧ / ص ٢١٦)

<sup>٢</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٨٧) التاريخ الكبير: ١ / ٢٧٣، المعرفة والتاريخ: ٢ / ٤٥٥، الجرح والتعديل: ٢ / ٨٧. مشاهير علماء الأمصار: ١٨٣، حلية الأولياء: ٧ / ٣٦٧ حتى ٨ / ٥٨، تاريخ ابن عساكر: خ: ٢ / ١٨٦، آ، الكامل لابن الأثير: ٦ / ٥٦، تهذيب الكمال: خ: ٤٩ - ٥١، تهذيب التهذيب: خ: ١ / ٣٢ - ٣٣، عبر الذهبي: ١ / ٢٣٨، فوات الوفيات: ١ / ١٣ - ١٤، الوافي بالوفيات: ٥ / ٣١٨ - ٣١٩، البداية والنهاية: ١٠ / ١٣٥ - ١٤٥، طبقات الأولياء: ٥ - ١٥، تهذيب التهذيب: ١ / ١٠٢ - ١٠٣، خلاصة تهذيب الكمال: ١٥، شذرات الذهب: ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦، تهذيب ابن عساكر: ٢ / ١٧٠ - ١٩٩.

حدث عنه : رفيقه سفيان الثوري، وشقيق البلخي، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، ومحمد بن حمير، وخلف بن تميم، ومحمد بن يوسف الفريابي، وإبراهيم بن بشار الخراساني خادمه، وسهل بن هاشم، وعتبة بن السكن، وحكى عن الاوزاعي، وأبو إسحاق الفزاري.

قال البخاري: قال لي قتيبة: إبراهيم بن أدهم تميمي يروي عن منصور قال: ويقال له: الجعلي.

وقال ابن معين: هو من بني عجل.

وعن الفضل بن موسى، قال: حج والد إبراهيم بن أدهم وزوجته، فولدت له إبراهيم بمكة.

وعن يونس البلخي قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبزاة<sup>(١)</sup>، فبينما إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم: ما هذا العبث؟ {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} [المؤمنون: ١١٥]، اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة.

فنزل عن دابته، ورفض الدنيا.

وفي "رسالة" القشيري، قال: هو من كورة بلخ، من أبناء الملوك، أثار ثعلبا أو أرنباً، فهتف به هاتف: ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ فنزل، وصادف راعيا لأبيه، فأخذ عبايته، وأعطاه فرسه، وما معه، ودخل البادية، وصحب الثوري، والفضيل بن عياض،

ودخل الشام، وكان يأكل من الحصاد وحفظ البساتين، ورأي في البادية رجلا، علمه الاسم الأعظم فدعا به، فرأى الخضر، وقال: إنما علمك أخي داود.

رواها علي بن محمد المصري الواعظ<sup>(٢)</sup>.

**منزلته وثناء العلماء عليه ﷺ :**

ذكر المفضل الغلابين: أنه هرب من أبي مسلم، صاحب الدعوة.

قال النسائي: هو ثقة مأمون، أحد الزهاد<sup>(٣)</sup>.

<sup>١</sup> - البزاة: جمع، البازي: وهو ضرب من الصقور

<sup>٢</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٨٩) "الحلية": ٧ / ٣٦٨، و "تهذيب ابن عساكر": ٢ / ١٧١ - ١٧٢.

<sup>٣</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٨٨)

قال أبو نعيم: سمعت سفيان يقول: كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة، لكان رجلاً فاضلاً.<sup>(١)</sup>

قال بشر الحافي: ما أعرف عالماً إلا وقد أكل بدينه، إلا وهيب بن الورد، إبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسلم الخواص.

### ورعه وحرصه للحلال ﷺ:

قال شقيق بن إبراهيم: قلت لإبراهيم بن أدهم: تركت خراسان؟

قال: ما تهنأت بالعيش إلا في الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، فمن رأيي يقول: موسوس، ومن رأيي يقول: جمال، يا شقيق: ما نبل عندنا من نبل بالجهاد ولا بالحج، بل كان بعقل ما يدخل بطنه<sup>(٢)</sup>

قال خلف بن تميم: سألت إبراهيم: منذ كم قدمت الشام؟ قال: منذ أربع وعشرين سنة، ما جئت لرباط ولا لجهاد، جئت لأشبع من خبز الحلال.

وعن إبراهيم، قال: الزهد فرض، وهو الزهد في الحرام.

وزهد سلامة، وهو: الزهد في الشبهات.

وزهد فضل، وهو: الزهد في الحلال.<sup>(٣)</sup>

عن بقية، قال: دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعامه، فأتيته، فجلس، فوضع رجله اليسرى تحت أليته، ونصب اليمنى، ووضع مرفقه عليها، ثم قال: هذه جلسة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس جلسة العبد، خذو بسم الله.

فلما أكلنا، قلت لرفيقيه: أخبرني عن أشد شيء مريبك منذ صحبتته.

<sup>١</sup> - البداية والنهاية: ١٠ / ١٣٦: سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٠)

<sup>٢</sup> - "الحلية": ٧ / ٣٦٩، و: البداية والنهاية: ١٠ / ١٣٧، و: تهذيب ابن عساكر: ٢ / ١٧٦. سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٠)

(٣٩٠)

<sup>٣</sup> - البداية والنهاية: ١٠ / ١٣٧ - ١٣٨، تهذيب ابن عساكر: ٢ / ١٧٧. سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٠)

قال: كنا صياما، فلم يكن لنا ما نفطر عليه، فأصبحنا، فقلت: هل لك يا أبا إسحاق أن تأتي الرستن<sup>(١)</sup>، فنكري أنفسنا مع الحصادين؟ قال: نعم.

قال: فاكتراني رجل بدرهم، فقلت: وصاحبي؟

قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفا.

فما زلت به حتى اكتراه بثلاثين، فاشتريت من كرائي حاجتي، وتصدقت بالباقي، فقربت إليه الزاد، فبكى وقال: أما نحن فاستوفينا أجورنا، فليت شعري أو فينا صاحبنا أم لا؟ فغضبت، فقال: أتضمن لي أنا وفيناه.

فأخذت الطعام فتصدقت به<sup>(٢)</sup>.

وبالإسناد عن بقية، قال: كنا مع إبراهيم في البحر، فهاجت ريح، واضطربت السفينة، وبكوا، فقلنا: يا أبا إسحاق! ما ترى؟ فقال: يا حي حين لا حي، ويا حي قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي، يا حي، يا قيوم، يا محسن، يا مجمل! قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك.

فهدأت السفينة من ساعته<sup>(٣)</sup>.

ضمرة: سمعت ابن أدهم، قال: أخاف أن لا أؤجر في تركي أطيب الطعام، لاني لأشتهيه.

وكان إذا جلس على طعام طيب، قدم إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون.

سفيان بن عيينة، قال: قيل لإبراهيم ابن أدهم: لو تزوجت؟

قال: لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت<sup>(٤)</sup>.

عن خلف بن تميم، قال: دخل إبراهيم الجبل، واشترى فأسا، فقطع حطبا، وباعه، واشترى ناطفا<sup>(٥)</sup>، وقدمه إلى أصحابه، فأكلوا، فقال يباسطهم: كأنكم تأكلون في رهن.

<sup>١</sup> - الرستن: "بليدة قديمة كانت على نهر" الميماس، وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي، الذي يمر قدام حماة.

<sup>٢</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩١) الحلية: "٧ / ٣٧٩ - ٣٨٠.

<sup>٣</sup> - "الحلية: "٨ / ٥ - ٦، ٨ / ٧ - ٨، والبداية والنهاية: "١٠ / ١٤٠. سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩١)

<sup>٤</sup> - في "البداية والنهاية: "١٠ / ١٣٨: "لطلقها". سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٢)

<sup>٥</sup> - الناطف: ضرب من الحلوى، يصنع من اللوز والجوز والفسق

عصام بن رواد بن الجراح: حدثنا أبي، قال: كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم، فأثاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافئه، فنظر إلى سرجي، فقال: خذ ذاك السرج، فأخذه، فسررت حين نزل مالي بمنزلة ماله (١)

وكان يلبس فروا بلا قميص، وفي الصيف شقتين بأربعة دراهم: إزار ورداء، ويصوم في الحضر والسفر، ولا ينام الليل، وكان يتفكر، ويقبض أصحابه أجرتهم، فلا يمسها بيده، ويقول: كلوا بها شهواتكم، وكان ينظر (٢)

عن مكي بن إبراهيم، قال: قيل لابن أدهم: ما تبلغ من كرامة المؤمن؟ قال: أن يقول للجبل: تحرك، فيتحرك.

قال: فتحرك الجبل، فقال: ما إياك عنيت.

وعن إبراهيم بن أدهم، قال: كل ملك لا يكون عادلا، فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون تقيا، فهو والذئب سواء، وكل من ذل لغير الله، فهو والكلب سواء (٣).

عن إبراهيم بن نصر، حدثنا إبراهيم بن بشار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأي دين لو كان له رجال! من طلب العلم لله، كان الخمول أحب إليه من التناول، والله ما الحياة بثقة، فيرجى نومها، ولا المنية بعذر، فيؤمن عذرها، فقيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء؟

قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

وبه: قال ابن بشار: أمسينا مع إبراهيم ليلة، ليس لنا ما نفطر عليه، فقال: يا ابن بشار! ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا حج، ولا صدقة، ولا صلة رحم! لا تغتم، فرزق الله سيأتيك، نحن -والله- الملوك الأغنياء، تعجلنا الراحة، لا نبالي على أي حال كنا إذا أطعنا الله.

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٢)

٢ - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٢) "الحلية": ٧ / ٣٧٣، و "البداية والنهاية": ١٠ / ١٤٤، و "تهذيب ابن عساکر": ٢ / ١٨٢ - ١٨٣.

٣ - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٤)

ثم قام إلى صلاته، وقمت إلى صلاتي، فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة، وتمر كثير، فوضعه، فقال: كل يا مغموم.

فدخل سائل، فأعطاه ثلاثة أرغفة مع تمر، وأعطاني ثلاثة، وأكل رغيغين.

وكننت معه، فأتيننا على قبر مسنم، فترحم عليه، وقال: هذا قبر حميد ابن جابر، أمير هذه المدن كلها، كان غارقا في بحار الدنيا، ثم أخرجه الله منها.

بلغني أنه سر ذات يوم بشيء، ونام، فرأى رجلا بيده كتاب، ففتحه، فإذا هو كتاب بالذهب: لا تؤثرن فانيا على باق، ولا تغترن بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن بعده هلك، وفرح وسرور لولا أنه غرور، وهو يوم لو كان يوثق له بعد، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال: \*

**{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}** [آل عمران:

١٣٣] فانتبه فزعا، وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة.

فخرج من ملكه، وقصد هذا الجبل، فعبده الله فيه حتى مات.(١)

### قصه سجنه ﷺ:

قال أبو صالح أنا شعيب قال خرج إبراهيم من بيت المقدس فمر بمسحلة فقالوا عبد قال: نعم قالوا آبق قال نعم قال فذهبوا به فحبسوه في السجن بطبرية قال فجاء رجل يطلب غلاما له آبق من بيت المقدس قال فقيل له إن سملحة كذا وكذا قد أصابوا غلاما آبقا فهو في السجن بطبرية قال فذهب إلى السجن فإذا هو بإبراهيم بن أدهم فقال سبحان الله ما تصنع هنا هنا قال أنا ها هنا ما أحسن مكاني قال فرجع الرجل إلى بيت المقدس فأخبرهم فجاء الناس من بيت المقدس عنقا (٢) واحدا إلى أمير طبرية فقالوا إبراهيم بن أدهم ما يصنع في سجنك قال ما حبسته قالوا بلى فبعث إليه فجاء به فقال له فيما حبست قال مررت بمسحلة فقالوا عبد قلت نعم وأنا عبد الله فقالوا آبق قال قلت نعم وأنا آبق من ذنوبي قال فخلى سبيله(٣)

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٤-٣٩٥)

٢ - أي جماعة

٣ - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٢) تاريخ دمشق - (٦ / ٣١٨)

وفاته رحمته الله:

يقول الذهبي - رحمه الله - قد سقت أخبار إبراهيم في " تاريخي " أزيد مما هنا، وأخباره في: " تاريخ دمشق " ، وفي: " الحلية " ، وتآليف لابن جوصا، وأخباره التي رواها ابن التي، وأشياء. وثقه الدارقطني.

وتوفي سنة اثنتين وستين ومئة، وقبره يزار، وترجمته في " تاريخ دمشق " في ثلاثة وثلاثين ورقة.<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٦)





### الحكم بن المطلب بن عبد الله رحمته الله

**ترجمته رحمته الله :** الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنظب بن الحارث بن عبيد بن عمر

بن مخزوم بن يقظة ابن مرة القرشي المخزومي من أجواد قريش من أهل المدينة، قدم منبج وسكنها مرابطاً إلى أن مات بها، واجتاز بدمشق.

حدث الحكم عن أبيه عن فهيد بن مطرف الغفاري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله سائل: إن عدا علي عادٍ؟

فأمره أن ينهائ ثلاث مرات، قال: فإن أبي؟ فأمره بقتاله. قال: فكيف بنا؟

قال: إن قتلك فأنت في الجنة، وإن قتلتك فهو في النار.

وكان الحكم من سادات قريش ووجوهها، وكان ممدحاً، وله يقول ابن هرمة يمدحه: من الكامل

لا عيب فيك يعاب إلا أنني أمسي عليك من المنون شقيقا

إن القرابة منك يأمل أهلها صلةً ويأمن غلظةً وعقوقا

يجدون وجهك يا بن فرعي مالكٍ سهلاً، إذا غلظ الوجوه، طليقا

حدث نوفل بن عمارة: أن رجلاً من قريش من بني أمية بن عبد شمس، له قدر وخطر، لحقه دين، وكان له مال من نخل وزرع، فخاف أن يباع عليه، فشخص من المدينة يريد الكوفة، يعمد خالد بن عبد الله القسري، وكان والياً لهشام بن عبد الملك على العراق، وكان يبر من قدم عليه من قريش.

فخرج إليه يريده، وأعد له هدايا من طرف المدينة حتى قدم فيد، فأصبح بها، ونظر إلى فسطاط عنده جماعة، فسأل عنه فقيل: الحكم بن المطلب. فلبس نعليه، وخرج حتى دخل عليه، فقام إليه، وتلقاه وأجلسه في صدر فراشه، وسأله عن مخرجه، فأخبره بدينه، وما أراد من إتيان خالد بن عبد الله القسري.

فقال له الحكم: انطلق بنا إلى منزلك، فلو علمت بمقدمك لسبقتك إلى إتيانك، فمضى معه حتى أتى منزله فرأى الهدايا التي أعدل خالد، فتحدث معه ساعة، ثم قال له: إن منزلنا أحضر عدة، وأنت مسافر ونحن مقيمون، فأقسمت عليك إلا قمت معي إلى المنزل وجعلت لنا من هذه الهدايا نصيباً. فقام معه الرجل فقال: خذ منها ما أحببت، فأمر بها فحملت كلها إلى منزله، وجعل الرجل يستحي أن يمنعه منها شيئاً حتى صار معه إلى المنزل، فدعا بالغداء وأمر بالهدايا ففتحت فأكل منها ومن حضره، ثم أمر ببعضها فرفع إلى خزانته.

وقام ثم أقبل على الرجل فقال: أنا أولى بك من خالد وأقرب إليك رحماً ومنزلاً، وههنا مال الغارمين أنت أولى به، ليس لأحد عليك فيه منة إلا الله، تقضي به دينك، ثم دعا له بثلاثة آلاف دينار فدفعها إليه وقال: قد قرب الله عليك الخطوة، فانصرف إلى أهلك مصاحباً محفوظاً.

فقام الرجل من عنده يدعو له ويشكر، فلم يكن له همة إلا الرجوع إلى أهله، فانطلق الحكم يشيعه، فسار معه شيئاً، ثم قال له: كأني بزوجتك قد قالت لك: أين طرائف العراق، بزها وخزها وعراضاتها؟ أما كان لنا معك نصيب؟ ثم أخرج صرة حملها معه، فيها خمس مئة دينار، فقال: أقسمت عليك إلا جعلت هذه لها عوضاً من هدايا العراق. وودعه وانصرف.

### بره بابيه ﷺ:

وكان الحكم بن المطلب من أبر الناس بأبيه، وكان أبوه المطلب يحب ابناً له يقال له: الحارث، حباً مفرطاً، وكانت بالمدينة جارية مشهورة بالجمال والفراة، فاشتراها الحكم بمال كثير، فقال له أهلها: دعها عندنا حتى نصلح من أمرها ثم نزفها إليك بما تستأهل، فتركها عندهم حتى جهزوها، ثم نقلوها كما تزف العروس إلى زوجها.

وتهيأ الحكم بأحسن ثيابه وتطيب، ثم انطلق فبدأ بأبيه ليراه في تلك الهيئة ويدعو له تبركاً بدعاء أبيه، فدخل عليه وعنده الحارث، فأقبل عليه أبوه فقال: إن لي إليك حاجة فما تقول؟ قال: يا أبة، إنما عبدك فمر بما أحببت. قال: تهب جاريتك هذه للحارث أخيك، وتعطيه ثيابك هذه التي عليك، وتطيبه من طيبك، وتدعه يدخل على هذه الجارية، فإني لا أشك أن نفسه قد تاقت إليها.

قال الحارث: لم تكدر على أخي وتفسد قلبه علي؟ وذهب يريد يحلف، فبدر الحكم فقال: هي حرة إن لم تفعل ما أمرك أبي، فإن قرّة عينه أحب إلي من هذه الجارية، وخلع ثيابه فألبسه إياها، وطيبه من طيبه، وخلاه فذهب إليها.

وجلس المطلب ليلة يتعشى مع إبراهيم بن هشام، ومعه من ولده فيهم الحكم والحارث وغيرهما، فجعل المطلب يأخذ الطعام الطيب من بين يدي ابنه الذي لم نسّم فيضعه بين يدي حارث، فجزع الفتى وقال: ما رأيت كما تصنع بنا قط، وكما تهيننا، فأمر بغلمانهم فأدخلوا، وأمر بابنه ذلك، فجر برجله حتى أخرج من الدار، فقال له الحكم: ما آثرت إلا أحسننا وجهاً، وإنه لأهل للأثرة، فقال له أبوه: لك فلان وفلان حتى وهب له خمسة من رقيقه، فلما خرجوا قال أخو الحكم له: لا جزاك الله خيراً، ما ظننتك إلا ستغضب لي فيخرج بك على مثل حالي. فقال له الحكم: ما أحسنت في قولك، ولا غبطتك بما صرت إليه، فأقول مثل ما قلت.

### محنته وحبسه ﷺ :

استعمل بعض ولاة المدينة الحكم على بعض المساعي فلم يرفع شيئاً، فقال له الوالي: أين الإبل والغنم؟ قال: أكلنا لحومها بالخير، قال: فأين الدنانير والدراهم؟ قال: اعتقدنا بها الصنائع في رقاب الرجال، فحبسه، فأتاه وهو في الحبس بعض ولد نهيك بن أساف الأنصاري فمدحه فقال: من الطويل

خليلي إن الجود في السجن فابكيا على الجود إن سدت علينا مرافقه

نرى عارض المعروف كل عشية وكل ضحى يستن في السجن بارقه

إذا صاح كبلاه طغى فيض بحره لزواره حتى تعوم عرائقه

فأمر له بثلاثة آلاف درهم وهو محبوس.

## جوده وكرمه ﷺ :

وكان الحكم بعد حاله هذه قد تخلص من الدنيا ولزم الثغور حتى مات بالشام، وأمه السيدة بنت جابر بن الأسود بن عوف الزهري، ولما صار إلى منبج وتزهد، رثي يحمل زيتاً في يده ولحماً.

حدث رجل من أهل منبج قال: قدم علينا الحكم بن المطلب ولا مال معه فأغنانا كلنا، فقليل له: كيف ذلك؟ قال: علمنا مكارم الأخلاق، فعاد غنياً على فقيرنا فغنياً كلنا.

قال العتبي: قيل لنصيب: هرم شعرك، قال: لا، ولكن هرم الجود والمعروف، لقد مدحت الحكم بن المطلب بقصيدة فأعطاني أربع مئة شاة، وأربعمئة دينار، وأربع مئة ناقة.

قال العتبي: وأعطى الحكم كل شيء يملكه، حتى إذا نفذ ما عنده، ركب فرسه وأخذ رمحه يريد الغزو، فمات بمنبج.

وفيه يقول ابن هرمة الشاعر: من البسيط

سألاً عن الجود والمعروف أين هما ؟ فقلت: إنهما ماتا مع الحكم

ماتا مع الرجل الموفى بدمته يوم الحفاظ إذا لم يوف بالدم

ماذا بمنبج لو تنشر مقابرها من التهدم بالمعروف والكرم

## وفاته ﷺ :

قال الحمصي: كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب عند موته، فلقي من الموت شدة، فقلت: أو قال رجل ممن حضره وهو في غشية: اللهم هون عليه فإنه كان وكان، يثني عليه قال: فأفاق فقال: من المتكلم؟ فقال المتكلم: أنا. فقال: إن ملك الموت يقول لك: إني بكل سخي رفيق، فكأنما كانت فتيلة أطفئت.)<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - مختصر تاريخ دمشق - (٢ / ٤٧٠-٤٧٢)



### وكيع ابن الجراح، بن مليح رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** (١) وكيع ابن الجراح، بن مليح، بن عدي، بن فرس، بن جمجمة، بن سفيان، بن الحارث، بن عمرو، بن عبيد، بن رؤاس، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الإعلام.

**مولده رحمته الله** : ولد سنة تسع وعشرين ومئة، قاله أحمد بن حنبل.

وقال خليفة وهارون بن حاتم: ولد سنة ثمان وعشرين.

واشتغل في الصغر.

وكان من بحور العلم وأئمة الحفظ.

وكان والده ناظرا على بيت المال بالكوفة، وله هيبة وجلالة.

وروي عن يحيى بن أيوب المقابري، قال: ورث وكيع من أمه مئة ألف درهم.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٩ / ص ١٤٠) التاريخ لابن معين: ٦٣٠، طبقات ابن سعد ٦ / ٣٩٤، تاريخ خليفة: ٤٦٧، التاريخ الكبير ٨ / ١٧٩، التاريخ الصغير ٢ / ٢٨١، المعارف: ٥٠٧، تاريخ الفسوي ١ / ١٧٥، ١٧٦، ١٨٤، تاريخ دمشق لأبي زرعة ١ / ٣٠٣ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٢ / ٧٢٥، الجرح والتعديل ١ / ٢١٩، مشاهير علماء الأمصار ١٣٧٤، حلية الأولياء ٨ / ٣٦٨، فهرست ابن النديم ١ / ٢٢٦، تاريخ بغداد ١٣ / ٤٦٦ - ٤٨١، تهذيب الأسماء واللغات: ٢ / ١٤٤، تهذيب الكمال ١٤٦٢، تهذيب التهذيب ٤ / ٣١ و ١، العبر ١ / ٣٢٤، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٠٦، الكاشف ٣ / ٢٣٧، دول الإسلام ١ / ١٢٤، ميزان الاعتدال ٤ / ٣٣٥، ٣٣٦، شرح العلل ١ / ٢٠٠، تهذيب التهذيب ١١ / ١٢٣، النجوم الزاهرة ٢ / ١٥٣، طبقات الحفاظ: ١٢٧، خلاصة تهذيب الكمال ٤١٥، مفتاح السعادة ٢ / ١١٧، الجواهر المضية ٢ / ٢٨٠، شذرات الذهب ١ / ٣٤٩.

### ثناء العلماء عليه رحمهم الله :

قال يحيى بن يمان: لما مات سفيان الثوري، جلس وكيع موضعه.

قال القعنبى: كان عند حماد بن زيد، فلما خرج وكيع، قالوا: هذا راوية سفيان، قال حماد: إن شئتم، قلت: أرجح من سفيان.

قال الفضل بن محمد الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: صحبت وكيعا في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختتم القرآن كل ليلة.

**يقول الذهبي قلت (١)** هذه عبادة يخضع لها، ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة، فقد صح نهيه عليه السلام عن صوم الدهر، وصح أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث والدين يسر، ومتابعة السنة أولى، فرضي الله عن وكيع، وأين مثل وكيع؟ ! ومع هذا فكان ملازما لشرب نبيذ الكوفة الذي يسكر الإكثار منه فكان متأولا في شربه، ولو تركه تورعا، لكان أولى به، فإن من توقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، وقد صح النهي والتحريم للنبيذ المذكور (٢)، وليس هذا موضع هذه الأمور، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، فلا قدوة في خطأ العالم، نعم، ولا يوبخ بما فعله باجتهاد، نسأل الله المسامحة.

**قال يحيى بن معين:** وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه.

**وقال أحمد بن حنبل:** ما رأيت أحدا أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع.

قلت: كان أحمد يعظم وكيعا ويفخمه.

قال محمد بن عامر المصيصي: سألت أحمد: وكيع أحب إليك أو يحيى بن سعيد؟

فقال: وكيع، قلت: كيف فضلته على يحيى، ويحيى ومكانه من العلم والحفظ والإتقان ما قد علمت؟

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٩ / ص ١٤٣)

٢ - فقد أخرج أبو داود (٣٦٨١) في الأشربة: باب النهي عن المسكر، والترمذي (١٨٦٦) في الأشربة: باب ما جاء كل مسكر حرام، كلاهما عن قتيبة، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن بكر بن داود بن أبي الفرات، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أسكر كثيره فقليله حرام ".

قال: وكيع كان صديقاً لحفص بن غياث، فلما ولي القضاء، هجره، وإن يحيى كان صديقاً لمعاذ بن معاذ، فلما ولي القضاء، لم يهجره يحيى.

**وقال محمد بن علي الوراق:** عرض القضاء على وكيع، فامتنع.

محمد بن سلام البيكندي: سمعت وكيعاً يقول: من طلب الحديث كما جاء، فهو صاحب سنة، ومن طلبه ليقوي به رأيه، فهو صاحب بدعة.

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: قد حدث وكيع بدمشق،

فأخذ عنه هشام بن عمار، وابن ذكوان.

قال أحمد بن أبي خيثمة: حدثنا محمد بن يزيد، حدثني حسين أخو زيدان قال: كنت مع وكيع، فأقبلنا جميعاً من المصيصة أو طرسوس، فأتينا الشام، فما أتينا بلداً إلا استقبلنا واليها، وشهدنا الجمعة بدمشق، فلما سلم الإمام، أطافوا بوكيع، فما انصرف إلى أهله يعني إلى الليل.

قال: فحدث به مليحاً ابنه، فقال: رأيت في جسد أبي آثار خضرة مما زحم ذلك اليوم.

قال محمد بن عبد الله بن عمار: أحرم وكيع من بيت المقدس (١).

وقال محمد بن سعد: كان وكيع ثقة مأموناً عالياً رفيعاً كثير الحديث حجة.

قال محمود بن غيلان: قال لي وكيع: اختلفت إلى الأعمش سنين.

وقال محمد بن خلف التيمي: أخبرنا وكيع قال: أتيت الأعمش، فقلت: حدثني.

قال: ما أسمك؟ قلت: وكيع.

قال: اسم نبيل.

ما أحسب إلا سيكون لك نبأ، أين تنزل من الكوفة؟

قلت: في بني رؤاس.

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٩ / ص ١٤٥)

قال: أين من منزل الجراح بن مليح؟

قلت: ذاك أبي، وكان على بيت المال، قال لي: اذهب، فجنّني بعطائي، وتعال حتى أحدثك بخمسة أحاديث.

فجنّنت إلى أبي، فأخبرته، قال: خذ نصف العطاء، واذهب، فإذا حدثك بالخمسة، فخذ النصف الآخر حتى تكون عشرة، فأتيته بنصف عطائه، فوضعه في كفه، وقال: هكذا؟

ثم سكت، فقلت: حدثني، فأملني علي حديثين، فقلت: وعدتني بخمسة.

قال: فأين الدراهم كلها؟

أحسب أن أباك [ أمرك ] بهذا، ولم يدر أن الأعمش مدرب، قد شهد الوقائع؟

اذهب فجنّني بتمامه، فحدثني بخمسة، فكان إذا كان كل شهر، جنّته بعطائه، فحدثني بخمسة أحاديث.

قال قاسم بن يزيد الجرمي: كان الثوري يدعو وكيعا، وهو غلام فيقول: يا رؤاسي! تعال، أي شيء سمعت؟

فيقول: حدثني فلان بكذا، وسفيان يتبسم، ويتعجب من حفظه.

قال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث من وكيع، وكان جهبذا، سمعته يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة سنة إلا في صحيفة يوما، فقلت له: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها.

**عبادته ﷺ :**

لقد كان **ﷺ** من العباد الذين وجدوا للعبادة لذة و حلاوة و قد يتعاون هو واهل بيته على طاعة الله تعالى

قال يحيى بن أيوب، حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه، أن وكيعا كان لا ينام حتى يقرأ جزءه من كل ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل، فيقرأ المفصل، ثم يجلس، فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر.



عن إبراهيم بن وكيع، قال: كان أبي يصلي، فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى حتى جارية لنا سوداء.

عباس: حدثنا يحيى بن معين: سمعت وكيعا يقول كثيرا: وأي يوم لنا من الموت؟ ورأيت أنه أخذ في كتاب "الزهد" يقرؤه، فلما بلغ حديثا منه، ترك الكتاب، ثم قام، فلم يحدث، فلما كان من الغد، وأخذ فيه، بلغ ذلك المكان، قام أيضا، ولم يحدث، حتى صنع ذلك ثلاثة أيام.

قلت ليحيى: وأي حديث هو؟ قال: حديث "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" (١).

قال ابن عمار: كان وكيع يصوم الدهر، ويفطر يوم الشك والعيد، وأخبرت أنه كان يشتكي إذا أفطر في هذه الأيام.

وعن سفيان بن وكيع، قال: كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف، فيقبل، ثم يصلي الظهر، ويقصد الطريق إلى المشرفة التي يصعد منها أصحاب الروايا (٢)، فيريحون نواضحهم، فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده، فيصلي العصر، ثم يجلس يدرس القرآن ويذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله، فيقدم إليه إفطاره، وكان يفطر على نحو عشرة أرطال (٣) من الطعام، ثم تقدم إليه قرابة فيها نحو من عشرة أرطال من نبيذ، فيشرب منها ما طاب له على طعامه، ثم يجعلها بين يديه، ثم يقوم فيصلي ورده من الليل، كلما صلى شيئا شرب منها حتى ينفدها، ثم ينام.

### رفضه القضاء ﷺ :

ولقد طلب منه الخليفة الرشيد أن يتولى القضاء ولكنه يعلم أن القضاء أمانة ومسؤولية أمام الله تعالى يوم القيامة فض ذلك وتعلل بعلة، فقد وروى بعض الرواة عن وكيع قال: قال لي الرشيد، إن أهل بلدك طلبوا مني قاضيا.

وقد رأيت أن أشركك في أمانتي وصالح عملي، فخذ عهدك.

١ - "أخرجه البخاري ١١ / ١٩٩، ٢٠٠ وأخرجه الترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤) في الزهد: وأحمد ٢ / ٢٤، و ٤١ عن ابن عمر.

٢ - سير أعلام النبلاء - (ج ٩ / ص ١٤٩)

٣ - بالرطل البغدادي الذي يزن ٣٧٥ غراما تقريبا.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير، وإحدى عيني زاهية، والأخرى ضعيفة. (١)

**محنة وكيع - وهي غريبة** - تورط فيها، ولم يرد إلا خيرا، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع (٢)، فليتق عبد ربه، ولا يخافن إلا ذنبه ".

**قال علي بن خشرم:** حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله البهي، أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: " بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك "، ثم قال البهي: وكان ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه، وانثنت خنصره.

**قال ابن خشرم:** فلما حدث وكيع بهذا بمكة، اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله ! هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث معروف.

**قال سفيان:** ولم أكن سمعته إلا أنني أردت تخليص وكيع.

**قال علي بن خشرم:** سمعت الحديث من وكيع، بعدما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته، وأخبرت أن وكيعا احتج، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عمر، قالوا: لم يمت رسول الله.

فأراد الله أن يريهم آية الموت.

رواها أحمد بن محمد بن علي بن رزين الباشاني قال: حدثنا علي بن خشرم.

وروى الحديث عن وكيع: قتيبة بن سعيد .

فهذه زلة عالم، فما لو كيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الإسناد ! كادت نفسه أن تذهب غلطا، والقائمون عليه معذورون، بل ماجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضا ما لمنصب النبوة، وهو في بادئ الرأي يوهم ذلك، ولكن إذا تأملته، فلا بأس إن شاء الله بذلك، فإن الحي قد يربوا جوفه، وتسترخي مفاصله، وذلك تفرع من الأمراض، و " أشد الناس بلاء الأنبياء "، وإنما المحذور أن تجوز عليه تغير سائر موتى الآدميين ورائحتهم، وأكل الأرض لأجسادهم، والنبي صلى الله

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٩ / ص ١٥١)

٢ - أخرجه أبو داود (٤٩٩٢)، ومسلم (٥)

عليه وسلم فمفارق لسائر أمته في ذلك، فلا يبلى، ولا تأكل الأرض جسده، ولا يتغير ريحه، بل هو الآن، وما زال أطيب ريحا من المسك، وهو حي في لحده حياة مثله في البرزخ، التي هي أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهداء الذين هم بنص الكتاب **{أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}** [آل عمران: ١٦٩] وهؤلاء حياتهم الآن التي في عالم البرزخ حق، ولكن ليست هي حياة الدنيا من كل وجه، ولا حياة أهل الجنة من كل وجه، ولهم شبه بحياة أهل الكهف، ومن ذلك: اجتماع آدم وموسى، لما احتج عليه موسى، وحجه آدم بالعلم السابق كان اجتماعهما حقا، وهما في عالم البرزخ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رأى في السماوات آدم وموسى وإبراهيم وإدريس وعيسى، وسلم عليهم، وطالت محاورته مع موسى، هذا كله حق.

والذي منهم لم يذق الموت بعد هو عيسى عليه السلام، فقد تبرهن لك أن نبيا صلى الله عليه وسلم ما زال طيبا مطيبا، وأن الأرض محرم عليها أكل أجساد الأنبياء، وهذا شئ سبيله التوقيف، وما عنف النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم لما قالوا له بلا علم: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ - يعني قد بليت - فقال: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"

وهذا بحث معترض في الاعتذار عن إمام من أئمة المسلمين، وقد قام في الدفع عنه مثل إمام الحجاز سفيان بن عيينة، ولولا أن هذه الواقعة في عدة كتب، وفي مثل "تاريخ الحافظ ابن عساكر"، وفي "كامل الحافظ ابن عدي" لأعرضت عنها جملة، ففيها عبرة حتى قال

الحافظ يعقوب الفسوي في "تاريخه": "وفي هذه السنة حدث وكيع بمكة، عن ابن أبي خالد، عن البهي فذكر الحديث، ثم قال: فرفع ذلك إلى العثماني، فحبسه، وعزم على قتله، ونصبت خشبة خارج الحرم، وبلغ وكيعا، وهو محبوس.

قال الحارث بن صديق: فدخلت عليه لما بلغني، وقد سبق إليه الخبر، قال: وكان بينه وبين ابن عيينة يومئذ متباعد، فقال لي: ما أرانا إلا قد اضطررنا إلى هذا الرجل، واحتجنا إليه، فقلت: دع هذا عنك، فإن لم يدركك، قتلت، فأرسل إلى سفيان، وفزع إليه، فدخل سفيان على العثماني - يعني متولي مكة - فكلمه فيه، والعثماني يأبى عليه، فقال له سفيان: إني لك ناصح، هذا رجل من أهل العلم، وله عشيرة، وولده بباب أمير المؤمنين، فتشخص لمناظرتهم، قال: فعمل فيه كلام سفيان، فأمر

بإطلاقه، فرجعت إلى وكيع، فأخبرته، فركب حمارا، وحملنا متاعه، وسافر، فدخلت على العثماني من الغد، فقلت: الحمد لله الذي لم تبتل بهذا الرجل، وسلمك الله، قال: يا حارث، ما ندمت على شئ ندامتي على تخليته، خطر ببالي هذه الليلة حديث جابر بن عبد الله قال: حولت أبي والشهداء بعد أربعين سنة فوجدناهم رطابا يثنون لم يتغير منهم شئ<sup>(١)</sup>.

ثم قال الفسوي: فسمعت سعيد بن منصور يقول:

كنا بالمدينة، فكتب أهل مكة إلى أهل المدينة بالذي كان من وكيع، وقالوا: إذا قدم عليكم، فلا تتكلموا على الوالي، وارجموه حتى تقتلوه.

قال: فعرضوا علي ذلك، وبلغنا الذي هم عليه، فبعثنا بريدا إلى وكيع أن لا يأتي المدينة، ويمضي من طريق الربذة، وكان قد جاوز مفرق الطريقين، فلما أتاه البريد، رد، ومضى إلى الكوفة.

ونقل الحافظ ابن عدي في ترجمة عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد أنه هو الذي أفتى بمكة بقتل وكيع.

وقال ابن عدي: أخبرنا محمد بن عيسى المروزي - فيما كتب إلي - قال: حدثنا أبي عيسى بن محمد، قال: حدثنا العباس بن مصعب، حدثنا قتيبة، حدثنا وكيع، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، فساق الحديث، ثم قال قتيبة: حدث وكيع بمكة بهذا سنة حج الرشيد، فقدموه إليه، فدعا الرشيد سفيان بن عيينة وعبد المجيد بن أبي رواد، فأما عبد المجيد، فإنه قال: يجب أن يقتل، فإنه لم يرو هذا إلا من في قلبه غش للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقال سفيان: لا قتل عليه، رجل سمع حديثا، فأرواه، والمدينة شديدة الحر توفي النبي صلى الله عليه وسلم فترك ليلتين، لان القوم في إصلاح أمر الأمة، واختلفت قريش والأنصار، فمن ذلك تغير.

قال قتيبة: فكان وكيع إذا ذكر فعل عبد المجيد، قال: ذاك جاهل، سمع حديثا لم يعرف وجهه، فتكلم بما تكلم<sup>(٢)</sup>.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٩ / ص ١٦٣) أخرجه ابن سعد في " الطبقات " ٣ / ٥٦٣ وانظر " فتح الباري " ٣ / ١٧٢، ١٧٤.

<sup>٢</sup> - " الكامل " لابن عدي: ٦٥٤،

قلت : فرضنا أنه ما فهم توجيه الحديث على ما تزعم ، أفمالك عقل وورع ؟ أما سمعت قول الإمام علي : حدثوا الناس بما يعرفون ، : " ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم ."

ثم إن وكيعا بعدها تجاسر وحج ، وأدركه الأجل بفيد (١)



١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٩ / ص ١٥٩-١٦٢)

## موسى بن جعفر بن محمد رحمهم الله

ترجمته رحمهم الله (١) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي

الهاشمي العلوي، أبو الحسن المدني الكاظم.

وأقدمه المهدي بغداد، ثم رده إلى المدينة وأقام بها إلى أيام الرشيد، فقدم هارون منصوراً من عمرة شهر رمضان سنة تسع وسبعين، يعني ومئة، فحمل موسى معه إلى بغداد، وحبسه بها إلى أن توفي في محبسه.

عن الحسن ابن محمد بن يحيى العلوي، قال: حدثني جدي - وهو أبو الحسن الحسين بن علي بن أبي طالب -، قال: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده.

### محنته وحبسه رحمهم الله:

عن الفضل بن الربيع، عن أبيه أنه لما حبس المهدي موسى بن جعفر، رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول: يا محمد **{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ}** [محمد: ٢٢] قال الربيع: فأرسل إلي ليلاً فراعني ذلك، فجننته، فإذا هو يقرأ هذه الآية، وكان أحسن الناس صوتاً، وقال: علي بموسى بن جعفر.

فجننته به، فعانقه وأجلسه إلى جنبه، وقال: يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب في النوم يقرأ علي كذا، فتؤمنني أن تخرج علي أو علي أحد من ولدي؟ فقال: والله لا فعلت ذاك ولا هو من شأني.

<sup>١</sup> - ضعفاء العقيلي، الورقة ٢٠٤، وتاريخ الخطيب: ١٣ / ٢٧، ووفيات الأعيان: ٥ / ٣٠٨ - ٣١٠، وسير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٧٠، والكاشف: ٣ / الترجمة ٥٧٨٢، والعبر: ١ / ٢٨٧، ٣٤٠، وتذهيب التهذيب: ٤ / الورقة ٧٧ وتاريخ الإسلام، الورقة ١٤٧، وميزان الاعتدال: ٤ / الترجمة ٨٨٥٥، ورجال ابن ماجة، ص ١٢، وجامع التحصيل، الترجمة ٨٠٩، ونهاية السؤل، الورقة ٣٨٩، الجرح والتعديل ٨ / ١٣٩، تاريخ بغداد ١٣ / ٢٧، صفوة الصفوة ٢ / ١٠٣، منهاج السنة ٢ / ١١٥ - ١٢٤ تهذيب الكمال (١٣٨٣) عبر الذهبي ١ / ٢٨٧، تاريخ ابن خلدون ٤ / ١١٥ شذرات الذهب ١ / ٣٠٤. والتقريب: ٢ / ٢٨٢، وخلاصة الخزرجي: ٣ / الترجمة ٧٢٥٧، وشذرات الذهب: ١ / ٣٠٤.

قال: صدقت.

يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه إلى أهله إلى المدينة.

قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق.

عن عمار بن أبان، قال: حبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندي بن شاهك (١)، فسأله أخته أن تولى حبسه، وكانت تدين، ففعل.

فكانت تلي خدمته، فحكى لنا أنها قالت: كان إذا صلى العتمة حمد الله عز وجل ومجده ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهياً ويستاك ويأكل، ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة.

فكان هذا دأبه، فكانت أخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل.

وكان عبداً صالحاً.

عن أحمد بن إسماعيل، قال: بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس برسالة كانت: انه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى ينقضي جميعاً إلى يوم

ليس له انقضاء يخسر فيه المبتلون

عن إبراهيم بن عبد السلام بن السندي بن شاهك، عن أبيه، قال: كان موسى بن جعفر عندنا محبوساً، فلما مات بعثنا إلى جماعة من العدول من الكرخ، فأدخلناهم عليه، فأشهدناهم على موته، واحسبه قال: ودفن في مقابر الشونيزيين

قال محمد بن صدقة العنبري: توفي موسى بن جعفر بن محمد بن علي سنة ثلاث وثمانين ومئة.

قال غيره: لخمس بقين من رجب.

وقد تقدم ذكر مولده في أوائل الترجمة (١)

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٦ / ص ٢٧٠-٢٧٤) تهذيب الكمال - (٢٩ / ٥٠)

## الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى رحمته الله

**ترجمته رحمته الله:** الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن مفضل ابن حجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى المنصور ابن أحمد الناصر بن يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الإمام الكبير المصنف في جميع العلوم

**مولده و رحلته العلمية رحمته الله:** ولد بمدينة دمار يوم الاثنين لعله سابع شهر رجب سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة قرأ في علم العربية فلبث في قراءة النحو والتصريف والمعاني والبيان قدر سبع سنين وبرع في هذه العلوم الثلاثة وفاق غيره من أبناء زمانه ثم أخذ في علم الكلام على صنوه الهادي وعلي القاضي يحيى بن محمد المدحجي فسمع على الآخر الخلاصة وحفظ الغياضة ثم شرح الأصول للسيد ما نكديم ثم أخذ في علم اللطيف فقرأ تذكرة ابن متويه على القاضي المذكور مرة ثم على القاضي علي بن عبد الله بن أبي الخير مرة أخرى ثم قرأ عليه المحيط والمعتمد لأبي الحسين البصري ومنتهى السؤل وسمع على الفقيه علي بن صالح السيرة النبوية ونظام الغريب ومقامات الحريري وعلي المقرئ المعروف بابن النساخ الكشاف وعلي أخيه الهادي المتقدم علم الفقه وقرأ غير ذلك وتبحر في العلوم واشتهر فضله وبعد صيته وصنف التصانيف

**مؤلفاته رحمته الله:** ففي أصول الدين نكت الفرائد في معرفة الملك الواحد والقلائد وشرحها الدرر الفرائد والملل وشرحها الأمنية والأمل ورياضة الأفهام في لطيف الكلام وشرحها دماغ الأوهام وفي أصول الفقه كتاب الفصول في معاني جوهرة الأصول ومعياري العقول وشرحه منهاج الوصول وفي علم النحو الكوكب الزاهر شرح مقدمة طاهر والشافية شرح الكافية والمكمل بفرائد معاني المفصل وتاج علوم الأدب في قانون كلام العرب وإكليل التاج وجوهرة الوهاج وفي الفقه الأزهار وشرحه الغيث المدرار في أربعة مجلدات والبحر الزخار في مجلدين وفي الحديث كتاب الأنوار في الآثار الناصة على مسائل الأزهار في مجلد لطيف وكتاب القمر النوار في الرد على المرخصين في الملاهي والمزمار وفي علم الطريقة تكملة الأحكام وفي الفرائض كتاب الفائض وفي المنطق القسطاس وفي التاريخ الجواهر والدرر وشرحها يواقيت السير وقد انتفع الناس بمصنفاته لا سيما الفقهية فان عمدة زيدية اليمن في جميع جهاته على الإزهار وشرحه والبحر الزخار



## مبايعته ومحنته ﷺ :

ولما اشتهرت فضائله وكثرت مناقبه بايعه الناس عند موت الإمام الناصر في شهر شوال سنة ٧٩٣ بمدينة صنعاء بمسجد جمال الدين ثم خرجوا إلى بيت بوس فترجح لأهل بيت بوس أن تكون الدعوة من مكانهم وأظهروا الكلام والتنصير فبادر رجل من صنعاء فوجد أهل صنعاء في صلاة الجمعة وقد كانت وقعت المبايعة بالليل لولد الإمام الناصر وهو الإمام المنصور على بن صلاح الدين فلما بلغهم ذلك انزعجوا وجعلوا مخرجهم من الجامع إلى حصار بيت بوس فأحاطوا به ووقع القتال فقتل من أهل بيت بوس نحو عشرة ومن جيش المنصور على بن صلاح قدر خمسين في ثلاثة عشر يوما ثم وقع الصلح بين الجميع على أن يرجعوا إلى ما يقوله العلماء ورجعوا جميعا إلى صنعاء ومعهم صاحب الترجمة فلما وصلوا إلى صنعاء لم يحصل منهم الوفاء بما وقع عليه التصالح فرجع من ناحية باب شعوب هو وسبعة أنفار في الليل ووصلوا إلى بني شهاب فأجابوا دعوته وامثلوا أمره ومضت أوامره هنالك وجرت أحكامه فأخرج المنصور إلى قتاله بعض المتقدمين من أمرائه فكان النصر لصاحب الترجمة ثم استخلف على جهات أنس السيد على بن أبي الفضائل وعزم ووصلته الكتب من أهل الجهات العليا ومن الإشراف آل يحيى وأهل الظاهر واستدعوه للنهوض إلى صعدة فما وصل إلى محيب من جهة ناحية حضور لقيه العلماء والقبائل ثم وصلته رسل الأمراء بني تاج الدين أهل الطويلة وكوكبان فتقدم إلى الطويلة وصلحت جميع تلك الجهات ودخلت تحت طاعته فلما علم المنصور وأمرؤه بذلك خافوا منه على صعدة فراسلوا السيد على بن أبي الفضائل بأنهم لا يريدون إلا الحق وأنهم مع اختلاف الكلمة يخافون على البلاد من سلطان اليمن وعرفوه أنه يسترجع الإمام فوصلت إليه كتب السيد يستنفضه ويحرج عليه بأنه لا يجوز التأخر ساعة واحدة فرجع فلم يقع الوفاء بما وعده المنصور فأقام الإمام في رصابه ثم خرج جيش من صنعاء من جيش المنصور على غرة فلم يشعر الإمام إلا وقد أحاطوا به فلما علم أنه لا طاقة له بهم وقع الصلح على سلامة من معه من العلماء وسائر أصحابه ويخرج هو إليهم يذهبون به معهم فلما صار في جامع معبر نقضوا عهدهم وقتلوا من كان في الدار وكان في المقتولين ثمانية من الفقهاء وسلم منهم جماعة فأسروا معه ودخلوا بهم دمار دخلة منكرا ثم قيدوه وقيدوا معه السيد على بن الهادي ابن المهدي والفقهاء سليمان وغيرهم بقيود ثقيلة وأطلقوا بقية الفقهاء ثم ساروا إلى صنعاء فلما قربوا منها أحاط بهم السفهاء يؤذونهم بالكلام وهم في المحمل فقال الفقهاء سليمان أدع عليهم فرفع سجاف المحمل وسلم عليهم فلما رأوه كفوا عن الأذية ودعوا الله أن ينفعهم به ثم سجن بقصر صنعاء من سنة ٧٩٤ إلى سنة

٨٠١ وفى الحبس صنف الأزهار ثم خرج بعناية من الذين وضعوا لحفظه وكان خروجه بين المغرب والعشاء وسار إلى هجرة العين ثم طلع في جوف الليل إلى حصن ثلا وطلب الناس منه إظهار الأمر الذي كان عليه فرجح التأخير حتى يختبرهم ثم بعد ذلك تقدم على صعدته مع على بن المؤيد وقد دعا في أيام حبسه فافتتحتا صعدته ثم قدم المنصور بعض أمرائه ثم تلاشى الأمر وتثبط الناس عن نصرته فأراح قلبه عن التعلق بهذا الأمر وعكف على التصنيف واكب على العلم حتى توفاه الله تعالى في شهر القعدة سنة ٨٤٠ أربعين وثمان مائة بالطاعون الكبير الذي مات منه أكثر الأعيان وقبره بظفير حجه مشهور مزورومات المنصور على بن صلاح في هذه السنة في شهر (١)



<sup>١</sup> - تابع البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٠٠١ - (١ / ١١٢-١١٥)

## يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسره رحمته الله

**ترجمته رحمته الله (١)** يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسره ابن حفص بن حيان الصدي. أبو موسى من آل خالد بن يزيد ابن السيد الصدي. سمع من ابن عيينة، وابن وهب، وأشهب، ومعن بن عيسى، والوليد بن مسلم، ووكيع، وعبد الله بن نافع الصايغ والشافعي، وسفيان بن عيينة. وروى عن العلا بن عاصم، وبشر بن بكر، وقرأ على ورش، وصقلاب وغيرهما. كان أحد الرواة المشهورين، رحل إليه الناس، فسمعوا منه، وطال عمره. قال ابن أبي دليم: وكان ثقة حافظاً، سمع منه أبو زرعة، وأبو حاتم، وابنه، ومحمد بن عبد الله الأنصاري وأبو بكر بن خزيمة، وأبو جعفر الصدي، وأحمد بن محمد الواسطي، ومحمد بن الربيع، ويونس بن سهل، وأحمد بن كامل، وفتح بن شجر، وأبو بكر النيسابوري، ومسلم بن الحجاج، وخرج عنه، ومن الأندلسيين: سعيد بن عثمان، والأعشاب، وابن خمير، ومحمد بن وليد بن أسلم بن عبد العزيز القاضي.

### منزلته وثناء العلماء عليه رحمته الله:

قال أبو حاتم الرازي: قدمت مصر، فلقيت أبا الطاهر بن السراج فقال لي: كم لك هنا؟ قلت شهراً. قال لقيت يونس أبا موسى؟ قلت: لا. فأنكر ذلك علي، وجعل يعظم من شأنه. وقال أبو حاتم الرازي: هو ثقة. ورفع من شأنه.

قال الباجي: هو من أجل أصحاب ابن وهب.

قال الطبري: كان فقيهاً وكان شديد التقشف في أول أمره، مقبولاً عند القضاة.

قال ابن عثارة: قال لي أبي، ما يدخل من باب المسجد أعقل من يونس.

وقال يحيى بن حسان: يونسكم هذا من أركان الإسلام.

<sup>١</sup> - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٢٧١) الأعلام للزركلي - (ج ٨ / ص ٢٦١) وفيات الأعيان - (ج ٣ / ص ١٣٧) وفي الفوات ١ : ٥٢٦ وتذكرة الحفاظ: ٨٩٨ وعبر الذهبي ٢ : ٢٧٦ والشدرات ٢ : ٣٧٥ وحسن المحاضرة ١ : ١٤٧ والرسالة المستطرفة: ١٣٣ معجم المؤلفين - (ج ٥ / ص ١٢٣) المنتظم - (ج ٣ / ص ٤٧١)

قال النسائي : هو أوثق أصحاب ابن وهب. قال : وكان فقيراً ، وأقطعه محفوظ أرضاً. فكان يزرعها ولا يأخذ منه خراجاً. أقام على ذلك سنين كثيرة. فكان ذلك أول غناه ، ولما حكم الحارث بن مسكين ، بإخراج بني البنات من حبس بني السائح ، وتشكوا الى المتوكل ، وأفتى أهل العراق بفسخ حكمه ، واستغفر الحارث على ما ذكرناه ،

وولي القضاء بكار بن قتيبة ، ورد كتاب المتوكل عليه في النظر في حكم الحارث ، في هذه القضية ، وأحضر يونس لها. فاستعظم بكار فسخ القضية ، إذ حكم الحارث فيها بمذهب أصحابه المدنيين. فلم يزل به يونس حتى جهر بالحكم ، بفسخها. قال يونس : قال لي الحارث : ما علمت أحداً اختلف إلى الشافعي ، شق علي كما شق اختلافك عليه .

قال يونس : إنما أخذت عنه من أحكام القرآن كتاباً واحداً.

### استجابة دعوته ﷺ :

قال يونس : وجدت غير شيء ، فرأيت في المنام قائلاً يقول : اسم الله الأكبر لا إله إلا الله. فقلتها عليه ، ومسحت بيدي ، فأصبحت معافاً.

وقال ابن بكير لرجل شكاً إليه الفقر : ألا أتيت يونس ، فدعاك ، فوالله إنني لأجد له بركة

### محنته ﷺ :

قال الكندي ، عن ابن عثمان : كان جعفر بن قادم ، أوصى إلى يونس وكان ذا مال عريض ، فحبسه إبراهيم بن الجراح ، حتى استخرجها من يده. وقال غيره : أوصى أحمد بن أبي أمية ، إلى يونس وثلاثة معه ، بمال. فصرف اثنان منهم إلى يونس ، وصيتهما. فطولب يونس بها عند ابن أبي الليث. فسجنه في ذلك. فيقال إنه بقي في السجن ثمان سنين من سنة ثمان وعشرين إلى سنة خمس وثلاثين. فلما قدم قوصرة ، من عند المتوكل ، ليكشف أمر أبي الليث ، قيل له : إئت يونساً يشهد عليه وهو في سجنه. فأخرجه وسأله عنه ، فقال : ما علمت إلا خيراً. قيل إنه في سجنك منذ كذا وكذا سنة. قال لم يظلمني هو ، إذ ظلمني من شهد علي بخلاف قوصرة. ودخل يونس إلى منزله ، فلما أخرج ابن أبي الليث من السجن ليحكم في قصة بني عبد الحكم ، وحكم عليهم. راعى يونس مقاله ، وحكم له أنه بريء من تلك الوصية. وكانت عدتها ثلاثة وثلاثين ألف دينار

**وفاته ﷺ** : وكانت وفاته يوم الأحد ودفن يوم الاثنين لست وعشرين ليلة خلت من جمادى الآخرة

سنة سبع وأربعين وثلثمائة، رحمه الله تعالى، وصلى عليه أبو القاسم ابن الحجاج، ورثاه أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله بن سليمان الخولاني الخشّاب المصري النحوي العروضي بقوله :

بثّثت علمك تشريقاً وتغريباً وعدت بعد لذيق العيش مندوبا

أبا سعيد وما نألوك أن نشرت عنك الدواوين تصديقاً وتصويبا

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه حتى رأيناك في التاريخ مـكتوبا

أرخت موتك في ذكرى وفي صحفي لمن يؤرخني إذ كنت محسوبا

نشرت عن مصر من سكانها علماً مـبجلاً بجمال القوم منصوبا

كشفت عن فخرهم للناس وما سـجعت ورق الحمام على الأغصان تطريبا

أعربت عن عرب نقبت عن نجـب سارت مناقبهم في الناس تنقيبا

أنشرت ميتهم حياً بنسبته حتى كأن لم يمـت إذ كان منسوبا

إن المكارم للإحسان موجبة وفيك قد ركبت يا عبد تـركيبا

حجبت عنا وما الدنيا بمظهرة شخصاً وإن جلّ إلا عاد محجوبا

كذلك الموت لا يبقى على أحدٍ مدى الليالي من الأحباب مـحـبـوبا<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - وفيات الأعيان - (ج ٣ / ص ١٣٧)

## يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي رحمته الله

ترجمته (١) حيكان يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي، من ذهل بن شيبان، أبو زكريا، الملقب بحيكان:

**مكانته ومحنته رحمته الله** : إمام أهل الحديث بنيسابور، وابن إمامهم. سافر إلى العراق، وسمع من أحمد بن حنبل وغيره. ثم كان أمير المطوعة المجاهدين، والمقدم على الغزاة بنيسابور، فدخلها خارجي يدعي

” أحمد بن عبد الله الخجستاني ” وغلب عليها، فقاتله حيكان، وفر من معه، فسجنه الخجستاني ثم دخل عليه وقتله في سجنه (٢).

يقول الذهبي عنه : الحافظ المجود الشهيد، أبو زكريا.

قال الحاكم: هو إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة، وابن إمامها، وأمير المطوعة بخراسان بلا مدافعة، يعني: الغزاة.

قال: وكان يسكن دار أبيه، ولكل منهما فيها صومعة وآثار لعبادتهما، والسكة والمسجد منسوبان إلى حيكان (٣).

قتله أحمد بن عبد الله الخجستاني (٤) ظلما في جمادى الآخرة سنة سبع وستين ومئتين، لكونه قام عليه، وحاربه لاعتدائه وعسفه.

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ١٢ / ص ٢٨٥) الجرح والتعديل ٩ / ١٨٦، تاريخ بغداد ١٤ / ٢١٧، ٢١٩، تهذيب الكمال: ١٥١٦، ١٥١٧، تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٥، ١، تذكرة الحفاظ ٢ / ٦١٦، ٦١٨، ميزان الاعتدال ٤ / ٤٠٧، العبر ٢ / ٣٦، تاريخ ابن كثير ١١ / ٤٢، تهذيب التهذيب ١١ / ٢٧٦، ٢٧٨، النجوم الزاهرة ٣ / ٤٣، خلاصة تهذيب الكمال: ٤٢٨، شذرات الذهب ٢ / ١٥٢، المنتظم ٥ / ٦٢. الأعلام للزركلي - (٨ / ١٦٤)

٢ - مرآة الجنان ٢: ١٨١ وتهذيب التهذيب ١١: ٢٧٦ والتاج ٧: ١٢٥ والنجوم ٣: ٤٣.

٣ - سير أعلام النبلاء - (ج ١٢ / ص ٢٨٥) ” تذكرة الحفاظ ” ٢ / ٦١٧، و ” النجوم الزاهرة ” ٣ / ٤٣.

٤ - والخجستاني الأمير هو أحمد بن عبد الله، كان جبارا ظلما غاشما من أتباع يعقوب بن الليث الصفار، ثم خرج عن طاعته. انظر أخباره في ” تاريخ الطبري ” حوادث ٢٦٦ وما بعدها، و ” الكامل ” في التاريخ ٧ / ٢٩٦.

قال الحاكم: سمعت أبا علي محمد بن أحمد بن زيد العدل، ختن حيكان على ابنته، قال: دخلنا على أبي زكريا بعد أن رد من الطريق وهو في الحبس، فقال لنا: اشترك في دمي خمسة نفر: العباسان، وابن ياسين، وبشرويه، وأحمد بن نصر اللباد.

عن أحمد بن عبد الله الخجستاني يقول: دخلت على حيكان في محبسه الذي كنت حبسته فيه على أن أضربه خشبان، وأخلي سبيله، وما كنت عازما على قتله، فلما قربت منه، مددت يدي إلى لحيته، فقبضت عليها، فقبض على خصبي، حتى لم أشك أنه قاتلي، فذكرت سكيننا في خفي، فجردت السكين، وشققت بطنه (١).

وقيل: إن حيكان أسلمه جموعه، فانهزم، وانضم إلى حمالين، وتنكر، ثم عرف، فقبض عليه.

عن سمعت أبا عمرو المستملي قال: رأيت يحيى بن محمد رضي الله عنه في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي: قلت: فما فعل الخجستاني؟ قال: هو في تابوت من نار، والمفتاح بيدي.

وسمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول: لما قتل حيكان ترك أبو عمرو المستملي اللباس القطني، وكان يلبس في الشتاء فروا بلا قميص، وفي الصيف مسحاً، وكان مجلسه ومببته في مسجد الأدميين على رأس سكة الحسن بن موسى بنيسابور، إذ سمع الناس يقولون: قد أقبل أحمد الخجستاني، فخرج المستملي، وعليه الفرو، فتقدم، فأخذ عنان أحمد، ثم قال: يا ظالم قتلت الإمام بن الإمام، العالم بن العالم؟؟؟! فارتعد الخجستاني، ونفرت دابته، فتقدم الرجالة لضربه، فصاح الخجستاني دعوه دعوه، فرجع ودخل المسجد قال محمد بن صالح: فبلغني عن أبي حاتم نوح أنه قال: قال

الخجستاني: والله ما فزعت قط من أحد فزعي من صاحب الفروة، ولقد ندمت لما نظرت إليه من إقدامي على قتل حيكان.

وسمعت محمد بن صالح يقول: حضرنا آخر مجلس للإملاء عند يحيى بن محمد الشهيد في شهر رمضان من سنة سبع وستين ومئتين، وقيل في شوال، ورفضت مجالس الحديث، وخبئت المحابر، حتى لم يقدر أحد في البلد أن يمشي ومعه محبرة، ولا في كمة كرايس الحديث إلى سنة سبعين،

١ - "تذكرة الحفاظ" ٢ / ٦١٧، ٦١٨، و "تهذيب التهذيب" ١١ / ٢٧٧.

فاحتال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل في مجئ السري خزيمة إلى نيسابور، وعقد له مجلس الإملاء في خان محمش، وعلا المحبرة بيده واجتمع عنده خلق عظيم (١).

### عقيدته منهجه ﷺ:

عن محمد بن نعيم قال: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، وحيث تصرف، ولا نرى الكلام فيما أحدثوا فتكلموا في الأصوات والأقلام والحبر والورق، وما أحدثوا من المتلى والمتلى والمقرئ، فكل هذا عندنا بدعة، ومن زعم أن القرآن محدث، فهو عندنا جهمي لا يشك فيه ولا يمتري.

قلت: كذا قال: المتلى والمتلى، ومراده المتلى والتلاوة، والمقرئ والقراءة.

ومذهب السلف وأئمة الدين أن القرآن العظيم المنزل كلام الله تعالى غير مخلوق.

ومذهب المعتزلة أنه مخلوق، وأنه كلام الله تعالى على حد قولهم: عيسى كلمة الله، وناقة الله، أي إضافة ملك.

ومذهب داود وطائفة أنه كلام الله، وأنه محدث مع قولهم: بأنه غير مخلوق وقال آخرون من الحنابلة وغيرهم: هو كلام الله قديم غير محدث، ولا مخلوق.

وقالوا: إذا لم يكن مخلوقا فهو قديم.

ونوزعوا في هذا المعنى وفي إطلاقه.

وقال آخرون: هو كلام الله مجازا، وهو دال على القرآن القديم القائم بالنفس (١).

وهنا بحوث وجدال لا نخوض فيها أصلا.

والقول هو ما بدأنا به، وعليه نص أزيد من ثلاث مئة إمام.

وعليه امتحن الإمام أحمد، وضرب بالسياط رحمه الله.

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ١٢ / ص ٢٨٩)



قال ابن أبي حاتم: سمعت من يحيى بن محمد، وهو صدوق (١).

وقال أبو إسحاق المكي: حدثني أبو علي الحسن بن محمد وغيره أن محمد بن يحيى الذهلي وابنه يحيى اختلفا في مسألة فقال أحدهما

للآخر: اجعل بيننا حكما، فرضيا بآبن خزيمة، ففضى ليحيى على أبيه.

ثم قال المزكي: كان يحيى له موضع من العلم والحديث.

سمع من العيشي ونحوه. (٢)

قال: وقال أبو العباس السراج: كان يحيى بن محمد أخرجه الغزاة وجماعة من أصحاب الحديث، وأصحاب الرأي، وأركبوه دابة، وألبسوه سيفا.

قال المزكي: بلغني أنه كان سيف خشب - وقاتلوا: سلطان نيسابور، يقال له: أحمد بن عبد الله، خارجي، غلب على البلد، وكان ظالما غاشما، وكان الناس أو أكثرهم مجتمعين عليه مع يحيى، فكانت الدبرة على العامة، وهرب يحيى إلى رستاق، يقال له: بست، فدل عليه أحمد بن عبد الله، وجئ به.

فيقال: إن عامة من كان مع يحيى بن الرؤساء، انقلبوا عليه لما واقفه أحمد، وقال: ألم أحسن إليك؟ ألم أفعل، ألم أفعل؟ وكان يحيى فوق جميع أهل البلد.

فقال: أكرهت على ذلك، واجتمعوا علي، قال: فرد عليه الجماعة، أو من حضر منهم، وقالوا: ليس كما قال.

فأخذه أحمد فقتله.

يقال: إنه بنى عليه.

قال: ويقال: إنه أمر بجر خصييه حتى مات (٣).

١ - "الجرح والتعديل" ٩ / ١٨٦، و "تاريخ بغداد" ١٤ / ٢١٧، و "تهذيب التهذيب" ١١ / ٢٧٦.

٢ - "تاريخ بغداد" ١٤ / ٢١٨، و "تهذيب التهذيب" ١١ / ٢٧٦.

٣ - سير أعلام النبلاء - (ج ١٢ / ص ٢٩٤) تاريخ بغداد " ١٤ / ٢١٨.

قال الحاكم: سمعت أبا عبد الله بن الاخرم يقول: ما رأيت مثل حيكان، لا رحم الله قاتله<sup>(١)</sup>.



<sup>١</sup> -سير أعلام النبلاء - (ج ١٢ / ص ٢٩٤) "تاريخ بغداد" ١٤ / ٢١٩، و "تهذيب التهذيب" ١١ / ٢٧٦

## محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري رحمته الله

**ترجمته رحمته الله:** محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرتون

الأنصاري من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم ويعرف بالهنا

**أوليته رحمته الله:**

ينسب إلى القاضي ببطليوس، قاضي القضاة رحمه الله. وبمالقة دور تنسب إلى سلفه تدل على نباهة، وقد قيل غير ذلك. والنص الجلي أولى من القياس.

**حاله رحمته الله:**

من عايد الصلة: الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار السلطانية. صدر نمطه، وفريد فنه، رجولة وجزالة واضطلاحاً وإدراكاً وتجلداً وصبراً. نشأ بمالقة، معدوداً في أهل الطلب والخصوصية، ورحل إلى الحجاز الشريف في فتايه، فاستكثر من الرواية، وأخذ عن أكابر من أهل المشرق والمغرب، حسبما يشهد بذلك برنامجه.

وكان على سنن من السرو والحشمة، فذا في الكفاية، جرياً مقدماً مهيباً، ظريف الشارة، فاره المركب، مليح الشبيبة، حسن الحديث، وقاد الذهن، صابراً على الوظائف، يخلط الخوض في الأمور الدنيوية، بعبادة باهظة، وأوراد ثقيلة، ويجمع ضحك الفاتك، وبكاء الناسك، في حالة واحدة، هشاً، مفرط الحدة، يثرثر عليه مجل لسانه في المجالس السلطانية بما تعروه المندمة بسببه، قائماً على حفظ القرآن وتجويده وتلاوته، ذا خصال حميدة، صناع اليد، مقتدرًا على العمليات من نسخ ومقابلة وحساب، معدوداً من صدور الوقت وأعلام القطر، ورجال الكمال.

**مشيخته رحمته الله:**

أخذ عن الجلة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، لازمه وانتفع به، والخطيب أبي عثمان بن عيسى أخذ عنه، والولي أبي عبد الله الطنجالي، وغيرهم مما يطول ذكرهم من العدو والأندلس والمشاركة.

## محنته ﷺ:

لقي نصباً في الخدمة السلطانية، وغضاً من الدهر لبأوه، بتعنته وعدم مبالاته مرات، ضيق لها سجنه، وعرض عليه النكال، ونيل منه بالإهانة كل منال، وأغرم مالا أجحف بمحتجنه، وعرض للأيدي نفايس كتبه، وعلى ذلك فلم يذعر سربه، ولا أضعفت النكبة جاشه.

ولد عام ثلاثة وسبعين وستماية. ومات ميتة حسنة. صلى الجمعة ظهراً، وقد لزم الفراش، ونفث دم الطاعون، ومات مستقبل القبلة، على أتم وجوه التأهب، سابع شوال من عام خمسين وسبعماية.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - الإحاطة في أخبار غرناطة - (١ / ٤٢٣)

## الحافظ عبد الغني رحمته الله

### ترجمته رحمته الله (١)

إمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري المتبع عالم الحفاظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور ابن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي المنشأ

الصالح الحنبلي، صاحب (الأحكام الكبرى) و (الصغرى)

ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. وهو والشيخ الموفق في عام، وهما أبناء خالة. ولدا بجماعيل.

وحدث بأصبهان، وبغداد، ودمشق ومصر، ودمياط، والإسكندرية.

وكتب ما لا يوصف، وصنف التصانيف المفيدة، ولم يزل يسمع ويسمع ويكتب ويجمع إلى أن توفاه الله تعالى إلى رحمته.

**محبته رحمته الله:** ثم إن الحافظ اعتقل في دار سبع ليالٍ فسمعت التقي أحمد بن العز محمد بن عبد الغني: حدثني الشجاع بن أبي زكري الأمير قال: قال: لي الكامل: ههنا رجل فقيه قالوا إنه كافر. قلت: لا أعرفه. قال: بلى، هو محدث.

فقلت: لعله الحافظ عبد الغني؟ قال: نعم هو هو. فقلت: أيها الملك، العلماء أحدهم يطلب الآخرة، والآخر يطلب الدنيا. وأنت ههنا باب الدنيا، فهذا الرجل جاء إليك، أو أرسل إليك رقعة؟ قال: لا.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٢١ / ص ٤٤٣) والتقييد لابن نقطة، الورقة: ١٥٨، وتاريخ ابن الديبشي، الورقة: ١٧٩ (باريس ١٧٩٢)، ومروءة الزمان: ٨ / ٥١٩ - ٥٢٢، وتكملة المنذري: ٢ / الترجمة: ٧٧٨، وذيل الروضتين: ٤٦، والجامع المختصر لابن الساعي: ٩ / ١٤٠، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد، الورقة: ٤٩ - ٥٠، وتاريخ الإسلام: الورقة: ١٢٧ (باريس ١٥٨٢) والمختصر المحتاج، الورقة: ٨٦، وتذكرة الحفاظ: ٤ / ١٣٧٢ - ١٣٨١، والعبر: ٤ / ٣١٣، ودول الإسلام: ٢ / ٨٠، والبداية والنهاية: ١٣ / ٣٨ - ٣٩، والذيل لابن رجب: ٢ / ٥ - ٣٤، والعسجد المسبوك، الورقة: ١١٠، والفلاحة للدلجي: ٦٨ - ٦٩، وحسن المحاضرة: ١ / ١٦٥، وشذرات الذهب: ٤ / ٣٤٥ - ٣٤٦ وغيرها، وهو صاحب (الكامل في أسماء الرجال) الذي هذبه المزي وزاد عليه زيادات نفيسة، فانظر مقدمتنا للمجلد الأول من (تهذيب الكمال).

قلت: والله هؤلاء يحسدونه. فهل في هذه البلاد أرفع منك؟ قال: لا. فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء. فقال: جزاك الله خيراً كما عرفتني هذا.

وقال أبو المظفر بن الجوزي في تاريخه: اجتمع قاضي دمشق محيي الدين والخطيب ضياء الدين جماعة، وصعدوا إلى متولي القلعة أن عبد الغني قد أضل الناس ويقول بالتشبيه، فعقدوا له مجلساً وأحضره، فناظرهم، وأخذوا عليه مواضع، منها قوله: لا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول ومنها: كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان. ومنها مسألة الحرف والصوت.

فقالوا: إن لم يكن على ما كان، فقد أثبت له المكان. وإذا لم تنزهه تنزيهاً ينفي عنه حقيقة النزول فقد أجزت عليه حقيقة الانتقال. وأما الحرف والصوت فإنه لم يصح عن إمامك فيه شيء وإنما المنقول عنه أنه كلام الله لا غير.

وارتفعت الأصوات، فقال له صارم الدين بزغش والي القلعة: كل هؤلاء على ضلالة، وأنت على الحق؟ قال: نعم. فأمر الأسارى، فنزلوا فكسروا منبره، ومنعوا الحنابلة من الصلاة، ففاتتهم صلاة الظهر.

وقال أبو المظفر في مكان آخر: اجتمع الشافعية، والحنفية، والمالكية. بالملك المعظم بدار العدل، وكان يجلس بها هو والصارم بزغش، فكان ما اشتهر من أمر عبد الغني الحافظ، وإصراره على ما ظهر من اعتقاده، وإجماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره، وأنه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين، فسأل أن يُمهّل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد، فأجيب.

قلت: قوله وإجماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره كلام ناقص، وهو كذب صريح، وإنما أفتى بذلك بعض الشافعية الذين تعصبوا عليه، وأما الشيخ الموفق وأبو اليمن الكندي شيخا الحنفية والحنابلة فكانا معه. ولكن نعوذ بالله من الظلم والجهل.

قال أبو المظفر: وسافر عبد الغني إلى مصر، فنزل عند الحطائين، وصار يقرأ الحديث، فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، فكتبوا إلى ابن شكر الوزير يقولون: قد أفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد. فكتب إلى والي مصر بنفقيه، فمات قبل وصول الكتاب رحمه الله تعالى بمسجد المصنع.

قال: وكان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ورد الإمام أحمد. وكان يقوم الليل عامة دهره، ويحمل ما أمكنه إلى بيوت الأرمال واليتامى سراً. وكان أوحد زمانه في علم الحديث.

وقال الضياء: سمعت بعض أصحابنا يقول: إن الحافظ أمر أن يكتب اعتقاده، فكتب: أقول كذا لقول الله تعالى كذا، وأقول كذا لقول النبي صلى الله عليه وسلم كذا. حتى فرغ من المسائل التي يخالفونه فيها، فلما وقف عليها الملك الكامل قال: أيش أقول في هذا؟ يقول الله وقول رسول الله؟ فخلى عنه.<sup>(١)</sup>

---

<sup>١</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (٩ / ٣٠٤)

## محمد بن عبد الله بن عمار بن سودة أبو جعفر الموصلي رحمته الله

**ترجمته رحمته الله: (١)** محمد بن عبد الله بن عمار بن سودة أبو جعفر الموصلي

**محنته وحبسه رحمته الله:** وكان أبوه عبد الله بن عمرو يدعى المطرف لجماله قال محمد بن سعد كان

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أصغر ولد فاطمة بنت حسين وكان إخوته من أمه يحنون عليه ويحبونه وكان مائلا إليهم لا يفارقهم وكان فيمن أخذ مع محمد وإبراهيم ابني حسن فوافوا بهم أبا جعفر المنصور بالريذة فضربه من بينهم مائة سوط وحبسه معهم بالهاشمية فمات في حبسه وكان كثير الحديث عالما

عن محمد بن معن قال أخذ أبو جعفر محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان في سنة خمس وأربعين وزعموا أنه قتله ليلة جاءه خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طلاب بالمدينة وهو أخوه لأمه

قال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي (مدني يعرف بالديباج روى عن أمه فاطمة بنت حسين روى عنه الدراوردي وعبد الرحمن بن أبي الزناد مات في حبس أبي جعفر المنصور وهو أخو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لأمه)<sup>(٢)</sup>



<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ١١ / ص ٤٦٩) الجرح والتعديل ٧ / ٣٠٢، الكامل لابن عدي، ورقة: ٣١٥، تاريخ بغداد ٥ / ٤١٦، ٤١٧، تهذيب الكمال، ورقة: ١٢٢١، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٩٤، ٤٩٥، ميزان الاعتدال ٣ / ٥٩٦، تهذيب التهذيب ٣ / ٢١٩، الوافي بالوفيات ٣ / ٣٠٤، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٥، ٢٦٦، طبقات الحفاظ: ٢١٥، خلاصة تهذيب الكمال: ٣٤٥، شذرات الذهب ٢ / ١٠١.

<sup>٢</sup> - تاريخ دمشق - (٥٣ / ٣٧٣)



## أحمد بن يحيى بن وزير بن سليمان بن مهاجر رحمه الله

**ترجمته رحمه الله:** أحمد بن يحيى بن وزير بن سليمان بن مهاجر - ن. - أبو عبد الله التجيبي ،

مولاهم المصري الحافظ النحوي ، أحد الأئمة .

روى عن : عبد الله بن وهب ، وشعيب بن الليث ، وأصبع بن الفرج ، وخلق سواهم .

ولد سنة إحدى وسبعين ومائة .

قال أبو عمر الكندي : كان فقيها من أصحاب ابن وهب . كان أعلم أهل زمانه بالشعر والغريب وأيام الناس . وكان يتقبل ، فأنكسر عليه خراج ، فسجنه أحمد بن محمد بن مدبر ، فمات في حبسه في شوال سنة خمسين ، رحمه الله .<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (٤ / ٣٨٩)

## حصين بن مالك أبي الحر بن الخشخاش رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** حصين بن مالك أبي الحر بن الخشخاش بن جناب بن الحارث ابن مجفر ويقال: مجفر، ويقال: حصين بن الحر ويقال: خشخاش بن الحارث ويقال: خشخاش بن مالك بن الحارث ابن أخيف، ولقبه مجفر بن كعب بن العنبر بن عمرو ابن تميم أبو القلوص التميمي العنبري البصري لجدّه ولأبيه مالك وعميه قيس وعبيد وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو جد عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة، وقدم دمشق.

روى حصين بن أبي الحر عن الخشخاش قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعني ابن لي قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يجني عليك ولا تجني عليه.

وروى حصين بن أبي الحر: أن أباه مالكاً وعميه قيساً وعبيداً أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا إليه إغارة رجل من بني عمهم على الناس، فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا كتاب محمد رسول الله لملك وقيس وعبيدة بني الخشخاش، إنكم آمنون مسلمون على دماءكم وأموالكم، لا تؤخذون بجريرة غيركم، ولا تجني عليك إلا أيديكم.

قال عمرو بن عاصم الكلابي: كان حصين بن أبي الحر عاملاً لعمر بن الخطاب على ميسان، وبقي حتى أدرك الحجاج، فأتى به فهم بقتله، ثم قال: لا تطهروه بالقتل، ولكن اطرحوه في السجن حتى يموت، فحبسه حتى مات.

قال الحصين بن أبي الحر: دخلنا على عمران بن حصين فوافقته يتغدى، فقال: هلم، قلت: إني صائم، فقال عمران: لا تصومن يوماً تجعله عليك حتماً إلا شهر رمضان.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - مختصر تاريخ دمشق - (٢ / ٤٥٨)

عبد الله بن حسن بن حسن رحمهم اللهترجمته رحمهم الله عبد الله بن حسن بن حسن<sup>(١)</sup>

قال محمد بن حرب: قال عبد الله بن حسن بن حسن لابنه محمد حين أراد الاختفاء من أبي جعفر المنصور: يا بني، إني مؤد إلى الله حقه علي في نصيحتك، فأد إلى الله حقه عليك في الاستماع والقبول، يا بني، كف الأذى، وأفض الندى، واستعن على السلامة بطول الصمت في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها، فإن الصمت حسن على كل حال، وللمرء ساعات يضر فيهن خطأؤه، ولا ينفع صوابه، اعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة، يا بني، احذر الجاهل وإن كان لك ناصحاً كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً، فيوشك الجاهل أن يورطك بمشورته في بعض اغترارك، فيسبق إليك مكر العاقل، وإياك ومعاداة الرجال، فإنها لا تعدمك مكر حليم أو مبادأة جاهل.

أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن بن حسن فقيده وحبسه في داره. فلما أراد الخروج إلى الحج جلست إليه ابنة لعبد الله بن حسن بن حسن يقال لها فاطمة، فلما مر بها أنشأت تقول:

ارحم كبيراً سنة متهرماً في السجن بين سلاسل وقيود

وارحم صغار بني يزيد إنهم يتموا لفقدك لا لفقد يزيد

إن جدت بالرحم القريبة بيننا ما جدنا من جدكم ببعيد

فقال أبو جعفر: أذكرتني، ثم أمر به فحدر إلى المطبخ فكان آخر العهد به.

قال ابن داحية: يزيد هذا أخ لعبد الله بن حسن، قال إسحاق بن محمد: سألت زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي عن يزيد هذا فقال: لم يقل شيئاً، ليس في ولد علي بن أبي طالب يزيد، إنما هذا شيء تمثلت به، ويزيد ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر.

توفي عبد الله بن حسن بن حسن سنة خمس وأربعين ومئة، بالهاشمية، في حبس المنصور. وعبد الله يومئذ ابن اثنتين وسبعين سنة.

<sup>١</sup> - مختصر تاريخ دمشق - (٤ / ١٦١) التاريخ الكبير - (ج ٥ / ص ٧١) الجرح والتعديل - (ج ٥ / ص ٣٣)

وكان عبد الله ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز في خلافته، ثم أكرمه أبو العباس ووهب له ألف ألف درهم، ومات ببغداد.

وقال الخطيب: هذا وهم، إنما مات بالكوفة، وقيل: كانت سنة ستاً وسبعين سنة.

قال بن سعيد بن سلم الباهلي عن أبيه قال: حدثني من حضر مجلس السفاح وهو أحشد ما يكون ببني هاشم والشعية ووجوه الناس فدخل عبد الله بن حسن بن حسن ومعه مصحف فقال: يا أمير المؤمنين أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف، فأشفق الناس من أن يعجل السفاح عليه بشيء فلا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم أبو يعيا بجوابه فيكون ذلك نقصاً وعاراً عليه، فأقبل غير منزعج فقال: إن جدك علياً كان خيراً مني وأعدل ولي هذا الأمر فأعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيراً منك شيئاً وكان الواجب أن أعطيك مثله فإن كنت فعلت فقد أنصفتك وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك، قال: فما رد عليه جواباً وانصرف وعجب الناس من جوابه له.<sup>(١)</sup>

وقال داود بن عبد الرحمن العطار: رأيت عبد الله بن حسن بن حسن أتى أخاه محمد بن عبد الله بن عمرو فوجده نائماً فأكب عليه فقبله ثم انصرف ولم يوقظه.<sup>(٢)</sup>

يقول ابن كثير — رحمه الله — فمن أعيان أهل البيت عبد الله بن حسن وابناه محمد وإبراهيم، وأخوه حسن بن حسن، وأخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الملقب بالديباج.

وأما أخوه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي فتابعي، روى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسين وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو صحابي جليل، وغيرهم.

وروى عنه جماعة منهم سفيان الثوري والدرا وردي ومالك، وكان معظماً عند العلماء، وكان عابداً كبير القدر.

قال يحيى بن معين: كان ثقة صدوقاً، وفد على عمر بن عبد العزيز فأكرمه، ووفد على السفاح فعظمه وأعطاه ألف ألف درهم، فلما ولي المنصور عامله بعكس ذلك، وكذلك أولاده وأهله، وقد مضوا جميعاً والتقوا عند الله عز وجل، وأخذ المنصور وأهل بيته مقيدتين مغلولين مهانين من المدينة إلى الهاشمية،

<sup>١</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ٣ / ص ٧)

<sup>٢</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ٣ / ص ٩١) البداية والنهاية - (ج ١٠ / ص ٦٣)

فأودعهم السجن الضيق كما قدمنا ، فمات أكثرهم فيه ، فكان عبد الله بن حسن هذا أول من مات فيه بعد خروج ولده محمد بالمدينة ، وقد قيل إنه قتل في السجن عمدا .

وكان عمره يوم مات خمسا وسبعين سنة ، وصلى عليه أخوه لأمه الحسن بن الحسن بن علي .

ثم مات بعده أخوه حسن فصلی

عليه أخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

ثم قتل بعدهما وحمل رأسه إلى خراسان كما تقدم.)<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - البداية والنهاية - (ج ١٠ / ص ١٠١)

## أبو عبد الرحمن المؤمل بن إهاب رحمته الله

**ترجمته رحمته الله (١)** أبو عبد الرحمن المؤمل بن إهاب بن عبد العزيز بن قفل بن سدل الربيعي القفلي

القفلي: بفتح القاف والفاء وفي آخرها اللام.

هذه النسبة إلى قفل، وهو اسم لجد: أبي عبد الرحمن المؤمل بن إهاب بن عبد العزيز بن قفل بن سدل الربيعي القفلي

الكوفي، من أهل الكوفة، كان صالحاً، عالماً، فاضلاً، مكثراً في الحديث، جوالاً في الآفاق.

حدث ببلاد الشام، وديار مصر، عن مالك بن سعيير بن الخمس، وضمرة بن ربيعة، وسيار بن حاتم، وأبي داود الطيالسي، ومحمد بن عبيد الطنافسي، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق بن همام.

روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا، وأحمد بن أبي خيثمة، وصالح جزرة، وأبو عبد الرحمن النسائي، والهيثم بن خلف الدوري، وغيرهم.

”سعيد بن عمرو البرذعي قال قال لي أبو زرعة كان المؤمل بن إهاب ببغداد فقلت لأبي بكر الأعيين امض بنا إليه قال إنه يتعسر قلت فدعه إذا قال أبو زرعة ما سهل علي احتمال العسرة وهذه الأشياء.“ (٢)

**سجنه رحمته الله:** وحكي أن مؤمل بن يهاب قدم الرملة، فاجتمع عليه أصحاب الحديث، وكان زعراً، ممتنعاً، فألحوا عليه، فامتنع أن يحدثهم، فمضوا بأجمعهم. وألفوا منهم نقيبين، فتقدما إلى السلطان، فقالا: إن لنا عبداً خلاصياً، له علينا حق صحبة وتربية، وقد كان أدبنا فأحسن لنا التأديب.

وآلت بنا الحال إلى الإضافة.

<sup>١</sup> - الأنساب للسمعاني - (٤ / ٥٣٤) المنتظم - (ج ٣ / ص ٤٣٩ ، سير أعلام النبلاء - (ج ١٢ / ص ٢٤٦) الجرح والتعديل ٨ / ٣٧٥ ، تاريخ بغداد ١٣ / ١٨١ ، ١٨٣ ، تهذيب الكمال: ١٣٩٤ ، تهذيب التهذيب ٤ / ٨٥ / ٢ ، ميزان الاعتدال ٤ / ٢٢٩ ، العبر ٢ / ٧ ، العقد الثمين ٧ / ٣١٣ ، ٣١٤ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٤٣ ، خلاصة تهذيب الكمال: ٣٩٣ ، شذرات الذهب ٢ / ١٢٩ .

<sup>٢</sup> - تاريخ بغداد - (ج ٦ / ص ٣٠)

وإننا أردنا بيعه، فامتنع علينا.

فقال لهم السلطان.

وكيف علم صحة ما ذكرتم؟ قالوا: إن معنا بالباب جماعة من حملة الآثار، وطلاب العلم، وثقات الناس، يكتفى بالنظر إليهم دون المسألة عنهم، وهم يعلمون ذلك، فتأذن بوصولهم إليك، لتسمع منهم.

فأدخلهم، وسمع مقالتهم، ووجه خلف المؤمل بالشرط والأعوان، فتقزز، فجذبوه وجرروه، وقالوا: أخبرنا أنك استطعمت الأباقي، فصار معهم إلى السلطان، فلما دخل عليه قال له: ما يكفيك ما أنت فيه من الإباقي، حتى تتعزز على سلطانك امضوا به إلى الحبس، فحبس، وكان من هيئته أنه أصفر، طوال خفيف اللحية، يشبه عبيد أهل الحجاز، فلم يزل في حبسه أياما، حتى علم بذلك جماعة من إخوانه، فصاروا إلى السلطان، وقالوا: إن هذا مؤمل بن يهاب في حبسك مظلوم.

قال: ومن ظلمه.

قالوا: أنت.

قال: ما أعرف من هذا شيئا، ومن مؤمل؟

فقالوا: الشيخ الذي اجتمع عليه جماعة، وقالوا: العبد الآبق.

وما هو بآبق، بل هو إمام من أئمة المسلمين في الحديث.

فأمر بإخراجه، وسأله عن حاله، فأخبره كما أخبره الذين جاءوا يذكرون له حاله، فصرفه، وسأله أن يحله.

فلم ير بعده ممتنعا امتناعه الأول، حتى لحق بالله عز وجل.<sup>(١)</sup>

ومات بالرملة، في رجب، سنة أربع وخمسين ومائتين.

<sup>١</sup> - المنتظم - (ج ٣ / ص ٤٣٩)

## محمد أبو العرب بن أحمد بن تميم التميمي رحمته الله

**ترجمته رحمته الله:** محمد أبو العرب بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي

كان جده تمام بن تميم من أمراء إفريقية وكان أبوه أحمد ممن سمع من شجرة وسليمان بن عمران وبكر بن حماد. وسمع أبو العرب من جماعة من أصحاب سحنون وأكثر رجال إفريقية كيحيى بن عمر وأبي داود العطار وعيسى ومحمد بن مسكين وابن طالب وعبد الجبار وابن عياش وسهل القبرياني وحماس وحبيب بن نصر وجبله وابن أبي سليمان وسعيد بن إسحاق وجماعة.

وكان رجلاً صالحاً ثقة عالماً بالسنن والرجال من أبصر أهل وقته بها كثير الكتب حسن التقييد كريم النفس والخلق كتب بخطه كثيراً في الحديث والفقه يقال إنه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة وشيوخه نيف وعشرون ومائة شيخ سمع منه محمد بن أبي زيد والحسن بن مسعود وابنائه وزباد السروي والناس.

كان حافظاً للمذهب مفتياً وغلب عليه الحديث والرجال وتصنيف الكتب والرواية والإسماع وألف طبقات علماء إفريقية وكتاب عباد إفريقية ومسند حديث مالك وكتاب التاريخ سبعة أجزاء وكتاب مناقب بني تميم وجزئين في الموت وكتاب المحن وكتاب فضائل مالك وكتاب فضائل سحنون وكتاب الوضوء والطهارة وكتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر وكتاب عوالي حديثه وكتاب في الصلاة وغير ذلك.

## محنته و سجنه رحمته الله :

وامتحن مع الشيعي حبسه وقيده مع ابنه مدة بسبب بني الأغلب وكان أبو العرب شاعراً مجيداً فمن شعره:

إذا ولي الصديق بغير عذر      فزاد الله خلته انقطاعا

إلى يوم التناد بلا رجوع      فإن رام الرجوع فلا استطاعا

إذا ولي أخوك قفاه عنك      فول قفاك عنه وزده باعا



وناد وراءه: يا رب تمم ولا تجعل لفرقتك اجتماعا

وله رحمه الله تعالى:

ضعفت حيلتي وقل اضطباري وإلى الله أشتكى كل ما بي

ومن العظم بعد ما كان صلباً وفقدت الشباب أي شباب

توفي يوم الأحد لثمان بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة وقيل لسبع بقين لرجب منها)<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - (١ / ١٣٥) . الأعلام للزركلي - (٥ / ٣٠٩)

### جعفر بن أحمد بن بهرام الباهلي رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** جعفر بن أحمد بن بهرام الباهلي، أبو حنيفة الشهيد، الإستراباذي

قال السهمي، في " تاريخ جرجان " : كان من فقهاء الحنفية بإستراباذ، وإليه الفتيا.

### محنته و سجنه رحمته الله:

سُعي به عند الحسن بن زيد العلوي، أنه يبغض أهل البيت، فحبسه في سجنه حتى مات، ثم أمر به فصلب بجرجان، فذهب جماعة من أهل إستراباذ وسرقوه ليلاً، ودفنوه في مقبرة جرجان، وأخفوا قبره.

يروى عن محمد بن خالد الحنظلي، وجعفر بن عون، والفضل بن دكين، ويحيى بن هاشم، وداود بن سليمان الجرجاني.

روى عنه الحسن (بن الحسين) بن عاصم، والحسين بن بندار المفسر، وجعفر بن أحمد ابن إسماعيل بن شهريل، وأبو نعيم عبد الملك [بن محمد] بن عدي، الإستراباذيون.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية - (ج ١ / ص ١٧٦) الطبقات السننية في تراجم الحنفية - (ج ١ / ص ٢٠٢) تاريخ جرجان -

## أبو حنيفة الإمام رفضه تولي القضاء رحمه الله

**ترجمته رحمه الله (١)** يقول الذهبي — رحمه الله — أبو حنيفة الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، الكوفي، مولى بني تميم الله بن ثعلبة يقال: إنه من أبناء الفرس.

### مولده ونشأته رحمه الله :

ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة

وقال عمر بن حماد بن أبي حنيفة: أما زوطى فإنه من أهل كابل، وولد ثابت علي الإسلام.

وكان زوطى مملوكا لبني تميم الله بن ثعلبة فأعتق فولأوه لهم، ثم لبني قفل.

قال: وكان أبو حنيفة خزازا، ودكانه معروف في دار عمرو ابن حريث.

وقال النضر بن محمد المروزي، عن يحيى بن النضر قال: كان والد أبي حنيفة من نسا.

وروى سليمان بن الربيع، عن الحارث بن إدريس قال: أبو حنيفة أصله من ترمذ.

وقال أبو عبد الرحمن المقرئ: أبو حنيفة من أهل بابل.

روى أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول عن أبيه، عن جده قال: ثابت

والد أبي حنيفة من أهل الأنبار.

عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: النعمان بن ثابت بن المرزبان من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٦ / ص ٣٩٠) طبقات خليفة (١٦٧ - ٣٢٧)، تاريخ البخاري: ٨ / ٨١، التاريخ الصغير: ٢ / ٤٣، الجرح والتعديل ٨ / ٤٤٩ - ٤٥٠، كتاب المجروحين ٣ / ٦١، تاريخ بغداد ١٣ / ٣٢٣، ٤٢٤، الكامل في التاريخ ٥ / ٥٨٥، ٥٤٩، وفيات الأعيان ٥ / ٤١٥ - ٤٢٣، تهذيب الكمال ١٤١٤، ١٤١٧، تهذيب التهذيب ٤ / ٩٨، ١ / ١، تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٨، ميزان الاعتدال ٤ / ٣٦٥، العبر ١ / ٣١٤، مرآة الجنان ١ / ٣٠٩، البداية والنهاية ١٠ / ١٠٧، تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٤٩ - ٤٥٢، النجوم الزاهرة ٢ / ١٢، الجواهر المضيئة ١ / ٢٦ - ٣٢، خلاصة تهذيب الكمال ٤٠١، شذرات الذهب ١ / ٢٢٧ - ٢٢٩.

ولد جدي في سنة ثمانين، وذهب ثابت إلى علي وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه.

وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون استجاب ذلك لعلي رضي الله عنه فينا.

قال: والنعمان بن المرزبان والد ثابت هو الذي أهدى لعلي الفالوذج في يوم النيروز فقال علي: نورزونا كل يوم، وقيل كان ذلك في المهرجان، فقال: مهرجوننا كل يوم.

### ثناء العلماء عليه رحمهم الله

قال محمد بن سعد العوفي: سمعت يحيى بن معين يقول: كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظ.

وقال صالح بن محمد: سمعت يحيى بن معين يقول: كان أبو حنيفة ثقة في الحديث، وروى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز، عن ابن معين: كان أبو حنيفة لا بأس به.

وقال مرة: هو عندنا من أهل الصدق، ولم يتهم بالكذب.

وقال علي بن عاصم: لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه، لرجح عليهم.

وقال حفص بن غياث: كلام أبي حنيفة في الفقه، أدق من الشعر، لا يعيبه إلا جاهل.

وروى عن الاعمش أنه سئل عن مسألة، فقال: إنما يحسن هذا النعمان بن ثابت الخزاز، وأظنه بورك له في علمه.

وقال جرير: قال لي مغيرة: جالس أبا حنيفة تفقه، فإن إبراهيم النخعي لو كان حيا لجالسه.

وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس.

وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

قلت: الامامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الامام.

وهذا أمر لا شك فيه.

وليس يصح في الاذهان شئ \* إذا احتاج النهار إلى دليل

وسيرته تحتل أن تفرد في مجلدين، رضي الله عنه، ورحمه.

## عبادته و خوفه ﷻ:

وعن أسد بن عمرو، أن أبا حنيفة، رحمه الله، صلى العشاء والصبح بوضوء أربعين سنة.

وروى بشر بن الوليد، عن القاضي أبي يوسف قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سمعت رجلا يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل.

فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدث عني بما لم أفعل.

فكان يحيى الليل صلاة وتضرعا ودعاء.

وقد روى من وجهين: أن أبا حنيفة قرأ القرآن كله في ركعة.

إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن المثنى بن رجا قال: جعل أبو حنيفة على نفسه، إن حلف بالله صادقا، أن يتصدق بدينار.

وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها.

وروى جبارة بن المغلس، عن قيس بن الربيع قال: كان أبو حنيفة، ورعا تقيا، مفضلا على إخوانه.

وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يسمى الودد لكثرة صلاته.

وروى بن إسحاق السمرقندي، عن القاضي أبي يوسف قال: كان أبو حنيفة يختم القرآن كل ليلة في ركعة.

يحيى بن عبد الحميد الحمانى، عن أبيه أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهر، قال: فما رأيته صلى الغداة إلا بوضوء عشاء الآخرة، وكان يختم كل ليلة عند السحر.

وعن يزيد بن كميت، سمع رجلا يقول لابي حنيفة: اتق الله، فانتفض؟ واصفر، وأطرق، وقال: جزاك الله خيرا.

ما أحوج الناس كل وقت، إلى من يقول لهم مثل هذا.

ويروى أن أبا حنيفة ختم القرآن سبعة آلاف مرة.

قال مسعر بن كدام: رأيت أبا حنيفة قرأ القرآن في ركعة.

ابن سماعة، عن محمد بن الحسن، عن القاسم بن معن، أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى: (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) [ القمر: ٤٦ ] ويبكي ويتضرع إلى الفجر.

### محنته - رحمه الله تعالى مع المنصور و سجنه ﷺ

قال إسحاق بن إبراهيم الزهري، عن بشر بن الوليد قال: طلب المنصور

أبا حنيفة فأراد على القضاء، وحلف ليلين فأبى، وحلف: إني لا أفعل.

فقال الربيع الحاجب: ترى أمير المؤمنين يحلف، وأنت تحلف؟ قال: أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني، فأمر به إلى السجن، فمات فيه ببغداد.

وقيل: دفعه أبو جعفر إلى صاحب شرطته حميد الطوسي.

فقال: يا شيخ، إن أمير المؤمنين يدفع إلي الرجل فيقول لي: اقتله أو اقطعه، أو اضربه، ولا أعلم بقصته، فماذا أفعل؟ فقال: هل يأمر أمير المؤمنين بأمر قد وجب؟ أو بأمر لم يجب؟ قال: بل بما قد وجب.

قال: فبادر إلى الواجب.

وعن مغيث بن بديل قال: دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح.

قال: كذبت.

قال: فقد حكم أمير المؤمنين علي أنني لا أصلح، فإن كنت كاذبا، فلا أصلح، وإن كنت صادقا، فقد أخبرتكم أنني لا أصلح، فحبسه.

وروى نحوها إسماعيل بن أبي أويس، عن الربيع الحاجب، وفيها قال أبو حنيفة: والله ما أنا بمأمون الرضى.

فكيف أكون مأمون الغضب؟ فلا أصلح لذلك.

قال المنصور: كذبت.

بل تصلح.

فقال كيف يحل أن تولي من يكذب ؟.

وقيل : إن أبا حنيفة ولي له ، ففُضِيَ قضية واحدة ، وبقي يومين ، ثم اشتكى ستة أيام وتوفي.

وقال الفقيه أبو عبد الله الصيمري : لم يقبل العهد بالقضاء ، فحُضِرَ وحبس ، ومات في السجن.

وروى حيان بن موسى المروزي ، قال : سئل ابن المبارك : مالك أفقه ، أو أبو حنيفة ؟ قال : أبو حنيفة.

وقال الخريبي : ما يقع في أبي حنيفة إلا حاسد أو جاهل.

وقال يحيى بن سعيد القطان : لا نكذب الله ، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة ، وقد أخذنا بأكثر أقواله .

ولسان حاله يقول : رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ، فأمر المنصور بضربه أولاً ثم حملوه في القيود إلى سجن بغداد .

وفي السجن المظلم عانى الإمام أبو حنيفة من التضييق والتشديد وأيضاً من التهديد بالقتل يوماً بعد يوم ، وقد أمر الخليفة المنصور بالتشديد على الإمام وكان وقتها على مشارف السبعين وقد وهن جسده وحطمت دروس العلم وسؤالات الناس ، ومع ذلك لم يتراجع أبو حنيفة عن قراره ولم تلن عزيمته قدر أنملة ، ولكن إن صمد قلبه وروحه وعزيمته وإيمانه أمام كل هذه الضغوط ، فإن الجسد الواهن لم يصمد كثيراً ، فتوفي الإمام أبو حنيفة في سجنه في رجب سنة ١٥٠هـ ، وصعدت روحه إلى بارئها وهي في قيود السلطان لتخاصمه يوم القيامة أمام المحكمة الإلهية يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وقد قيل إن المنصور قد دس على الإمام أبي حنيفة من وضع له السم في السجن ، وإن صح الكلام فلقد توفي الرجل شهيداً صابراً محتسباً والله أعلم بما كان وسيكون .

العجيب في هذه المحنة التي تعرض لها الإمام أنها كانت بسبب فرار الإمام من الدنيا ومن المناصب ، وإننا لنعجب من حال هذا الإمام الرباني الذي أقبلت عليه الدنيا بزخارفها ، والمناصب تعرض عليه ويهدد بكل وسيلة من أجل أن يكون من أصحاب المناصب العليا ولكنه يرفض ويؤثر الضرب والسجن ثم الموت على أن يكون من الدنيا وأهلها ، ونحن الآن نرى من ينتسب للعلم يتهافت على الدنيا

والمناصب ويلهث وراء الدنيا ولا يبالي بأي شيء من أجلها، وهؤلاء عادة ما يكونون مطية للسلطين والحكام وهم بذلك أسوأ مثال للعلم والعلماء، وهذا هو الفرق بين العلماء الربانيين والعلماء الدنيويين

**وفاته رحمه الله:**

توفي شهيدا مسقيا في سنة خمسين ومئة.

وله سبعون سنة، وعليه قبة عظيمة ومشهد فاخر ببغداد، والله أعلم.

وابنه الفقيه حماد بن أبي حنيفة: كان ذا علم ودين وصلاح وورع تام.

لما توفي والده، كان عنده ودائع كثيرة، وأهلها غائبون، فنقلها حماد إلى الحاكم ليتسلمها، فقال: بل دعها عندك، فإنك أهل.

فقال: زنها واقبضها حتى تبرأ

منها ذمة الوالد، ثم افعل ما ترى.

ففعل القاضي ذلك.

وبقي في وزنها وحسابها أياما، واستتر حماد فما ظهر حتى أودعها القاضي عند أمين.

توفي حماد سنة ست وسبعين ومئة كهلا.

له رواية عن أبيه وغيره.

حدث عنه ولده الإمام إسماعيل بن حماد قاضي البصرة.<sup>(١)</sup>

\*\*\*

**سعيد بن المسيب بن حزن أبو محمد القرشي رحمه الله**

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٦ / ص ٣٩٠-٤٠١) بتصرف في الكلام من تقديم وتأخير وزيادة



## ترجمته ﷺ :

يقول الذهبي - رحمه الله (١) - سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، الإمام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه.

## مولده - رحمه الله -

ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وقيل: لاربع مضي من منها بالمدينة.

رأى عمر، وسمع عثمان، وعلياً، وزيد بن ثابت، وأبا موسى، وسعداً، وعائشة وأبا هريرة، وابن عباس، ومحمد بن مسلمة، وأم سلمة، وخلقا سواهم.

وقيل: إنه سمع من عمر.

عن علي بن زيد، حدثني سعيد بن المسيب ابن حزن أن جده حزناً أتى النبي ﷺ فقال: " ما اسمك ؟ قال: حزن،

قال: بل أنت سهل " قال: يا رسول الله، اسم سمانى به أبواي وعرفت به في الناس، فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال سعيد: فمازلنا نعرف الحزونة فينا أهل البيت " (٢).

## عبادته وحرصه ﷺ

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٤ / ص ٢١٧) طبقات ابن سعد ٥ / ١١٩، طبقات خليفة ت ٢٠٩٦، تاريخ البخاري ٣ / ٥١٠، المعارف ٤٣٧، المعرفة والتاريخ ١ / ٤٦٨، الجرح والتعديل القسم الأول المجلد الثاني ٥٩، الحلية ٢ / ١٦١، طبقات الفقهاء للشيرازي ٥٧، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول ٢١٩، وفيات الأعيان ٢ / ٣٧٥، تهذيب الكمال ص ٥٠٥، تاريخ الإسلام ٤ / ٤ و ١٨٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٥١، العبر ١ / ١١٠، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٨، البداية والنهاية ٩ / ٩٩، غاية النهاية ت ١٣٥٤، تهذيب التهذيب ٤ / ٨٤، النجوم الزاهرة ١ / ٢٢٨، طبقات الحفاظ للسيوطي ١٧، خلاصة تهذيب التهذيب ١٤٣، شذرات الذهب ١ / ١٠٢.

٢ - أخرجه البخاري ١٠ / ٤٧٣ و ٤٧٤

وسمعته يقرأ في الليل على راحلته فيكثر، وسمعتة يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وكان يحب أن يسمع الشعر، وكان لا ينشده، ورأيتة يمشي حافيا وعليه بت (١)، ورأيتة يحفي شاربته شبيهها بالحلقي، ورأيتة يصافح كل من لقيه، وكان يكره كثرة الضحك

سفيان الثوري: عن داود بن أبي هند، عن سعيد، أنه كان يستحب أن يسمى ولده بأسماء الأنبياء حماد بن سلمة: عن علي بن زيد، أنه كان يصلي التطوع في رحله، وكان يلبس ملاء شرقية (٢).

سلام بن مسكين: حدثني عمران بن عبد الله قال: ما أحصي ما رأيت

على سعيد بن المسيب من عدة قمص الهروي (٣).

وكان يلبس هذه البرود الغالية البيض.

عن قتادة، سألت سعيدا عن الصلاة على الطنفسة، فقال: محدث (٤).

موسى بن إسماعيل: حدثنا عمران بن محمد بن سعيد بن المسيب، حدثتني غنيمة جارية سعيد، أنه كان لا يأذن لبنته في لعب العاج، ويرخص لها في الكبر - تعني الطبل

عن سعيد بن المسيب أنه قال: ما تجارة أعجب إلي من البز، ما لم يقع فيه أيما

مطرف بن عبد الله: حدثنا مالك، قال: قال برد مولى ابن المسيب لسعيد بن المسيب، ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء! قال سعيد: وما يصنعون؟ قال: يصلي أحدهم الظهر، ثم لا يزال صافا رجليه حتى يصلي العصر.

فقال: ويحك يا برد أما والله [ ما ] هي بالعبادة، إنما العبادة التفكير في أمر الله، والكف عن محارم الله (٥).

<sup>١</sup> - ابن سعد ٥ / ١٣٣.

<sup>٢</sup> - البت: الطيلسان من خز ونحوه.

<sup>٣</sup> - هري ثوبه: اتخذ هرويا (نسبة إلى هراة) أو صبغه وصفرة. قال ابن الأعرابي: ثوب مهري إذا صبغ بالصبيب وهو ماء ورق السمسم.

<sup>٤</sup> - والخبر في طبقات ابن سعد ٥ / ١٣٤.

<sup>٥</sup> - ابن سعد ٥ / ١٣٥.

عن أبي حرملة، عن ابن المسيب قال: ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة (١).

سفيان الثوري: عن عثمان بن حكيم، سمعت سعيد بن المسيب يقول: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

عن يزيد بن حازم، أن سعيد بن المسيب كان يسرد الصوم (٢).

عن سعيد بن إبراهيم، سمع ابن المسيب يقول: ما أحد أعلم بقضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبو بكر، ولا عمر مني.

### ثناء أهل العلم عليه رحمته الله

عن نافع، أن ابن عمر ذكر سعيد بن المسيب فقال: هو والله أحد المفتين.

قال أحمد بن حنبل، وغير واحد: مراسلات سعيد بن المسيب صحاح.

وقال قتادة، ومكحول، والزهري، وآخرون، واللفظ لقتادة: ما رأيت أعلم من سعيد بن المسيب.

قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أحدا أوسع علما من ابن المسيب.

هو عندي أجل التابعين.

الواقدي: حدثني هشام بن سعد، سمعت الزهري وسئل عن أخذ سعيد بن المسيب علمه؟ فقال: عن زيد بن ثابت.

وجالس سعدا، وابن عباس، وابن عمر.

ودخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم: عائشة وأم سلمة.

وسمع من عثمان، وعلي، وصهيب، ومحمد بن مسلمة.

وجل روايته المسندة عن أبي هريرة، كان زوج ابنته.

وسمع من أصحاب عمر، وعثمان، وكان يقال: ليس أحد أعلم بكل ما قضى به عمر وعثمان منه.

١ - الحلية ٢ / ١٦٢

٢ - الحلية ٢ / ١٦٣.

## جراته وثباته ﷺ

عن علي بن زيد أنه قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك، ولا يحركك، ولا يؤذيك؟ قال: والله ما أدري، إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد، فصلّى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفا من حصى فحصبته بها.

زعم أن الحجاج قال: ما زلت بعد أحسن الصلاة.<sup>(١)</sup>

في " الطبقات " لابن سعد (٢): أنبأنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، حدثنا ميمون، وأنبأنا عبدالله بن جعفر، حدثنا أبو المليح، عن ميمون ابن مهران، قال: قدم عبد الملك بن مروان المدينة فامتنعت منه القائلة، واستيقظ، فقال لحاجبه: انظر، هل في المسجد أحد من حدثنا؟ فخرج فإذا سعيد بن المسيب في حلقتة، فقام حيث ينظر إليه، ثم غمزه وأشار بأصبعه، ثم ولى، فلم يتحرك سعيد، فقال: لا أراه فطن، فجاء ودنا منه، ثم غمزه وقال: ألم ترني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ قال: أجب أمير المؤمنين.

فقال: إلي أرسلك؟ قال: لا، ولكن قال: انظر بعض حدثنا فلم أر أحدا أهياً منك.

قال: اذهب فأعلمه أنني لست من حدثه.

فخرج الحاجب وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً، وذهب فأخبر عبد الملك، فقال: ذاك سعيد بن المسيب فدعه.

عن عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي، قال: حج عبد الملك بن مروان، فلما قدم المدينة، ووقف على باب المسجد أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه، فأتاه الرسول وقال: أجب أمير المؤمنين، واقف بالباب يريد أن يكلمك.

فقال: ما لأمير المؤمنين إلي حاجة، ومالي إليه حاجة، وإن حاجته لي لغير مقضية، فرجع الرسول، فأخبره فقال: ارجع فقل له: إنما أريد أن أكلمك، ولا تحركه.

<sup>١</sup> - ابن سعد ٥ / ١٢٨.

<sup>٢</sup> - ابن سعد ٥ / ١٢٩.

فرجع إليه ، فقال له : أجب أمير المؤمنين .

فرد عليه مثل ما قال أولاً .

فقال : لولا أنه تقدم إلي فيك ما ذهبت إليه إلا برأسك ، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا ! فقال : إن كان يريد أن يصنع بي خيراً ، فهو لك ، وإن كان يريد غير ذلك فلا أحل حبوتي حتى يقضي ما هو قاض ، فأتاه فأخبره ، فقال : رحم الله أبا محمد ، أبى إلا صلابة (١) .

زاد عمرو بن عاصم في حديثه بهذا الإسناد : فلما استخلف الوليد ، قدم المدينة ، فدخل المسجد ، فرأى شيخاً قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا ؟ قالوا : سعيد بن المسيب ، فلما جلس أرسل إليه ، فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : لعلك أخطأت باسمي ، أو لعله أرسلك إلى غيري ، فرد الرسول ، فأخبره ، فغضب وهم به ، قال : وفي الناس يومئذ تقية ، فأقبلوا عليه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، فقيه المدينة ، وشيخ قريش ، وصديق أبيك ، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه .  
فما زالوا به حتى أضرب عنه (٢) .

**ذكر محنته ﷺ :** الواقدي : حدثنا عبد الله بن جعفر ، وغيره من أصحابنا ، قالوا : استعمل ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة ، فدعا الناس إلى البيعة [ لابن الزبير ] فقال سعيد بن المسيب : لا ، حتى يجتمع الناس .  
فضربه ستين سوطاً .

فبلغ ذلك ابن الزبير ، فكتب إلى جابر يلومه ويقول : مالنا ولسعيد ، دعه (٣) .

وعن عبد الواحد بن أبي عون ، قال : كان جابر بن الأسود عامل ابن الزبير على المدينة قد تزوج الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، فلما ضرب سعيد بن المسيب صاح به سعيد والسياط تأخذه : والله ما ربعت على كتاب الله ، وإنك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، وما هي إلا ليال فاصنع ما بدا لك ، فسوف يأتيك ما تكره .

١ - ابن سعيد ٥ / ١٢٩ .

٢ - ابن سعد ٥ / ١٢٩ ، ١٣٠ .

٣ - ابن سعد ٧ / ١٢٢ ، ١٢٣ .

فما مكث إلا يسيرا حتى قتل ابن الزبير . (١)

الواقدي : حدثنا عبدالله بن جعفر وغيره أن عبد العزيز بن مروان توفي

بمصر سنة أربع وثمانين ، فعقد عبد الملك لابنيه : الوليد وسليمان بالعهد ، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان ، وعامله يومئذ على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي ، فدعا الناس إلى البيعة ، فبايعوا ، وأبى سعيد بن المسيب أن يبايع لهما وقال : حتى أنظر ، فضربه هشام ستين سوطا ، وطاف به في تبان من شعر ، حتى بلغ به رأس الثنية ، فلما كروا به قال : أين تكرون بي ؟ قالوا إلى السجن .

فقال : والله لولا أنني ظننته الصلب ، ما لبست هذا التبان أبدا .

فردوه إلى السجن ، فحبسه وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه .

فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به ويقول : سعيد ، كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنا لنعلم ما عنده خلاف .

وحدثني أبو بكر بن أبي سبرة ، عن المسور بن رفاعه ، قال : دخل قبيصة بن ذؤيب على عبد الملك بكتاب هشام بن إسماعيل يذكر أنه ضرب سعيدا وطاف به .

قال قبيصة : يا أمير المؤمنين ، يفتات عليك هشام بمثل هذا ، والله لا يكون سعيد أبدا أمحل ولا ألج منه حين يضرب ، لو لم يبايع

سعيد ما كان يكون منه ، وما هو ممن يخاف فتقه ، يا أمير المؤمنين اكتب إليه .

فقال عبد الملك : اكتب أنت إليه عنى تخبره برأيي فيه ، وما خالفني من ضرب هشام إياه .

فكتب قبيصة بذلك إلى سعيد .

فقال سعيد حين قرأ الكتاب : الله بيني وبين من ظلمني (٢) .

١ - ابن سعد ٧ / ١٢٣ .

٢ - ابن سعد ٥ / ١٢٥ ، ١٢٦ .

حدثني عبدالله بن يزيد الهذلي، قال: دخلت على سعيد بن المسيب السجن فإذا هو قد ذبحت له شاة، فجعل الالهاب على ظهره، ثم جعلوا له بعد ذلك قضا رطباً، وكان كلما نظر إلى عضديه قال: اللهم انصرني من هشام (١).

عن عمران بن عبد الله الخزاعي قال: دعي سعيد بن المسيب للوليد وسليمان بعد أبيهما فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار.

ف قيل: ادخل واخرج من الباب الآخر، قال: والله لا يقتدي بي أحد من الناس، قال: فجلده مئة وألبسه المسوح (٢).

قال أبو عاصم النبيل: عن أبي يونس القوي قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا سعيد بن المسيب جالس وحده، فقلت: ما شأنه؟ قيل: نهى أن يجالسه أحد. (٣)

همام: عن قتادة، أن ابن المسيب كان إذا أراد أحد أن يجالسه قال: إنهم قد جلدوني، ومنعوا الناس أن يجالسوني (٤).

عن أبي عيسى الخراساني، عن ابن المسيب، قال: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم.



١ - ابن سعد ٥ / ١٢٦.

٢ - الحلية ٢ / ١٧٠.

٣ - ابن سعد ٥ / ١٢٨.

٤ - الحلية ٢ / ١٧٢.

## محمد بن القاسم رحمته الله

**محمد بن القاسم رحمته الله (١)** ابن علي بن عمر بن زين العابدين علي بن الحسين بن الإمام علي ابن

أبي طالب، العلوي الحسيني الزاهد، الملقب بالصوفي لللبسه الصوف.

كان فقيها عالما عاملا عابدا معظما عند الزيدية.

ظهر بالطالقان (٢)، ودعا إلى الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم، فاجتمع له جيش كبير، وحارب عسكر خراسان في دولة المأمون، وقوي سلطانه، ثم انفل جمعه، وقبض عليه، فأتي به المعتصم في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومئتين، فحبسه بسامراء، ثم هرب من السجن يوم عيد، واستتر، وأضرته البلاد (٣).

قال أبو الفرج صاحب "الأغاني": احتال لنفسه، فخرج مختفيا، وصار إلى واسط، وغاب خبره.

قال ابن النجار: بواسط مشهد يقال: إنه مدفون فيه. فالله أعلم.

وروي عن ابن سلام الكوفي: أن المعتصم قتله صبرا.

وكان أبيض، مليح الوجه، تام الشكل، قد وخطه الشيب، وتكهّل.

وذهب طائفة من جهلة الجارودية أنه لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض قسطا وعدلا (٤).

نقل ذلك أبو محمد بن حزم.

<sup>١</sup> - مروج الذهب للمسعودي ٧ / ١١٦، ١١٧، مقاتل الطالبين: ٥٧٧، ٥٧٨، جمهرة أنساب العرب: ٥٤، تاريخ ابن الاثير ٦ / ٤٤٢، البداية والنهاية ١٠ / ٢٨٢.

<sup>٢</sup> - بلدة بخراسان بين " مرو الروذ " و " بلخ ".

<sup>٣</sup> - البداية والنهاية " ١٠ / ٢٨٢، وانظر " جمهرة أنساب العرب " : ٥٤

<sup>٤</sup> - مروج الذهب " للمسعودي ٧ / ١١٧



## أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمرو ابن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه

**ترجمته الديباج (١)** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمرو ابن أمير المؤمنين عثمان العثماني المدني

الملقب بالديباج لحسنه، كان جوادا، سخيا ذا مروءة وسؤدد وحشمة.

حدث عن أمه فاطمة بنت الحسين الشهيد، ونافع، وعبد الله بن دينار، وطائفة.

وعنه: أسامة بن زيد، والدراوردي، ومحمد بن معن، ويحيى بن سليم الطائفي، وعبد الرحمن بن أبي الزناد.

لينه البخاري.

## محنته و سجنه رضي الله عنه

وهو عم الأخوين ابني حسن للأم، فأخذه المنصور لذلك، وضربه، وقيده، فمات في سجنه بالهاشمية سنة خمس وأربعين ومئة.

وقيل: سقاه.

قال النسائي: ليس بالقوي.

قال معن القزاز: زعموا أن المنصور قتله وقت خروج محمد بن عبدالله.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٦ / ص ٢٢٤) التاريخ الصغير: ٢ / ٨١، الطبري: حوادث سنة ١٢٩، الجرح والتعديل: ٧ / ١، مشاهير علماء الأمصار (١٣١)، الكامل في التاريخ حوادث سنة ١٢٩، تذهيب التهذيب ٣ / ٢١٩ / ١ - ٢، ميزان الاعتدال ٣ / ٥٩٣، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٨ - ٢٦٩، خلاصة تذهيب الكمال (٣٤٥).

## إبراهيم التيمي رحمته الله

ترجمته رحمته الله (١) إبراهيم بن يزيد \* (ع) التيمي: تيم الرباب، الإمام القدوة الفقيه عابد الكوفة أبو أسماء.

حدث عن أبيه يزيد بن شريك التيمي، وكان أبوه يزيد من أئمة الكوفة أيضا.

يروى عن عمر، وأبي ذر، والكبار، أخذ عنه أيضا الحكم، وإبراهيم النخعي، وحديثه في الدواوين الستة.

نعم وحدث إبراهيم عن وكان شابا صالحا قانتا لله عالما فقيها كبير القدر واعظا.

قال المحاربي: حدثنا الأعمش قال لي إبراهيم التيمي: ما أكلت منذ أربعين ليلة إلا حبة عنب.

أبو أسامة: سمعت الأعمش يقول: قال إبراهيم التيمي: ربما أتى علي شهر لا أطمع طعاما، ولا أشرب شرابا، لا يسمعن هذا منك أحد.

وقال الأعمش: كان إبراهيم التيمي إذا سجد كأنه جذم حائط ينزل على ظهره العصفير.

يقال: قتله الحجاج.

وقيل: بل مات في حبسه سنة اثنتين وتسعين.

وقيل: سنة أربع وتسعين.

لم يبلغ إبراهيم أربعين سنة.

روى الثوري: قال إبراهيم التيمي: كم بينكم وبين القوم! أقبلت عليهم الدنيا فهربوا، وأدبرت عنكم فاتبعتموها.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (٥ / ٦٢) طبقات ابن سعد ٦ / ٢٨٥، طبقات خليفة: ١٥٥، التاريخ الكبير ١ / ٣٣٣، ٣٣٤، الجرح والتعديل ٢ / ١٤٦، اللباب ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال: ١٨، تهذيب التهذيب ١ / ٤٥، ١، تاريخ الاسلام ٣ / ٣٣٧، العبر ١ / ١٠٦، طبقات القراء ١ / ٢٩، تهذيب التهذيب ١ / ١٧٦، النجوم الزاهرة ١ / ٢٢٥، طبقات الحفاظ: ٢٩، خلاصة تهذيب الكمال:

روى أبو حيان عن إبراهيم قال: ما عرضت قولي على عملي إلا خفت أن أكون مكذبا.

قال العوام بن حوشب: ما رأيت إبراهيم التيمي رافعا بصره إلى السماء قط.

وعن إبراهيم قال: إن الرجل ليظلمني فأرحمه

. قال أبو أسامة سمعت الأعمش يقول: قال إبراهيم التيمي: ربما أتى علي شهر لا أطعم طعاماً ولا

أشرب شراباً، لا يسمعن هذا منك أحد.)<sup>(١)</sup>

### محنته و سجنه ﷺ :

عن علي بن محمد قال: طلب الحجاج إبراهيم النخعي، فجاء الرسول فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، ولم يستحل أن يدلّه على النخعي، فأمر بحبسه [ في الديماس ]، ولم يكن لهم ظل من الشمس، ولا كن من البرد، و [ كان ] كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فعادته أمه، فلم تعرفه، حتى كلمها، فمات، فرأى الحجاج في نومه قائلاً يقول: مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة، فسأل، فقالوا: مات في السجن إبراهيم التيمي، فقال: حلم نزغة من [ نزغات ] الشيطان، وأمر [ به ] فألقي على الكناسة<sup>(٢)</sup>.



### الربيع بن أنس ﷺ

<sup>١</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ٢ / ص ٢٣٤)

<sup>٢</sup> - الطبقات ٦ / ٢٨٥، سير أعلام النبلاء - (ج ٥ / ص ٦١)

**ترجمته ﷺ** الربيع بن أنس (١) ابن زياد البكري، الخراساني، المروزي. بصري.

سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه، والحسن البصري.

وعنه: سليمان التيمي، والاعمش، والحسين بن واقد، وأبو جعفر الرازي، وعبد العزيز بن مسلم، وابن المبارك وآخرون.

وكان عالم مرو في زمانه، وقد روى الليث عن عبيد الله بن زحر عنه.

ولقيه سفيان الثوري.

قال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن أبي داود: سجن بمرور ثلاثين سنة.

**محنته وسجنه ﷺ**

قلت: سجنه أبو مسلم تسعة أعوام، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه فسمع منه.

يقال: توفي سنة تسع وثلاثين ومئة.

حديثه في السنن الأربعة.

قال شعبة: هو عندي من سادات المسلمين. وغزا في المطوعة أرض الهند. وقال القاضي أبو محمد الرامهرمي: أول من صنف وبوب فيما أعلم الربيع بن صبيح بالبصرة، ثم سعيد بن أبي عروبة بها، وخالد بن جميل الذي يقال له العبد ومعمّر باليمن، وابن جريج بمكة، وسفيان الثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة بالبصرة، ثم صنف سفيان بن عيينة والوليد بن مسلم وابن المبارك وجريير بن عبد الحميد وهشيم. (٢)

<sup>١</sup> طبقات ابن سعد ٧ / ١٠٢، الجرح والتعديل ٣ / ٤٥٤ - ٤٥٥، ثقات ابن حبان ٣ / ٦٤، تهذيب الكمال ٤٠٥، تهذيب التهذيب ١ / ٢١٦، ٢ / ٢١٦، تهذيب التهذيب ٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩، خلاصة تهذيب الكمال (١١٤). سير أعلام النبلاء - (٦ / ١٦٩) مشاهير علماء الأمصار - (ج ١ / ص ٢٠٣) من له رواية في الكتب الستة - (ج ١ / ص ٣٩١) مغاني الأخبار - (ج ١ / ص ٣٢٢)

<sup>٢</sup> - الوافي بالوفيات - (ج ٤ / ص ٤٤٣)



توبة العنبري رحمته الله

**ترجمته ﷺ (١) توبة العنبري ويكنى أبا المورع .**

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن المورع بن توبة العنبري قال: هو توبة بن كيسان بن أبي الأسد وأصله من أهل سجستان، ومولد توبة اليمامة ومنشأه بها، ثم تحول إلى البصرة، وهو مولد أيوب بن أزهر العدوي من بني عدي بن جندب من بني العنبر بن عمرو بن تميم، وأم توبة ظبية بنت يزيد بن عقيل بن ضبة من بني نمير بن عامر من أنفسهم، وكان توبة قد وفد إلى سليمان بن عبد الملك فسأله عن حاجته فأثبت له عيلين في العطاء وأذن له أن يتخذ حماما بالبصرة ويحتفر بئرا بالبادية وأجابه إلى ذلك، وكان لا يفعل ذلك أحد إلا بإذن الخليفة، فاتخذ حماما إلى جانب منزله في بني العنبر الرابية وحفر بئرا بالبادية بالخرنق، وبين الخرنق والبصرة ثلاث مراحل، ثم وفد توبة أيضا إلى عمر بن عبد العزيز وهو خليفة.

قال إسحاق بن إبراهيم بن المورع فحدثني خباب بن عبد الأكبر العنبري عن توبة العنبري أنه لما وفد إلى عمر بن عبد العزيز رأى بناته حوله يلعبن وعليهن التبايين.

قال إسحاق بن إبراهيم بن المورع وفد توبة إلى هشام بن عبد الملك فوجهه إلى خراسان ضاعطا على أسد بن عبد الله ثم صرفه إلى العراق فولاه يوسف بن عمر سابور، ثم ولاه الأهواز، فعزل يوسف وهو واليه على الأهواز، قال: وجهد قوم من بني العنبر بتوبة أن يدعي فيهم فأبى، وجهد به أخواله بنو نمير أن يدعي فيهم فأبى، وكان صاحب بداوة، فمات بضبع وضبع من البصرة على يومين فدفن هناك، وكان يوم توفي بن أربع وسبعين سنة.

**محنته وسجنه ﷺ :** عن عثمان بن مطر حدثنا توبة العنبري قال أكرهني يوسف بن عمر على العمل فلما رجعت حبسني وقيدني فكنت في السجن حينما فأتاني آت في المنام عليه ثياب بياض فقال يا توبة قد أطلوا حبسك قلت نعم قال قل أسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة فقلت ثلاثا فاستيقظت فكتبت بها ثم إني صليت ما شاء الله فما زلت أدعو به حتى صليت الصبح فلما صليت الصبح

<sup>١</sup> - الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٧ / ص ٢٤٠) تهذيب الكمال - (ج ٤ / ص ٣٣٦). مغاني الأخيار - (ج ١ / ص ١١٧) تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ٢ / ص ٤٩٠) تهذيب التهذيب - (ج ١ / ص ٤٥٣) الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج ٧ / ص ٢٤٠)

جاؤني فحملوني في قيودي حتى وضعوني بين يدي يوسف بن عمر فأطلقني عن عثمان بن مطر حدثنا توبة العنبري قال أكرهني يوسف بن عمر على العمل فلما رجعت حبسني في السجن وقيدي فما زلت في السجن حتى لم يبق في رأسي شعرة سوداء فأتاني آت في المنام عليه ثياب بيض فقال يا توبة طال حبسك قلت أجل فقال يا توبة قل أسأل الله العفو والعافية والمعافة في الدنيا والآخرة فقلتها ثلاثاً فاستيقظت فقلت يا غلام هات السراج والدواة فكتبت هذا الدعاء ثم إني صليت ما شاء الله أن أصلي فما زلت أدعو به حتى صليت الصبح فلما صليت جاء حرسى فضرب باب السجن ففتحوا له ثم قال أين توبة العنبري فقالوا هذا فحملوني بقيودي حتى وضعوني بين يدي يوسف وأنا أتكلم به فقال يا توبة قد أطلنا حبسك قلت أجل قال اطلقوا عنه قيوده وخلوه فعلمته رجلاً في السجن فقال لي صاحبي لم أدع إلى العذاب قط فقلتهم إلا خلي عني فجري وفي حديث البربري فجئ به يوماً إلى العذاب فجعلت أتذكرهن فلم أذكرهن حتى جلدت مائة سوط ثم إني ذكرتني فقلتهم فخلي عني (١)



أبو عبيد الله الوزير رحمته الله

١ --- تاريخ دمشق - (١١ / ١٠٠)

**ترجمته ﷺ (١) أبو عبيد الله الوزير معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري،** مولا هم الطبراني الشامي، الكاتب، أحد رجال الكمال حزماً ورأياً، وعبادة وخيراً.

روى عن: أبي إسحاق، ومنصور، وطائفة.

(حدث عنه: منصور بن أبي مزاحم وغيره).

وكان المهدي يبالي في إجلاله واحترامه، ويعتمد على رأيه وتدبيره وحسن سياسته.

قال حفيدة عبيد الله بن سليمان: أبى جدنا سجادتين، وشرع في ثلاثة موضع ركبتيه ووجهه ويديه، من كثرة صلاته - رحمه الله - وكان

له كل يوم كر دقيق يتصدق به، فلما وقع الغلاء، تصدق بكرين.

قلت: الكر يشيع خمسة آلاف إنسان، وكان من ملوك العدل.

ويقال: سمع من الزهري، وعاصم بن رجاء بن حيوة، وكان مع دينه فيه تيه وتعزز.

حج الربيع الحاجب، فجاء إليه مسلماً، فما قام له، ولا وفاه حقه، فعمل عليه عند المهدي، ورمى ابنه بالتعرض لحمر الهادي، فقتل المهدي ابنه، وقبض عليه، فسجنه، فما زال في السجن حتى توفي سنة سبعين ومئة.

وكان له في كل يوم كُر دقيق يتصدق به، فلما اشتد الغلاء أتاه موله فقال: قد غلا السعر فلو نقصنا من الكر، فقال: أنت شيطان، صيره كرين.

قال: وأخبرت أن الجصور يوم مات امتلأت، فلم يعبر عليها أحد إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين.

وروى منصور بن مزاحم، عن أبي عبيد الله قال: دخلت على المنصور فاستحلفني أن اصدقته، فحلفت له: فقال: ما قولك في خلفاء بني أمية؟ قلت: كل من كان منهم مطيعاً لله، عاملاً بكتاب الله، متبوعاً

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ٧ / ص ٣٩٨) تاريخ خليفة: ٤٤٢، تاريخ بغداد: ١٣ / ١٩٦ - ١٩٧، تاريخ ابن عساكر: خ: ١٦ / ٣٨٤

ب، تهذيب الكمال: خ: ١٣٤٤ - ١٣٤٥، تهذيب التهذيب: خ: ٤ / ٥٢، عبر الذهبي: ١ / ٢٥٨، تهذيب التهذيب: ١٠ / ٢١٢،

خلاصة تهذيب الكمال: ٣٨١، شذارت الذهب: ١ / ٢٧٩.



لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه إمام تجب طاعته، قال: جئت بها عراقية، وهكذا أدركت أشياخك من أهل الشام يقولون؟ قلت: لا، بل أدركتهم يقولون: إن الخليفة إذا استخلف غفر الله له ما مضى، فقال: أي والله، وما تأخر من ذنوبه، أتدري ما الخليفة؟ به تقام الصلاة والحج للبيت، ويجاهد العدو، وعدد من مناقب الخلافة ما لم نسمع أحداً ذكر مثله.

قال أبو عبيد الله: ورأيت الشعبي؟ قلت: نعم، قال: ارتفع، ارتفع، كتمتنا نفسك حتى كدت أن تلحقنا دماً لا ترخصه المعاذير ثم اشتغل بي حتى قضيت حاجتي.

يقال: إن أبا عبيد الله وقع بينه وبين الربيع الوزير، فرمى ابنه بجرم الهادي، فما زال المهدي حتى قتل الابن، ثم سجن أبا عبيد الله مدة.

قال ابن عساكر: كان أبو عبيد الله من أهل طبرية، سمع أيضاً من الزهري، وعاصم بن رجاء الكندي. حكى عنه: ابنه هارون، ومبارك الطبري، ومنصور بن أبي مزاحم.

ومربة أبي عبيد الله بالجانب الشرقي منسوبة إليه.

ويقال: وصف رجل أبا عبيد الله الوزير فقال: ما رأيت أوفر من حلمه، ولا أغزر من قلمه.

وقال الزبير: نا عبد الله بن نافع بن ثابت بعث أبو عبيد الله الوزير إلى والد مصعب الزبيري بألفي دينار، فردّها وقال: لا اقبل صلة إلا من خليفة أو من ولي عهد.

عمر بن شبة، عن سعيد بن حزم: أن جعفر بن يحيى البرمكي حدثه، أن الفضل بن الربيع أخبره، أن أباه حج مع المنصور في العام الذي مات فيه المنصور، فلما قدم ذهب إلى أبي عبيد الله قبل أن يأتي منزله، فلم يبق له، ولا رفع له رأساً، فغضب الربيع وقال لي: يا بني لأجهدن في أذاه، وذكر القصة، ومضت في الحوادث سنة إحدى وستين ومائة.

مات أبو عبد الله في الحبس سنة سبعين ومائة.<sup>(١)</sup>

### ذو النون المصري رحمه الله

<sup>١</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ٣ / ص ٢٧٦)

**ترجمته ﷺ (١)** ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم - وقيل: الفيض بن إبراهيم - المصري المعروف بذي النون، الصالح المشهور، أحد رجال الطريقة؛ كان أوحده وقتة علماً وورعاً وحالاً وأدباً، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك رضي الله عنه؛ وذكر ابن يونس عنه في تاريخه أنه كان حكيماً فصيحاً، (٢)

كان أبوه نوبياً، وقيل من أهل إخميم، مولى لقريش.

وسئل عن سبب توبته فقال: خرجت من مصر لبعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحاري ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداها ذهب والأخرى فضة وفي إحداها سمس وفي الأخرى ماء فجعلت تأكل من هذه وتشرب من هذه، فقلت: حسبي قد تبنت ولزمت الباب إلى أن قبلني.

وكان قد سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده مكرماً، وكان المتوكل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحي هلا بذي النون: وكان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية.

وشيخه في الطريقة شقران العابد.

وقال إسحاق بن إبراهيم السرخسي: بمكة سمعت ذا النون يقول وفي يده الغل وفي رجله القيد وهو يساق إلى المطبق والناس يبكون حوله وهو يقول: هذا من مواهب الله ومن عطاياه وكل فعالة عذب حسن طيب وأنشد: - من الخفيف -

لك من قلبي المكان المصون كل لومٍ علي فيك يهون

لك عزم بأن أكون قتيلاً فيك، والصبر عنك ما لا يكون

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ١١ / ص ٥٣٢) حلية الأولياء ٩ / ٣٣١، ٣٩١ و ١٠ / ٣، ٤، تاريخ بغداد ٨ / ٣٩٣، الأنساب ١ / ١٣٥، اللباب ١ / ٣٥، وفيات الأعيان ١ / ٣١٥، ٣١٨، العبر ١ / ٤٤٤، البداية والنهاية ١٠ / ٣٤٧، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٢٠، طبقات الأولياء: ٢١٨، ٢٢٣، طبقات الصوفية: ١٥، ٢٦، طبقات الشعرا ١ / ٨١، ٨٤، الرسالة القشيرية: ٢١١.

<sup>٢</sup> - وفيات الأعيان - (ج ١ / ص ٣١٥)

## محنته وسجنه ﷺ :

كان ممن امتحن وأوذي لكونه أتاهم بعلم لم يعهدوه كان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال وفي مقامات الأولياء فقال الجهلة: هو زنديق قال السلمي: لما مات أظلت الطيور جنازته انتهى وقال ابن يونس: يكنى أبا الفيض من قرية يقال لها: إخميم وكان يقرأ الخط القديم لقيت غير واحد من أصحابه كانوا يحكون لنا عنه عجائب وأرخه في ذي القعدة.

وقال مسلمة بن قاسم: كان رجلاً صالحاً زاهداً عالماً ورعاً متقناً في العلوم واحداً في عصره وذكر ابن الطحان في ذيل تاريخ مصر لابن يونس في ترجمة ذي الكفل بن إبراهيم وهو أخو ذي النون من طريق حسنون صاحب ذي النون أن رجلين اختصما في ثلاثمائة أردب قمح فاعترف أحدهما بحق الآخر وادعى العجز فوعظه ذو النون فأصر على أنه عاجز عن القضاء فقال لصحاب الدين يصلحه على مائة أردب فرضي فقال لأخيه ذي الكفل: كل له من هذا البيت وأومىء إلى بيت مهجور ففتحه فرأى القمح قد خرج من شقوق الباب ففتح فكان له مائة وفضل قدر ربعها فأعطاه المديون قال: وارتم الباب بالتراب كما كان

عن محمد بن ريان قال: لما مات ذو النون رأيت على جنازته طيوراً خضراً فلا أدري أي شيء كان ومات بمصر فأمر أن يجعل قبره مع الأرض ومن طريق عباس بن حمدان: حدثنا أبو الحسن صاحب الشافعي حضرت جنازة ذي النون فرأيت الخفافيش تقع على نعشه ويديه تطير رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup> وقال محمد بن الفرخي: كنت مع ذي النون في زورق، فمر بنا زورق آخر، فقبل لذي النون: إن هؤلاء يمرّون إلى السلطان، يشهدون عليك بالكفر.

فقال: اللهم إن كانوا كاذبين، فغرقهم، فانقلب الزورق، وغرقوا.

فقلت له: فما بال الملاح؟ قال: لم حملهم وهو يعلم قصدهم؟ ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا شهود زور، ثم انتفض وتغير، وقال: وعزتك لا أدعو على أحد بعدها.

ثم دعاه أمير مصر، وسأله

<sup>١</sup> - لسان الميزان - (ج ١ / ص ٣٨٦)

عن اعتقاده، فتكلم، فرضي أمره.

وطلبه المتوكل، فلما سمع كلامه، ولع به وأحبه.

وكان يقول: إذا ذكر الصالحون، فحي هلا بذي النون.<sup>(١)</sup>



أحمد بن محمد بن فرج رحمته الله

مكانته رحمته الله: من أهل جيان، يكنى: أبا عمر، يعرف بالنسبة إلى جده.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ١١ / ص ٥٣٤)

كانت له رواية عن قاسم بن أصبغ ، والحسن بن سعدٍ . وكان علم اللغة والشعر أغلب عليه . وألف : كتاب الحقائق عارض به : كتاب الزهرة لابن داود الأصبهاني ، ولحقته محنة لكلمة عامية نطق بها نقلت عنه ، فنيل بمكروه في بدنه ، وسجن بجيان في سجنها ، وأقام في السجن أعواماً سبعةً أو أزيد منها . وكانت له أشعارٌ ورسائل في محبسه إلى الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، كانت لا تصل إليه فيما يذكر .

فلما توفي الحكم نفذ كتاب بإطلاقه ، فلما علم بذلك فرع فمات إلى يسير . وكان أهل الطلب يدخلون إليه في السجن ، ويقرءون عليه اللغة وغيرها .

نقلته من خط أبي عبد الله محمد بن عتاب الفقيه . وكانت وفاة الحكم يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ست وستين وثلاث مائة .<sup>(١)</sup>

ومن شعره :

بأيّهما أنا في الشكر باد      أشكر الطيف أم شكر الرقاد<sup>(٢)</sup>

بأيّهما أنا في الشكر بادی      بشكر الطيف أم شكر الرقاد

سرى وأراد بي أملی ولكن      عففت فلم أنل منه مرادی

وما في النوم من حرج ولكن      حریت من العفاف على اعتیادی

ومن قوله أيضاً :

وطائفة الوصال عدوت عنها      وما الشيطان فيها بالمطاع

بدت في الليل سافرة فباتت      دياجی الليل سافرة القناع

وما من لحظة إلا وفيها      إلى فتن القلوب لها دواعي

<sup>١</sup> - الصلة - ( ١ / ١ )

<sup>٢</sup> - الوافي بالوفيات - ( ج ٣ / ص ٤٦ )

فملكت النهى جمحات شوقي لأجرى في العفاف على طباعي

وبت بها مبيت السقب يظما فيمنعه الكعام من الرضاع

كذاك الروض ما فيه لمثلئى سوى نظر وشم من متاع

ولست من السوائم مهملات ... فأتخذ الرياض من المراعي

وكان الحكم المستنصر قد سجنه لأمر نقمه عليه ؛ وأظنه مات في سجنه ؛ وله في السجن أشعار كثيرة مشهورة.<sup>(١)</sup>



**سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبي الوفاء رحمه الله:**

**ترجمته رحمه الله:** الشيخ صدر الدين الياسوفي الدمشقي، سمع الكثير، وعني بالحديث واشتغل بالفنون، وحدث وأفاد وخرج مع الخط الحسن والدين المتين والفهم القوي والمشاركة الكثيرة، أؤذي في

<sup>١</sup> - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس - (ج ١ / ص ٣٨)

فتنة الفقهاء القائمين على الملك الظاهر فسجن، فمات في السجن بعد أيام بالقلعة، مع أنه صنف في منع الخروج على الأمراء تصنيفاً حسناً، وقفت عليه بدمشق، وهو القائل:

ليس الطريق سوى طريق محمد      فهي الصراط المستقيم لمن سلك.

من يمش في طرقاته فقد اهتدى      سبل الرشاد ومن يزغ عنها هلك.

**مولده ﷺ:** وكان مولده تقريباً سنة تسع وثلاثين، وحفظ محفوظات وكان مشهوراً بالذكاء سريع الحفظ ودأب في الاشتغال ولازم العماد الحسباني وغيره، وفضل في مدة يسيرة، وتنزل في المدارس ثم تركها، وقرأ في الأصول على الإخميمي، وترافق هو وبدر الدين بن خطيب الحديث، فتركا الوظائف جملة وتزهداً وصاراً يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر، وأوذيا بسبب ذلك مراراً، ثم حُبب إلى الصدر الحديث فصحب ابن رافع وجد في الطلب، وأخذ عن أصحاب ابن البخاري كثيراً، وخرج لجماعة من الشيوخ، ورحل إلى مصر سنة إحدى وسبعين وسبعمئة، وسمع بها من جماعة وخرج لناظر الجيش جزءاً وصادف ولاية ابن وهبة قضاء طرابلس عند موت ابن السبكي فولي وظائفه، بعناية ناظر الجيش وهي تدريس الأكرمية ومشيخة الأسدية وغيرهما، ودرس وأفتى واستمر على الاشتغال بالحديث يسمع ويفيد الطلبة القادمين وينوّه بهم مع صحة الفهم وجودة الذهن.

قال ابن حجي: وفي آخر أمره صار يسلك مسلك الاجتهاد ويصرح بتخطئة الكبار، واتفق وصول أحمد الظاهري من بلاد الشرق فلأزمه فمال إليه، فلما كان كائنة بيدمر مع ابن الحمصي أمر بالقبض على أحمد الظاهري ومن ينسب إليه، فاتفق أنه وجد مع اثنين من طلبة الياسوفي فسُتلا فذكر أنهما من طلبة الياسوفي فقبض على الياسوفي وسجن بالقلعة أحد عشر شهراً إلى أن مات (١).

وامتحن بآخره بسبب شهاب الدين أحمد بن البرهان، وهو أن ابن البرهان كان يتكلم في سلطنة الملك الظاهر برقوق، وكان صدر الدين هذا بينه وبين ابن البرهان صحبة فتم عليه، فقبض عليه صاحب قلعة دمشق ابن الحمصي وحبس به بقلعتها، واستمر صدر الدين المذكور محبوساً بقلعة دمشق إلى أن توفي بها في ليلة السبت ثالث عشرين شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمئة، فغسل وصلى عليه بجامع دمشق، ودفن بعد الزوال بقرب الشيخ تقي الدين بن تيمية، رحمه الله. (٢)

١ - إنباء الغمر بأبناء العمر - (١ / ١٢٦)

٢ - المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي - (ج ١ / ص ٤٧٠)

سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبي الوفاء الياسوفي صدر الدين الشافعي ولد سنة ٧٣٩ تقريباً ونقله أبوه إلى مدرسة أبي عمر بالصالحية فقرأ بها القرآن وحفظ التنبيه ومختصر ابن الحاجب وأقبل على التفقه وأخذ عن العماد الحسباني والموجودين من أعلام الشافعية وتمهر حتى كان يقول كنت إذا سمعت شخصاً يقول أخطأ النووي أعتقد أنه كفر وأخذ في علم الحديث عن ابن رافع وغيره وسمع الكثير من أصحاب الفخر ومن بعدهم وكان يحفظ من مختصر ابن الحاجب في كل يوم مائتي سطر إلى أن ختمه وكان ذكياً فقيه النفس كثير المروءة محبوباً للناس معيناً للطلبة خصوصاً أهل الحديث على مقاصدهم بجاهه وكتبه وماله وقد سمع بمصر والقاهرة وحلب وقرأ وخرج وشارك في فنون الحديث وخرج تخارج مفيدة وكان سهل العارية للكتب كثير الإطعام للناس.

**محنته و سجنه ﷺ** : قال الشيخ برهان الدين المحدث ذكرت للشيخ شهاب الدين الملاكوي

المهمات للأسنوي فقال الشيخ صدر الدين يحسن يكتب من التنبيه أحسن منها مات معتقلاً بقلعة دمشق في ثالث عشر شعبان سنة ٧٨٩ بسبب فتنة ابن البرهان الظاهري ولم يخلف بعده في مجموعته مثله وكان لازم ابن حجي والعماد الحسباني وولي الدين المنفلوطي وبهاء الدين الأحميمي وكان بعد أن نزل في المدارس قد ترك ذلك هو وبدر الدين ابن خطيب الحديثة المقدم ذكره وتزهذا وترك الرئاسة لكن صدر الدين صار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأوذى مراراً فلم يرجع ثم حبيب إليه الحديث فأقبل عليه بكليته ورحل إلى مصر وحلب .

قال الشهاب ابن حجي كان جيد الفهم مشهوراً بالذكاء قال وكان في أواخر أمره قد أحب مذهب الظاهر وسلك طريق الاجتهاد وصار يصرح بتخطئة جماعة من أكابر الفقهاء على طريقة ابن تيمية ولما دخل الشيخ شهاب الدين ابن البرهان الشام بعد حبس الملك الظاهر الخليفة المتوكل داعياً إلى القيام على السلطان التف عليه ونوه به وصار يتعصب له ويعينه فاتفق لهم تلك الكائنة فأخذ فيمن أخذ فمات في سجن القلعة مبطوناً شهيداً في شعبان سنة ٧٨٩ واستراح من المحنة التي أصابت أصحابه حدثني نور الدين علي بن يوسف بن مكتوم بحماة قال كنت عند الشيخ صدر الدين الياسوفي وكان أحمد الظاهري يتردد إليه فاتفق أنه طلب فجاء قوم إلى الشيخ صدر الدين فأخذوه وأصعدوه إلى القلعة وكان السبب في ذلك أن خالداً العاجلي الحلبي كان ممن وافق أحمد الظاهري على دعوته وكان يعرف ابن الحمصي نائب قلعة دمشق منذ كان ابن الحمصي بحلب فتردد إليه فأكرمه فتوسم فيه أنه يجيبهم



إلى مطلوبهم وخذعاه فأظهر له الميل إليه وأصغى له إلى أن أطلعاه على سرهم فاغتنم ابن الحمصي الفرصة في بيدم فكاتب الظاهر بأن قوماً صفتهم كذا دعوا إلى الخروج على السلطان وأجابهم بيدم وفلان وفلان وأنهم دعوني فأظهرت الميل إليهم وطالعت السلطان فجاء الجواب بالقبض على بيدم وعلى أحمد الظاهري وأتباعه قال فاتفق أنهم وجدوا أحمد بالجامع مع شخصين من طلبة الياسوفي فقبضوا عليهم فتبرأ الرجلان من أحمد وقالوا إنما مشينا معه لأنه يتردد إلى شيخنا ونسمع معه وعليه فأمرهم ابن الحمصي بالقبض على الشيخ صدر الدين قلت وذكر لي ابن البرهان وهو أحمد الظاهري المذكور أن الشيخ صدر الدين لما قبض عليه حصل له فزع شديد أورثته الإسهال فاستمر به إلى أن مات بالقلعة مظلوماً مبطوناً شهيداً وجهاز ابن الحمصي أحمد الظاهري ومن معه إلى القاهرة فكان من أمرهم ما كان وقرأت بخط الشيخ برهان الدين المحدث الحلبي إن الشيخ صدر الدين حفظ التنبيه وهو صغير ومختصر ابن الحاجب ومهر في المذهب واقبل على الحديث فأكثر وتخرج بابن رافع وابن كثير وغيرهما وسمع الكثير وكان ديناً كثير العلم والعمل والإحسان إلى الطلبة والواردين وخرج عدة تخارج وجمع عدة كتب وذكر في سبب موته نحواً مما ذكره لنا ابن مكتوم وقال أنه كان يحفظ من المختصر كل يوم مائتي سطر ورحل في الحديث إلى حلب وحمص والقاهرة وغيرها وقال أيضاً أخبرني الشهاب المكاوي أنه برع في معرفة المذهب حتى لو اتفق أنه تصدى لعمل شيء في الفقه نظير ما عمله الشيخ جمال الدين على المهمات لكان يملئ من حفظه نحو ما صنف الاسنوي وكان الشيخ نجم الدين المرجاني يفرط في تقريب الياسوفي وخطه قوي.<sup>(١)</sup>



### الشيخ عبد النبي الصدر شهيداً رحمه الله

**ترجمته رحمه الله :** العلامة المفنن الصالح الشيخ عبد النبي الصدر شهيداً رحمه الله تعالى، وكان من المتبحرين في العلم، وكان معظماً عند السلطان أكبر جداً. بحيث يقال إن السلطان المذكور كان يتولى

<sup>١</sup> - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - (ج ١ / ص ٢٤١)

خدمته بنفس في بعض الأحيان، وثباته في الدين وصره على الامتحان مشهور، وحكي أن السلطان كان رسل إليه وهو في السجن وقد عذب بأنواع العذاب أن أترك ما أنت عليه من الصلابة في الدين، وتكون كما كنت في أوج العظمة فيرد عن غير ذلك من الجواب بما يزداد به غيظ السلطان عليه،

### محنته و سجنه ﷺ :

وحكي أن السلطان أمر بعض الكفار أن يقتله فمكث مدة يحاول ذلك، وما يجيء إلا ويجده في صلاة أو تلاوة فيتوقف لذلك عن قتله، وقال للسلطان أمرك مطاع ولو أمرتني بقتل مائة نفس من مشايخنا يعني من الكفار لفعلت، وأما هذه المسلم فما قط جئت لقتله إلا وجدته فيه مشغولاً بطاعة ربه، وأنا أتحاشى عن ذلك فاعذرني، وقرب إليه كأس فيه سم فأبى أن يتناوله، وقال: أنا أعلم بالذي فيه ولا أعين على قتل نفسي. أي للمحذور في ذلك من جهة الدين، ثم إن السلطان بعد ذلك أمر بخنقه رحمه الله ففعل به ذلك ومات، وكان ذلك ليلة اثنى عشر في ربيع الأول، وهي ليلة المولد الشريف فرحمه الله لقد ابقى ذكراً جميلاً وثبت ثباتاً عظيماً قل أن يتفق مثله إلا لمن وفقه الله أعاد الله علينا من بركاته آمين.<sup>(١)</sup>



### أحمد بن محمد بن مري البعلبي ﷺ

ترجمته ﷺ :

<sup>١</sup> - النور السافر عن أخبار القرن العاشر - (١ / ١٨٧)

أحمد بن محمد بن مري البعلبي، الحنبلي كان منحرفاً عن ابن تيمية ثم اجتمع به فأحبه وتلمذ له وكتب مصنفاته وبالع في التعصب له وكان قدم القاهرة فتكلم على الناس بجامع أمير حسين بن جندر بحكر جوهر النوبي وجامع عمرو بن العاص

### محنته و سجنه ﷺ :

وسلك طريق ابن تيمية في الحط على الصوفية ثم إنه تكلم في مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي مسألة الزيارة وغيرهما على طريق ابن تيمية فوثب به جماعة من العامة ومن يتعصب للصوفية وأرادوا قتله فهرب فرفعوا أمره إلى القاضي المالكي تقي الدين الأحنائي فطلبه وتغيب عنه فأرسل إليه وأحضره وسجنه ومنعه من الجلوس وذلك بعد أن عقد له مجلس بين يدي السلطان وذلك في ربيع الآخر سنة ٧٢٥ فأننى عليه بدر الدين ابن جنكلي وبدر الدين بن جماعة وغيرهما من الأمراء وعارضهم الأمير أيدمر الحظيري فحط عليه وعلى شيخه وتفاوض هو وجنكلي حتى كادت تكون فتنة ففوض السلطان الأمر لأرغون النائب فأغلظ القول للفخر ياطر الجيش وذكر أنه يسعى للصوفية بغير علم وأنهم تعصبوا عليه بالباطل فآل الأمر إلى تمكين المالكي منه فضربه بحضرته ضرباً مبرحاً حتى أدماه ثم شهره على حمار أركبه مقلوباً ثم نودي عليه هذا جزاء من يتكلم في حق رسول الله ﷺ فكادت العامة تقتله ثم أعيد إلى السجن ثم شفع فيه فآل أمره إلى أن سفر من القاهرة إلى الخليل فرحل بأهله وأقام به وتردد إلى دمشق ومن الاتفاقيات أن شخصاً يقال له ابن شاس حضر درساً فانجر البحث إلى أن صوب ما نقل عن ابن مري في مسألة التوسل فوثب به جماعة وحملوه إلى القاضي المالكي المذكور وشهد عليه جمع كبير فدافع عنه القاضي فجهدوا به أن يفعل منه ما فعل بابن مري أو بعضه فلم يفعل فنسب إلى التعنت في ذلك حتى قال فيه البرهان الرشدي :

يا حاكماً شيداً أحكامه على تقى الله وأقوى أساس

مقالة في ابن مري لفتت تجاوزت في الحد حد القياس

ففي ابن شاس قط ما أثرت فهل أباح الشرع كفر ابن شاس(١)

<sup>١</sup> - الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة (١٠١/١)

وكانت وفاته في سنة... وخطه مليح مشهور مرغوب فيه.<sup>(١)</sup>



أحمد بن عبد البر بن يحيى رحمته الله

<sup>١</sup> - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - (١ / ١٠١)

## ترجمته رحمه الله ﷺ :

أبو عبد الملك، قرطبي، من موالى بني أمية، صاحب تاريخ الفقهاء والقضاة. قال ابن عفيف: كان ممن طلب العلم كثيراً، وبحث عنه، وقيد آثار العلم له، ولا أعلم له رحلة. أخذ عن شيوخ الأندلس، بقرطبة وغيرها. وعول على محمد بن لبابة، ومحمد بن قاسم وابن أيمن، وقاسم بن أصبغ، وابن الزرّاد، وابن زياد، وأحمد بن خالد، وصحبه. وروى عن غيرهم، فانتفع في الرواية والدراية. وكان بصيراً بالحديث حافظاً للرأي، عالي الرواية. سمع أبو عبد الملك أيضاً من أسلم القاضي، وابن أبي تمام، وألف في فقهاء قرطبة تاريخاً مشهوراً. قال ابن الفرضي: كان بصيراً بالحديث، فقيهاً نبيلاً، متصرفاً في فنون العلم، وغلب عليه الحديث. قال ابن عفيف: وكانت له إشارة وسمت نبيل. وتكلم فيه الحسن بن مفرج، فاستولى على ما ذكره، بكثرة تتبعه، مثالب الأئمة في كتابه.<sup>(١)</sup>

طلب العلم كثيراً واعتنى به أخذ عن شيوخ الأندلس وعول على بن لبابة وأخذ عن الجلة فاتسع في الرواية والدراية. وكان بصيراً بالحديث حافظاً للرأي فقيهاً وألف تاريخاً مشهوراً. كان متصرفاً في فنون العلم. توفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.<sup>(٢)</sup>

## ذكر محنته رحمه الله ﷺ :

كان أبو عبد الملك هذا منقطعاً الى المؤيد، عبد الله بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، لا يكاد يفارقه. وله ألف تاريخ الفقهاء والقضاة. فلما سعي إلى الناصر بابنه عبد الله، وأنه يريد القيام عليه في وقت قد اقترب، وحقق ذلك عنده، أرسل في الليل من قبض على ولده فألفي عنده تلك الليلة فشملته المحنة. وقال الناصر: أنا أعلم أنه الذي زين لهذا العاق ذلك، ليكون قاضي الجماعة، ويأبى الله ذلك. فسجنه وعزم على أن يعاقبه، يوم عيد الأضحى الذي قرر عنده أن التدبير كان فيه عليه. فأصبح ابن عبد البر ذلك اليوم ميتاً في السجن. فأسلم الى أهله. وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

<sup>١</sup> - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٤٠٨)

<sup>٢</sup> - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - (ج ١ / ص ٢٣)

ومات في ذلك اليوم محمد بن عبد الله بن أبي دليم. فقدّما جميعاً فصلّى عليهما ابن أبي عيسى.  
وعاتبه الناصر لصلاته عليه. فاعتذر له أنه لم يعرف من كان. وإنما صلى على ابن أبي دليم. وضمت  
إليه جنازة أخرى لا أدريها. رحمه الله تعالى.<sup>(١)</sup>




---

<sup>١</sup> - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٤٠٨)

### محمد بن إبراهيم النابلسي رحمته الله

#### ترجمته رحمته الله :

محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن أبي الكرم النابلسي الأصل، ثم الدمشقي، فتح الدين ابن الشهيد أبو بكر، أحد أفراد الدهر ذكاء وعلماً ورياسة ونظماً، تفقه ومهر في التفسير والفقه، وبرع في الأدب والفضائل وإقراء الكشاف وغيره، ونظم السيرة النبوية نظماً مليحاً إلى الغاية وحدث بها، لما قدم القاهرة سنة إحدى وتسعين قرأها عليه شيخنا الغماري وهو أسن منه وأثنى هو وجميع فضلاء القاهرة على فضله، وأثنى عليه ينظمها قبل ذلك الحافظ شمس الدين ابن المحب ومدحه بقصيدتين فأجابه عنهما، وكانت له دروس حافلة عظيمة، وكان رئيساً عالي الرتبة رفيع المنزلة، له آثار حميدة وسجايا جميلة ومحاضرة حسنة.

#### محنته و سجنه رحمته الله :

ولي كتابة السر بدمشق مراراً ومشیخة الشيوخ بها، ودرس وتقدم إلى أن قتل ظلماً في شعبان من سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة، وذلك أنه لما خرج منطاش وبلغا الناصري وملكا الأمر ونفى برقوق إلى الكرك ثم خلص منها وحاصر دمشق قام ابن الشهيد وجمع لمحاربته، فلما آل الأمر إلى برقوق حقد عليه فأمر بالقبض عليه فحمل إلى القاهرة مقيداً، فأودع السجن مع أهل الجرائم ثم أمر به فأخرج إلى ظاهر القاهرة فضربت عنقه بالقرب من القلعة، وذلك قبل رمضان بيوم، وكان بينه وبين بیدمر شر كبير، فإذا ولي بیدمر النيابة سعى في أذاه بكل طريق وصور غير مرة واختفى وعزل مراراً، ثم يعود، وكان أعظم ذنوبه عند الظاهر أن منطاش لما سجن الشهاب القرشي أعطاه الخطابة، فكان يحرض في خطبته على الظاهر.<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - إنباء الغمر بأبناء العمر - (١ / ١٦٢)

إبراهيم الصائغ رحمه اللهترجمته رحمه الله

قال السمعاني : كان فقيهاً فاضلاً، قتله أبو مسلم الخراساني بمرو، سنة إحدى وثلاثين ومائة.

قال ابن المبارك : لما بلغ أبا حنيفة قتل إبراهيم الصائغ بكى حتى ظننا إنه سيموت، فخلوت به، فقال : كان والله رجلاً عاقلاً، ولقد كنت أخاف عليه هذا الأمر.

قلت : وكيف كان سببه؟ قال : كان يقدم ويسألني، وكان شديد البذل لنفسه في طاعة الله تعالى، وكان شديد الورع، وكنت ربما قدمت إليه بالشيء، فيسألني عنه، ولا يرضاه، ولا يذوقه، وربما رضىه فأكله.

فسألني عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن اتفقنا على أنه فريضة من الله تعالى، فقال لي : مد يدك حتى أباعك.

فأظلمت الدنيا بيني وبينه.

فقلت : ولم؟

قال : فذهب إبراهيم، فدخل على أبي مسلم، فأمره ونهاه، فقتله على ذلك.

وعن الحسن بن رشيد، أيضاً، أنه قال : سمعت النعمان : أنا حدثت إبراهيم الصائغ، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : قال رسول الله ﷺ : " سيد الشهداء حمزة، ثم رجل قام إلى إمام جائر، فأمره، ونهاه، فقتله على ذلك " .

وعن الحسن بن رشيد أيضاً، قال : دعا أبو مسلم الناس إلى البيعة، فدعا الصائغ، فقال له : بايع طوعاً غير كاره.

فقال الصائغ : لا، بل كرهاً غير طائع.

قال : فكيف بايعت لنصر بن سيار؟ قال : إني لم أسأل عن ذلك، ولو سئلت لقلت.



وقال أحمد بن سيار: وذكر يعمر بن بشر، قال: كتب إبراهيم الصائغ إلى أبي مسلم بكتاب، يأمره وينهاه، وذكر أنه كان بين أبي مسلم وبينه اجتماع أيام دعوته، وأن أبا مسلم وعده القيام بالحق، والذب عن الحرام أيام دولة بني أمية؛ فلما ملك أبو مسلم وبسط يده، دخل عليه إبراهيم الصائغ، فوعظه ونهاه.

فقال أبو مسلم: يا إبراهيم، أين كنت عن نصر بن سيار، وهو يتخذ زقاق الذهب للخمر فيبعث بها إلى الوليد بن يزيد؟!.

فقال إبراهيم: إني كنت معهم أخشى، وأنت وعدتني أن تعمل بالحق وتقيمه.

فكف عنه أبو مسلم، وكان إبراهيم يظهر مخالفته إياه، ومع ذلك لا يدع ما يمكنه.

تغمده الله برحمته؛ فما كان أحبه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وروى ابن عساكر، بسنده عن علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، قال: لما قتل أبو مسلم إبراهيم الصائغ، فأحببت أن أراه في المنام، فرأيت، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة ليس بعدها مغفرة.

قلت: فأين يزيد النحوي؟ قال: أيها، هو أرفع مني بدرجات.

قلت: لم وقد كنتم سوا؟ قال: بقراءة القرآن.

قال: ورأيت في منامي رجلاً على صلاة على النار يغلي، فقلت: من هذا؟ فقالوا: أبو مسلم.

قال علي: فأخبرتني بعض أهل بيتي، عن أبي، قال: قيل لي في منامي: إنه سيرى في كل بلاد خراسان مثل ما رأيت في هذه الليلة.

وقال إبراهيم بن رستم: قال أبو حمزة: اختلفت إلى إبراهيم الصائغ نيفا وعشرين سنة، ما علم أحد من أهل بيتي أين ذهب، ولا من أين جئت.

قلت: لأن إبراهيم الصائغ كان في السجن، سجن المسودة<sup>(١)</sup>، ولا يذهب أحد إليه إلا مختفياً<sup>(٢)</sup>.

<sup>١</sup> - وهم العباسيون. سمو بذلك لان شعارهم لبس السواد.

<sup>٢</sup> - سير أعلام النبلاء - (٧ / ٣٨٦) الطبقات السننية في تراجم الحنفية - (ج ١ / ص ٧٣) تاريخ أصبهان - (ج ١ / ص ٨٩).

## محمد بن احمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي رحمته الله

### ترجمته رحمته الله :

محمد بن احمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي شمس الأئمة صاحب المبسوط تخرج بعبد العزيز الحلواني وأملى المبسوط وهو في السجن تفقه عليه أبو بكر محمد بن إبراهيم الحصري وغيره مات في حدود الخمسمائة وكان عالماً أصولياً مناظراً قلت وقد شاع عنه أنه أملى المبسوط من حفظه

### حفظه و سجنه رحمته الله :

قال في المسالك حكى أنه كان جالسا في حليقة الاشتغال ف قيل له حكى عن الشافعي أنه كان يحفظ ثلاثمائة كراس فقال حفظ الشافعي زكوة ما أحفظ فحسبت حفظه فكان أثنى عشر ألف كراس قلت من غير مراجعة إلى شيء من الكتب ويدل على ذلك ما قرأته فيه : " انتهى ربع البيوع ، من المبتهل إلى الله تعالى بالخضوع وإسبال الدموع ، المنقطع عن الأهل واكتساب المجموع ، إلى غير ذلك من أماكن يتوجع فيها بنحو هذا من السجع وعدته عشرة أجزاء ضخمة ورأيت له كتابا في أصول الفقه جزآن ضخمان وشرح السير الكبير في جزأين ضخمين أملاهما وهو في الجب فلما وصل إلى باب الشروط حصل الفرج فأطلق فخرج في آخر عمره إلى فرغانة فأنزله الأمير حسن بمنزلة فوصل إليه الطلبة فأكمل الإملاء في دهليز الأمير قال في المسالك صنف كتاب المبسوط في الفقه في أربعة عشر مجلدا أملاه من خاطره من غير مطالعة كتاب ولا مراجعة تعليق بل كان محبوسا في جب بسبب كلمة نصح وكان يملئ عليهم من الجب وهم على أعلى الجب يكتبون ما يملئ عليهم انتهى قلت وشرح مختصر الطحاوي رأيت منه قطعة وشرح كتاب الكسب لمحمد بن الحسن جزء لطيف قلت من فطنته مع هذا الحفظ ما حكى في المسالك أن الأمير زوج أمهات أولاده من خدامه الأحرار فسأل العلماء الحاضرين عن ذلك قالوا نعم ما فعلت فقال شمس الأئمة أخطأت لأن تحت كل خادم امرأة حرة فكان هذا تزويج الأمة على الحرة فقال الأمير أعتقت هؤلاء وجددوا العقد وقال للعلماء الحاضرين فقالوا نعم ما فعلت فقال شمس الأئمة أخطأت لأن العدة نجب على أمهات الأولاد بعد الاعتقاق فكان تزويج المعتدة في العدة ولا يجوز. (١)

١ - تاج التراجم في طبقات الحنفية - ( ١ / ١٨ ) التحبير في المعجم الكبير - ( ج ١ / ص ٤٩ )

عبد الملك بن غصن الخشني رحمته اللهترجمته رحمته الله:

عبد الملك بن غصن الخشني : حجاري أبو مروان؛ روى عن القاضي أبي وليد يونس بن عبد الله بن مغيث وكان فقيها حافظا أديبا شاعرا كاتباً.

محنته و سجنه رحمته الله:

وأمتحن من قبل المأمون بن ذي النون فاعتقله بسجن وبذة وجماعة معه مدة ، وبه ألف كتابه المسمى كتاب: " السجن والمسجون والحزن والمحزون ، وسماه أيضا: " رسالة السر المكنون في عيون الأخبار وتسليية المحزون " ، وضمنه ألف بيت من شعره، ثم سرح من سجنه فلحق ببيلنسية وأقام بها أشهراً، ثم أنتقل إلى قرطبة فاستقر بها وقتاً، ثم أنصرف إلى غرناطة، وتوفي بها سنة أربع وخمسين وأربعمائة.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة - (ج ١ / ص ٣١) ترجمته في التكملة رقم: ١٦٩٠ والجذرة: ٣٢٨ وبغية الملتبس رقم: ١٥٤٦ والمغرب ٢: ٣٠، ٣٣ والمسالك ١١: ٤٤٧ والذخيرة، (القسم الثالث الورقة: ١١٣).

## عبد النبي بن أحمد بن عبد القدوس الحنفي النعماني رحمته الله

### ترجمته رحمته الله :

ابن عبد القدوس عبد النبي بن أحمد بن عبد القدوس الحنفي النعماني ، صدر الصدور: فقيه باحث ، من أعيان الهند.

كان السلطان جلال الدين " محمد أكبر " ثالث ملوك الاسرة التيمورية في الهند ، كثير الإجلال له ، يتولى خدمته أحيانا بنفسه .

### محنته وسجنه رحمته الله :

وقام السلطان بالدعوة إلى عقيدة ابتدعها ، وسماها " التوحيد الإلهي " فعارضه ابن عبد القدوس ، فسجنه زمنا ، وعذبه ، وراوده مرات ، على أن يخفف من حدة صلابته في الدين ويعيده إلى مكانته الأولى ، فكان يجيب بما يزيد حنق السلطان عليه ، حتى أمر بخنقه فمات شهيدا في السجن .

له كتب ، منها " سنن الهدى في متابعة المصطفى - " و " وظائف اليوم والليلة النبوية (١)



١ - الأعلام للزركلي - ( ٤ / ١٧١ )

## الشيخ جمال الدين المزي رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** الشيخ جمال الدين المزي يوسف بن الزكي عبد الرحمن (١) بن يوسف بن عبد الملك بن أبي الزهر، الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ العصر، ومحدث الشام ومصر، جمال الدين أبو الحجاج القضاعي الكلبي المزي، الحلبي المولد، خاتمة الحفاظ، نافذ الأسانيد والألفاظ.

**مولده رحمته الله :**

ولد بظاهر حلب في عاشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة، وطلب الحديث في أول سنة خمس وسبعين وهلم جرا وإلى آخر وقت، لا يفتر ولا يقصر من الطلب والاجتهاد والرواية. توفي في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصوفية.

حفظ القرآن الكريم وعني باللغة وبرع فيها وأتقن النحو والتصريف. ولما ولي دار الحديث الأشرفي تمذهب للشافعي وأشهد عليه بذلك. وكان فيه حياء وسكينة وحلم واحتمال وقناعة واطراح تكلف وترك التجمل والتودد والانجماع عن الناس وقلة الكلام إلا أنه يسأل فيجيب ويجيد، وكلما طالت مجالسة الطالب له ظهر له فضله. وكان لا يتكثر بفضائله، كثير السكوت لا يغتاب أحداً. وكان معتدل القامة مشرباً بحمرة قوي التركيب متع بحواسه وذهنه. وكان قنوعاً غير متأنق في ملبس أو مأكّل، يصعد إلى الصالحية وغيرها ماشياً وهو في عشر التسعين. وكان يستحم بالماء البارد في الشتاء. وكان قد امتحن بالمطالب وتتبعها فيعثر به من الشياطين جماعة فيأكلون ما معه، ولا يزال في فقر لأجل ذلك.

وأما معرفة الرجال فإليه تشد الرحال، فإنه كان الغاية وحامل الراية. ولما ولي دار الحديث قال الشيخ تقي الدين: لم يل هذه المدرسة من حين بنائها وإلى الآن أحق منه بشرط الواقف، وقد وليها جماعة كبار مثل ابن الصلاح ومحبي الدين النواوي وابن الزبيدي، لأن الواقف قال: فإن اجتمع من فيه الرواية ومن فيه الدراية قدم من فيه الدراية؛ قال الشيخ شمس الدين: لم أر أحفظ منه، ولم ير (هو) مثل نفسه. قال الشيخ شمس الدين:

<sup>١</sup> - فوات الوفيات - (ج ٤ / ص ٣٥٣) الزركشي: ٣٥٤ والدرر الكامنة ٥: ٢٣٣ والنجوم الزاهرة ١٠: ٧٦ وفهرس الفهارس ١: ١٠٧ وتذكرة الحفاظ: ١٤٩٨ والشذرات ٦: ١٣٦ والرد الوافر: ١٢٨ والبداية والنهاية ١٤: ١٩١ وطبقات السبكي ٦: ٢٥١ وذيل العبر: ٢٢٩ والدارس ١: ٣٥ والأسنوي ٢: ٤٦٤؛ ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة.

لم يسألني ابن دقيق العيد إلا عنه.

وكان قد أغتر في شبيبته وصحب عفيف الدين التلمساني، فلما تبين له مذهبه هجره وتبرأ منه.

صنف كتاب " تهذيب الكمال " في أربعة عشر مجلداً، كشف به الكتب القديمة في هذا الشأن، وسارت به الركبان، واشتهر في حياته، وألف كتاب " أطراف الكتب الستة " في تسعة أسفار.

قال الشيخ شمس الدين: قرأت بخط الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس: ووجدت بدمشق الحافظ المقدم، والإمام الذي فاق من تأخر وتقدم، أبا الحجاج المزي: بحر هذا العلم الزاخر، القائل من رآه: كم ترك الأوائل للأواخر، أحفظ الناس للتراجم، وأعلمهم بالرواة من أعارب وأعاجم، لا يخص بمعرفته مصرًا دون مصر، ولا ينفرد علمه بأهل عصر دون عصر، معتمداً آثار السلف الصالح، مجتهداً فيما نيظ به البيت حفظ السنة من المصالح، معرضاً عن الدنيا وأشباهها، مقبلاً على طريقته التي أربى بها على أربابها، لا يبالي ما ناله من الأزل، ولا يخلط جده بشيء من الهزل، وكان بما يضعه بصيراً، وبتحقيق ما يأتيه جديراً، وهو في اللغة إمام، وله بالقريض إمام. وكنت أحرص على فوائده لأحرز منها " ما " أحرز، وأستفيد من حديثه الذي إن طال لم يملل وإن أوجز وددت أنه لم يوجز، رحمه الله تعالى.)<sup>(١)</sup>

### محنته ﷺ:

وكان الحافظ جمال الدين المزي يقرأ صحيح البخاري لأجل الاستسقاء فقرأ يوم الإثنين الثاني والعشرين من رجب في أثناء ذلك فصلاً في الرد على الجهمية وأن الله فوق العرش من كتاب أفعال العباد تأليف البخاري تحت النسب

فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين وقالوا نحن المقصودون بهذا ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي

فطلبه ورسم بحبسه

<sup>١</sup> - فوات الوفيات - (ج ٤ / ص ٣٥٣)

فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين فتألم له وأخرجه من الحبس بيده وخرج إلى القصر إلى ملك الأمراء وتخاصم هو والقاضي هناك وأثنى على الشيخ جمال الدين وغضب القاضي وانزعج وقال لئن لم يرد إلى حبسي عزلت نفسي فأرضاه ملك الأمراء بأن أعاد الشيخ جمال الدين إلى حبسه فاعتقله بالقوصية أياما وذكر الشيخ تقي الدين للنائب ما وقع في غيبته في حق بعض أصحابه من الأذى فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل وأمر فنودي في البلد إنه من تكلم في العقائد حل دمه وماله ونهب داره وحنوته وقصد بذلك تسكين الفتن والشس<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> -العقود الدرية ص ٢٢١ وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - (ج ١ / ص ٤٧٧) البداية والنهاية - (ج ١٤ / ص ٤٢)

## أحمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي رحمته الله

### ترجمته رحمته الله:

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الصقر الأنصاري الخزرجي يكنى أبا العباس، من أهل الثغر الأعلى.

### أوليته رحمته الله:

من سرقسطة، حيث منازل الأنصار هنالك، انتقل جد أبيه عبد الرحمن بابنه الصغير منها لحدوث بعض الفتن بها إلى بلنسية، فولد له ابنه عبد الرحمن أبو العباس هذا، ثم انتقل أبوه إلى المريّة، فولد أبو العباس بها، ونقله أبوه إلى سبتة فأقام بها مدة

### حاله رحمته الله:

كان محدثاً كثيراً ثقةً، ضابطاً، مقرئاً، مجوداً، حافظاً للفقهِ، ذاكرًا للمسائل، عارفاً بأصولها، متقدماً في علم الكلام، عاقداً للشروط، بصيراً بعللها، حاذقاً بالأحكام، كاتباً بليغاً، شاعراً محسنًا، أتقن أهل عصره خطاً، وأجلهم منزعاً، ما اكتسب قط شيئاً من متاع الدنيا، ولا تلبس بها، مقتنعاً باليسير، راضياً بالدون، مع الهمة العلية، والنفس الأبية، على هذا قطع عمره، وكتب من دواوين العلم ودفاتره، ما لا يحصى كثرة، بجودة، وضبط وحسن خط، وعني به أبوه في صغره، فأسمعه كثيراً من الشروح، وشاركه في بعضهم، نفعه الله.

### نباهته رحمته الله:

استدعاه أبو عبد الله بن حسون، قاضي مراكش، إلى كتابته، إلى أن صرف، واستقر هو متولى حكمها وأحكامها، والصلاة في مسجدّها، ثم ترك الأحكام، واستقر في الإمامة. ولما تصير الأمر إلى الموحدين، ألحقه عبد المؤمن منهم، بجملة طلبية العلم، وتحفا به، وقدمه إلى الأحكام بحضرة مراكش، فقام بها مدة، ثم ولاه قضاء غرناطة، ثم نقله إلى إشبيلية قاضياً بها مع ولي عهده. ولما صار الأمر إلى أبي يعقوب، ألزمه خدمة الخزانة العلمية وكانت عندهم من الخطط التي لا يعين لها إلا كبار أهل العلم وعليهم، وكانت مواهب عبد المؤمن له جزلة، وأعطياتهم مترافهة كثيرة.



**مشيخته رحمه الله:**

قرأ القرآن على أبيه، وأكثر عنه، وأجاز له، وعلى أبي الحسن التطيلي، قال: وهو أول من قرأت عليه.

من روي عنه، روى عنه أبو عبد الله، وأبو خالد يزيد بن يزيد بن رفاعه، وأبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي.

**دخوله غرناطة رحمه الله:**

صحبة القاضي أبو القاسم بن حمزة، ونوه به واستخلفه إذ وليها، وقبض عليه بكلتي يديه، ثم استقضى بها أبو الفضل عياض بن موسى، فاستمسك به، واشتمل عليه، لصحبة كانت بينهما وقابة، إلى أن صرف عنها أبو الفضل عياض، فانتقل إلى وادي آش، فتولى أحكامها والصلاة بها، ثم عاد إلى غرناطة سنة ست وثلاثين، إلى أن استقضى بغرناطة في دولة أبي محمد بن عبد المؤمن بن علي، فحمدت سيرته، وشكر عدله، وظهرت نزاهته، ودام بها حتى ظن من أهلها.

**تصانيفه رحمه الله:**

له تصانيف مفيدة، تدل على إدراكه وإشرافه، كشرحه الشهاب، فإنه أبدع فيه، وكتابه أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار، ابتدأ تأليفه، وتوفي دون إتمام غرضه فيها، فكملة عبد الله أبنه.

**محنته رحمه الله:**

كان ممن وقعت عليه المحنة العظمى بمراكش يوم دخول الموحدين إياها، يوم السبت لإثني عشر ليلة بقيت من شوال عام إحدى وأربعين وخمسائة، على الوجه المشهور في استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذكور البالغين، إلا من تستر بالاختفاء في سرب أو غرفة أو مخبأ. وتمادى القتل فيها ثلاثة أيام، ثم نوذي بالعفو عن أشارته الفتكة الكبرى، فظهر من جميع الخلق بها، ما يناهز السبعين رجلاً، وبيع أسارى المشركين، هم وذرايعهم، وعفى عنهم، فكان أبو العباس ممن تخطته المنية، واستنقذه من الرق العفو، وحسبك بها محنة، نفعه الله، وضاعت له في ذلك وفي غيره، كتب كثيرة بخطه وبغير خطه، مما تجل عن القيمة.

## وفاته ﷺ:

توفي بمراكش بين صلاة الظهر والعصر، في يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسائة. ودفن يوم الإثنين بعده عقب صلاة الظهر، وصلى عليه القاضي أبو يوسف حجاج، وكانت جنازته عظيمة المحفل، كثيرة الجمع، برز إليها الرجال والنساء، ورفعوا نعشه على الأيدي. رحمه الله.

ومما رثاه به جاره وصديقه أبو بكر بن الطفيل وهو بإشبيلية، بعث بها إلى ابنه مع كتاب في غرض العزاء:

لأمرٍ ما تغيرت الدهور      وأظلمت الكواكب والبدور

وطال على العيون الليل حتى      كأن النجم فيه لا يغور<sup>(١)</sup>



١ - الإحاطة في أخبار غرناطة - (١) / ٢٣-٢٥

## محمد بن يحيى بن عبد الله رحمته الله

### ترجمته رحمته الله :

محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأمه خديجة بنت إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي.

### محبته وحبه رحمته الله :

حبه بكار بن عبد الله الزبيري، فمات في حبه.

عن علي بن إبراهيم العلوي، قال: كتب إلي محمد بن موسى بن حماد أن محمد بن الحسن بن مسعود حدثه، قال: أخبرني عمر بن عثمان الزهري: أن بكار بن عبد الله الزبيري وجه إلى محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن، وقد ورد سويقة ليصوم شهر رمضان في منزله، فجاءه الرسول فأخذه فمضى به إلى الحبس وجعل يتبعه برسول بعد رسول يأمره بالتضييق عليه، ثم أتبعه بآخر يأمره بتقييده، ثم أتبعه بآخر يأمره بإثقاله في حديده، فالتفت إلى الرسول فقال له: قل لصاحبك:

إني من القوم الذين تزيدهم قسواً وصبراً شدة الحدثان

فلم يزل محبوساً ثم أخرجه فقال له من يكفل بك.

قال: جماعة ولد أبي طالب. فقال بعضهم لسنا نكفل لمن عصى أمير المؤمنين، فوثب وأنشأ يقول:

وما العود إلا نابت في أرومة أبي صالح العيدان أن يتقطرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء صدق تلقهم حيث ستر

قال: فردّه إلى محبسه، فلم يزل فيه حتى مات.<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - مقاتل الطالبيين - (١ / ١٣٠)

محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كان ينزل السوق فأخرج منها، وحبس في السجن ببغداد حتى مات من الجوع والعطش، وصلى عليه بعض الطالبين، وهو يوم مات ابن سبع وثلاثين سنة.

الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بي أبي طالب، قتله بكار بن عبد الله الزبيري، ضربه بالسياط حتى مات. (١)



١ - لباب الأنساب والألقاب والأعقاب - (ج ١ / ص ٢٩)

## أبو جعفر الهاشمي رحمته الله

### ترجمته رحمته الله (١)

أبو جعفر الهاشمي \* الإمام، شيخ الحنبلية، أبو جعفر، عبد الخالق بن أبي موسى عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم - العباس بن عبد المطلب، الهاشمي، العباسي، الحنبلي، البغدادي.

مولده سنة إحدى عشرة وأربع مئة.

وسمع أبا القاسم بن بشران، وأبا الحسين بن الحراني، وأبا محمد الخلال، وعدة.

حدث عنه: أبو بكر الانصاري وغيره، وهو أكبر تلامذة القاضي أبي يعلى.

### شجاعته وسجنه رحمته الله :

قال السمعاني: كان حسن الكلام في المناظرة، ورعا زاهدا، متقنا، عالما بأحكام القرآن والفرائض (٢).

وقال أبو الحسين بن الفراء: لزمته خمس سنين، وكان إذا بلغه منكر، عظم عليه جدا، وكان شديدا على المبتدعة، لم تزل كلمته عالية عليهم، وأصحابه يقمعونهم، ولا يردهم أحد، وكان عفيفا نزها، درس بمسجده، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي يدرس، ثم درس بجامع المهدي، ولما احتضر أبو يعلى، أوصاه أن يغسله، وكذا لما احتضر الخليفة القائم أوصى أن يغسله أبو جعفر، ففعل، وما أخذ شيئا مما وصى له به، حتى قيل له: خذ قميص أمير المؤمنين للبركة، فنشفه، بفوطة وقال: حصلت البركة.

ثم استدعى المقتدي، فبايعه منفردا... إلى أن قال: وأخذ أبو جعفر في فتنة ابن القشيري، وحبس أياما، فسرّد الصوم، وما أكل لأحد شيئا، ودخلت، فرأيته يقرأ في المصحف، ومرض، فلما ثقل وضع الناس من حبسه، أخرج إلى الحرير، فمات هناك، وكانت جنازته مشهودة، ودفن إلى جانب قبر الإمام أحمد، ولزم الناس قبره مدة حتى قيل: ختم على قبره عشرة آلاف ختمة (٣).

١ - سير أعلام النبلاء - (١٨ / ٥٤٦) المنتظم ٨ / ٣١٥ - ٣١٧، العبر ٣ / ٢٧٣ - ٢٧٤، دول الإسلام ٢ / ٥، البداية والنهاية ١٢ /

١١٩، ذيل طبقات الحنابلة ١ / ١٥ - ٢٦، النجوم الزاهرة ٥ / ١٠٦، شذرات الذهب ٣ / ٣٣٦ - ٣٣٧.

٢ - ذيل طبقات الحنابلة " ١ / ١٦.

٣ - المنتظم " ٨ / ٣١٦ - ٣١٧، و " ذيل طبقات الحنابلة " ١ / ١٧ و ٢٢ و ٢٣، و " البداية والنهاية " ١٢ / ١٢٩.

توفي في صفر سنة سبعين وأربع مئة.

قال ابن النجار: كان منقطعا إلى العبادة وخشونة العيش والصلابة في مذهبه، حتى أفضى ذلك إلى مسارعة العوام إلى إيذاء الناس، وإقامة الفتنة، وسفك الدماء، وسب العلماء، فحبس.

قلت: كان يوم موته يوما مشهودا. رحمه الله (١).



١ - سير أعلام النبلاء - (ج ١٨ / ص ٥٤٨) " ذيل طبقات الحنابلة " ١ / ١٧ - ١٨.

## محمد بن أحمد بن سهل الرملي رحمته الله

### ترجمته رحمته الله (١)

الشهيد الإمام القدوة الشهيد، أبو بكر.

محمد بن أحمد بن سهل الرملي، ويعرف بابن النابلسي.

حدث عن: سعيد بن هاشم الطبراني، ومحمد بن الحسن بن قتيبة، ومحمد بن أحمد بن شيبان الرملي.

روى عنه: تمام الرازي، وعبد الوهاب الميداني، وعلي بن عمر الحلبي.

### محنته و سجنه رحمته الله:

قال أبو زر الحافظ: سجنه بنو عبيد، وصلبوه على السنة، سمعت الدارقطني يذكره، ويبكي، ويقول: كان يقول: وهو يسلم: { كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا } [الإسراء: ٥٨].

قال أبو الفرج بن الجوزي: أقام جوهر القائد لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت:

إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهما، وفيينا تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتهم نور الالهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديا فسلخه.

قال ابن الاكفاني: توفي العبد الصالح الزاهد أبو بكر بن النابلسي، كان يرى قتال المغاربة، هرب من الرملة إلى دمشق، فأخذه متوليها أبو محمود الكتامي، وجعله في قفص خشب، وأرسله إلى مصر، فلما وصل قالوا: أنت القائل، لو أن معي عشرة أسهم.. وذكر القصة، فسلخ وحشي تبنا، وصلب.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ١٦ / ص ١٤٨) المحمدون: ١١٧، العبر: ٢ / ٣٣٠، الوافي بالوفيات: ٢ / ٤٤ - ٤٥، النجوم الزاهرة: ٤ / ١٠٦، حسن المحاضرة: ١ / ٥١٥، شذرات الذهب: ٣ / ٤٦.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة، أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاح، فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه.

وأخبرني الثقة أنه كان إماما في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن، فغلب المغربي بالشام، وأظهر المذهب الردي، وأبطل التراويح والضحي، وأمر بالقنوت في الظهر، وقتل النابلسي سنة ثلاث.

وكان نبيلاً رئيس الرملة، فهرب، فأخذ من دمشق.

وقيل: قال شريف ممن يعانده لما قدم مصر: الحمد لله على سلامتكم، قال: الحمد لله على سلامة ديني، وسلامة دنياك.

قلت: لا يوصف ما قلب هؤلاء العبيدية الدين ظهرا لبطن، واستولوا على المغرب، ثم على مصر والشام، وسبوا الصحابة.

حكى ابن السعساع المصري، أنه رأى في النوم أبا بكر بن النابلسي بعد ما صلب وهو في أحسن هيئة، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال:

حباني مالكي بدوام عز وواعدني بقرب الانتصار

وقربني وأدناني إليه وقال: انعم بعيش في جواري (١)



<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ١٦ / ص ١٥٠) الوافي بالوفيات " ٢ / ٤٥. المحمدون من الشعراء - (ج ١ / ص ٣٤) تاريخ دمشق - (ج



## أبو الوليد ابن الباربة ﷺ

ترجمته ﷺ :

أبو الوليد ابن الباربة رحمه الله : من فقهاء ميورقة من أهل هذه الطبقة المشهورين بها المتقدمين. وله مع أبي محمد ابن حزم الظاهري مناظرة في إتباع مالك، تعصب فيها عليه ابن حزم حتى حمل الوالي على سجنه واستهانته. وقد ذكر خبره معه القاضي أبو الوليد الباجي في كتاب الفرق<sup>(١)</sup>

محنته وحبسه ﷺ :

ومن ذلك ما أورده أبو الفضل عياض قاثلا في ترجمة أبي الوليد ابن الباربة: (وله مع أبي محمد بن حزم الظاهري مناظرة في إتباع مالك، تعصب فيه عليه ابن حزم حتى حمل الوالي على سجنه واستهانته، وقد ذكر خبره معه القاضي أبو الوليد الباجي في كتاب الفرق) وقال أيضا: (فلما ورد أبو الوليد الأندلس وعنده من التحقيق والإتقان والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة ما حصله في رحلته امه الناس لذلك، وجرت له معه مجالس كانت سبب فضيحة ابن حزم وخروجه عن ميورقة وقد كان رأس أهلها، ثم لم يزل أمره في سفال فيما بعد، وقد ذكر أبو الوليد في كتاب الفرق من تأليفه من مجالسه تلك ما يكتفي به من يقف عليه)<sup>(٢)</sup>



<sup>١</sup> - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (٢ / ٨١)

<sup>٢</sup> - التعديل والتجريح - (ج ١ / ص ١٣٦)

## شهاب الدين أحمد بن محمد بن مري البعلبكي رحمته الله

ترجمته رحمته الله :

شهاب الدين أحمد بن محمد بن مري البعلبكي

محنته وحبسه رحمته الله :

يقول المقرئزي: - سنة خمس وعشرين وسبعمائة- فيها حبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مري البعلبكي الحنبلي أحد أصحاب ابن تيمية، مقيداً في سجن القاضي المالكي تقي الدين الأحنائي بالقاهرة، وضرب بالسياط ضرباً مبرحاً، وشهر في تاسع عشر جمادى الأولى، بعدما أقام في السجن من سادس عشر ربيع الأولى وكان قد عرض على السلطان في نصف ربيع الآخر، فأثنى عليه الأمير بدر الدين بن جنكلي بن البابا، والقاضي بدر الدين بن جماعة، وغيرهما من الأمراء، وعارضهم الأمير أيدمر الخطيري، حتى كادت تكون فتنة. ففوض السلطان الأمر لأرغون النائب، فآل الأمر إلى تمكين القاضي المالكي منه كما تقدم. ثم أعيد ابن مري إلى السجن، ثم شفع فيه، فآل أمره إلى أن أفرج عنه، وأخرج إلى القدس بعد يومين من سجنه، وكان مظلوماً. فاتفق عقيب ذلك أن الفقهاء شنعوا على تقي الدين ابن شاس بأنه كفر لتصويبه بعض أراء ابن مري، وشهدوا عليه، فدافع الأحنائي عنه وسكن القضية حتى خمدت، فقال الشيخ برهان الدين إبراهيم الرشيد في ذلك:

يا قاضياً شاد أحكامه على تقى من الله وأقوى أساس

مقالة في ابن مري لفقت تجاوزت في الحد حد القياس

وفى ابن شاس حققت ما أثرت فهل أباح الشرع كفر ابن شاس (١)

<sup>١</sup> - السلوك لمعرفة دول الملوك - (١ / ٤٤٥) البداية والنهاية - (ج ١٤ / ص ١٣٥)

### أحمد بن محمد ولي الدين المحلى الشافعي رحمته الله

ترجمته رحمته الله :

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ولي الدين المحلى الشافعي الخطيب الواعظ والد محمد صهر الغمري الآتي. أخذ عن الولي بن قطب والبرهان الكركي وغيرهما،

#### رحلته العلمية

وقدم القاهرة فقرأ على شيخنا البخاري وعلى العلم البلقيني ومن قبلهما على جماعة، وحج مراراً ورغب في الانتماء للشيخ الغمري فزوج ولده لإحدى بناته وابتنى بالمحلة جامعاً وخطب به بل وبغيره ووعظ؛

#### أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر و محنته رحمته الله :

وكان راغباً في التحصيل زائد الإمساك مع ميله إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد سجنه الظاهر جقمق بالبيمارستان وقتاً لكونه أنكر الشخصوس التي بقناطر السباع واستتباع الناس رقيقهم مع تكليفهم بما لعلمهم لا يطيقونه من الجري خلف دوابهم وكثرة الربوع التي يسكنها بنات الخطا حيث لم يفهم حقيقة مرادة بل ترجم له عنه بأنه يروم هدم قناطر السباع والربوع ومنع استخدام الرقيق فقال هذا جنون. وكذا شهره مع غيره الزين الاستادار من المحلة إلى القاهرة على هيئة غير مرضية لكونه نسب إليه الإغراء على قتل أخيه. وبالجملة كان سليم الفطرة. مات في شعبان سنة اثنتين وثمانين وورثه أحفاده وغيرهم لكون ولده مات في حياته رحمه الله وإيانا.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - الضوء اللامع - ( ١ / ٢٩٢ )

## الشيخ العلامة عبد الوهاب بن سعيد الحوالي رحمه الله

### ترجمته رحمه الله:

الشيخ العلامة عبد الوهاب بن سعيد بن عبد الله بن مسعود الحوالي الحميري وكان يسمى بالصنعاني نسبة إلى أمه وكان عالماً مجتهداً متعلّقاً بالسيّاحة دمث الأخلاق كريم السجّايا وله مكارم وآداب وكان يأتي إلى ذيبين أيام الخريف فيجتمع به الفضلاء وكان جميل الثياب حسن الهيئة ويقال انه كان يعرف السميّاء

### محنته و سجنه رحمه الله:

ولما اعتقل بحصن كوكبان ظهر هذا منه فإنه كان يخرج من السجن ويغيب اليوم واليومين ثم يرجع ويفارقهم من محل وعمر لا يمكن النفوذ منه وله صناعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوفى بالظهرين هجرتهم المعروفة في بلاد حجة في رجب سنة ١٠١٨ ثمان عشرة وألف رحمه الله ورثاه السيد العلامة علي بن صلاح العبالى بأبيات أولها )

عين جودي بدمعك الهتان      وانذني ماجدا عظيم الشأن

فاضل طلق الدنا وتخلي      عالم عامل بكل مكان

لم يدع بغية من الفضل إلا      نالها بالسباق طلق العنان

ياله من مبرز في علوم      ماحواه سواها من انساب (١)



<sup>١</sup> - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٠٠٢ - (١ / ١٩٩)

## أبو الفرج ابن الجوزي رحمته الله

### ترجمته رحمته الله (١)

يقول الذهبي - رحمه الله - أبو الفرج ابن الجوزي \* الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن عبدالله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبدالله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالله ابن الفقيه عبد الرحمان ابن الفقيه القاسم بن محمد ابن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف.

**مولده رحمته الله**: ولد سنة تسع أو عشر وخمس مئة.

### مكانته ومنزلته و عذوبة لفظه رحمته الله :

وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائع، والنثر الفائق بديها، ويسهب، ويعجب، ويطرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحراً في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيهاً، عليماً بالاجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن

وفهم وذكاء وحفظ واستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التصون والتجمل، وحسن الشارة، ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحداً صنف ما صنف.

توفي أبوه وله ثلاثة أعوام، فربته عمته.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٢١ / ص ٣٦٥) وابن الأثير في الكامل: ١٢ / ٧١، وابن الديبشي في الذيل، الورقة: ١٢٢ (باريس ٥٩٢٢)، وابن أبي الدم في التاريخ المظفر، الورقة: ٢٢٩، وسبته في المرأة: ٨ / ٤٨١، والمنذري في التكملة، الترجمة: ٦٠٨، والنعال في المشيخة: ١٤٠، وأبو شامة في الذيل: ٢١، وابن الساعي في الجامع: ٩ / ٦٥، وابن خلكان في الوفيات: ٣ / ١٤٠، والذهبي في تاريخ الإسلام، الورقة: ٩٨ (باريس ١٥٨٢)، والعبر: ٤ / ٢٩٧، ودول الإسلام: ٢ / ٧٩، والمختصر المحتاج إليه ٢ / ٢٠٥، والتذكرة: ٤ / ١٣٤٢، وابن كثير في البداية: ١٣ / ٢٨، والدمياطي في المستفاد، الورقة: ٦، وابن رجب في الذيل: ١ / ٣٩٩، والغساني في المسجد، الورقة ١٠٦، والجزري في غاية النهاية: ١ / ٣٧٥، والعيني في عقد الجمان: ١٧ / الورقة

وأقاربه كانوا تجارا في النحاس، فربما كتب اسمه في السماع عبد الرحمان بن علي الصفار.

ثم لما ترعرع، حملته عمته إلى ابن ناصر، فأسمعه الكثير، وأحب الوعظ، ولهج به، وهو مراهق، فوعظ الناس وهو صبي، ثم ما زال نافق السوق معظما متغاليا فيه، مزدحما عليه، مضروبا برونق وعظه المثل، كماله في ازدياد واشتهار، إلى أن مات رحمه الله وسامحه، فليته لم يخض في التأويل، ولا خالف إمامه.

### شهرته ومحبة العلماء والحكام والأمراء له رحمته الله :

وكان ذا حظ عظيم وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك والوزراء وبعض الخلفاء والائمة والكبراء، لا يكاد المجلس ينقص عن ألف كثيرة، حتى قيل في بعض مجالسه: إن حزر الجمع بمئة ألف.

ولا ريب أن هذا ما وقع، ولو وقع، لما قدر أن يسمعهم، ولا المكان يسمعهم.

قال سبطه أبو المظفر (١): سمعت جدي على المنبر يقول: بأصبعي هاتين كتبت ألفي مجلدة، وتاب على يدي مئة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفا

وكان يختم في الأسبوع، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس.

قلت: فما فعلت صلاة الجماعة؟

ثم سرد سبطه تصانيفه، فذكر منها (٢) كتاب (المختار في الأشعار) عشر مجلدات، (درة الإكليل) في التاريخ، أربع مجلدات، (الأمثال) مجلد، (المنفعة في المذاهب الأربعة) مجلدان، (التبصرة في الوعظ)، ثلاث مجلدات، (رؤوس القوارير) مجلدان، ثم قال: ومجموع تصانيفه مئتان ونيف وخمسون كتابا.

قلت: وكذا وجد بخطه قبل موته أن تواليه بلغت مئتين وخمسين تأليفا.

**ومن غرر ألفاظه: عقارب** المنايا تلسع، وخدران جسم الآمال يمنع، وماء الحياة في إناء العمر يرشح.

١- (مرآة الزمان): ٨ / ٤٨٢

٢- (المرآة): ٨ / ٤٨٣ - ٤٨٩.

يا أمير: اذكر عند القدرة عدل الله فيك، وعند العقوبة قدرة الله عليك، ولا تشف غيظك بسقم دينك.

وقال لصديق: أنت في أوسع العذر من التأخر عني لثقتي بك، وفي أضيقه من شوقي إليك.

وقال له رجل: ما نمت البارحة من شوقي إلى المجلس قال: لانك تريد الفرجة، وإنما ينبغي الليلة أن لا تنام.

وقام إليه رجل بغيض، فقال: يا سيدي: نريد كلمة ننقلها عنك، أيما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال:

اجلس، فجلس، ثم قام، فأعاد مقالته، فأقعه، ثم قام، فقال: اقعد، فأنت أفضل (١) من كل أحد.

وسأله آخر أيام ظهور الشيعة، فقال: أفضلهما من كانت بنته تحته.

وهذه عبارة محتملة ترضي الفريقين.

وسأله آخر: أيما أفضل: أسبح أو أستغفر؟

قال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور.

وقال في حديث (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين) (٢): إنما طالت أعمار الأوائل لطول البادية

فلما شارف الركب بلد الإقامة، قيل: حثوا المطي.

وقال: من قنع، طاب عيشه، ومن طمع، طال طيشه.

**محبته ﷺ**: وقد نالته محنة في أواخر عمره، ووشوا به إلى الخليفة الناصر عنه بأمر اختلف في

حقيقته، فجاء من شتمه، وأهانته، وأخذته قبضا باليد، وختم على داره، وشتت عياله، ثم أقعد في

سفينة إلى مدينة واسط، فحبس بها في بيت حرج، وبقي هو يغسل ثوبه، ويطبخ الشيء، فبقي على

ذلك خمس سنين ما دخل فيها حماما.

قام عليه الركن عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر، وكان ابن الجوزي لا ينصف الشيخ

عبد القادر، ويغض من قدره، فأبغضه أولاده، ووزر صاحبهم ابن القصاب، وقد كان الركن ردئ

المعتقد، متفلسفا، فأحرقت كتبه بإشارة ابن الجوزي، وأخذت مدرستهم، فأعطيت لابن الجوزي،

١ - التذكرة: ٤ / ١٣٤٥

٢ - أخرجه الترمذي (٣٥٥٥)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، والخطيب في (تاريخه) ٦ / ٣٩٧ و ١٢ / ٤٢

فانسم الركن، وقد كان ابن القصاب الوزير يترفض، فأتاه الركن، وقال: أين أنت عن ابن الجوزي الناصبي؟،

وهو أيضا من أولاد أبي بكر، فصرف الركن في الشيخ، فجاء، وأهانته، وأخذته معه في مركب، وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل، وعلى رأسه تخفيفة، وقد كان ناظر واسط، شيعيا أيضا، فقال له الركن: مكني من هذا الفاعل لأرميه في مطمورة، فزجره، وقال: يا زنديق، أفعل هذا بمجرد قولك؟

هات خط أمير المؤمنين، والله لو كان على مذهبي، لبذلت روحي في خدمته، فرد الركن إلى بغداد. وكان السبب في خلاص الشيخ أن ولده يوسف نشأ واشتغل، وعمل في هذه المدة الوعظ وهو صبي، وتوصل حتى شفعت أم الخليفة، وأطلقت الشيخ، وأتى إليه ابنه يوسف، فخرج، وما رد من واسط حتى قرأ هو وابنه بتلقيه بالعرش على ابن الباقلاني، وسن الشيخ نحو الثمانين، فانظر إلى هذه الهمة العالية<sup>(١)</sup>.

نقل هذا الحافظ ابن نقطة عن القاضي محمد بن أحمد بن حسن<sup>(٢)</sup>.

يقول الذهبي — رحمه الله — قرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموقاني أن ابن الجوزي شرب البلانر، فسقطت لحيته، فكانت قصيرة جدا، وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات. قال: وكان كثير الغلط فيما يصنفه، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره.

قلت: هكذا هو له أوهام وألوان من ترك المراجعة، وأخذ العلم من صحف، وصنف شيئا لو عاش عمرا ثانيا، لما لحق أن يحرره ويتقنه<sup>(٣)</sup>.

### وفاته رحمه الله:

ونزل، فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مئة في داره بقطفتا.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٢١ / ص ٣٧٧)

<sup>٢</sup> - التقييد، ص: ١٤١

<sup>٣</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٢١ / ص ٣٧٨)



وحكت لي أمي أنها سمعته يقول قبل موته: أيش أعمل بطواويس؟ يرددها، قد جبتم لي هذه الطواويس.

وحضر غسله شيخنا ابن سكيئة وقت السحر، وغلقت الأسواق، وجاء الخلق، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي اتفاقا، لأن الأعيان لم يقدرُوا من الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه، وضاق بالناس، وكان يوما مشهودا، فلم يصل إلى حفرته بمقبرة أحمد إلى وقت صلاة الجمعة، وكان في تموز، وأفطر خلق، ورموا نفوسهم في الماء.

إلى أن قال: وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا قليل، كذا قال، والعهدة عليه، وأنزل في الحفرة، والمؤذن يقول الله أكبر، وحزن عليه الخلق، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمع والقناديل، ورآه في تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان السكر<sup>(١)</sup> في النوم، وهو على

منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق والملائكة بين يديه وأصبحنا يوم السبت عملنا العزاء، وتكلمت فيه، وحضر خلق عظيم، وعملت فيه المراثي، ومن العجائب أنا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد سعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: نرى من مات، وإذا بها خاتون أم محيي الدين، وعهدي بها ليلة وفاة جدي في عافية، فعد الناس هذا من كراماته، لأنه كان مغرى بها.

وأوصى جده أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن كثر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجوا ال صفح عن جرم يديه

أنا ضيف وجزاء ال ضيف إحسان إليه



<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ٢١ / ص ٣٨١)

### شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

{أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحية}

**ترجمته رحمه الله:** هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي. وتيمية هي والدته جده الأعلى محمد . وكانت واعظة راوية.

ولد رحمه الله يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول ، بحران سنة ٦٦١هـ ولما بلغ سبع سنوات من عمره انتقل مع والده إلى دمشق ، هربا من التتار .

**نشأته رحمه الله:** نشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده وإخوانه وكثير من أعمامه كانوا من العلماء المشاهير، منهم جده الأعلى الرابع محمد بن الخضر، ومنهم عبدالحليم بن محمد بن تيمية، وعبدالغني بن محمد بن تيمية ، و حده الأدنى عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية مجد الدين أبو البركات صاحب التصانيف التي منها : المنتقى من أحاديث الأحكام وقد قام الشوكاني بشرحه في كتابه "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار"، والمجرد في الفقه والمسودة في الأصول وغيرها، وكذلك أبوه وأخوه عبدالرحمن وغيرهم.

وفي هذه البيئة العلمية الصالحة كانت نشأة هذا العالم الجليل الذي بدأ بطلب العلم على والده وعلماء بلاده أولا، فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعرف بالذكاء والفتنة وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها، وأجتمعت فيه صفات المجتهد وأعترف له بذلك الداني والقاصي والقريب والبعيد وعلماء عصره.

**خصاله رحمه الله:** تميز شيخ الإسلام ابن تيمية بالإضافة إلى العلم والفقه في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بخصال حميدة فكان سخيا كريما، كثير العبادة والذكر والقرآن، وكان ورعا زاهدا متواضعا، ومع ذلك فقد كانت له هيبة عند السلطان وقصته مع سلطان التتار معروفة، كما عرف رحمه الله بالصبر وقوة الاحتمال في سبيل الله.

فلقد امتحن الشيخ ابن تيمية وأوذي كثيرا، وخاض خصومه في حقه وأذوه في كل موطن وهو صابر محتسب، يعفو عن خصومه، ويصفح عن كل من آذاه، لا يزيده جهل الجاهلين عليه إلا حلمًا وصبرًا وصفحًا، يقول رحمه الله عن نفسه في ذلك: (وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود

الله في بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدى حدود الله فيه). وقال أيضاً: (فلا أحب أن يُنتصر من أحد بسبب كذبه عليّ أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد بكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسه، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي).

ولقد ترجم ابن تيمية كلماته تلك في عدة مواقف مشهودة، أبرزها عفوه عن علماء مصر الذين سعوا في قتله وسجنه، وكفّروه وآذوه وتلامذته بشدة وذلك سنة ٧٠٦هـ وتسببوا في حبسه بقلعة الجبل بالقاهرة، وذلك أيام سلطة بيبرس الجاشنكير الذي اغتصب الأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان الجاشنكير من أعداء ابن تيمية، وقد استغل بعض فقهاء مصر من الأشاعرة والصوفية تلك العداوة وتسببوا في محنة الشيخ، فلما زالت أيام الجاشنكير وعاد الناصر محمد للحكم أخرج ابن تيمية من السجن واستشاره في الانتقام من خصومه وقتل بعض الفقهاء والقضاة، فما كان من ابن تيمية إلا أن أعلن عفوه وصفحه عن خصومه، بل دافع عنهم بشدة وقال للسلطان الناصر محمد: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال له السلطان: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً، فقال ابن تيمية: من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسه.

وهذه الخصلة العظيمة شهد بها ألد خصوم الشيخ وأكثرهم أذية وعداوة له وهو ابن مخلوف شيخ المالكية في مصر إذ قال: (ما رأينا مثل ابن تيمية؛ حرصنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا).

وشهد عليها أيضاً واحد من أشد أعداء ابن تيمية وهو الشيخ الصوفي الضال علي بن يعقوب البكري المصري، وكان من أشد الساعين في ابن تيمية بالقول والفعل، فقد كفر ابن تيمية وأحل دمه، وقاد مجموعة من الصوفية الجهلة سنة ٧١١هـ واعتدوا على ابن تيمية حتى كادوا أن يقتلوه، وقد تجمع عدد كبير من الناس منهم الجند والفرسان إثر هذه الحادثة لينتقموا من البكري، ولكن ابن تيمية عفا عنه وحجز الناس عن الفتك به، ولما انقلب الحال وصار الشيخ البكري مطلوباً عند السلطان، فر في كل مكان حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت وذهب لابن تيمية وطلب منه الاختباء في بيته، فخبأه ابن تيمية في بيته فترة من الزمان، حتى شفع فيه عند السلطان وعفا عنه، فانظر إلى شهادة الخصوم مع هذا الرجل العظيم صاحب القلب الكبير.

**محنة الشيخ في مسألة الصفات وحبسه ﷺ :** لما صنف المسألة الحموية في الصفات سنة ثمان وتسعين وستمائة تحزبوا له وآل بهم الأمر إلى أن طافوا به على قصبة من جهة القاضي الحنفي ونودي عليه بأن لا يستفتى ثم قام بنصره طائفة آخرون وسلمه الله

فلما كان سنة خمس وسبعمائة جاء الأمر من مصر بأن يسئل عن معتقده فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم

فقال أنا كنت سئلت عن معتقد أهل السنة فأجبت عنه في جزء من سنين وطلبه من داره فأحضر وقرأه فنازعوه في موضعين أو ثلاثة منه وطال المجلس فقاموا واجتمعوا مرتين أيضا للتتمة الجزء وحاققوه ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد وبعضهم قال ذلك كرها وكان المصريون قد سعوا في أمر الشيخ وملأوا الأمير ركن الدين الجاشنكير الذي تسلطن عليه

فطلب إلى مصر على البريد فثاني يوم دخوله اجتمع القضاة والفقهاء بقلعة مصر وانتصب ابن عدلان له خصما وادعى عليه عند ابن مخلوف القاضي المالكي أن هذا يقول إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت وأنه تعالى على العرش بذاته وأن الله يشار إليه الإشارة الحسية

وقال أطلب عقوبته على ذلك

فقال القاضي: ما تقول يا فقيه فحمد الله وأثنى عليه فقليل له أسرع ما أحضرناك لتخطب

فقال أو منع الثناء على الله؟

فقال القاضي: أجب فقد حمدت الله

فسكت فألح عليه

فقال: من الحكم في؟

فأشار له إلى القاضي ابن مخلوف

فقال أنت خصمي كيف تحكم في وغضب وانزعج وأسكت القاضي

فأقيم الشيخ وأخواه وسجنوا بالجب بقلعة الجبل وجرت أمور طويلة

وكتب إلى الشام كتاب سلطاني بالخط عليه فقرء بالجامع وتألم الناس له ثم بقي سنة ونصف وأخرج وكتب لهم ألفاظا اقترحوها عليه وهدد وتوعد بالقتل إن لم يكتبها

وأقام بمصر يقرء العلم ويجتمع عنده خلق إلى أن تكلم في الاتحادية القائلين بوحدة الوجوه وهم ابن سبعين وابن عربي والقونوي وأشباههم

فتحزب عليه صوفية وفقراء وسعوا فيه وأنه تكلم في صفوة الأولياء فعمل له محفل ثم أخرجوه على البريد، ثم ردوه على مرحلة من مصر ورأوا مصلحتهم في اعتقاله فسجنوه في حبس القضاة سنة ونصف فجعل أصحابه يدخلون إليه في السر ثم تظاهروا فأخرجته الدولة على البريد إلى الإسكندرية وحبس ببرج منها وشنع بأنه قتل وأنه غرق غير مرة

فلما عاد السلطان أيده الله تعالى من الكرك وأباد أصداده بادر باستحضار الشيخ إلى القاهرة مكرما واجتمع به وحادثه وساره بحضرة القضاة والكبار وزاد في إكرامه

ثم نزل وسكن في دار واجتمع بعد ذلك بالسلطان ولم يكن بعد السلطان يجتمع به فلما قدم السلطان لكشف العدو عن الرحبة جاء الشيخ إلى دمشق سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ثم جرت أمور ومحن انتهى كلامه

**محنة الشيخ بدمشق رحمه الله :** وقال الشيخ علم الدين وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقي الدين بن تيمية

وكان الشروع فيها من أول الشهر وظهرت يوم الخامس منه واستمرت إلى آخر الشهر

وملخصها أنه كان كتب جوابا سئل عنه من حماة في الصفات فذكر فيه مذهب السلف ورجحه على مذهب المتكلمين وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين واجتمع بسيف الدين جاغان في ذلك في حال نيابته بدمشق وقيامه فقام نائب السلطنة وامتلأ أمره وقبل قوله والتمس منه كثرة الاجتماع به

فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعة مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ وتألمهم لظهوره وذكره الحسن

فانضاف شيء إلى أشياء ولم يجدوا مساعا إلى الكلام فيه لزهده وعدم إقباله على الدنيا وترك المزاومة على المناصب وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه وما يظهر فيها من غزارة العلم وجودة الفهم فعمدوا إلى الكلام في العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف ويعتقدونه الصواب فأخذوا الجواب الذي كتبه وعملوا عليه أوراقا في رده ثم سعوا السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء واحدا واحدا وأغروا خواطرهم وحرفوا الكلام وكذبوا الكذب الفاحش وجعلوه يقول بالتجسيم حاشاه من ذلك وأنه قد أوعز ذلك المذهب إلى أصحابه وأن العوام قد فسدت عقائدهم بذلك ولم يقع من ذلك شيء والعياذ بالله

وسعوا في ذلك سعيًا شديدا في أيام كثيرة المطر والوحل والبرد وسعوا في ذلك سعيًا شديدا فوافقهم جلال الدين الحنفي قاضي الحنفية يومئذ على ذلك ومشى معهم إلى دار الحديث الأشرفية وطلب حضوره وأرسل إليه فلم يحضر وأرسل إليه في الجواب إن العقائد ليس أمرها إليك وإن السلطان إنما ولاك لتحكم بين الناس وإن إنكار المنكرات ليس مما يختص به القاضي

فوصلت إليه هذه الرسالة فأغروا خاطره وشوشوا قلبه وقالوا لم يحضر ورد عليك فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة

فأجاب إلى ذلك فنودي في بعض البلد ثم بادر سيف الدين جاغان وأرسل طائفة فضرب المنادي وجماعة ممن حوله وأخرق بهم فرجعوا مضروبين في غاية الإهانة

ثم طلب سيف الدين جاغان من قام في ذلك وسعي فيه فدارت الرسل والأعوان عليهم في البلد فاختلفوا واحتمى مقدمهم ببدر الدين الأتابكي ودخل عليه في داره وسأل منه أن يجيره من ذلك فترفق في أمره إلى أن سكن غضب سيف الدين جاغان (١)

**ما ذكره البرزالي في حبس الشيخ بالإسكندرية رحمته الله :**

١ - العقود الدرية - ص ١٠٨-١١٠

وذكر الشيخ البرزالي وغيره أن في شهر شوال من سنة سبع وسبعمائة شكّا شيخ الصوفية بالقاهرة كريم الدين الأبلّى وابن عطاء وجماعة نحو الخمسمائة من الشيخ تقي الدين وكلامه في ابن عربي وغيره إلى الدولة فرد الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي

وعقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت شيء منها لكنه قال إنه لا يستغاث إلا بالله حتى لا يستغاث بالنبي استغاثته بمعنى العبادة ولكنه يتوسل به ويتشفع به إلى الله

فبعض الحاضرين قال ليس في هذا شيء

ورأى قاضي القضاة بدر الدين أن هذا فيه قلة أدب

فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في ذلك فقال القاضي قد قلت له ما يقال لمثله

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء وهي الإقامة بدمشق أو الإسكندرية بشروط أو الحبس فاختر الحبس، فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزما ما شرط فأجابهم

فأركبهم خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال ثم أرسل خلفه من الغد بريدا آخر فردّه وحضر عند قاضي القضاة بحضور جماعة من الفقهاء

فقال بعضهم له ما ترضى الدولة إلا بالحبس وقال قاضي القضاة وفيه مصلحة له

واستتاب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه فتحرير

فقال الشيخ أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة

فقال نور الدين المأذون له في الحكم فيكون في موضع يصلح لمثله

ف قيل له ما ترضى الدولة إلا بمسمى الحبس فأرسل إلى حبس القاضي وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس وأذن أن يكون عنده من يخدمه

وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجي ووجاهته في الدولة واستمر الشيخ في الحبس يستفتي

ويقصده الناس ويزورونه وتأتيه الفتاوى المشككة من الأمراء وأعيان الناس

قال علم الدين وفي ليلة الأربعاء العشرين من شوال من سنة ثمان وسبعمائة طلب أخوا الشيخ تقي الدين فوجد زين الدين وعنده جماعة فرسم عليهم ولم يوجد شرف الدين ثم أطلق الجماعة سوى زين الدين فإنه حمل إلى المكان الذي فيه الشيخ وهو قاعة الترسيم بالقاهرة ثم إنه أخرج في خامس صفر سنة تسع وسبعمائة

قال وفي الليلة الأخيرة من شهر صفر هذا وهي ليلة الجمعة توجه الشيخ تقي الدين من القاهرة إلى الإسكندرية مع أمير مقدم ولم يمكن أحد من جماعته من السفر معه ووصل هذا الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام فحصل التألم لأصحابه ومحبيه وضافت الصدور وتضاعف الدعاء له

وبلغنا أن دخوله الإسكندرية كان يوم الأحد دخل من باب الخوخة إلى دار السلطان ونقل ليلاً إلى برج في شرقي البلد

ثم وصلت الأخبار أن جماعة من أصحابه توجهوا إليه بعد ذلك وصار (١)

### كتاب السلطان بإرسال الشيخ إلى مصر:

وفي يوم الإثنين خامس شهر رمضان من سنة خمس وسبعمائة وصل كتاب السلطان بالكشف عما كان وقع للشيخ تقي الدين في ولاية سيف الدين جاغان وفي ولاية القاضي إمام الدين وبإحضاره وإحضار القاضي نجم الدين بن صصري إلى الديار المصرية فطلب نائب السلطنة الشيخ وجماعة من الفقهاء وسألهم عن تلك الواقعة وقرئ عليهم المرسوم

فأجاب كل منهم بما كان عنده من تلك القضية وكتبه عنهم صاحب الديوان محي الدين والقاضي نجم الدين إلى مصر على البريد وخرج مع الشيخ خلق كثير وبكوا وخافوا عليه من أعدائه وأخبرت أن نائب السلطنة كان قد أشار على الشيخ بترك التوجه إلى مصر وأنه يكتب في ذلك فامتنع الشيخ من ذلك ولم يقبل وذكر أن في توجهه إلى مصر مصالح كثيرة

١ - العقود الدرية - (ج ١ / ص ١٤٤)



وقرأت بخط بعض أصحاب الشيخ رحمه الله قال :

ولما توجه الشيخ في اليوم الذي توجه فيه من دمشق المحروسة كان يوما مشهودا غريب المثل في كثرة إزدحام الناس لوداعه ورؤيته حتى إنتشروا من باب داره إلى قريب للجسورة فيما بين دمشق والكسوة التي هي أول منزلة منها وهم ما بين باك وحزين ومتعجب ومتنزه ومزاحم متغال فيه ودخل الشيخ مدينة غزة يوم السبت وعمل في جامعها مجلسا عظيما

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي إلى القاهرة

وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل وأراد الشيخ أن يتكلم فلم يكن من البحث والكلام على عادته وانتدب له الشمس ابن عدلان خصما احتسابا وادعى عليه القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول

إن الله فوق العرش حقيقة وإن الله يتكلم بحرف وصوت وسأل جوابه

فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه

فقليل له أجب ما جئنا بك لتخطب

فقال ومن الحاكم في

فقليل له القاضي المالكي

قال كيف يحكم في وهو خصمي وغضب غضبا شديدا وانزعج

فاقيم مرسما عليه وحبس في برج أياما

ثم نقل منه ليلة عيد الفطر إلى الحبس المعروف بالجيب هو وأخواه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن ثم إن نائب السلطنة سيف الدين سالرا بعد أكثر من سنة

وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي ومن

الفقهاء الباجي والجزري والنمراوي وتكلم في إخراج الشيخ من الحبس

فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة فأرسلوا إليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك فلم يجب إلى الحضور وتكرر الرسول إليه في ذلك مرات وصمم على عدم الحضور فطال عليهم المجلس وانصرفوا عن غير شيء

### إرسال الشيخ رحمه الله كتابا من سجنه إلى دمشق:

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة ست وسبعمائة أخبر نائب السلطنة بدمشق بوصول كتاب إليه من الشيخ تقي الدين من الجب وأعلم بذلك جماعة ممن حضر مجلسه وأثنى عليه وقال ما رأيت مثله ولا أشجع منه

وذكر ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله تعالى وأنه لم يقبل شيئا من الكسوة السلطانية ولا من الادرار السلطاني ولا تدنس بشيء من ذلك (١)

فلما كان يوم السبت مستهل جمادي الأولى من هذه السنة ورد البريد إلى دمشق ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق التي رآها الشيخ تقي الدين بن تيمية وأفتى فيها وصنف فيها والأمر بعقد مجلس في ذلك

فعقد يوم الإثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة وانفصل الأمر على ما أمر به السلطان ونودي بذلك في البلد يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور ثم إن الشيخ عاد إلى الإفتاء بذلك وقال لا يسعني كتمان العلم فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبعمائة جمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقرئ عليهم كتاب السلطان وفيه فصل يتعلق بالشيخ بسبب الفتوى في هذه المسألة وأحضر وعوتب على فتياه بعد المنع وأكد عليه في المنع من ذلك

### سجن الشيخ رحمه الله بسبب فتياه في الطلاق:

فلما كان بعد ذلك بمدة في يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب من سنة عشرين وسبعمائة عقد مجلس بدار السعادة حضره النائب والقضاة وجماعة من المفتين وحضر الشيخ وعادوه في الإفتاء بمسألة الطلاق وعاتبوه على ذلك وحبسوه بالقلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ثم ورد مرسوم

١ - العقود الدرية - (ج ١ / ص ١٣٣)

السلطان بإخراجه فأخرج منها يوم الإثنين يوم عاشوراء من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وتوجه إلى داره

ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقي الدرس بالحنبلية أحياناً ويقراً عليه في مدرسته بالقصاصين في أنواع من العلم (١)

### وفاة شيخ الإسلام رحمه الله

توفي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني رحمه الله رحمة واسعة ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨) وعمره (٦٧) عاماً وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق وحضر جنازته جمهور كبير جداً يفوق العدد.



<sup>١</sup> - العقود الدرية - (ج ١ / ص ١٧٤)

## ابن القيم الجوزية رحمه الله

### ترجمته رحمه الله (١)

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جريز الزرعي، ثم الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، شيخنا. ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة. وسمع من الشهاب النابلسي العابر، والقاضي تقي الدين سليمان، وفاطمة بنت جوهر، وعيسى المطعم، وأبي بكر بن عبد الدايم، وجماعة. وتفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولزم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه. وتفنن في علوم الإسلام. وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى. والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعبودية، وله فيها اليد الطولى، وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم. له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى.

قال الذهبي في المختصر: عني بالحديث ومتونه، وبعض رجاله. وكان يشتغل في الفقه، ويجيد تقريره وتدريبه، وفي الأصلين. وقد حبس مدة، لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخيل، وتصدى للأشغال، وإقراء العلم ونشره.

قلت: وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشفق بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله، والانكسار له، والإطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله.

١ - ذيل طبقات الحنابلة - (١ / ٣٦١) الأعلام للزركلي - (ج ٦ / ص ٥٦) معجم المؤلفين - (ج ٩ / ص ١٠٦) موسوعة الأعلام - (ج ١ / ص ٤٥٠) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٠٠١ - (ج ٢ / ص ١٢٦)

وقد امتحن وأوفي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ.

وكان في مدة حبسه مشغولاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكير، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلب بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة. وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه. ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه "قصيدته النونية الطويلة" في السنة، وأشياء من تصانيفه، وغيرها.

وأخذ عنه العلم خلق كثير من حياة شيخه وإلى أن مات، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون له، كابن عبد الهادي وغيره

### عبادته و تقواه ﷺ :

قال الحافظ ابن كثير: كان ملازماً للأشغال ليلاً ونهاراً كثير الصلاة والتلاوة حسن الخلق كثير التودد لا يحسد ولا يحقد .

قال: ولا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه وكان يطيل الصلاة جداً ويمد ركوعها وسجودها وكان يقصد للإفتاء بمسألة الطلاق إلى أن جرت له بسببها أمور يطول بسطها مع ابن السبكي وغيره

وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار وكان يقول: هذه عبادتي حتى لو لم أعتدها سقطت قواي وكان مغرمًا بجمع الكتب فحصل منها ما لا ينحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلاً سوى ما اصطفوه لأنفسهم منها (١)

### ثناء العلماء عليه ﷺ :

وقال القاضي برهان الدين الزرعي عنه: ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه.

ودرس بالصدريّة. وأمّ بالجوزيّة مدة طويلة. وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة.

١ - أبجد العلوم - (٣ / ١٣٨)

”وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السنة وجعلها بينه وبين الآراء المحدثّة أعظم جنة فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً وحكى عنه قبل موته بمدة أنه رأى شيخه ابن تيمية في المنام وأنه سألته عن منزلته أى منزلة الشيخ فقال انه أنزل فوق فلان وسمى بعض الأكابر وقال له وأنت كدت تلحق به ولكن أنت في طبقة ابن خزيمة ومات في ثالث شهر رجب سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة<sup>(١)</sup>

### مَحَنُهُ وَحُبُّهُ ﷺ :

لقد عشنا مع ابن القيم - رحمه الله - في بيئته التي نشأ وترعرع فيها، وعرفنا أحوال عصره ومجتمعه وما كان يسوده من سلبيات ومفاسد دينية أخلاقية، ورأينا كيف كان ابن القيم - في ظل هذه الأوضاع السيئة - صاحب رسالة سامية، وأهداف نبيلة، ومبادئ إصلاحية يهدف من ورائها: إلى الرجوع بالناس إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة من التمسك بالكتاب والسنة ونبذ البدع والخرافات والتقليد والتعصب.

لكن طريقه هذا الذي سار فيه لم يكن سهلاً ميسوراً، بل كان محفوفاً بالمشاق، فنزلت به بسبب ذلك محن عديدة، وتعرض لإيذاء واضطهاد وفتن أثناء جهاده لنشر دعوته، وسعيه لإصلاح حال مجتمعه. فلم يكن من السهل على هذا المجتمع الذي سيطرت عليه الأفكار الدخيلة، وسادته البدع المتوارثة، أن يستجيب لهذا المصلح المجاهد الذي بزغ نوره في هذا الظلام الحالك، وكيف يتم له ذلك ولهذه البدع حُرَّاسٌ وحماةٌ من أمراء البلاد وحُكَّامها، بل ومن بعض المُنتَسِبِينَ إلى العلم أنفسهم؟!

فقد كان الأمر صعباً إذاً، والمواجهة إلى أشدها، وظهر في الساحة أعداء لابن القيم، يترصدون به الدوائر، ويحيكون ضده الدسائس والمؤامرات، كما فعلوا من قبل مع شيخه وأستاذه ابن تيمية رحمه الله.

إنكاره شَدَّ الرَّحْلِ إلى قبر الخليل، ومحنته بسبب ذلك:

من البدع التي سادت المجتمع وقتئذ، وتقرب الناس بها إلى الله: بدعة شَدَّ الرَّحْلِ إلى قبر الخليل إبراهيم عليه السلام.

فقام ابن القيم - رحمه الله - في وجه هذه البدعة منكرًا لها، ومبينًا مخالفتها لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديّه، فما كان من أعدائه وشائتيه إلا أن قاموا ضده، وآذوه، ثم حُيس بسبب ذلك.

<sup>١</sup> - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٠٠١ - (ج ٢ / ص ١٢٨)

قال الحافظ الذهبي: "وقد حبس مدة وأوذى لإنكاره شدَّ الرحل إلى قبر الخليل".<sup>(١)</sup>

والظاهر أن هذه هي المرة التي حبس فيها مع شيخه ابن تَيْمِيَّةَ رحمه الله؛ ذلك أنه في السادس عشر من شعبان سنة ٧٢٦هـ اعتُقِلَ الشيخ ابن تَيْمِيَّةَ في قلعة دمشق، وذلك بسبب ما أفتى به من المنع من شد الرحل إلى قبور الأنبياء، وبعد ذلك بأيام "أمر قاضي القضاة الشافعي في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم... وعزَّز جماعة منهم على دواب ونودي عليهم، ثم أطلقوا، سوى شمس الدين محمد بن قيم الجوزية؛ فإنه حُبِسَ بالقلعة، وسكتت القضية".<sup>(٢)</sup>

ولعل في إطلاقهم كل رفاقه وإبقائه وحده في الحبس، ما يُبيِّنُ لنا مدى الحِنَق الذي كان في نفوس أعدائه - من أهل البدع - ضده، ويبين لنا في الوقت نفسه، ما كان لابن القَيْم من دور بارز، وتأثير بالغ في الناس آنذاك، مما جعل هؤلاء يخشونه على بدعهم، فرأوا أن يحجبوه في السجن.

ولكن شاء الله سبحانه أن يشاطر ابن القَيْم شيخه محنته هذه، فسُجِنَ معه في القلعة، ولأجل التهمة نفسها، ولكنه كان (منفرداً عنه).<sup>(٣)</sup>

ولقد كان للحاقدين على شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ وتلميذه ابن القَيْم دورٌ قبيح في حبسهما، وتدبير الشر ضدَّهما، ذلك أنهم حرَّفوا فتوى ابن تَيْمِيَّةَ: بأنه يُحرَّمُ زيارة قبور الأنبياء مطلقاً، ويعتبر ذلك معصية، مع أن الشيخ - وكذا تلميذه - "لم يمنع الزيارة الخالية عن شد الرحل، بل يستحبها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك... ولا قال إنها معصية... ولا هو جاهل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة». والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ولا تخفى عليه خافية".<sup>(٤)</sup>

ويحكي المقرئزي - رحمه الله - هذه الواقعة - مبيناً ملابساتها وظروفها - بأوسع من هذا، وأن ابن القَيْم - رحمه الله - قد ضُرب في هذه المرة قبل أن يُحبس، فيقول: (وفي يوم الاثنين سادس شعبان - يعني سنة ٧٢٦هـ - حُبِسَ تقي الدين أحمد بن تيمية، ومعه أخوه زين الدين عبدالرحمن بقلعة دمشق. وضُرب شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قَيْم الجوزية، وشُهرَ به على حمار بدمشق.

وسبب ذلك: أن ابن قَيْم الجوزية تكلم بالقدس في مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء، وأنكر مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد المسجد النبوي، فأنكر المقادسة عليه مسألة الزيارة، وكتبوا فيه إلى قاضي

<sup>١</sup> - المعجم المختص: (ص ٢٩٦).

<sup>٢</sup> - البداية والنهاية: (١٤/١٢٨).

<sup>٣</sup> - ذيل طبقات الحنابلة: (٢/٤٤٨).

<sup>٤</sup> - البداية والنهاية: (١٤/١٢٩).

القضاة جلال الدين القزويني وغيره من قضاة دمشق.

وكان قد وقع من ابن تَيْمِيَّةَ كلام في مسألة الطلاق بالثلاث: (أنه لا يقع بلفظ واحد، فقام عليه فقهاء دمشق، فلما وصلت كتب المَقَادِسَةِ في ابن القَيْمِ، كتبوا في ابن تَيْمِيَّةَ وصاحبه ابن القَيْمِ إلى السلطان، فعرف شمس الدين الحريري - قاضي القضاة الحنفية بديار مصر - بذلك، فشَنَّعَ على ابن تَيْمِيَّةَ تشنيعاً فاحشاً، حتى كتب بحبسه، وضُرِبَ ابن القَيْمِ). (١)

وقد ظل ابن القَيْمِ محبوساً مدة، ولم يُفْرَجَ عنه إلا بعد وفاة شيخه بشهر؛ ذلك أن ابن تَيْمِيَّةَ قد توفي في محبسه بالقلعة في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ)، (وفي يوم الثلاثاء عشرين ذي الحجة أُفْرِجَ عن الشيخ الإمام العالم العلامة أبي عبد الله شمس الدين بن قَيْمِ الجوزية). (٢)

وقد امتحن ابن القَيْمِ - رحمه الله - غير هذه المرة أيضاً:

### فتواه بجواز السباق بغير مُحَلِّلٍ ومحنته بسبب ذلك:

كان ابن القَيْمِ رحمه الله - رحمه الله - يُفْتِي بجواز إجراء السباق بين الخيل بغير مُحَلِّلٍ، وصَنَّفَ في ذلك كتابه: (بيان الاستدلال على بطلان اشتراط محلل السباق والنضال) أو: (بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل) (٣)

كما أنه تناول هذا الموضوع في بحث طويل مفيد ضمن كتابه (الفروسية)

وقد أشار ابن حجر رحمه الله إلى محنته هذه، فقال: "وجرت له محن مع القضاة، منها: في ربيع الأول - يعني سنة ٧٤٦هـ - طلبه السبكي بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير مُحَلِّلٍ، فأنكر عليه وآل الأمر إلى أنه رجع عما كان يُفْتِي به من ذلك". (٤)

وحكى ابن كثير هذه الحادثة، ولكنه ذكر ما يفيد أن ابن القَيْمِ كان يفتي في ذلك برأي شيخه، وصَنَّفَ هذا المصنف لنصرة رأي الشيخ، ثم صار يفتي به دون نسبته إلى شيخه، فظنوه قوله، فحصل له ما حصل، ثم (انفصل الحال على أن أظهر الشيخ شمس الدين... الموافقة للجمهور). (٥)

١ - السلوك: (٢٧٣/١/٢).

٢ - البداية والنهاية: (١٤٥/١٤).

٣ - تنظر مؤلفات ابن القَيْمِ: ص (٢٣٣).

٤ - الدرر الكامنة: (٢٣/٤).

٥ - البداية والنهاية: (٢٢٧/١٤).



قال الشيخ بكر أبو زيد: "وقضية الرجوع محل نظر، فلا بد من تثبيت ذلك، وأرجو من الله تعالى أن يمنَّ عليَّ بما يدل على ذلك، نفيًا أو إثباتًا". (١)

قلت: أما كتبه التي بين أيدينا، فليس فيها ما يدل على رجوعه، وبخاصة كتاب (الفروسية)، ولكن ابن كثير - رحمه الله - يحكي ما شاهده بنفسه من إظهاره الموافقة للجمهور، فهل أظهر ابن القيم ذلك دفعاً للشر عن نفسه دون أن يرجع حقيقة عن رأيه؟ الله أعلم.

والذي يهمننا في هذه القضية: أن ابن القيم - رحمه الله - قد امتحن من القضاة بسببها، وأوذى في سبيل ذلك.

### فتاواه رحمه الله في مسألة الطلاق الثلاث ومحنته بسبب ذلك:

وقد امتحن ابن القيم مرة أخرى بسبب فتواه بأن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة يقع طلاقاً واحدة، وهو اختيار شيخه ابن تيمية أيضاً.

ويشير ابن كثير - رحمه الله - إلى ما وقع له بسبب ذلك، فيقول: "وقد كان متصدياً للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وجرت بسببها فُصولٌ يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره". (٢)

ولم يبين لنا ابن كثير ما وقع له بسبب ذلك، لكن الظاهر أنه لم يُحبس إلا في المرة التي كان فيها مع شيخه ابن تيمية، وذلك بسبب فتوى شد الرحل، وأما مسألة الطلاق، وكذا مسألة المحلل في السابق، فيظهر أنه جرت له بسببهما فتن ومحن مع القضاة فحسب، وأنه لم يُسجن بسبب ذلك، وقد ذكر الشيخ بكر أبو زيد أنه سُجن بسبب هذه الفتاوى كلها. (٣)

ولم أر ما يدل على ذلك، ولعل كلام ابن رجب صريح في أنه لم يُحبس إلا في تلك المرة مع الشيخ، فقد قال: "وقد امتُحن وأوذى مرات، وحُبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة في القلعة..". (٤)

ومما يؤكد - أيضاً - أن فتواه في مسألة الطلاق قد سببت له مشكلات مع القضاة، ما حكاها الحافظ ابن كثير - رحمه الله - من الصلح الذي تم بين السبكي وابن القيم، فقد ذكر في أحداث سنة ٧٥٠هـ - قبل موت ابن القيم بعام واحد - في السادس عشر من شهر جمادى الآخرة منها، أنه (حصل الصلح

١ - ابن قيم الجوزية - حياته وآثاره: (ص٤٣).

٢ - البداية والنهاية: (٢٤٦/١٤ - ٢٤٧).

٣ - ابن قيم الجوزية - حياته وآثاره: (ص٤٢).

٤ - ذيل طبقات الحنابلة: (٤٤٨/٢).

بين قاضي القضاة تقي الدين السبكي، وبين الشيخ شمس الدين بن قَيِّم الجوزية، على يدي الأمير سيف الدين بن فضل ملك العرب، في بستان قاضي القضاة، وكان قد نqm عليه إكثاره من الفتيا بمسألة الطلاق). (١)

فالمقصود أنه - رحمه الله - ابتلي وأوذي وامتحن بسبب صدعه بالحق، وإعلانه رأيه وما يعتقده دون مجاملة أو خوف من أحد، فرحم الله ابن القَيِّم رحمة واسعة، وجزاه عما قَدَّم خير الجزاء.

### وفاته رحمه الله:

وبعد هذه الحياة الحافلة بالجهاد المتصل لنشر منهج السلف، ومحاربة كثير من الانحرافات التي ابتدعتها الخلف، وما لقيه من محن في سبيل ذلك، وبعد أن كَمَلَ له من العمر ستون سنة، توفي هذا الإمام العالم العلامة، وذلك في ليلة الخميس، ثالث عشر من شهر رجب، من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة (٧٥١هـ) وقت أذان العشا. (٢)

ووقع عند ابن رجب: (ثالث عشرين رجب). (٣) ولعله تصحيف وذلك لاتفاق المصادر على ما قدمناه من أنه كان في ثالث عشر؛ ولأن ابن رجب من تلاميذ ابن القَيِّم المقربين، فيبعد أن يخفى عليه يوم وفاته. ووقع في (البدر الطالع) (٤)

أنه كان في (ثالث شهر رجب)، وهذا خطأ أيضاً. وقد صُلِّيَ عليه - رحمه الله - من الغد عقب صلاة الظهر بالجامع الأموي (٥)، ثم بجامع جَرَّاح. (٦) ولأن ابن القَيِّم - رحمه الله - كان قائماً لله بالحق، صادقاً في النصح للخلق فقد "كانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان والصالحون، من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه". (٧)

١ - البداية والنهاية: (٢٤٤/١٤).

٢ - الوافي بالوفيات: (٢٧٢/٢)، البداية والنهاية: (٢٤٦/١٤)، والدرر الكامنة: (٢٣/٤).

٣ - ذيل طبقات الحنابلة: (٤٥٠/٢).

٤ - (١٤٥/٢).

٥ - البداية والنهاية: (٢٤٦/١٤).

٦ - ذيل طبقات الحنابلة: (٤٥٠/٢).

٧ - البداية والنهاية: (٢٤٧/١٤).

فقد "شيعه - رحمه الله - خلق كثير"، (١) "وكانت جنازته مشهودة"، (٢) "وحافلة جداً". (٣)

نعم لقد كانت جنازته حافلة عامرة، شهدها كثير من الخلق، كما

كانت جنازة شيخه رحمه الله، التي لم يتخلف عنها من أهل دمشق سوى ثلاثة نفر، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: "قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز". (٤) كانت هذه جنازته - رحمه الله - مع ما كان له في قلوب الكثيرين من العداوات، ومع ما حيَّكَ ضده من المؤامرات.

وَدُفِنَ - رحمه الله - عند والدته بمقابر الباب الصغير. (٥)

وقد رُوِيَ له بعد موته "منامات كثيرة حسنة". (٦)

وكان هو - رحمه الله - "قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين - رحمه الله - في النوم، وسأله عن منزلته؟ فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة رحمه الله". (٧) (٨)

فَرَحِمَ الله ابن القَيِّم رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً، وأسكنه فسيح جناته، آمين.



<sup>١</sup> - ذيل طبقات الحنابلة: (٤٥٠/٢).

<sup>٢</sup> - الرد الوافر: (ص ٦٨)

<sup>٣</sup> - الدرر الكامنة: (٢٣/٤).

<sup>٤</sup> - البداية والنهاية: (١٤٣/١٤).

<sup>٥</sup> - البداية والنهاية: (٢٤٦/١٤)، ذيل الطبقات: (٤٥٠/٢).

<sup>٦</sup> - ذيل الطبقات: (٤٥٠/٢)، وانظر: الدرر الكامنة: (٢٣/٤).

<sup>٧</sup> - ذيل طبقات الحنابلة: (٤٥٠/٢ - ٤٥١).

<sup>٨</sup> - راجع كتاب ترجمة العلامة ابن قيم الجوزية" للشيخ: جمال بن محمد السيد. ٥٩-٦٣

### السيد محمد بن إسحاق بن الإمام المهدي عليه السلام

**ترجمته عليه السلام** السيد محمد بن إسحاق بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم

بن محمد

**مولده عليه السلام** ولد نهار الأربعاء لخمس عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة ١٠٩٠ تسعين

وألف بالغراس في حضرة جده الإمام المهدي أحمد بن الحسن

**شيوخه عليه السلام** وقرأ بصنعاء على جماعة من أعيان علمائها كالسيد العلامة هاشم بن يحيى

الشامي والقاضي إبراهيم بن أبي الرجال والقاضي محمد الحيمي وبرع في جميع العلوم وفاق

الأقران

**تطلعه للخلافة وما حدث له من محن عليه السلام :**

وترشح للخلافة وجرى بينه وبين الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين ما جرى وآل الأمر إلى اعتقال صاحب الترجمة مدة ثم أفرج عنه ولما مات الإمام المتوكل دعا إلى نفسه وتكنى بالناصر وبايعه جميع أهل اليمن ونفذت أوامره في غالب القطر اليمنى وعارضه في الابتداء الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله وجرت خطوب وتعقبها الصلح على أن يكون للمنصور بالله صنعاء ومواضع سماها فوق ذلك وتم الأمر وبايع المنصور بالله لصاحب الترجمة وخطب له بصنعاء وغيرها من الأقطار اليمنية ثم بعد أيام انتقض ذلك الصلح ورام قرابة المترجم له الحطاط على المنصور بالله بصنعاء ومحاصرته ونزعها منه فاقبلوا من الجهات اليمنية ومعهم من الجيش عدد كثير ومعهم السيد عبد الله بن طالب بن المهدي فخرج الإمام المنصور بالله بجيشه من صنعاء وكانت الدائرة له فأسر السيد يحيى بن إسحاق بن المهدي ومعهم جيش كثير وأسر السيد عبد الله المقدم ذكره ثم بعد ذلك أسر السيد العلامة الحسن بن إسحاق ابن المهدي والسيد العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق

وسجنهم جميعا بقصر صنعاء ثم انتقضت البلاد اليمنية جميعها على صاحب الترجمة ودخلت في طاعة الإمام المنصور بالله

### مبايعته للمنصور واستقرار الأمور:

وآخر الأمر أن صاحب الترجمة بايع الإمام المنصور بالله وسكن بصنعاء محييا للعلم والعبادة في رئاسة كبيرة مع حشمة وافرة وكثرة اتباع وأفضال عام وشفقة على الضعفاء ومزيد إبرار بهم وكثرة تواضع وكان الإمام المنصور بالله يحله ويكرمه ويعظمه وهو حقيق بذلك فإنه من أئمة العلم المجمع على جلالتهم ونبالتهم وإحاطتهم بعلوم الاجتهاد وله في الآداب يد طولى وله نظم كثير غالبه الجودة والسلاسة وقد ترجمه صاحب طيب السمر ترجمة طويلة جدا وذكر غررا من قصائده ومقطعاته وقد جمع ولده العلامة إبراهيم بن محمد أشعاره على ترتيب الحروف في مجلد لطيف ومن نظمه البيتان المشهوران في الزمام الذى تجعله الجواري في آناها وهو حلقة فضة أو ذهب وقد يكون فيها شيء من الجواهر وهما

رأيت الزمام فقلت المرام تأنى سينقاد هذا الأبي

فقالته به أنت تنقاد لى وتم الكلام ولم تكذبي

وقد قرض جماعة من شعراء العصر بعد موت صاحب الترجمة بمدة هذين البيتين بأبيات كثيرة بل صنف شيخنا العلامة السيد عبد القادر ابن أحمد رسالة ذكر فيها ما في البيتين من النكات البيانية والبديعية وقد جمع جميع ذلك ولد صاحب الترجمة العلامة إبراهيم في رسالة ومن نظمه إلى السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله

أتبلغ نفسى من سعاد مناهى سقى الله ماضى عهدى وسقاها

فما لذ لي شيء سوى عهدى ولا تملك قلبي المستهام سواها

نأت عن عيوني دارها فمتى متى أرى بعيوني دارها وأراها

فما للليالي لا استنارت نجومها ولا أضحكت شمس الظهيرة فاها

ومات رحمه الله ببيته في النزهة المعروفة ببيرالعزب اخر نهار ١٣٠ الخميس رابع شهر  
شوال سنة ١١٦٧ سبع وستين ومائة وألف وله أولاد نجباء وهم كثيرون وقد تقدمت ترجمة  
بعضهم وبعض أحفاده وبعض أولاد أحفاده<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٠٠١ - (ج ٢ / ص ١٠٩-١١٢)

## الحسن بن إسحاق رحمته الله

### ترجمته رحمته الله:

الحسن بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن، الحسني: من فضلاء الزيدية ونبلائهم. ولد في الغراس (من أعمال صنعاء) وتفقه في مدينة ذمار، وتقلب في الولايات حتى كان عاملا على بلاد تعز وما والاها.

**محبته و سجنه رحمته الله:** فلما دعا صاحب شهارة (المنصور الحسين بن القاسم) إلى نفسه تابعه الحسن. وآل الأمر إلى المتوكل قاسم ابن الحسين (سنة ١١٢٨ هـ فاعتقل الحسن في سجن صنعاء نحو سبع سنين، ثم أخرجه وجعله من خواصه. ومات المتوكل (سنة ١١٣٩ هـ فتجدد اعتقال الحسن - صاحب الترجمة - فأقام نحو عشرين سنة، ومات سجيناً. له تصانيف، كتب أكثرها في السجن، منها (نظم العبادات) من الهدي النبوي، يزيد على ألف بيت، و (شرح نظم العبادات) في مجلدين، لعله المخطوط في جامعة الرياض (٥: ٥٣) و (حاشية على الشمائل للترمذي) وله شعر في بعضه جودة (١).



### الشيخ عليش رحمه الله

**ترجمته رحمه الله :** محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله: فقيه، من أعيان المالكية. مغربي الأصل، من أهل طرابلس الغرب. ولد بالقاهرة وتعلم في الأزهر، وولي مشيخة المالكية فيه.

**محنته و سجنه رحمه الله -** ولما كانت ثورة عرابي باشا اتهم بموالاتها، فأخذ من داره، وهو مريض، محمولا لا حراك به، وألقي في سجن المستشفى، فتوفي فيه، بالقاهرة.

مصنفاته رحمه الله - من تصانيفه (فتح العليّ المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك - ط) جزآن، وهو مجموع فتاويه، و (منح الجليل على مختصر خليل - ط) أربعة أجزاء، في فقه المالكية، و (هداية السالك - ط) حاشية على الشرح الصغير للدردير، جزآن، فقه، و (حاشية على رسالة الصبان - ط) في البلاغة، و (تدريب المبتدي وتذكرة المنتهى - ط) في الفرائض، و (حل المعقود من نظم المقصود - ط) في الصرف، و (موصل الطلاب لمنح الوهاب - خ) نحو، و (القول المنجي - ط) حاشية على مولد البرزنجي، و (شرح العقائد الكبرى للسنوسي - خ) و (مواهب التقدير في شرح مجموع الأمير - خ) في الرباط. (١)





### إبراهيم التيمي رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** (١) إبراهيم بن يزيد التيمي: تيم الرباب، الإمام القدوة الفقيه عابد الكوفة أبو أسماء.

حدث عن أبيه يزيد بن شريك التيمي، وكان أبوه يزيد من أئمة الكوفة أيضا.

يروى عن عمر، وأبي زر، والكبار، أخذ عنه أيضا الحكم، وإبراهيم النخعي، وحديثه في الدواوين الستة.

يقال: قتله الحجاج.

وقيل: بل مات في حبسه سنة اثنتين وتسعين.

وقيل: سنة أربع وتسعين.

لم يبلغ إبراهيم أربعين سنة.

### محنته و سجنه رحمته الله

عن علي بن محمد قال: طلب الحجاج إبراهيم النخعي، فجاء الرسول فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، ولم يستحل أن يدلّه على النخعي، فأمر بحبسه [ في الديماس ]، ولم يكن لهم ظل من الشمس، ولا كن من البرد، و [ كان ] كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فعادته أمه، فلم تعرفه، حتى كلمها، فمات، فرأى الحجاج في نومه قائلا يقول: مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة، فسأل، فقالوا: مات في السجن إبراهيم التيمي، فقال: حلم نزغة من [ نزغات ] الشيطان، وأمر [ به ] فألقي على الكناسة (٢).

١ - سير أعلام النبلاء - (٥ / ٦٢) طبقات ابن سعد ٦ / ٢٨٥، طبقات خليفة: ١٥٥، التاريخ الكبير ١ / ٣٣٣، ٣٣٤، الجرح والتعديل

٢ / ١٤٦، اللباب ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال: ١٨، تهذيب التهذيب ١ / ٤٥، تاريخ الاسلام ٣ / ٣٣٧، العبر ١ / ١٠٦، طبقات

القراء ١ / ٢٩، تهذيب التهذيب ١ / ١٧٦، النجوم الزاهرة ١ / ٢٢٥، طبقات الحفاظ: ٢٩، خلاصة تهذيب الكمال:

٢ - الطبقات ٦ / ٢٨٥، سير أعلام النبلاء - (ج ٥ / ص ٦١)

### بَيْبَرَسُ الْمَنْصُورِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

ترجمته — رحمه الله — بيبرس المنصوري الخطائي الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفي بها عن نحو ٨٠ عاما. وكان من مماليك المنصور قلاوون، واستنابه بالكرك، ثم صار (دوادار) السلطان وناظر الأحباس، فنائبا للسلطنة في الديار المصرية،

**محنته و سجنه رَحِمَهُ اللَّهُ**: ولاء ذلك الناصر محمد بن قلاوون، وكان يجله، ثم غضب عليه فحبسه إلى أن مات. وقيل: أطلقه بعد حبسه بمدة. له تصانيف، منها (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة - خ) أجزاء منه، وهو كبير مرتب على السنين يقع في ١١ مجلدا، و (التحفة الملوكية في الدولة التركية - خ) في تاريخ السلاطين المماليك من سنة ٦٤٧ إلى ٧٢١ هـ (١).



محمد أبو العرب بن أحمد بن تميم التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ

<sup>١</sup> - الأعلام للزركلي (٢/ ٨٠)

**ترجمته رحمه الله** محمد أبو العرب بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي

كان جده تمام بن تميم من أمراء إفريقية وكان أبوه أحمد ممن سمع من شجرة وسليمان بن عمران وبكر بن حماد. وسمع أبو العرب من جماعة من أصحاب سحنون وأكثر رجال إفريقية كيحيى بن عمر وأبي داود العطار وعيسى ومحمد بن مسكين وابن طالب وعبد الجبار وابن عياش وسهل القبرياني وحماس وحبيب بن نصر وجبله وابن أبي سليمان وسعيد بن إسحاق وجماعة.

وكان رجلاً صالحاً ثقة عالماً بالسنن والرجال من أبصر أهل وقته بها كثير الكتب حسن التقييد كريم النفس والخلق كتب بخطه كثيراً في الحديث والفقه يقال إنه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة وشيوخه نيف وعشرون ومائة شيخ سمع منه محمد بن أبي زيد والحسن بن مسعود وابناه وزيد السروي والناس.

كان حافظاً للمذهب مفتياً وغلب عليه الحديث والرجال وتصنيف الكتب والرواية والإسماع وألف طبقات علماء إفريقية وكتاب عباد إفريقية ومسند حديث مالك وكتاب التاريخ سبعة أجزاء وكتاب مناقب بني تميم وجزءين في الموت وكتاب المحن وكتاب فضائل مالك وكتاب فضائل سحنون وكتاب الوضوء والطهارة وكتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر وكتاب عوالي حديثه وكتاب في الصلاة وغير ذلك.

**محبته رحمه الله**: وامتحن مع الشيعي حبسه وقيده مع ابنه مدة بسبب بني الأغلب وكان أبو العرب شاعراً مجيداً فمن شعره:

توفي يوم الأحد لثمان بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة وقيل لسبع بقين لرجب منها<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - (١ / ١٣٥) . الأعلام للزركلي - (٥ / ٣٠٩)

## ابن فرج الجياني رحمه الله

**ترجمته رحمه الله** - أحمد بن محمد بن فرج، أبو عمر الجياني.

قد ينسب إلى جده فيقال أحمد بن فرج، أديب مؤرخ أندلسي، من الشعراء والعلماء.

**ومنزله وسجنه رحمه الله** - اتصل بالمستنصر الأموي (الحكم بن عبد الرحمن) وألف له كتاب (الحدائق) وهو مختارات من شعر الأندلسيين، وألف كتاباً في (المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم) وسجنه المستنصر لأمر نقمه عليه. ويقال: مات في سجنه. وله في السجن أشعار كثيرة.

له: (كتاب الحدائق) ، (المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم).<sup>(١)</sup>



**محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الصنعاني رحمه الله**

<sup>١</sup> - معجم الشعراء العرب (ص: ٢٠٩)

**ترجمته ﷺ :**

السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن ادريس بن علي ابن محمد بن احمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمر الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف

**مولده** - ولد ليلة الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩ تسع وتسعين وألف بكحلان ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء سنة ١١٠٧

**مشيخته** وأخذ عن علمائها كالسيد العلامة زيد بن محمد بن الحسن والسيد العلامة صلاح بن الحسين الاخفش والسيد العلامة عبد الله بن علي الوزير والقاضي العلامة علي بن محمد العنسي ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة

**منزلته العلمية و محنته وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برئاسة العلم في صنعاء وتظهر**

بالاجتهاد وعمل بالأدلة ونفر عن التقليد وزيف مالا دليل عليه من الآراء الفقهية وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن منها في أيام المتوكل على الله القاسم بن الحسين ثم في أيام ولده الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم ثم في أيام ولده الإمام المهدي العباس بن الحسين وتجمع العوام لقتله مرة بعد أخرى وحفظه الله من كيدهم ومكرهم وكفاه شرهم

**أسباب محنته وسجنه ﷺ :**

ولاه الإمام المنصور بالله الخطابة بجامع صنعاء فاستمر كذلك إلى أيام ولده الإمام المهدي واتفق في بعض الجمع انه لم يذكر الأئمة الذين جرت العادة بذكرهم في الخطبة الأخرى فثار عليه جماعة من آل الإمام الذين لا أنسة لهم بالعلم وعضدهم جماعة من العوام وتواعدوا فيما بينهم على قتله في المنبر يوم الجمعة المقبلة وكان من أعظم المحشدين لذلك السيد يوسف العجمي الإمامي القادم في أيام الإمام المنصور بالله والمدرس بحضرته فبلغ الإمام المهدي ما قد وقع التواطؤ عليه فأرسل لجماعة من أكابر آل الإمام وسجنهم وأرسل لصاحب الترجمة أيضا وسجنه وأمر من يطرد السيد يوسف المذكور حتى يخرج من

الديار اليمنية فكانت عند ذلك الفتنة وبقي صاحب الترجمة نحو شهرين ثم خرج من السجن وولى  
الخطابة غيره واستمر ناشرا للعلم تدريسا وإفتاء وتصنيفا



ترجمته **رحمه الله**: الإمام المهدي صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم الحسنی كان من أكابر علماء عصره ومن مؤلفاته النجم الثاقب بشرح كافية ابن الحاجب ودعا بصنعاء في سنة ١٨٤٠ أربعين وثمانمائة ثم قبض عليه الأمير سنقر وحبسه بصنعاء ثم خرج من الحبس وسار إلى صعدة ثم عاد إليها بجيش عظيم في سنة ٨٤٢ وكان أسره حول صنعاء وإيداعه السجن بها حتى مات فيه في سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمانمائة وقبره بصرح مسجد موسى المعروف بصنعاء رحمه الله تعالى (١)



الفقيه علي بن عبد الله العمري الصنعاني **رحمه الله**

<sup>١</sup> - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١٠٢ - (ج ١ / ص ١٦٧)

ترجمته: الفقيه الأكمل الأنبل الأجل على بن عبد الله العمرى ثم الصنعاني

**محنته وحبسه ﷺ:** كان الإمام المهدي رحمه الله قد أمر بالقبض عليه في شهر ذى الحجة سنة ١١٨٢ اثنتين وثمانين ومائة وألف وحبسه على داره وخيله وأودعه السجن وصادره على تسليم ما عينه من المال ثم مات في شهر شعبان سنة ١١٨٣ ثلاث وثمانين ومائة وألف رحمه الله وإيانا والمؤمنين قلت وهو أول من انتقل من هجرة العمارية ببلاد الحدا وسكن صنعاء من أهل هذا البيت (١)



<sup>١</sup> - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٠٠٢ - (ج ١ / ص ٢٢٠)



## أحمد بن محمد بن إسماعيل التيمي ابن البرهان رحمته الله

**ترجمته رحمته الله :** أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحيم بن يوسف بن سمير بن

حازم أبو حازم المصري التيمي ويعرف بابن البرهان

**مولده** ولد فيما بين القاهرة ومصر في ربيع الأول سنة ٧٥٤ أربع وخمسين وسبعمائة واشتغل بالفقه

شافعيا

**رحلته العلمية وطموحه للحصول على الملك رحمته الله :** سمع الحديث وأحبه ثم صحب بعض الظاهرية

فجذبه إلى النظر في كلام ابن حزم فأحبه ثم نظر في كلام ابن تيمية فغلب عليه بحيث صار لا يعتقد أن

أحدا أعلم منه وكانت له نفس أبيية ومروءة وعصبية ونظر في أخبار الناس فطمحت نفسه إلى المشاركة في

الملك مع أنه ليس له فيه قدم ولا له سلف في ذلك ولا معه مال فلما غلب الظاهر برقوق على المملكة

وحبس الخليفة رام جعل ذلك وسيلة لما حدثته به نفسه فغضب من ذلك وخرج في سنة ٧٨٥ إلى الشام

ثم إلى العراق يدعو إلى طلب رجل من قريش فاستقرى جميع الممالك ودخل حلب فلم يبلغ قصدا ثم

رجع إلى الشام فاستغوى كثيرا من أهلها وكان من أكبر الموافقين له ممن يتدين منهم الياصوفى

والحسبانى لما ظهر من فساد الأحوال وكثرة المعاصى وفشو الرشوة في الأحكام وغير ذلك فلم يزل على

هذه الطريقة إلى أن نمى أمره إلى بيدمر نائب الشام فسمع كلامه وأصغى إليه ولم يشوش عليه لعلمه أنه

لا يجىء من يديه شيء ثم نمى أمره إلى نائب القلعة شهاب الدين الحمصى وكانت بينه وبين بيدمر

عداوة شديدة فوجد فرصة في التأليب عليه بذلك فاستحضر ابن البرهان واستخبره وأظهر أنه مال إلى

مقالته فبث إليه جميع ما كان يدعو إليه فتركه ثم كاتب السلطان بذلك كله فلما علم به كتب إلى

النائب يأمره بتحصيل ابن البرهان ومن وافقه على رأيه وبتشهيرهم فتورع النائب عن ذلك وتكاسل عنه

وأجاب بالشفاعة فيهم والعفو عنهم وأن أمرهم متلاشى وإنما هم قوم خفت أدمغتهم من الدرس واستمر

ابن الحمصى في انتهاز الفرصة فكاتب أيضا بأن النائب قد عزم على المخامرة فوصل إليه الجواب

بمسك ابن البرهان ومن كان على رأيه وان آل الأمر في ذلك إلى قتل بيدمر فمات الياصوفى خوفا بعد أن

قبض عليه وفر الحسبانى

**مثول ابن البرهان بين يدي السلطان وحبسه رحمته الله :** ولما حضر البرهان إلى السلطان استدناه

واستفهمه عن سبب قيامه عليه فأعلمه أن غرضه أن يقوم رجل من قريش يحكم بالعدل فان هذا هو

الدين الذي لا يجوز غيره وزاد في نحو هذا فسأله عمن معه على مثل رأيه من الأمراء فبرأهم فأمر بضربه فضرب هو وأصحابه وحبسوا في الخزانة حبس أهل الجرائم وذلك في ذي الحجة سنة ٧٨٨ ثم أفرج عنهم في ربيع الأول سنة ٧٩١ فاستمر ابن البرهان مقيما بالقاهرة على صورة إملاق إلى أن مات لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة وحيدا فريدا بحيث لم يحضر في جنازته إلا سبعة أنفس لا غير وكان ذا مروءة عليّة ونفس أبيه حسن المذاكرة والمحاضرة عارفا بأكثر المسائل التي يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور يكثر الانتصار لها ويستحضر أدلتها وأملى وهو في الحبس بغير مطالعة مسألة رفع اليدين في السجود ومسألة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة ورسالة في الإمامة وذلك يدل على وفور اطلاعه

قال ابن حجر : وقد جالسته كثيرا وسمعت من فوائده كثيرا وكان كثير الأنذار بما حدث بعده من الفتن والشور لما جبل عليه من الاطلاع على أحوال الناس ولا سيما ما حدث من الغلاء والفساد بسبب رخص القلوس بالقاهرة بحيث أنه رأى عندي قديما مرة منها جانبا كثيرا فقال لي احذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال فكان كذلك لأنها كانت في ذلك الوقت يساوى القنطار منها عشرين مثقالا فأكثر وصار الأمر في هذا العصر إلى أنها تساوى أربعة مثاقيل ثم صار تساوى ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصارت من عنده شيء منها اغتبط فيه لما رفعت قيمتها من كل رطل إلى إثني عشر ثم إلى أربعة وعشرين ثم انعكس الأمر فظهر أنها ليست مالا يقتنى لوجود الخلل فى قيمتها وعدم ثباتها على قيمة واحدة انتهى<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٠٠١ - ج ١ / ص ٩٢-٩٣ و الضوء اللامع - ج ١ / ص ٣٢٠

## العلامة جمال الدين القاسمي رحمته الله

**اسمه و نسبه رحمته الله:** هو العلامة الشيخ أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن

صالح بن إسماعيل بن أبي بكر، المعروف بالقاسمي، نسبة إلى جده.

**نشأته رحمته الله:** ولد ضحوة يوم الإثنين لثمان خلت من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث و ثمانين و مائتين و ألف في دمشق.

**رحلته العلمية رحمته الله:** نشأ في بيت علم وفضل، فوالده كان فقيهاً، عالماً، أديباً، أفاد منه الشيء الكثير وأخذ العلوم عن كثير من المشايخ فقد قرأ القرآن أولاً على الشيخ عبد الرحمن المصري ثم الكتابة تجويد الخط على الشيخ محمود القوسي.

– انتقل إلى مكتب في المدرسة الظاهرية حيث تعلم التوحيد و علوم اللغة على شيخه الشيخ رشيد قزيها المعروف بابن سنان.

ثم جود القرآن على شيخ قراء الشام الشيخ أحمد الحلواني.

و قرأ على الشيخ سليم العطار شرح شذور الذهب ، وابن عقيل، وجمع الجوامع ، وتفسير البيضاوي ، وسمع منه دروساً من صحيح البخاري ، والموطأ ، ومصابيح السنة ، وأجازه شيخه إجازة عامة بجميع مرويته سنة ١٣٠١ هـ ، ولما يبلغ القاسمي حينها الثامنة عشرة من عمره .

ومن شيوخه الشيخ بكري العطار قرأ عليه كثيراً من الكتب في علوم متنوعة وأجازه هذا الشيخ أيضاً سنة ١٣٠٢ هـ

ومن شيوخه الشيخ محمد الخان و الشيخ حسن جبينه الشهير بالدسوقي وغيرهم من الشيوخ وكان جميع أساتذته من المعجبين بذكائه ونباهته ، ويتوقعون له مستقبلاً مشرقاً .

**محنته رحمته الله:** دعا الشيخ القاسمي إلى العلم ، ونبذ التعصب والتقليد ، وتصفية العقيدة مما علق بها من أفكار

وفلسفات واعتقادات دخيلة ، وإرجاع مجد الإسلام ، ورفع شأنه ، وجعله الحكم على شئون الحياة كلها.

كما دعا إلى نبذ التعصب والجمود ، وفتح باب الاجتهاد لمن ملك القدرة على ذلك ، وكثيراً ما كان

يستشهد بأقوال الأئمة الأربعة للتدليل على أفكاره ، فكان يقول : "إن من يطلع على كتب هؤلاء الأربعة رحمهم الله يرفض التقليد ، لأنهم أمروا تلامذتهم بالاجتهاد ، وأن لا يجعلوا كلامهم حجة ، فكانت النتيجة أن اجتمعت عليه الجموع ولفقوا له تهمة خطيرة يستحق عليها السجن والتعذيب؟! إنها تهمة الاجتهاد ، وتأسيس مذهب جديد في الدين سموه (المذهب الجمالي) وشكلوا لذلك محكمة خاصة مثل أمامها مع لفيف من إخوانه العلماء ، كان ذلك سنة ١٣١٣هـ وله من العمر ثلاثون عاماً ، ثم خلوا سبيله ثم كانت هذه المحنة سبباً في رفع قدره ومكانته وشهرته.

يقول في كتابه الاستثناس [ص ٤٤]: "وإن الحق ليس منحصرًا في قول ، ولا مذهب ، وقد أنعم الله على الأمة بكثرة مجتهديها).

وفي كتاب إرشاد الخلق [ص ٤]: يقول : "وإن مراد الإصلاح العلمي بالاجتهاد ليس القيام بمذهب خاص والدعوة له على انفراد ، وإنما المراد إنهاض رواد العلم ، لتعرف المسائل بأدلتها".

ونظم من شعره مايرد به على بعض الجاحدين الذين اتهموه ووشوا به إلى الوالي :

زعم الناس بأن مذهبي يدعى الجمالي      وإليه حينما أفتي الورى أعزو مقالي  
لا وعمر الحق إني سلفي الانتحال      مذهبي ما في كتاب الله ربي المتعالي  
ثم ما صح من الأخبار لا قيل وقال      أفتي الحق ولا أرضى بآراء الرجال  
وأرى التقليد جهلاً      وعمى في كل حال

وقال في هذا المعنى أيضاً :

أقول كما قال الأئمة قبلنا      صحيح حديث المصطفى هو مذهبي  
ألبس ثوب القيل والقال بالياً      ولا أتحدى بالرداء المذهب

**من أشهر مؤلفاته رحمه الله :** محاسن التأويل وهو تفسير للقرآن الكريم ، دلائل التوحيد ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، شذرة من السيرة النبوية ، رسالة الاستثناس لتصحيح أنكحة الناس ، كتاب المسح على الجوربين ، تعطير المشام في مآثر دمشق الشام ، حياة البخاري ، شمس الجمال على منتخب كنز العمال ، ميزان الجرح والتعديل ، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ، و جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء "

وفاته : و كانت وفاته مساء السبت ٢٣ جمادي الأولى سنة ١٣٣٢ هـ الموافق ١٨/٨/١٩١٤ مـ



## الشيخ محمد الخضر حسين التونسي الطولفي الجزائري رحمته الله

تاريخنا الإسلامي حافل بنماذج مشرفة للعلماء، الذين ضربوا المثل الأعلى في الفضل والعلم، والجهاد والدفاع عن الإسلام وشريعته الغراء، وتصدوا لكل من يحاول المساس بهذا الدين العظيم، وكثير من هؤلاء قد غمرهم النسيان، وقليل من الناس من يعرفهم.

من هؤلاء العلماء الأعلام الشيخ محمد الخضر حسين التونسي الطولفي الجزائري (تونس المولد، جزائري الأصل).

**مولده رحمته الله:** ولد عام ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م في بلدة "نفطة" بإقليم الجريد التونسي، لأسرة جزائرية رحلت إلى تونس من مدينة طولقة قرب بسكرة، وقد حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم اللغوية والشرعية على الشيخ عبد الحفيظ اللموشي.

وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره (أي في عام ١٨٨٨م) انتقل مع أسرته إلى تونس العاصمة، وبعد عامين التحق بجامع الزيتونة المعمور، حيث أخذ العلم على خاله الشيخ المكي بن عزوز، والشيخ عمر بن الشيخ، والشيخ سالم بوحاجب، وغيرهم من أساتذة الزيتونة الكرام.

وفي سنة ١٩٠٣م نال شهادة العالمية (وهي تعادل الدكتوراة في عصرنا)، وكان متشبعاً بالروح الإسلامية الوطنية، فكان أول موقف له تجاه سلطات الاستعمار الفرنسي هو رفضه تولي بعض المناصب التي عرضتها عليه الحكومة الاستعمارية في تونس.

وفي نفس الفترة الزمنية (١٩٠٣-١٩٠٤) زار الجزائر موطن آبائه وأجداده، وكان قد أصدر في تونس أول مجلة أدبية وعلمية في شمال إفريقيا، وهي مجلة "السعادة العظمى".

وفي سنة ١٩٠٥م تولى قضاء مدينة "بنزرت" وضواحيها، إلى جانب ممارسته للخطابة والتدريس بجامع بنزرت الكبير، وبعد عامين عاد إلى تونس العاصمة، وعُيِّن مدرِّساً بالمدرسة الصادقية، وبعدها بعام تطوَّع للتدريس بالزيتونة ثم عُيِّن مدرِّساً بها.

**محنته واعتقاله ﷺ:** وفي سنة ١٩٠٧م اشترك في تأسيس الجمعية الزيتونية، وفي سنة ١٩١١م قاد حملة لمناصرة الشعب الليبي في حربه ضد إيطاليا، فاتهمته السلطات الفرنسية ببث روح العداء للغرب، وضيقت عليه؛ فهاجر إلى تركيا عن طريق مصر وسوريا.

ثم عاد مرة أخرى إلى تونس ليهاجر منها ثانية إلى الشام، ثم إلى تركيا من جديد، حيث عمل محرراً عربياً بوزارة الحربية العثمانية، وشارك في مفاوضات سياسية خلال الحرب العالمية الأولى، ثم عاد إلى دمشق فاعتقله الأتراك عام ١٩١٦م عدة أشهر، ثم عاد إلى تركيا، وبعدها رحل إلى ألمانيا، وعاد مرة أخرى إلى تركيا ثم استقر في دمشق، فلما احتلها الفرنسيون عاد إلى تونس، ولكنه لم يلبث أن رحل إلى القاهرة عام ١٩٢١م واستوطن هناك، حيث أصبح عضواً في هيئة كبار العلماء و"مجمع اللغة العربية".

وفي سنة ١٩٢٤م، أسس جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية، التي ضمت المجاهدين من تونس والجزائر والمغرب الأقصى.

وفي سنة ١٩٢٧م ترأس الاجتماع التحضيري لتأسيس "جمعية الشبان المسلمين" بحضور أعلام الفكر وكبار الزعماء والعلماء في العالم الإسلامي، الذين اعترفوا له بالمكانة العلمية الكبيرة، فقدموه لرئاستهم.

وفي سنة ١٩٥٢م تولى منصب شيخ الأزهر الشريف، ولكنه استقال من منصبه بعد أقل من ستة عشر شهراً، عندما شعر برغبة السلطة المصرية في السيطرة على الأزهر، وتوجيهه حسب إرادتها، وخدمة مصالحها، وقال كلمته المشهورة: "إن الأزهر أمانة في عنقي أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدي، فلا أقل من أن لا يحصل له نقص ... يكفيني كوب لبن وكسرة خبز وعلى الدنيا بعدهما العفاء".

**معاركه الفكرية ﷺ:** شاءت الأقدار أن تُمَتِّحَ الحياة الفكرية بفتنة ضارية أثارها كتابا: "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق، و"في الشعر الجاهلي" لطف حسين، وكان الشيخ محمد الخضر حسين واحداً ممن خاضوا هذه المعركة بالحجة القوية، والاستدلال الواضح، والعلم الغزير.

أما الكتاب الأول فقد ظهر في سنة (١٣٤٤هـ/١٩٢٦م) وأثار ضجة كبيرة، وانبرت الأقلام بين هجوم عليه ودفاع عنه، وقد صدم الكتاب الرأي العام المسلم، حين زعم أن الإسلام ليس دين حكم، وأنكر

وجوب قيام الخلافة الإسلامية، ونفى وجود دليل عليها من الكتاب والسنة، وكانت الصدمة الثانية أن يكون مؤلف هذا الكتاب عالماً من علماء الأزهر.

وقد نهض الشيخ محمد الخضر حسين لتفنيد دعاوى الكتاب فأصدر كتابه: "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" سنة (١٣٤٤هـ/١٩٢٦م) تتبع فيه أبواب كتاب علي عبد الرازق، فكان يبدأ بتلخيص الباب، ثم يورد الفقرة التي تعبر عن الفكرة موضوع النقد فيفندها، ونقد استخدام المؤلف للمصادر، وكشف أنه يقتطع الجمل من سياقها، فتؤدي المعنى الذي يقصده هو لا المعنى الذي يريده المؤلف.

وقد كشف الخضر الحسين في هذا الكتاب عن علم غزير، وإحاطة متمكنة بأصول الفقه وقواعد الحجاج، وبصيرة نافذة بالتشريع الإسلامي، ومعرفة واسعة بالتاريخ الإسلامي ورجاله وحوادثه.

وأما الكتاب الآخر فقد ظهر سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٧م)، وأحدث ضجة هائلة، حيث جاهر مؤلفه الدكتور طه حسين باحتقار والشك في كل قديم دُون في صحف الأدب، وزعم أن كل ما يُعد شعراً جاهلياً إنما هو مختلق ومنحول، ولم يكتف بهذه الفرية فجاهر بالهجوم على المقدسات الدينية حيث قال: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، ولكن هذا لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي...".

وقد انبرت أقلام غيرة لتفنيد ما جاء في كتاب الشعر الجاهلي من أمثال الرافعي، والغمراوي، ومحمد فريد وجدي، ومحمد الخضر حسين الذي ألّف كتاباً شافياً في الرد على طه حسين، وكتابه بعنوان: "نقض كتاب في الشعر الجاهلي"، فنّد ما جاء فيه، وأقام الأدلة على أصالة الشعر الجاهلي، وكشف عن مجافاة طه حسين للحق، واعتماده على ما كتبه المستشرق الإنجليزي مرجليوث دون أن يذكر ذلك.

**في ميادين الإصلاح ﷺ:** اتجه الشيخ إلى تأسيس الجمعيات الإسلامية، فاشترك مع جماعة من الغيورين على الإسلام سنة (١٣٤٦هـ/١٩٢٨م) في إنشاء جمعية الشبان المسلمين، ووضع لائحتها الأولى مع صديقه محب الدين الخطيب، وقامت الجمعية بنشر مبادئ الإسلام والدفاع عن قيمه الخالصة، ومحاربة الإلحاد العلمي، ولا تزال هذه الجمعية بفروعها المختلفة تؤدي بعضاً من رسالتها القديمة.



وأنشأ أيضاً "جمعية الهداية الإسلامية"، وكان نشاطها علمياً أكثر منه اجتماعياً، وضمت عدداً من شيوخ الأزهر وشبابه وطائفة من المثقفين، وكون بها مكتبة كبيرة كانت مكتبته الخاصة نواة لها، وأصدر مجلة باسمها كانت تحمل الروائع من التفسير والتشريع واللغة والتاريخ.

وإلى جانب هذا النشاط الوافر تولى رئاسة تحرير مجلة نور الإسلام - الأزهر الآن - التي أصدرها الأزهر في (المحرم ١٣٤٩هـ/١٩٣١م)، ودامت رئاسته لها ثلاثة أعوام، كما تولى رئاسة تحرير مجلة لواء الإسلام سنة (١٣٦٦هـ/١٩٤٦م).

وتحمل إلى هذه الأعباء التدريس بكلية أصول الدين، فالتف حوله الطلاب، وأفادوا من علمه الغزير وثقافته الواسعة، وعندما أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (١٣٥٠هـ/١٩٣٢م) كان من الرعيل الأول الذين اختيروا لعضويته، كما اختير عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق، وأثرى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ببحوثه القيمة عن صحة الاستشهاد بالحديث النبوي، والمجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية، وطرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية.

**مشيخة الأزهر رحمته الله:** نال الشيخ عضوية جماعة كبار العلماء برسائله القيمة "القياس في اللغة العربية" سنة (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م)، ثم لم يلبث أن وقع عليه الاختيار شيخاً للجامع الأزهر في (٢٦ ذي الحجة ١٣٧١هـ/ ١٦ سبتمبر ١٩٥٢م)، وكان الاختيار مفاجئاً له، فلم يكن يتوقعه أو ينتظره، بعدما كبر في السن وضعفت صحته، لكن مشيئة الله أبى إلا أن تكرم أحد المناضلين في ميادين الإصلاح، حيث اعتلى أكبر منصب ديني في العالم الإسلامي.

وكان في ذهن الشيخ حين ولي المنصب الكبير وسائل لبعث النهضة في مؤسسة الأزهر، وبرامج للإصلاح، لكنه لم يتمكن من ذلك، ولم تساعده صحته على مغالبة العقبات، ثم لم يلبث أن قدم استقالته احتجاجاً على اندماج القضاء الشرعي في القضاء الأهلي، وكان من رأيه أن العكس هو الصحيح، فيجب اندماج القضاء الأهلي في القضاء الشرعي؛ لأن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تكون المصدر الأساس للتشريع، وكانت استقالته في (٢ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ/ ٧ يناير ١٩٥٤م).

وكما مارس العمل الصحفي بتونس فقد مارسه في مصر كذلك، حيث أشرف على تحرير مجلة "الهداية الإسلامية" الناطقة بلسان جمعية الهداية الإسلامية التي شارك في تأسيسها بمصر.

وقد توفي الشيخ الخضر يوم ١٣ رجب ١٣٧٧ هـ الموافق ١٩٥٨ م.

**مؤلفاته رحمته الله:** ترك الشيخ الخضر حسين عددًا من الكتب والمؤلفات أشهرها: "الدعوة إلى الإصلاح"، و"الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان"، و"الحرية في الإسلام"، و"محمد رسول الله خاتم النبيين"، و"نقض كتاب الشعر الجاهلي" لطفه حسين، و"نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق، و"تونس جامع الزيتونة"، و"بلاغة القرآن"، و"القياس في اللغة العربية".

وكذلك "الخيال في الشعر العربي"، و"آداب الحرب في الإسلام"، و"تعليقات على كتاب الموافقات للشاطبي"، و"خواطر الحياة" (ديوان شعر)، وغيرها كثير... وافتتاحيات مجلة "لواء الإسلام"، ومجلة "نور الإسلام". (١)



١ - كُتِبَتْهُ : نادية سعد / موقع لواء الشريعة (٢٠٠٨، ١٠، ٥٥)

## بديع الزمان النورسي. رجل طابقت سيرته لقبه ﷺ

لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام

### المولد ﷺ

ولد سعيد النورسي في قرية (نُورس) الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام (١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م) من أبوين صالحين كانا مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح ونشأ في بيئة كردية يخيم عليها الجهل والفقر، كأكثر بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين. وإلى قريته (نُورس) يُنسب.

### علمه ﷺ:

وقد بدت عليه أمارات الفطنة والذكاء منذ طفولته، ولما دخل (الكتاب) وتتلّمذ على أيدي المشايخ والعلماء بهرهم بقوة ذاكرته، وبداهته، وذكائه، ودقة ملاحظته، وقدرته على الاستيعاب والحفظ، الأمر الذي جعله ينال الإجازة العلمية وهو ابن أربع عشرة سنة بعد أن تبخّر في العلوم العقلية والنقلية بجهده الشخصي، فقد حفظ عن ظهر غيب، ثمانين كتاباً من أمّات الكتب العربية كما حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من حياته الخصبة الحافلة.

كما عكف على دراسة العلوم العصرية، أو العلوم الكونية الطبيعية، (رياضيات، وفلك، وكيمياء، وفيزياء، وجيولوجيا) والجغرافيا والتاريخ والفلسفة الحديثة وسواها من العلوم، حتى غدا عالماً فيها، ومناظراً فذاً للمختصين بها، صار له رصيد ضخم من المعلومات، مكّنه من الانطلاق من مرتكزات علمية سليمة.

كان طالب العلم سعيد النورسي شديد الاحتفال والاشتغال والتعلّق بالفلسفة والعلوم العقلية، وكان لا يقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدها، كأكثر أهل الطرق الصوفية، بل كان يجهد لإنقاذ عقله وفكره من بعض الأسقام التي أورثتها إياه مداومة النظر في كتب الفلاسفة.

### مع القرآن الكريم:

في عام ١٨٩٤ تناهى إلى سمعه أن وزير المستعمرات البريطاني غلادستون وقف في مجلس العموم البريطاني، وهو يحمل المصحف الشريف بيده، ويهزّه في وجوه النواب الإنكليز، ويقول لهم بأعلى صوته:

” ما دام هذا الكتاب موجوداً، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان، لذا، لا بدّ لنا من أن نعمل على إزالته من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به“.

فصرخ العالم الشاب سعيد النورسي من عمق أعماقه: ” لأبرهننّ للعالم أجمع، أن القرآن العظيم شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها“.

ورأى النورسيُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وسأله أن يدعو الله له: أن يفهمه القرآن، وأن يرزقه العمل به، فبشّره الرسول الكريم بذلك، قائلاً له:

”سيوهب لك علم القرآن، شريطة ألا تسأل أحداً شيئاً“.

وأفاق النورسيّ من نومه، وكأنما حيزت له الدنيا.. بل.. أين هو من الدنيا، وأين الدنيا منه.. أفاق وكأنما حيز له علم القرآن وفهمه، فقد آلى على نفسه ألا يسأل أحداً شيئاً، استجابة لشرط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وهبه الله ما تمنى، وصار القرآن أستاذه ومرشده وهاديه في الدياجير التي اكتنفت تركيا الكمالية.

### بديع الزمان رحمته الله في مهبّ الأعاصير:

نستطع تمييز مرحلتين في حياة الإمام سعيد النورسيّ:

الأولى: مرحلة سعيد القديم، وتبدأ من مولده حتى نفيه إلى بلدة بارلا) عام ١٩٢٦ وهذه المرحلة هي مرحلة الإعداد الذاتي لنفسه، ومرحلة العمل الفردي، وخوض المعارك السياسية، مدافعاً عن الخلافة، وعن القرآن والإسلام، مهاجماً أعداء الإسلام وأعداء الخلافة والقرآن.

### محنته و محاكمته رحمته الله :

-سافر إلى إستانبول عام ١٨٩٦ ليقدم مشروعاً لإنشاء جامعة إسلامية حديثة في شرقي الأناضول - بلاد الأكراد - وأطلق عليها اسم (مدرسة الزهراء) لتكون على منوال الجامع (الأزهر في مصر، غير أنها تختلف عن الأزهر بتدريس العلوم الحديثة إلى جانب العلوم الشرعية والعربية، وذلك من أجل النهوض

بالأكراد المسلمين الذين يفتك بهم الجهل والفقر والتخلف. ولكن النورسي لم يلق قبولاً من السلطان عبد الحميد ومن وزير داخلية.

- وفي عام ١٩٠٧ سافر مرة أخرى إلى استانبول، للغرض ذاته، وقابل السلطان عبد الحميد، وانتقد الاستبداد ونظام الأمن واستخبارات القصر (يلدن) فأثار عليه حاشية السلطان، وأحالوه إلى محكمة عسكرية.

وكان النورسي في منتهى الشجاعة في التعبير عن رأيه أمام القضاة العسكريين، الأمر الذي جعل رئيس المحكمة يحيله إلى الأطباء النفسانيين، للتأكد من سلامة قواه العقلية، وكانت لجنة الأطباء المؤلفة من طبيب تركي، وآخر أرمني، وثالث رومي ومن طبيبين يهوديين (!!!) قررت وضعه في مستشفى (طوب طاش) للمجانين!!

وعندما حضر طبيب نفساني إلى المستشفى، لفحص قواه العقلية، بادره النورسي بحديث رائع عميق يأخذ بالألباب، فما كان من الطبيب إلا أن يكتب في تقريره:

"لو كانت هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان، لما وُجد عاقل واحد على وجه الأرض."

ثم أحيل النورسي إلى وزارة الداخلية، وكان الحوار التالي بينه وبين وزير الداخلية:

الوزير: إن السلطان يخلصك بالسلام مع مرتب بمبلغ ألف قرش وعندما تعود إلى بلدك سيجعل مرتبك ثلاثين ليرة كما أرسل لك ثمانين ليرة هدية سلطانية لك..

بديع الزمان: لم أكن أبداً متسول مرتب، ولن أقبله ولو كان ألف ليرة لأنني لم آت لغرض شخصي، وإنما لمصلحة البلد، فما تعرضونه عليّ ليس سوى رشوة السكوت.

الوزير: إنك بهذا تردّ الإرادة السلطانية، والإرادة السلطانية لا تردّ.

بديع الزمان: إنني أردّها، لكي يستاء السلطان ويستدعيني.. عند ذلك أستطيع أن أقول له قولة الحق. الوزير: إن العاقبة ستكون غير سارة.

بديع الزمان: تعددت الأسباب والموت واحد، فإن أعدم فسوف أرقد في قلب الأمة، علماً بأنني عندما جئت إلى استانبول كنت واضعاً روحي على كفي.. اعملوا ما شئتم، فإنني أعني ما أقول: إنني أريد أن أوقظ أبناء الأمة، ولا أقوم بهذا العمل إلا لأنني فرد من هذا البلد، لا لأقتطف من ورائه مرتباً، لأن خدمة رجل مثلي للدولة لا تكون إلا بإسداء النصائح، وهذه لا تتم إلا بحسن تأثيرها، وهذا لا يتم إلا بترك المصالح الشخصية فإنني معذور إذن عندما أرفض المرتب.

الوزير: إن ما ترمي إليه من نشر المعارف في بلدك هو موضع دراسة في مجلس الوزراء حالياً.

بديع الزمان: إذن فلم يتأخر نشر المعارف، ويستعجل في أمر المرتب؟ لماذا تؤثر منفعتي الشخصية على المنفعة العامة؟.

-ثم ذهب إلى (سلانيك مقرّ يهود الدونمة ومشتقاتهم من جمعية (الاتحاد والترقي) و(الماسوني) وسواهما، والتقى عدداً من شخصيات (الاتحاد والترقي) الذين كانوا يطمعون في كسب النورسيّ العبقري إلى صفهم، وكان ممن التقاهم: (عما نوئيل قره صو) رئيس المحفل الماسوني، وعضو مجلس المبعوثان (أي النواب) العثماني، وكان قره صو يطمع في النورسيّ ولكنّ المقابلة بينهما لم تطل، لأن قره صو فرّ هارباً من اللقاء، وهو يقول: "كاد هذا الرجل العجيب - النورسي - يدخلني في الإسلام بحديثه."

و (قره صو) هذا أول صهيوني ماسوني عمل على خلع السلطان عبد الحميد وإلغاء الخلافة \* وفي هذه المرحلة اتُّهم فيمن اتُّهم بحادثة ٣١ مارس (١٩٠٩/٤/١٣) وسيق إلى المحاكمة، ورأى في الساحة خمسة عشر رجلاً معلقين على أعواد المشانق، ظناً من القضاة أن هذا المنظر سوف يرهبه.. قال له الحاكم العسكري خورشيد باشا:

\* وأنت أيضاً تدعو إلى تطبيع الشريعة؟ إن من يطالب بها يشنق هكذا (مشيراً بيده إلى المشنوقين).  
فقام بديع الزمان سعيد النورسي وألقى على مسمع المحكمة كلاماً رائعاً نقتطف منه ما يأتي:  
"لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام فقد قلت: إنني طالب علم، لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة، إنني لا أعترف إلا بملة الإسلام.. إنني أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تسمونه (السجن في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة لا تسمعوا أنتم وحدكم بل ليتناقله العالم كله، ألا لقد حان للسرائر أن تنكشف، وتبدو من أعماق القلب، فمن كان غير محرم فلا ينظر إليها.

إنني متهيئ بشوق لقدومي للآخرة. وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علّقوا في المشانق. تصوروا ذلك البدوي الذي سمع عن غرائب إستانبول ومحاسنها، فاشتاق إليها.. إنني مثله تماماً في شوقي إلى الآخرة والقدوم إليها. إن نفيكم إياي إلى هناك لا يعتبر عقوبة. إن كنتم تستطيعون فعاقبوني المعاقبة الوجدانية. لقد كانت الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد وهي الآن تعادي الحياة، وإذا كانت هذه الحكومة هكذا، فليعيش الجنون، وليعيش الموت، وللظالمين فلتعش جهنم."

وفي جلسة واحدة فقط صدر حكم ببراءة بديع الزمان سعيد النورسي من تلك المحكمة الرهيبة التي شنقت العشرات.

\* أسس (الاتحاد المحمدي) في سنة ١٩٠٩ ردّاً على دعاة القومية الطورانية، والوطنية الضيقة، كجمعية الاتحاد والترقي، وجمعية تركيا الفتاة.

\* انضم إلى (تشكيلات خاصة) وهي مؤسسة سياسية عسكرية أمنية سرية، شكلت بأمر السلطان محمد رشاد قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، من أجل المحافظة على أراضي الدولة العثمانية، ومحاربة أعدائها. وكان قد انضم إلى هذه المؤسسة كثير من المفكرين والكتّاب، وكان النورسي من أنشط أعضاء قسم (الاتحاد الإسلامي) فيها، وأصدر مع عدد من العلماء (فتوى الجهاد) التي تهيب بالمسلمين أن يهبوا للدفاع عن الخلافة.

\* وفي هذه المرحلة سافر إلى مدينة (وان) عام ١٩١٠ وبدأ يلقي دروسه ومحاضراته، متجولاً بين القبائل والعشائر الكردية، يعلمهم أمور دينهم، ويرشدهم إلى الحق.

\* وفي سنة ١٩١١ سافر إلى دمشق، وألقى في المسجد الأموي خطبته الشهيرة باسم الخطبة الشامية التي وصف فيها أمراض الأمة الإسلامية، ووسائل علاجها.

\* وفي سنة ١٩١٢ عُيِّنَ بديعُ الزمان قائداً لقوات الفدائيين الذين جاؤوا من شرقي الأناضول، من الأكراد خاصة.

\* وفي سنة ١٩١٦ تمكنت القوات الروسية من الدخول إلى مدينة (أرضروم) التركية، وقد تصدى النورسي وتلاميذه المتطوعون للقوات الروسية، وخاضوا عدة معارك ضدها، ثم جرح النورسي جرحاً بليغاً، ونزف نزفاً شديداً كاد يؤدي بحياته، الأمر الذي اضطر أحد تلاميذه إلى إعلام القوات الروسية بذلك، فاقتادوه أسيراً، وبقي في الأسر في (قوصطوما) سنتين وأربعة أشهر، ثم تمكن من الهرب من معسكرات الاعتقال، إثر الثورة البلشفية في روسيا.

### عزة المؤمن:

وذاث يوم قُدِّمَ هناك إلى المحكمة الحربية بتهمة إهانة القيصر الروسي.

أما قصة ذلك فهي كما يأتي:

كان خال القيصر والقائد العام للجبهة الروسية، "نيكولا نيكولافيج" يزور معسكر الأسرى فقام جميع الأسرى لأداء التحية ماعدا (سعيد النورسي). لاحظ القائد العام ذلك، فرجع ومراً ثانية أمامه.. فلم يقوم له كذلك، وفي المرة الثالثة وقف أمامه وجرت المحاوراة الطريفة الآتية بينهما بواسطة مترجم القائد:

**القائد:** الظاهر أنك لم تعرفني؟

**النورسي:** بلى .. لقد عرفتك. إنك نيكولا نيكولافيج، خال القيصر، والقائد العام في جبهة القفقاس.

**القائد:** إذن فلم تستهين بي؟

**النورسي:** كلا، إنني لم أستهن بأحد، وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي.

**القائد:** وماذا تأمرك عقيدتك؟

**النورسي:** إنني عالم مسلم، أحمل في قلبي إيماناً، والذي يحمل في قلبه إيماناً هو أفضل من الذي لا

إيمان له. ولو أنني قمت لك لكنك إذن قليل الاحترام لعقيدتي ومقدساتي، لذلك فإنني لم أقم لك.

**القائد:** إذن فإنك بإطلاقك عليّ صفة عدم الإيمان، تكون قد أهنتني وأهنت جيشي وأمتي والقيصر

كذلك، يجب تشكيل محكمة عسكرية للنظر في هذا الأمر.

تشكلت المحكمة العسكرية، وقُدِّمَ إليها سعيد النورسي بتهمة إهانة القيصر والأمة الروسية والجيش

الروسي.

ويسود حزن في معسكر الأسرى ويلتف حوله الضباط الأسرى من الأتراك والألمان والنمساويين ملحين

عليه القيام بالاعتذار للقائد الروسي وطلب العفو منه، إلا أنه رفض ذلك بإصرار، قائلاً لهم:

"إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة، والمثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. لذلك فإنني

بحاجة فقط إلى جواز سفر للآخرة، وأنا لا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني."

وتصدر المحكمة قرارها بالإعدام، وفي يوم التنفيذ تحضر ثلة من الجنود على رأسها ضابط روسي لأخذه

إلى ساحة الإعدام، ويقوم سعيد النورسي من مكانه بابتهاج قائلاً للضابط الروسي:

\* أرجو أن تسمح لي قليلاً لأؤدي واجبي الأخير.

ثم يقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين.

وهنا يأتي القائد العام ليقول له بعد فراغه من الصلاة:

\* أرجو منك المعذرة، كنت أظنك قد قمت بعملك قاصداً إهانتني ولكنني واثق الآن أنك كنت تنفذ ما

تأمرك به عقيدتك وإيمانك، لذا فقد أبطلت قرار المحكمة، وإنني أهنتك على صلابتك في عقيدتك،

وأرجو المعذرة منك مرة أخرى.

\* في ١٣/٨/١٩١٨ عُيِّنَ عضواً في (دار الحكمة الإسلامية) التي كانت تضم كبار العلماء والشعراء

والشخصيات في إستانبول.



وقررت له الحكومة مرتباً، ولكنه ما كان يأخذ منه إلا ما يقيم أوده، والباقي ينفقه على طباعة رسائله العلمية التي كان يوزعها مجاناً.

\* وبعد أن احتل الحلفاء (الإنكليز والفرنسيون) العاصمة إستانبول، أَلَفَ النورسي كتابه (الخطوات السَّت) وحَكَمَ عليه الحاكم العسكري الإنكليزي بالإعدام على هذا الكتاب، وعلى نشاطه المعادي للقوات المحتلة، وأراد محبوبه إنقاذه، فدعوه إلى (أنقرة) فأجابهم:

"أنا أريد أن أجاهد في أخطر الأمكنة، وليس من وراء الخنادق. وأنا أرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول."

### إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة:

\* دُعِيَ إلى أنقرة سنة ١٩٢٢ واستُقبِلَ في المحطة استقبالاً حافلاً، ولكنه لاحظ أن أكثر النواب لا يصلّون، كما أن مصطفى كمال يسلك سلوكاً معادياً للإسلام، فقرر أن يطبع بياناً تضمّن عشر مواد، وجهه إلى النواب، واستهله بقوله:

"يا أيها المبعوثون.. إنكم لمبعوثون ليوم عظيم."

وكان من أثر هذا البيان الذي ألقى على النواب، أن ستين نائباً قاموا لأداء فريضة الصلاة، والتزموا الدين، الأمر الذي أغضب مصطفى كمال فاستدعى النورسي وقال له:

"لاشك أننا في حاجة ماسة إلى أستاذ قدير مثلك، ولهذا دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك السديدة، ولكن أول عمل قمت به هو الحديث عن الصلاة.. لقد كان أول جهودك هنا هو بث الفرقة بين أهل المجلس."

فأجابه بديع الزمان، مشيراً إليه بإصبعه في حدة.

"باشا.. باشا.. إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة، وإن الذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود."

عندها فكّر مصطفى كمال بإبعاده عن العاصمة، فعينّه واعظاً عاماً للولايات الشرقية، وبمرتب مُغرٍ، ولكن النورسي رفض الوظيفة والراتب.

كتب النورسي ونشر في هذه المرحلة عدة كتب ورسائل منها: إشارات الإعجاز- والسنوحات- والطلوعات- ولمعات وشعاعات من معرفة النبي صلى الله عليه وسلم وسواها باللغة العربية.

المرحلة الثانية من حياته:

في عام ١٩٢٣ غادر النورسي مدينة أنقرة إلى مدينة "وان" حيث انقطع للعبادة في إحدى الخرائب المهجورة على جبل "أرك" ولم يدر شيئاً عن الأعاصير التي تنتظره.

وجاء من يدعوه إلى تأييد ثورة الشيخ سعيد بيران ضد الحكومة الكمالية العلمانية المعادية للإسلام، فأبى تأييدها، ولكن هذا الموقف، وذلك الانقطاع للعبادة، لم ينجياه من غضب حكومة أنقرة التي أمرت بالقبض عليه، ونقله إلى إستانبول، ومن ثم إلى مدينة "بوردر" ثم إلى "بارلا" في جو بارد من شتاء عام ١٩٢٦ القارس، فقد كان الجو بارداً، ومياه البحيرة متجمدة وأحد جذافي القارب الذي يحمله إلى منفاه في المقدمة يكسر الثلوج بعضاً طويلة في يده، ليفتح بذلك طريقاً للقارب الشرعي.

وفي بارلا بدأت المرحلة الثانية من حياة بديع الزمان، وهي المسماة مرحلة سعيد الجديد وقد كانت حافلة بالاتهامات والملاحقات والمطاردات والسجون والمعتقلات والمحاكمات والمنافي، مما لم يمر في حياة إنسان وهو صابر محتسب، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، شعاره في ذلك:

"أعوذ بالله من الشيطان والسياسة."

وفي هذه البلدة صنع له أحد النجارين غرفة خشبية صغيرة غير مسقوفة، وضعت بين أغصان شجرة الدلب العالية حيث كان النورسي يقضي فيها أغلب أوقاته في فصلي الربيع والصيف، متعبداً لله، متأملاً متفكراً، وعاكفاً على تأليف رسائل النور طوال الليل، والناس يسمعون همهمات العالم العابد المتجهّد، ولا يستطيعون الاختلاط به ومحادثته، والإفادة من علمه، لأن هذا محظور عليهم وسوف يكلفهم كثيراً.

أمضى النورسي في "بارلا" ثماني سنوات ونصف السنة، أُلّفَ فيها أكثر رسائل النور، وهو يعاني من عدة أمراض، ولا يشتهي الطعام، بل كان يكتفي من الطعام بكسيرات من الخبز مع قليل من الحساء "الشوربة" ولا يقبل هدية ولا تبرعاً ولا زكاة من أحد... كان - كما قال عن نفسه - يعيش على البركة والاقتصاد.

وفي هذه المرحلة كان يؤلف ويكتب باللغة التركية المكتوبة بالحروف العربية، ويأمر تلاميذه بالكتابة بالحروف العربية، حفاظاً عليها من النسيان، فقد كان أتاتورك قد ألغى الكتابة بالحروف العربية واستبدل بها الحروف اللاتينية.

وقد أسهمت النساء بنسخ الرسائل - الكتب - التي كان يملئها بديع الزمان على بعض تلاميذه في غفلة من الرقباء لأنه كان منفياً وموضوعاً تحت الرقابة، ثم يقوم هؤلاء بتعريبها إلى النساء، ليسهرن في استنساخها، ويقضين الليالي في ذلك، حتى إذا أنجزنها، سارت بها ركبان طلبه النور في طول البلاد

التركية وعرضها.

ورسائل النور هذه تدعو إلى إنقاذ الإيمان، وعودة الإسلام إلى الحياة. وتصدى بها للعلمانيين والقوميين والسياسة الميكيفيلية القائمة على التزلف والنفاق والمصالح الشخصية. السياسة التي نَحَّت الدين جانبا، وولَّى أصحابها وجوههم نحو أوروبا، والسير في ركابها. ولهذا رأيناه في هذه المرحلة، يقف- بكل قوة- في وجه التيارات الإلحادية الشاملة، برغم ضراوة الهجمة وشراستها، وبرغم ما تعرَّض له من نفي وسجن واعتقال.

وهذا يعني، أن شعاره في هذه المرحلة: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة" لا يعني أنه تخلَّى عن السياسة فعلا، بل أراد به حماية تلاميذه من شرور الأشرار السياسيين، ومع ذلك، لم ينجح هو ولا تلاميذه من الملاحقة والمحاكمات والسجون التي أطلق عليها النورسي وتلاميذه اسم: المدرسة اليوسفية. وقد جاء في قرار اللجنة المدققة لرسائل النور في مدينة (دنيزلي):

"ليس لبديع الزمان فعالية سياسية، كما لا يوجد أي دليل على أنه يؤسس طريقة صوفية، أو قائم بإنشاء أي جمعية، وإن موضوعات كتبه تدور كلها حول المسائل العلمية والإيمانية وهي تفسير القرآن الكريم."

-عندما أطلق سراحه في الخمسينيات، كان في السابعة والسبعين من العمر، وكان يقول لزائريه أو الذين يرغبون في زيارته:

"كل رسالة- من رسائل النور- تطالعونها، تستفيدون منها فوائد أفضل من مواجهتي بعشرة أضعاف.." وكان قد طلب أكثر من مرة من تلاميذه طلبه النور، ألا يربطوا الرسائل بشخصه الضعيف، فيحطوا من قيمتها، لأن للإنسان أخطاء وعيوبا قد سترها الله عليه.

كما كان يدعو تلاميذه إلى عدم التعلق به، لا في حياته، ولا بعد مماته، فذلك له أضرار جسيمة على الدعوة.

\* وكان النورسي يحب أعالي الجبال، كما كان يحب أعالي الأشجار الباسقة الشاهقة، وكان يفضل الصلاة على الصخور المرتفعة، وكان يقول لتلاميذه:

"لو كنتُ في قوة شبابكم هذا، لما نزلت من هذه الجبال".

لقد كان النورسي أمة في رجل، وربَّى تلاميذه بالقُدوة، وحياته كانت أكبر كرامة.. إنه رجل عصر المصائب والبلايا والمهالك -كما قال عن نفسه- وهو عصرنا، وقد هيأ الأدوية الناجعة للجروح الإنسانية الأبدية، وقَدَّمها إليها خلال رسائله وكتبه التي هي من نور القرآن العظيم.

**وفاته:** توفي بديع الزمان النورسي في الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٧٩ هـ الموافق للثالث والعشرين من شهر آذار ١٩٦٠ م تاركاً موسوعة إيمانية ضخمة تسد حاجة هذا العصر، وتخطب مدارك أبنائه، وتدحض أباطيل الفلاسفة الماديين، وتزيل شبهاتهم من أسسها، وتثبت حقائق الإيمان وأركانه بدلائل قاطعة، وبراهين ناصعة، جمعت في ثمانية مجلدات ضخام، هي:

الكلمات - المكتوبات - اللمعات - الشعاعات - إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز - المثنوي العربي النوري - الملاحق - صيقل الإسلام. وقد ترجمت إلى اللغات العربية والإنكليزية، والألمانية، والأردية، والفارسية، والكردية، والفرنسية، والروسية وغيرها، ودفن في مدينة أورفه وبعد الانقلاب العسكري في تركيا في ٢٧/٥/١٩٦٠ قام الانقلابيون العسكر بنقل رفات الإمام النورسي إلى جهة غير معلومة.

وقد وصف شقيقه الشيخ عبد المجيد النورسي نقل رفات أخيه بديع الزمان في مذكراته، بعد خمسة أشهر من وفاته، فقد قالوا له "سنقوم بنقل رفات أخيك الشيخ سعيد النورسي من أورفه." وقاموا بهدم قبر بديع الزمان، وقلت في نفسي: "لا بد أن عظام أخي الحبيب قد أصبحت رماداً، ولكن ما إن لمست الكفن، حتى خيل إليّ أنه قد توفي بالأمس. كان الكفن سليماً، ولكنه كان مصفراً بعض الشيء من جهة الرأس وكانت هناك بقعة واحدة على شكل قطرة ماء.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - مقال للأستاذ عبد الله الطنطاوي هذا الموضوع منقول من منتدى فرسان الحق نقلا عن ملتقى أهل التفسير

## الشيخ أبو بكر خوقير رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** هو الشيخ التقي المحقق أبو بكر ابن الشيخ محمد عارف الإمام بالمسجد الحرام ابن

العلامة الشيخ عبد القادر بن محمد علي خوقير الكتبي الحنبلي.

**مولده -** ولد رحمته الله سنة ١٢٨٤هـ بمكة المكرمة وبعد أن قرأ القرآن اشتغل بطلب العلم من صغره وكان شغوفاً بكتب الحديث والعكوف على مطالعتها.

**رحلته العلمية رحمته الله** - كان - رحمه الله - يسافر إلى الهند لجلب كتب السلف ونشرها بمكة وينتهاز الفرصة فينتقل العلم عن علماء الهند الأعلام. استمع إليه وهو يحدث تلميذه الشيخ عبد الستار الدهلوي فيقول - رحمه الله - : رويت عن مشايخ معروفين مشهورين بعلو الإسناد منهم الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني والقاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسى والشيخ محمد الأنصاري والشيخ محمد بن عبد العزيز الهاشمي الجعفري الهندي وأحمد دحلان والشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة، وكنت أحضر درسه في التفسير وراء المقام الحنفي وكان له فيه سبب نزولها وفي ارتباطها بما قبلها بأنواع المناسبات ومعناها وما اشتملت عليه من أنواع البلاغة وفيما يؤخذ منها من الأحكام وبلغت فتاواه أربعة مجلدات واسمها (الضوء والسراج) وله مجمعة في الفقه.

**رحلته العلمية رحمته الله** : رحل إلى القاهرة في آخر عمره وتوفي بها سنة ١٣١٤هـ ومنهم الشيخ ابن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي لقيته في سياحتي بالهندي سنة ١٣١٣هـ وسمعت منه الأولية وقرأت عليه الكثير منا لأوائل السنبلية للعلامة محمد بن سعيد سنبل وأجازني بها كما يروي عن الشيخ محمد بن ناصر الحازمي اليماني الحسني عن شيخه محمد طاهر سنبل وكتب لي بخطه إجازة مطولة مخطوطة عندي وهي أجل غنم عندي.

عكف الشيخ أبو بكر خوقير على مؤلفات شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب فشغلت ذهنه مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام التي تبلورت في لا إله إلا الله والتي تميز الإسلام بها عما سواه فأدرك أن التوحيد أساس الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق العالم المسيطر عليه والمشرع له وليس في الخلق من يشاركه في الخلق ولا في حكمه ولا من يعينه على تصريف أموره لأنه تعالى ليس في حاجة إلى عون أحد مهما كان من المقربين إليه الذي بيده الحكم وحده وهو الذي بيده النفع والضر وحده لا

شريك له ليس في الوجود ذو سلطة حقيقية غير الله وليس في الوجود من يستحق العبادة والتعظيم غير الله.

شرح أبو بكر خوقير -رحمه الله- يدعو إلى توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار وأنه تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت مدبر الأمور ومنزل الغيث، وشرع يبين توحيد الألوهية وبيان عبادة الله التي شرعها كالدعاء والذبح والنذر والاستغاثة وبيان أن هذا التوحيد الذي جحدته الكفار وشرع في بيان توحيد الصفات وأنه الإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث بما وصف الله به نفسه من صفات على حقيقتها دون التعرض لها بشيء من التكييف

والتمثيل أو التشبيه والتأويل أو التحريف والتعطيل وكان -رحمه الله- شديد الإنكار والنقمة على الذين يشدون الرحال للأولياء ويقدمون النذور لهم ويتمسحون بالمقابر وتذللون لها ويطلبون منها جلب الخير لهم أو دفع الشر عنهم وكان -رحمه الله- يوصي بقراءة صحيح البخاري ويقول: إني قرأت البخاري وعرفت شرح الحديث بعضه ببعض كما استفدت من مسند إمامنا أحمد بن حنبل وروايته مع مراجعة الغريب وضبط اللفظ ويقول لطلابه أنه يكفي الطالب المبتدئ بلوغ المرام وعمدة الأحكام، وللطالب المنتهي المشكاة والمنتهى فإنهما جمعاً ما في الكتب الصحاح مع بيان الصحيح من السقيم.

### محنته و سجنه ﷺ:

بلغ ولاية الأمور قبل دخول الملك عبد العزيز -رحمه الله- مكة دعوة الشيخ أبي بكر ما نصه: لقد شاهدت الشيخ أبا بكر أثناء دخولي السجن في غرفته بملابس رثة وقد طال شعر رأسه ولحيته إذ لا يسمح لسجين باستعمال مقص أو موس فسلمت عليه فرد السلام وقال: (إن الله مع الصابرين) ولي أسوة بإمامنا أحمد بن حنبل وظل -رحمه الله- في السجن إلى أن أفرج عنه مع بقية المسجونين جلاله الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- وذلك بعد استيلاء جلالته على مكة سنة ١٣٤٣هـ.

### مؤلفاته ﷺ:

ألف -رحمه الله- مؤلفات قليلة لأن ظروفه القاسية لم تسمح له بأكثر من هذه المؤلفات وهي:

١- كتاب فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال طبع بمطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٣هـ يقع في ٧٢ صفحة.

٢- مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف.

٣- كتاب ما لا بد منه في أمور الدين على طريقة السلف الصالح ومذهب الإمام أحمد بن حنبل في العقائد طبع في مطبعة التمدن في القاهرة بمصر سنة ١٣٣٢هـ يقع في ١١٨ صفحة.

٤- مختصر في فقه الإمام أحمد بن حنبل طبع بالمطبعة المنيرية بدمشق سنة ١٣٤٩هـ يقع في ٤٠ صفحة.

رحم الله الشيخ (أبو بكر خوقير) حيث جاهد في الله بقلمه ولسانه حق جهاده وأوذي في ذات الله فما ضعف وما استكان والله يحب الصابرين. وصلى الله على محمد وآله وسلم.)<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - مشيهاير علماء نجد وغيرهم ص ٣٠٠-٣٠٣

### الشيخ المجاهد مصطفى السباعي رحمه الله تعالى (١)

**نشأته وتعليمه ﷺ:** ولد الشيخ مصطفى السباعي عام ١٣٣٤-١٩١٥م في مدينة حمص السورية لأسرة عريقة في العلم والتدين والجهاد. فقد كان والده حسني السباعي من علماء حمص المعدودين، وكان خطيب الجامع الكبير فيها. بدا رحمه الله تعليمه بحفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية، ثم التحق بالمدارس النظامية حتى أنهى الدراسة الثانوية عام ١٩٣٠م، ولم يكن التعليم النظامي المصدر الوحيد للتعليم لدى السباعي.

وفي عام ١٩٣٣م التحق بقسم الفقه في الجامعة الأزهرية بالقاهرة، ثم انتقل إلى كلية أصول الدين ونال الماجستير منها، أما بحثه للدكتوراه فكان بعنوان السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي الذي رد فيه على شبهات المستشرقين حول السنة وبخاصة شيخهم المجري اليهودي إجناز جولدزيهر بأسلوب علمي رصين

### حياته التعليمية ﷺ:

بدأ السباعي التدريس في المدارس الثانوية بحمص، ولم يجد في المدارس ما يشفي غليله من ناحية المنهج أو الأهداف التربوية فأسس المعهد العربي في دمشق وكان أول مدير له. وفي عام ١٩٥٠ انتقل للتدريس في كلية الحقوق بجامعة دمشق، ولكنه كان يرى أن الشريعة الإسلامية يجب أن تحظى بكلية خاصة فدعا إلى ذلك وأسهم إسهاماً كبيراً في إنشائها وكان أول عميد لها حينما تأسست عام ١٩٥٥م

ولم يقتصر عمله على التدريس أو العمل عميداً للكلية أو رئيساً لقسم الفقه ومذاهبه في الكلية نفسها بل كان له نشاط مكثف في إلقاء المحاضرات العامة رغم ما كانت تسبب له من إرهاق شديد، وكان يقاوم متاعبه الجسمية للقيام بهذه المهام الصعبة وكان يقول: "خير لي أن أموت وأنا أقوم بواجبي نحو الله من أن أموت على فراشي فالآجال بيد الله، وإن ألمي من حرمان الطلاب من دروس التوجيه أشد وأقسى من آلامي الجسدية، وحسبي الله عليه الاتكال"

<sup>١</sup> -مقال د. مازن بن صلاح مطبقاني



**حياته العملية والسياسية ﷺ:** بالإضافة إلى هذه الأعمال العليمة التي تحتاج إلى فريق من الناس، فقد تطلع السباعي إلى خدمة أمته في مجالات أخرى حيث دخل البرلمان نائباً عن مدينة دمشق، وقد اختير نائباً لرئيس المجلس، كما اشترك في وضع مسودة الدستور، فكان له جهد مبارك في تأكيد هوية البلاد الإسلامية

ومن المجالات التي عمل فيها السباعي: الصحافة حيث أنشأ جريدة "المنار" واستمرت حتى عام ١٣٤٩م حيث تم إيقافها. وفي عام ١٩٥٥م أسس جريدة "الشهاب" واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٥٨م. وفي الوقت نفسه أصدر السباعي "مجلة المسلمون" التي أصبحت تحمل اسم مجلة "حضارة الإسلام" منذ عام ١٩٥٨م

**السباعي - عالم مجاهد و محنته و اعتقاله :** عرف السباعي رحمه الله مسؤولية العالم معرفة حقيقية فلم يحصر نفسه بين القراطس والقلم، ولكنه كان صاحب مواهب قيادية ففي مصر حيث الاستعمار الإنجليزي وقف السباعي في وجه هذا الاحتلال حتى اعتقل عام ١٩٣٤م، واستمر في الكفاح فاعتقل مرة أخرى عام ١٩٤٠م بتهمة تأليف جمعية سرية لتأييد ثورة رشيد عالي الكيلاني، وسجن شهرين ثم أطلق سراحه ثم سُلم للسلطات الإنجليزية في فلسطين التي سجنته مدة أربعة أشهر، ثم عاد إلى سوريا وفي عام ١٩٤١م أُلقي القبض عليه من قبل السلطات الفرنسية التي تركته في السجن قرابة سنتين ونصف تنقل خلالها في عدة سجون ومعتقلات منها معتقل: "المية المية" و"قلعة راشيا" ببلبنان حيث عاني خلالها من التعذيب الوحشي والمعاملة القاسية.

رحم الله الشيخ الدكتور مصطفى السباعي رحمة واسعة فقد كان مثلاً للعلماء العالمين الذين ينبغي أن تُدرَسَ حياتهم وتُنشر أعمالهم لقاء منتدى الجامع مع الأستاذ على الرئيس الباحث في مقارنة الأديان و لمدة أسبوعين من السبت ٢١/٦/٢٠٠٨ (١)

يقول الزركلي: وأصيب بشلل نصفي (١٩٥٧) ونشر من تأليفه ٢١ كتاباً ورسالة، منها (السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي) وهو كتاب أطروحته، و (اشتراكية الاسلام) و (شرح قانون الاحوال الشخصية) ثلاثة أجزاء، و (الدين والدولة في الاسلام) و (المرأة بين الفقه والقانون) و (منهجنا في

<sup>١</sup> - مقالة من موقع جامعة الملك سعود.

الاصلاح) وهياً للنشر سبعة، منها (السيرة النبوية، تاريخها ودروسها) و (النظام الاجتماعي في الإسلام) و (العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في التاريخ) وتوفى بدمشق (١).




---

<sup>١</sup> - الأعلام للزركلي - (ج ٧ / ص ٢٣٢)

### محمد أمين بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني رحمته الله

**ترجمته رحمته الله:** هو محمد أمين بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني زعيم فلسطين ومفتيها الأكبر ولد سنة ١٨٩٣م بالقدس وتعلم فيها على يد والده حيث حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الدينية واللغة العربية ثم سافر إلى مصر وأقام فيها سنين بين الجامع الأزهر ودار الدعوة والإرشاد التي أنشأها السيد محمد رشيد رضا وتخرج ضابطاً احتياطياً في استانبول سنة ١٩١٦م وضم إلى الفرقة ٤٦ في أزمير ، وعاد إلى القدس بعد الحرب

نسبت إليه اضطرابات في منطقة بيسان سنة ١٩٢٠م فطارده الإنجليز ففر إلى دمشق فما لبث أن عاد إلى بلده . ولما توفي أخوه كامل الحسيني مفتي القدس سنة ١٩٢٢م انتخبت بدلاً منه بلقب (مفتي فلسطين الأكبر) وتألف المجلس الإسلامي الأعلى فتولى رئاسته ، وكان أول من نبه إلى خطر تكاثر اليهود في فلسطين بعد بلفور سنة ١٩١٧م وقد جاء بلفور مع المندوب السامي البريطاني ١٩٢٥م يريد زيارة الحرم المقدسي فمنع دخولهما ، ولم تقم حركة وطنية في فلسطين أو من أجلها إلا وكان مدبرها في الخفاء أو في العلن.

وكان الحركة الدائمة في اللجان والوفود إلى المؤتمرات وأهمها المؤتمر الإسلامي الذي بالقدس أيضاً سنة ١٩٣١م لنصرة القضية الفلسطينية . وكان همه استنهاض المسلمين للجهاد ضد الإنجليز اليهود استمرت في عملها من سنة ١٩٣١م إلى سنة ١٩٣٥م حتى قامت (منظمة الجهاد المقدس) بقيادة عبد القادر الحسيني وإشراف المفتي ورئاسته السرية المباشرة

### محاولات العدو لاعتقاله رحمته الله وقد توالى أعمال الجهاد إلى سنة ١٩٤٨م ، وفي الثورات وأهمها ثورة

البراق سنة ١٩٢٩م ، وحاولت السلطات البريطانية سنة ١٩٣٧م اعتقاله فنجا في زورق إلى لبنان وضغطت بريطانيا على فرنسا لتسليمه إليها سنة ١٩٣٩م فخرج سراً إلى بغداد وقامت ثور عالي الكيلاني في العراق سنة ١٩٤١م فأراد الإنجليز القبض عليه فغادر بغداد متخفياً إلى إيران ومنها إلى ألمانيا ، حيث أن المفتي أرسل موفداً هو (عثمان حداد) إلى ألمانيا يحمل رسالة إلى (هتلر) تتضمن المطالب التالية : (الاعتراف بالدول العربية كلها ما كان منها مستقلاً أو تحت الانتداب أو مستعمراً والاعتراف بحق العرب بإلغاء الوطن القومي لليهود بفلسطين والاعتراف باستقلال فلسطين.

جاء في كتاب زهير المارديني (ألف يوم مع الحاج أمين) : ((إن مصلحة أمتي هي التي تملي علي

اختياري ، إن مصير فرد لا قيمة له عندما يتعلق الأمر بمستقبل الأمة . إن انتصار الإنجليز كان يعني أن فلسطين ضائعة .

إن الشعب لا يطمح إلى تحقيق أمانيه إلا عبر التضحيات ودم أبنائه . فمنذ عام ١٩٢٢م إلى ١٩٤١م والشعب الفلسطيني يعرف قضيته ويعرف من أنا ويعرف ماذا أفعل ولمصلحة من أفعل . أنا لم أذهب إلى بلاد المحور كي أضع نفسي تحت تصرفهم . لقد ذهبت في سبيل خدمة قضيتي التي هي قضية أمتي بكاملها..

ذهبت مفاوضاً لا متعاوناً . كنت أتوق لأن تكون إقامتي ذات نفع لفلسطين خاصة ولوطني العربي الكبير عامة وللإسلام الذي أحمل أكبر مهمة من أجل إعلاء كلمته.

ولم يكتف المجاهد الكبير سماعة الحاج محمد أمين الحسيني في الاهتمام بقضية فلسطين فحسب بل كان اهتمامه بالعالم العربي والإسلامي كله فقد بذل جهوده مع رشيد عالي الكلاني وتقي الدين الهلالي في الاهتمام باستقلال البلاد العربية في المشرق والمغرب على حد سواء وبذل أقصى الجهود للحصول على الدعم من دول المحور والمطالبة بالإفراج عن السجناء العرب في السجون الفرنسية أمثال : الأمير عبد الكريم الخطابي الزعيم المغربي والزعيم التونسي صالح بن يوسف وحبيب تامر وغيرهم.

**اعتقاله وفي** يوم ١٩٤٥/٥/٥م أُخرج المفتي وإخوانه إلى سويسرا ومنها إلى فرنسا حيث اعتقلهم الجيش الفرنسي يوم ١٩٤٥/٥/١٩م وقد طالب السفير البريطاني والسفير الأمريكي بتسليم المفتي لمحاكمته كما كان اليهود يصرون على محاكمة المفتي كمجرم حرب في محكمة نورمبرج) وعندها انتقل من فرنسا إلى مصر متنكراً بمعاونة معروف الدواليبي واستقر فيها وكان ذلك في ١٩٤٦/٥/٢٩م.

ويروى المفتي تفاصيل فراره من فرنسا فيقول : ((.. إن الدور الأول والجانب الأهم في تلك المغامرة قد قام به الصديق الكريم الدكتور معروف الدواليبي ، فقد شاء له خلقه الكريم أن يعطيني جواز سفره .. واقتضى هذا تبديل الصورة وتغيير اللباس وحجز مكان ما في طائرة مسافرة من باريس إلى القاهرة وكان ركاب الطائرة خليطاً من مدنيين وعسكريين .. ولم يحدث عائق في مطار أورلي) الذي قامت منه الطائرة من باريس إلى روما ، وفي روما فحص المختصون جوازات سفر الركاب .. وكان الجو رديئاً فقضينا الليل في أحد الفنادق ، وفي الصباح التالي استأنفنا السفر إلى ميناء (بيريه) في اليونان حيث هبطت الطائرة للتزود بالوقود ومنها استأنفنا السفر إلى القاهرة ولحسن الحظ لم يكن من يعرفني بين

ركاب الطائرة في مطار (بنفليد) الذي أصبح الآن مطار القاهرة الدولي ، ولما تم فحص جوازات الركاب وخرجت من المطار وتنفس الصعداء وحمدت الله على السلامة وردت قول البوصيري

عناية الله أغنت عن مضاعفة \* من الدروع وعن عالم من الأطم

ولم أشاء الركوب بالسيارة المعدة للركاب وآثرت سيارة أجرة عادية فنقلتني إلى فندق (مترو بوليتان) بالقاهرة. . .

وقد تشكلت (الهيئة العربية العليا لفلسطين) بموافقة مجلس الجامعة العربية وأختير المفتي رئيساً لها . وسارع المفتي وإخوانه بشراء السلاح وتنظيم قوات الجهاد وكان شهيد يوسف طلعت والقائم مكان رشاد منها ، وعبد القادر الحسيني ، وعبد الرحمن على يقومون بالشراء وإدخال السلاح إلى فلسطين عبر سيناء حيث يتم تخزين السلاح بفلسطين ببلدة (صوريف) وبلدة (بير زيت) وأعاد المفتي تنظيم جيش الجهاد المقدس وأسند قيادته إلى عبد القادر الحسيني ، كما أنشأ المفتي منظمة الشباب الفلسطيني التي انصهرت فيها منظمات الفتوة و النجادة والجوالة والكشافة وأسند قيادته للمجاهد الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين لشؤون الجوالة ، وكلفه بمهمة تدريب الشباب على القتال .

وحين صدر قرار التقسيم يوم ١٩٤٧/١١/٢٩م أُعلن الإضراب العام في جميع أنحاء فلسطين واشتعل القتال بين العرب واليهود وكان من رأى سماحة المفتي عدم دخول الجيوش العربية إلى فلسطين مهمة مناجزة اليهود والاكتفاء بإمدادهم بالسلاح والأموال .

يقول المؤرخ الفلسطيني الكبير عارف العارف في كتابه (نكبه بيت المقدس) : إن الإمام الشهيد حسن البنا أبرق إلى مجلس الجامعة العربية في يوم ١٩٤٧/١١/٩م يقول أنه على استعداد لأن يبعث كدفعة أولى عشرة آلاف مجاهد من الإخوان المسلمين إلى فلسطين وأن الإخوان ألحوا على الحكومة المصرية بالسماح لهم بالذهاب فرفضت ، لكنهم لم ييأسوا وقاموا بمظاهرة صاحبة من الأزهر الشريف يوم ١٩٤٧/١٢/١٢م قادها المرشد العام الإمام الشهيد حسن البنا بنفسه وهم يطالبون بالجهاد . وتحت ستار القيام برحلة عملية استطاع فريق من الإخوان المسلمين أن يجتاز الترة إلى سيناء ، ومن هناك راحوا يتسللون إلى فلسطين منذ شباط (فبراير) ١٩٤٨م ، وتراجعت الحكومة المصرية عن موقفها فسمحت للإخوان المسلمين بالتدريب وفي مصر وسوريا تدرب الإخوان المسلمون ومن هذين البلدين انطلقت عدة كتائب لهم إلى فلسطين بشكل رسمي وقد قاتلت كتائبهم ببسالة وصمود ، وبقي قسم منها مرابطاً في القطاع الجنوبي في القدس حتى إعلان الهدنة فسلم الإخوان مواقعهم إلى الجيش الأردني .

وإن الدور البطولي والجاد الذي قام به الإخوان المسلمون في المعركة هو الذي جعل لهم دوراً خاصاً ومميزاً في النضال الفلسطيني ، خاصة أن الإخوان المسلمين قد أرسلوا على رأس الكتائب المقاتلة بعضاً من قادتهم ، فجاءت سرية من سوريا وعلى رأسهم الشيخ مصطفى السباعي ومن مصر جاءوا بقيادة الشيخ محمد فرغلي. . .

ونشبت الحرب العالمية مع اليهود ١٩٤٧ \_ ١٩٤٨م فقام بتأليف (جيش الجهاد المقدسي) بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني ، وتوقفت الحرب بتدخل الدول الأجنبية ، وبعد الانقلاب العسكري بقيادة عبد الناصر سنة ١٩٥٢م اضطر سماعة المفتي للرحيل عن مصر سنة ١٩٥٩م بعد أن بدأت المضايقات تشتد عليه من الحكومة العسكرية والصحافة الرسمية المصرية حيث لاحت في الأفق بوادر الحل السلمي لقضية فلسطين على يد عبد الناصر . ويرى المفتي بنفسه هذه المفاجأة فيقول : ((لقد وصلتني رسالة من هيئة الأمم المتحدة تخبرني أن هامر شولد يعد مشروعاً لحل قضية فلسطين ، وأنه اتفق مع عبد الناصر على خطوطه الكبرى وأن الرئيس المصري قد وافق عليه .. فلم أصدق. بعد رسالة سرية إلى الدكتور محمد الفرا \_ وكان يومها موظفاً في هيئة الأمم المتحدة وليس رئيساً لوفد الأردن \_ فجاءني الجواب بصحة النبأ ، وأضاف عليه بأن هامر شولد قد اتفق مع عبد الناصر على حل هذه القضية خلال عشر سنوات مقابل ثلاثة آلاف مليون دولار تأخذ منها مصر ألف مليون دولار ، وتأخذ سوريا مثلها ، ويوزع الباقي على لبنان والأردن

وكان هذا المبلغ بمثابة رشوة للدول العربية المضيفة للفلسطينيين وفجأة وبدون سابق إنذار هبت الصحف المصرية الخاضعة لإشراف الحكومة تشن حملة قاسية ضد الهيئة العربية العليا ورجالها وانصبت الاتهامات على رؤوس العاملين في حقل القضية الفلسطينية .. بعثنا بردودنا فلم تنشر .. حاولنا الاتصال برجال الحكومة المصرية لمناقشتهم فرفضوا مقابلتنا ، وإذا بمجلة روز اليوسف تشن علي حملة ظالمة لم تعرفها الصحافة المصرية الأخرى فتجاهلته ، فتشنا على محامى لإقامة الدعوى على هذه الصحيفة المتجنية فلم يتجرأ أحد على الدخول في دعوى تقام ضد جريدة الثورة المقربة من السلطات. . .

وفي إحدى الليالي فوجئت بشاب متزن يطلب مقابلتي وهو من أبرز المحامين المصريين \_ وأمسك عن ذكر اسمه \_ فقال لي : (أنا على استعداد لأن أقيم الدعوى على مجلة روز اليوسف ولكنني أؤكد لك أنك لن تجد قاضياً واحداً في مصر لديه الجرأة بأن يحكم ضدها ، والأفضل أن تكتبوا للرئيس جمال عبد الناصر مثنى وثلاث ورباع فلم أحظى بأي رد ، وكان الجو في القاهرة حاراً ، ولم يعد لوجودنا أي

معنى طالما أننا نُشتم ونُهَاجِم ولا نستطيع الرد ، عندها قررت أن أذهب إلى دمشق وكان ذلك يوم ١٥-٩-١٩٥٣ وأثناء مروري بببيروت رأيت من الأنسب أقضي فصل الصيف في سوق الغرب ، وما أن علمت الصحافة اللبنانية بوصولي حتى انطلقت الصحف الحياضية بالدفاع عن القضية الفلسطينية وكشف النقاب عن أسباب هذه الحملة وعلاقتها بمشروع هامر شولد والثلاثة آلاف مليون دولار المختبئة في مشروعه المعروف ولقناعتني بأنني لا أستطيع عمل شئ بمصر هو الذي دفعني لمغادرتها والإقامة في لبنان (١)



<sup>١</sup> --أرشيف ملتقى اهل الحديث - ٣ (٩٢/٤٩٨)

## الشهيد سيد قطب بن إبراهيم رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط.

تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الأهرام.

وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف.

ثم (مراقبا فنيا) للوزارة.

وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (١٩٤٨ - ٥١) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان

يراه من وضع الانجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية.

وبنى على هذا استقالته (١٩٥٣) في العام الثاني للثورة.

**سجنه و إعدامه رحمته الله**: وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم

(١٩٥٣ - ٥٤) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها

وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم.

قال خالد محيي الدين (أحد أقطاب الثورة المصرية) فيما كتب عنه: كان سيد قطب قبل الثورة من أكثر المفكرين الإسلاميين وضوحا، ومن العجيب أنه انقلب - بعد قيام الثورة - ناقما متمردا على كل ما يحدث حوله، لا يراه إلا جاهلية مظلمة.

وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواك) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق).

ولما وصل خبر استشهاده إلى الغرب أقيمت على روحه صلاة الغائب وأصدر أبو بكر القادري عددا

خاصا به من مجلة (الايمان) ولما كانت النكسة (أو النكبة) عام



١٩٦٧ م، قال علال الفاسي: ما كان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيد قطب.. وكتب إبراهيم بن عبد الرحمن البليهي (من طلاب كلية الشريعة في الرياض) مجلدا سماه (سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري - ط) (١).




---

<sup>١</sup> - الأعلام للزركلي - (٣ / ١٤٧) مجلة العرب ٨: ١٥٩ وجريدة أخبار اليوم ١١ / ٩ / ١٩٦٥ وجريدة عكاظ ١٩ ذي القعدة ١٣٨٨ وعمر بهاء الأميري، في مجلة الشهاب (ببيروت) العدد ٢٤ في ١٠ جمادي الأولى ١٣٩٤ والمكتب الإسلامي في بيروت، رسالة خاصة.

## الشيخ العلامة المحدث مقبل بن هادي بن قايده رحمته الله

ترجمته رحمته الله (١) نسبه

هو الشيخ العلامة المحدث / مقبل بن هادي بن قايده الهمداني الوادعي الخاللي من قبيلة آل راشد

### بداية طلبه العلم رحمته الله

بدأ شيخنا رحمه الله تعالى طلب العلم في المكتب فتعلم فترة ثم انقطع عن مواصلة العلم والسبب في ذلك أنه لم يجد معيناً يعينه على مواصلة طلب العلم.

قال رحمه الله درست في المكتب ثم ضاع من العمر ما شاء الله في غير طلب لأنه ما كان هنالك من يرغب أو يساعد على الطلب .

### سفره إلى أرض الحرمين ونجد رحمته الله :

ثم سافر شيخنا إلى أرض الحرمين ونجد وسكن بنجد قدر شهر ونصف فتغير عليه الجو بالرياض فعزم على السفر إلى مكة فاستنصح بعض الواعظين عن الكتب المفيدة حتى يقوم بشرائها فأرشدته إلى (صحيح البخاري) - (بلوغ المرام) - (رياض الصالحين) و (فتح المجيد) - وكان يعمل آنذاك حارساً على عمارة في الحجون ١٥ فعكف على هذه الكتب يقرأها وكانت تعلق في ذهنه لأن العمل في بلده كان على خلاف ما فيها سيما كتاب فتح المجيد كما ذكر ذلك هو نفسه.

### عودته إلى بلده رحمته الله :

ثم عاد شيخنا إلى بلده وبدأ بإنكار المنكر الذي وجد قومه عليه من الذبح لغير الله وبناء القباب على القبور ونداء الأموات والاستغاثة بهم فبلغ ذلك الشيعة فأغاضهم ذلك فقاتل منهم يقول "من بدل دينه فاقتلوه" ١٦ ومنهم من يرسل إلى أقربائه ويقول: إن لم تمنعوه فسنسجنه وبعد المضايقات وبعد التهديد والوعيد الشديد من قبل الشيعة الذين يرون أن أبا عبد الرحمن قد بدل دينه وأنه إن لم يرجع عن عقيدة التوحيد فسوف يقتل لأن من دعا إلى التوحيد عند الشيعة وأضرابهم فقد بدل دينه يستتاب فإن تاب وإلا قتل وبعد هذا وذاك قرروا قراراً لم يستطع أبو عبد الرحمن الفرار منه قرروا أن يدخلوه جامع

<sup>١</sup> - ترجمة الشيخ مقبل الوادعي - (ج ١ / ص ٦)

الهادي ١٧ ليتعلم هنالك حتى يزيحوا الشبه التي قد علقت في ذهنه بزعمهم وهذا ابتلاء لأبي عبد الرحمن رحمه الله بعد ما عرف العقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح يزج به في وكرٍ من أوكار التشيع ولكنَّ أبا عبد الرحمن بفضل الله عز وجل ثم بسبب عقيدته السليمة عندما رأى أن الكتب التي تدرس عندهم شيعية معتزلية أقبل على النحو يتعلمه وإن كان أهل البدع بجميع أصنافهم يدسون العقيدة الفاسدة في اللغة العربية إلا أن الله سبحانه وتعالى حفظ أبا عبد الرحمن من هذه المكيدة فدرس " قطر الندى " لابن هشام مراراً حتى استوعبه استيعاباً عجيبيّاً لكثرة ما درسه وراجعته

### عودته إلى أرض الحرمين:

ثم عاد أبو عبد الرحمن رحمه الله إلى أرض الحرمين إلا أنه قبل ذلك نزل نجران وسكن فيها قدر سنتين ولازم فيها مجد الدين المؤيد ١٨ ثم انطلق إلى مكة فكان يعمل نهاراً ويدرس ليلاً.

### دخوله معهد الحرم ﷺ:

ثم فتح معهد الحرم فتقدم شيخنا رحمه الله مع مجموعة من طلبة العلم للاختبار فنجح بفضل الله تعالى.

### انتقاله إلى المدينة النبوية ﷺ

وعندما انتهى شيخنا رحمه الله من المتوسط والثانوية انتقل إلى المدينة النبوية ودخل الجامعة الإسلامية وأختار كلية الدعوة وأصول الدين وعندما جاءت العطلة خشي من ضياع الوقت فانتسب في كلية الشريعة وانتهى من الكليتين وأخذ شهادتين والمعتبر عنده هو العلم لا الشهادة كما كان يردد ذلك في كثير من دروسه.

### حصوله على الماجستير ﷺ

ثم فتحت آنذاك في الجامعة الإسلامية دراسة الماجستير فتقدم لاختبار المقابلة فنجح بفضل الله وكانت الدراسة التي أعدها لنيل شهادة الماجستير هي تحقيق كتاب الالتزام والتتبع للإمام الدارقطني رحمه الله وهذه المناقشة سجلت على أشرطة ثم فرغت وطبعت ضمن كتابه غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة.

### محنته وسجنه ﷺ

سجن أبو عبد الرحمن مرتين المرة الأولى لمدة شهر ونصف.

والثانية: لمدة ثلاثة أشهر ثم رُحل بعد ذلك قال رحمه الله كما في ترجمته: وكانت تحدث السقطات من بعض الإخوة المبتدئين لأن الغالب على المبتدئ الحماسة الزائدة وكنت آنذاك أحضر رسالة الماجستير فما شهدنا ذات ليلة إلا بالقبض علينا فقبضوا على نحو مائة وخمسين وهرب من هرب وأرتجت الدنيا بين منكر ومؤيد فبقينا في السجن نحو شهر أو شهر ونصف وبعدها خرجنا بحمد الله أبرياء.

ثم بعد هذا خرجت بعض رسائل جهيمان ١٩ فقبض على مجموعة منا وعند التحقيق قالوا لي أنت الذي كتبتها جهيمان لا يستطيع أن يكتب فنفيت ذلك والله يعلم أنني لم أكتبها ولم أشارك فيها وبعد سجن ثلاثة أشهر أمر بالترحيل.

### وصوله إلى اليمن ﷺ

وعندما وصل هذا العالم الجليل والمجاهد النبيل إلى بلده أخذ يدرس في قريته الأولاد القرآن الكريم وتكالمت عليه الدنيا كأنه خرج لخراب البلاد كيف لا وأهل الرفض يحيطون به من كل جانب ويرون أنه ممن بدل دينه وأنه إما أن يرجع عن عقيدته وإما أن يقتل وكان في ذلك الوقت وحيداً بمفرده لا يعرف أحداً لا يعرف شيخ قبيلة ولا يعرف مسؤولاً وإنما كانت كلمته التي يرددها حسبي الله ونعم الوكيل.

وبعد أيام أخرج بعض فاعلي الخير مكتبته من المدينة ولم يستلمها إلا بعد غرامة مالية وتعب تعباً شديداً فعندما وصلت ذهب الشيعة إلى المسؤولين وقالوا إنها كتب وهابية حتى إن الخبر وصل إلى الرئيس وأحال الرئيس القضية إلى أحد المسؤولين ثم سلمت له

### إشراقة أمل ﷺ

ثم بدأت الدعوة السلفية دعوة التوحيد دعوة الحق تشع بنورها رغم أنوف الحاسدين والحاقدين من شيعية وصوفية وعلمانية بجميع أصنافها بدأت تنطلق من قرية صغيرة تحيطها الجبال ولكن شعاع هذه الدعوة المباركة بدء ينتشر ويكتسح الباطل بدء هذا الحق يرتفع ويحطم البدع والخرافات ويضيء للناس الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه أنه لا ذبح إلا لله لا عبادة إلا لله - لا نذر إلا لله - لا حكم إلا

لله لا ولاء إلا لله - ولا براء - إلا من أجل الله - لا دعوة إلا إلى الله - وإلى كتابه - وإلى سنة رسوله جاء أبو عبد الرحمن والناس في اليمن تحت وطئة الرفض والتشيع لا يستطيعون أن يحرروا أنفسهم من هذه الوطئة وهذا الاستعباد ولقد سمعت رجلاً من أهل دماج وأنا راكب في سيارة أثناء ذهابي إلى صعدة يقول لأحد الشيعة (لقد حررنا الشيخ مقبل) .

جاء أبو عبد الرحمن وأهل دماج كانوا يذبّحون لغير الله في مكان يقال له الملاطة فنهاهم وحذرهم وتركوا وكانوا يذهبون إلى قبر الهادي بصعدة ويدعون من دون الله فبين لهم الحق وأن هذا لا يجوز وأنه شرك لا يغفره الله فانتبهوا ثم بدء الناس يسمعون عن دعوة تدعو إلى التوحيد وأنه لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله .

سمعوا بهذا العلامة الإمام فشمروا عن ساعد الجد ورحلوا إليه ليأخذوا عنه العلم جاءوا من مصر - والكويت وأرض الحرمين ونجد وليبيا والجزائر والمغرب وتركيا وبريطانيا وأمريكا والصومال وبلجيكا ومن جميع البلاد اليمنية وكان المسجد صغيراً بناه أقرباء الشيخ له لكي يصلوا فيه درءاً للفتنة ثم بنيت عدة مساجد بعده كلما ضاق مسجد بنوا آخر ثم جعلت المساجد القديمة لصالح الدعوة منها ما هو سكن وآخر يدرس فيه النساء وآخر مكتبه وآخر مطبخ وآخر لإقامة الدروس وآخر لاستقبال الضيوف وآخر لحاجيات الطلاب وهكذا.

حتى صار عدد الطلاب أكثر من ألفي طالب ومع هذا فأبو عبد الرحمن دائماً يكرر ويقول: كل هذا لا بحول منا ولا قوة ولا بسبب كثرة علمنا ولا شجاعتنا ولا فصاحتنا في الخطابة ولكن هذا أمر أراد الله أن يكون فكان والله الحمد والمنه الذي وفقنا لذلك.

### شجاعته في إنكار المنكر ﷺ

كان رحمه الله تعالى شجاعاً يقول كلمة الحق وينكر المنكر لا يخاف في الله لومة لائم ومن قرء كتبه عرف ذلك أو سمع أشرطته فهو يتكلم في البدع بجميع أصنافها والشرك والظلم والفساد بجميع أنواعه وإذا رأى منكراً أو سمع به لا يهدئ له بال ولا يقر له قرار حتى ينكره وله ردود رد فيها على أهل الباطل بجميع أصنافهم.

فقد رد في كتابه المخرج من الفتنة) على أصحاب الحداثة - وعلى من يحكم بغير ما أنزل الله - وعلى الأباضية - وعلى أحمد مفتي عمان أحمد الخليلي - وعلى الزيدية - ورد على أنصار السنة بالسودان

وبين أن في صفوفهم من يعتقد بعقيدة المعتزلة - وعلى جماعة التكفير - وعلى جماعة التبليغ وبين لهم أخطاءهم - وعلى الأخوان المسلمين.

ورد على الطاعنين في حديث السحر في رسالة عنوانها ( ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر ) وكان مما قاله : فإنني لما كنت بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغني أن بعض الناس ينكرون حديث السحر فقلت لمن أخبرني إنه في البخاري ومسلم فقال وهم ينكرونه فقلت بمن ضعفوه وكنت أظن أنهم يسلكون مسالك العلماء في النقد والتجريح لعلمهم وجدوا في سنده من هو سيء الحفظ أو جاء موصولاً والراجح أنه منقطع أوجاء مرفوعاً والراجح فيه الوقف كما هو شأن الحافظ الدار قطني رحمه الله في انتقاداته على الصحيحين فإذا هؤلاء الجاهلون أحقر من أن يسلكوا هذا المسلك... والميزان عند هؤلاء أهواؤهم فما وافق الهوى فهو الصحيح وإن كان من القصص الإسرائيلية أو مما لا أصل له وما خالف أهواءهم فهو الباطل ولو كان في الصحيحين.

ورد في رسالته (إيضاح المقال في أسباب الزلزال والرد على الملاحدة الضلال)، رد فيها على الملاحدة الذين يقولون إن الزلزال أحدثته الطبيعة .

ورد في رسالته (فتوى في وحدة المسلمين مع الكفار) على أصحاب الانتخابات وأصحاب الديمقراطية وبين للمسؤولين وللمواطنين وللتجار ومشايخ القبائل ما هو واجبهم ثم بين حكم ما يسمونه بمجلس الأمة ورد - على عبد الرحيم الطحان في كتاب (إقامة البرهان على ضلال عبد الرحيم الطحان).

عندما قال إن نضرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تعدل عبادة آلاف السنين - وقوله إن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة في اليقضة ورد على أقوال أخرى من أراد المزيد فليرجع إليها.

ورد في كتابه (البركان) بين فيه الأخطاء الموجودة - في جامعة الإيمان بصنعاء ويليه كذلك (إسكات الكلب العاوي) رد فيه على القرضاوي عندما تهجم وأساء الأدب مع الرب سبحانه وتعالى

ورد في كتابه (المصارعة) على المكارمة وفضح - الأباضية - والصوفية - ونصح فيه - الصحفيين و- العلماء - والدعاة - وأهل بيت النبوة - والمزارعين - والأمهات.

ورد في كتاب (صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال) فضح فيها الرافضة ومنهجهم المعتزلي.

ورد في كتاب - رياض الجنة في الرد على أعداء السنة ( على من يعادي السنة وأهل السنة

**وفاته ﷺ:** في ليلة الأحد الأول من شهر جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة ٦ فرحم الله أبا عبد الرحمن واسكنه الفردوس الأعلى.

مكث في اليمن أكثر من عشرين عاماً في التدريس والدعوة والتأليف دحض الله به البدع وأقام به السنة قمع به التشيع والتصوف والتحزب لقد كان شجاً في حلوق أهل الباطل جميعاً.<sup>(١)</sup>



**القاضي العلامة المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوخ ﷺ**

<sup>١</sup> - ترجمة الشيخ مقبل الوادعي - (ج ١ / ص ٤)

اسمه ولقبه ونسبه **رحمه الله** : هو القاضي أبو محمد إسماعيل بن علي بن حسين بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل الأكوّع الحوالي.

ولقب القاضي ؛ لقبٌ تشريفيٌّ لمن كان والدُه يشتغل بالقضاء، ولو لم يكن مع الابن ما يؤهّله للقضاء. أما نسبة الأكوّع، فتعود إلى جدّه محمد بن إبراهيم، الملقّب بالأكوّع؛ لبروزٍ في كُوعه. وأما الحوالي فنسبة إلى ذي حِوال الأكبر الحميري.

مولده وُلد في مدينة ذِمار ضحى الأربعاء ١١ من جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨هـ، الموافق ١ من آذار ١٩٢٠م.

ومذهب هذه الأسرة في الأصل هو المذهب الزيديّ، إلا أنه ظهر فيهم منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجريّ من تحوّل إلى مذهب أهل السنة، منهم أحمد بن عبد الله الأكوّع والد جدّ صاحب الترجمة.

### أسرته وأهل بيته: **رحمه الله**

والده: القاضي العلامة جمال الدين، علي بن حسين بن أحمد بن عبد الله الأكوّع، تولّى الإفتاء والقضاء في ناحية حُبّان، وكان يقصده الناس من مختلف المناطق.

والدته: فاطمة بنت حسين بن عبد الله المجاهد، يتصل نسبها من قِبَل أمّها بالإمام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله.

أولاده: أنجب ولدين وبنيتين، اهتمّ بتربيتهم وتعليمهم العلم الشرعي والدنيوي، فكان منهم أول طبيبة في اليمن، وسفير اليمن في المملكة العربية السعودية.

### طفولته وبداية طلبه للعلم: **رحمه الله**

تدور مراحل حياة صاحب الترجمة حول محور واحد هو العلم، فقد بدأت مرحلة الطلب من حين تخرّج من العلامة) وهي حُجرة صغيرة ملحقةً بالمسجد) بعد سنتين أمضاها فيها، وانتقل إلى (المكتب) وهو كُتّاب حكومي يعلم الطلاب قراءة القرآن وتجويده، والحساب، والخط، ثم دخل المدرسة، فقرأ فيها أول كتاب (شرح الأجروميّة) للصنّاجي.

وفي طفولته كان ملازماً لوالده في حلّه وترحاله، يحضر مجالسه العلمية في المدرسة والمسجد والبيت . ويقول هو عن ذلك: "إن المدرسة الحقيقية كانت مدرسة الوالد رحمه الله، وأكثر الاستفادة من جلساته العلمية، وكنت أحضر شطراً من اليوم في مجلس الوالد؛ ذلك لأنني كنت في غالب الأيام أقوم بخدمته



وخدمة مَنْ يرتاد مجلسه من العلماء والباحثين والدارسين..".

وقد غرست مجالس العلم هذه في نفس الشيخ حبَّ العلم والشغف به ، وكان يتذوَّق للعلم لذة لا يجد لها مثيلاً في نعيم الدنيا. ومن الواضح أن هذه المرحلة أثرت في مسيرة حياته فيما بعد ، حيث صبغتها بالصبغة العلمية وحب العلم وأهله ، والتفاني في طلب العلم وخدمته.

### محنته وسجنه ﷺ

نشأ صاحب الترجمة - كما تقدّم - في بيئة علمية كان لها أثر كبير في توسيع مداركه وزيادة وعيه في أمور الحياة، ولم يكن تقليدياً في تعلّمه وتعليمه ، فقد غرس فيه شيوخه بغضَ الظلم والظالمين ، فنشأ حراً أبيعاً ، يأبى الظلم ويسعى إلى تغييره.

بدأ القاضي إسماعيل العمل السياسي بعد وفاة والده بانخراطه في صفوف الحركة الوطنية التي انضوى تحت لوائها كثيرٌ من أعلام اليمن ورجالاته. وتكفّل أول الأمر بمهمة الاتصال بمشايخ بعض القبائل في بلاد ذمار ، وتوزيع منشورات الأحرار عليهم ، وتبصيرهم بالقضية الوطنية.

وقد جرَّ عليه العمل مع الأحرار متاعب جمّة ، من سجن وتعذيب وهجرة من وطنه سنوات عديدة ، حتى عاد إليه سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٠م. وعُيّن سكرتيراً أول للمفوضية اليمنية في موسكو.

وبعد قيام الثورة الجمهورية على الملكية ، عاد إلى صنعاء ، وعُهد إليه منصب مستشار ثقافي في سفارة اليمن بالقاهرة ، وفي سنة ١٩٦٤ عمل في وزارة الخارجية ، وعُيّن نائباً ثانياً لوزير الخارجية ، ثم سفيراً متجولاً ، إلى أن استقرَّ به الحال وزيراً للإعلام في وزارة حسن العمري في عهد القاضي عبد الرحمن الأرياني.

وبعد استقالة الحكومة سنة ١٩٦٩م ، رفض العودة للعمل في السلك السياسي ، وبدأ بتأسيس مؤسسة تهتمُّ بالحفاظ على المخطوطات والكتب والآثار ، والتي سميت فيما بعد (الهيئة العامة للآثار ودور الكتب) ، وبقي في رئاستها ٢١ سنة ، إلى أواخر سنة ١٩٩٠م. وفي خلال هذا العمل تفرَّغ صاحب الترجمة للقراءة والكتابة ، والاطلاع على المخطوطات المتعلقة بما قام بتأليفه. وحضر مؤتمرات الآثار التي عُقدت في بعض الدول العربية.

أما أبرز الأعمال التي قامت بها دار الكتب أثناء رئاسته ، فهي إنشاء متحف للآثار اليمنية ، وعمل مسح أثري لكثير من مناطق اليمن بمساعدة بعثات دولية متخصصة. وكان النصيب الأوفر من اهتمام الدار منصباً نحو اقتناء المخطوطات الإسلامية النادرة ، والتي جمعت منها نحو ثلاثة آلاف من رسائل

وكتب.

### مناشطه العلمية وعضويته في المجامع رحمته الله

شارك القاضي إسماعيل الأكوع في كثير من المؤتمرات والندوات واللجان العربية والدولية، بعضها ممثلاً عن اليمن، وبعضها بصفته الشخصية.

فقد تمتع بمكانة علمية رفيعة، رغبت لأجلها الكثير من المجامع العربية والإسلامية في انضمامه إليها، فهو عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق، وعضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن، وعضو في مجمع اللغة العربية الأردني، وعضو في المجمع العلمي الهندي، وعضو في اتحاد المؤرخين العرب، وعضو في معهد الآثار الألماني في برلين.

### منهجه العلمي رحمته الله :

يقول صاحب الترجمة عن منهجه في التأليف: "البحث عن الحقيقة وإبرازها في صورة بعيدة عن الغلو والتشويه أو الزيادة مما ليس منها، أو حذف ما لا ينسجم مع رغبة الكاتب."

ويقول: "على المؤرخ الصادق الأمين أن يبرز الجوانب المضيئة في تاريخ بلاده، وألا يغفل عن ذكر الجوانب المظلمة، حتى يهتم من بيده الأمر لإزاحة الظلام عنها. وعلى المؤرخ أن يكتب ما يراه صحيحاً بتجرد من الهوى لغرض ما، وأن يكون صادقاً منصفاً فيما يتناوله."

ويقول: "وقد أخذت على نفسي أن أتحرى الحق؛ فلا حُبُّ من أحبه يجعلني أخفي ما له من عيوب ضارة بغيره، فإذا ذكرت ذلك فما بي زجره والتشهير به، ولكن ليتعظ به غيره. ولا كره من أكره في سبيل الحق يجعلني أسلبه محاسنه، بل أشيدُ بها ليكون قدوةً حسنةً لغيره."

وهذا المنهج الذي اتبعه صاحب الترجمة - إظهار الحق وبيانه للناس - طبقه على كل من ترجم له، حتى لو كان أقرب الناس إليه، ذاكرًا محاسنهم ومثالبهم.

### نبهذ للتقليد رحمته الله :

لم يتقيد الشيخ بمذهب فقهي بعينه، بل نجده يدور مع الدليل، من الكتاب وصحيح السنة، حيث دار، ويثني على من هذا شأنه، ويعيب على من يجمد على رأي في الأصول أو الفروع وإن كان الدليل يخالفه، وقد بين منهجه هذا في مقدمة كتاب (هجر العلم ومعاقله في اليمن) بقوله: "أنكرت على المتعصبين تعصبهم لغير الحق، وشددت النكير عليهم."

وقال حفظه الله منكرًا الجمود والتعصب: "وهذا ما يحدث عند كثير من الجامدين على آراء مذاهبهم،

فإنَّهم وإن كانوا يعرفون أنَّ الحقَّ مع غيرهم، وأنَّهم على غير الحقِّ، فإنَّهم لا يتزحزون قيِّدًا أنملة رجوعًا إلى الصواب، مع أنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ، ولو كان مخالفًا لما نشأ عليه المقلِّد واعتقده، ولكن (لهوى النفوسِ سريرةً لا تُعْلَمُ). وقد جرت بيني وبين أحد العلماء المحقِّقين لكثير من كتب السنَّةِ محاورَةٌ، فكان دائماً يستشهد بكلام مذهبه، فنَبَّهته لذلك، ولكنه مُصرٌّ على ذلك، ولو كان مخالفًا للسنَّةِ! ولا قوة إلا بالله.

### دفاعه عن السنَّةِ ﷺ

ولنبذه التقليد، نجده دائم الدفاع عن السنَّةِ النبوية وأهلها من العلماء، ولا يدعُ مناسبةً في كتاب ألفه أو مقالة يكتبها، أو مجلسَ علم، إلا ويتصدَّى للدفاع عن السنَّةِ، والإشادة بعلمائها في شتَّى الأمصار، وعلى مرَّ الأزمان، ومن قرأ كتاب (أئمة العلم المجتهدون في اليمن)، وكتاب (هجر العلم ومعاقله في اليمن)، فسيرى مصداق ذلك.

وقد قال في مقدمته: "وأفضتُ في تراجم علماء السنَّةِ، لاسيما المجتهدين منهم، الذين كان لهم فضلٌ كبير ويدٌ عظيمة في نشر السنَّةِ النبوية في اليمن والعمل بها، وحثَّ الناس على ترك التقليد، والرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح..."

مثال ذلك ما أورده في ترجمة عقيل بن يحيى الإرباني في كتاب (هجر العلم ومعاقله في اليمن)، حيث قال فيه: "سلك مسلك أهل السنَّة في اتباع أدلة كتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونعى على المقلِّدين والمعتقدين بالأولياء جمودهم... فاتَّهمه بعض الغلاة بأنه ينزِع إلى عقيدة الوهابية، فقال: لكنَّ لي بالمصطفى أسوةً فقومُهُ سمَّوه بالصابي

وعلق الشيخ الأكوخ في هامش الترجمة بقوله: "مازال هذا دأب أعداء السنَّة؛ فمن قبلُ كانوا يتَّهمون من يميل إلى العمل بالكتاب والسنة بأنه ناصبيُّ، واليوم يتَّهمونه بأنه وهَّابي، فلا حول ولا قوة إلا بالله." بل إنَّه من شدة تمسُّكه بالسنَّة كان يشترط في إجازاته لمن يأخذُ عنه ألا يأخذَ عن رافضيٍّ أو أحدٍ من أهل البدع.

### مؤلفاته: ﷺ

خلف صاحب الترجمة مجموعة قيِّمة من المؤلفات و التحقيقات، بالإضافة إلى البحوث والمقالات النقدية، وأذكر هنا أهم مؤلفاته وتحقيقاته:

١-أئمة العلم المجتهدون في اليمن.

- ٢- أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي.
- ٣- الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم.
- ٤- الأمثال اليمانية.
- ٥- تاريخ أعلام آل الأكوع.
- ٦- الدولة الرسولية في اليمن.
- ٧- الزيدية: نشأتها ومعتقداتها.
- ٨- سدود اليمن، أبرز مظاهر حضارتها القديمة.
- ٩- مخاليف اليمن.
- ١٠- المدارس الإسلامية في اليمن.
- ١١- نشوان بن سعيد الحميري، والصراع الفكري والسياسي والمذهبي في عصره.
- ١٢- هجر العلم ومعاقلة في اليمن.
- ١٣- البلدان اليمانية عند ياقوت/ تحقيق
- ١٤- مجموع بلدان اليمن وقبائلها للقاضي محمد بن أحمد الحجري/تحقيق(١).



الشيخ عبد الحميد كشك رحمته الله

سيرة الشيخ ومعلومات عن حياته رحمته الله :

<sup>١</sup> -كتاب (إسماعيل بن علي الأكوع، علامة اليمن ومؤرخها)، تأليف: إبراهيم باجس عبد المجيد المقدسي، وهو الكتاب رقم (٢٧) في سلسلة: (علماء ومفكرون معاصرون، لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاتهم) التي تصدرها دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. في مقبرة الباب الصغير بدمشق و مقالة من موقع جامعة الملك سعود

الشيخ عبد الحميد كشك من أكثر الدعاة والخطباء شعبية في الربع الأخير من القرن العشرين وقد وصلت شعبيته إلى درجة أن المسجد الذي كان يخطب فيه خطب الجمعة حمل اسمه ، وكذلك الشارع الذي كان يقطن فيه بحي حدائق القبة . ودخلت الشرائط المسجل عليها خطبه العديد من بيوت المسلمين في مصر والعالم العربي.

### محنته وحبسه ﷺ :

والشيخ عبد الحميد كشك ولد بمصر عام ١٩٣٣م في قرية شبرا خيت من أعمال محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية . وبسبب المرض فقد نعمة البصر . وقد ولد في أسرة فقيرة وكان أبوه بالإسكندرية وحفظ القرآن الكريم ولم يبلغ الثامنة من عمره ، وحصل على الشهادة الابتدائية ، ثم حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية بتفوق والتحق بكلية أصول الدين وحصل على شهادتها بتفوق أيضاً .

وفي أوائل الستينيات عين خطيباً في مسجد الطيبي التابع لوزارة الأوقاف بحي السيدة بالقاهرة ومثل الأزهر في عيد العام عام ١٩٦١ ، وفي عام ١٩٦٤ صدر قرار بتعيينه إماماً لمسجد عين الحياة بشارع مصر والسودان في منطقة دير الملاك بعد أن تعرض للاعتقال عام ١٩٦٦ خلال محنة الإسلاميين في ذلك الوقت في عهد الرئيس جمال عبد الناصر . وقد أودع سجن القلعة ثم نقل بعد ذلك إلى سجن طرة وأطلق سراحه عام ١٩٦٨ . وقد تعرض لتعذيب وحشي في هذه الأثناء ورغم ذلك احتفظ بوظيفته إماماً لمسجد عين الحياة .

وفي عام ١٩٧٢ بدأ يكتف خطبه وزادت شهرته بصورة واسعة وكان يحضر الصلاة معه حشود هائلة من المصلين . ومنذ عام ١٩٧٦ بدأ الاصطدام بالسلطة وخاصة بعد معاهدة كامب ديفيد حيث اتهم الحكومة بالخيانة للإسلام وأخذ يستعرض صور الفساد في مصر من الناحية الاجتماعية والفنية والحياة العامة . وقد ألقى القبض عليه في عام ١٩٨١ مع عدد من المعارضين السياسيين ضمن قرارات سبتمبر الشهيرة للرئيس المصري محمد أنور السادات ، وقد أفرج عنه عام ١٩٨٢ ولم يعد إلى مسجده الذي منع منه كما منع من الخطابة أو إلقاء الدروس .

رفض الشيخ عبد الحميد كشك مغادرة مصر إلى أي من البلاد العربية أو الإسلامية رغم الإغراء إلا لحج بيت الله الحرام عام ١٩٧٣م. وتفرغ للتأليف حتى بلغت مؤلفاته ١١٥ مؤلفاً ، على مدى ١٢ عاماً أي في

الفترة ما بين ١٩٨٢ وحتى صيف ١٩٩٤ ، منها كتاب عن قصص الأنبياء وآخر عن الفتاوى وقد أتم تفسير القرآن الكريم تحت عنوان ( في رحاب القرآن ) ، كما أن له حوالي ألفي شريط كاسيت هي جملة الخطب التي ألقاها على منبر مسجد ( عين الحياة ) . وكان للشيخ كشك بعض من آرائه الإصلاحية للأزهر إذ كان ينادي بأن يكون منصب شيخ الأزهر بالانتخابات لا بالتعيين وأن يعود الأزهر إلى ما كان عليه قبل قانون التطوير عام ١٩٦١ وأن تقتصر الدراسة فيه على الكليات الشرعية وهي أصول الدين واللغة العربية والدعوة ، وكان الشيخ عبد الحميد يرى أن الوظيفة الرئيسية للأزهر هي تخريج دعاة وخطباء للمساجد التي يزيد عددها في مصر على مائة ألف مسجد . ورفض كذلك أن تكون رسالة المسجد تعبدية فقط ، وكان ينادي بأن تكون المساجد منارات للإشعاع فكرياً واجتماعياً .

وقد لقي ربه وهو ساجد قبيل صلاة الجمعة في ١٩٩٦/١٢/٦ وهو في الثالثة والستين من عمره رحمه الله رحمة واسعة .



الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله

التربية في الصغر رحمه الله :

ولد الشيخ عبدالفتاح بن محمد بن بشير بن حسن أبو غدة في مدينة حلب بسوريا ، في ١٧ رجب سنة ١٣٣٦هـ ، الموافق ١٩١٧م ، في بيت ستر ودين.

اهتم به والده كثيراً ، وحرص على أن ينشأ ولده على حب كتاب الله تعالى ، وعلى التقوى ومجالسة أهل العلم والصلاح ، حتى عرف عنه وهو صغير بحسن السمات وجودة القراءة ( بخلاف الطريقة التي ينشأ عليها للأسف كثير من أبنائنا ) .

يقول الشيخ عبدالفتاح عن نفسه : [ كنت لحسن قراءتي وسدادها الفطري يدعوني كبار أهل الحي ووجهاءه إلى سهراتهم الأسبوعية الدورية لأقرأ لهم تاريخ فتوح الشام المنسوب للواقدي ، وغيره من الكتب التي كان الناس يسمرون قراءتها ، فحظيت بصحبة الكبار الوجهاء والنخبة العقلاء الفضلاء وأنا في سن العاشرة ] .

وطبعاً هكذا يتخرج الأئمة البارعون ، وهذه الدروس التي علينا أن نستفيد منها من سير هؤلاء العباقرة عندما نترجم لهم ، فلا نقرأها بطريقة السرد العادية وكأننا نقرأ مجرد خبر عابر ، نمر عليها مرور الكرام دون أخذ عبرة منها ، **{ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ }** [الأعراف : ١٩٨] بل علينا أن نحلل ونفكر ما السر الذي كان وراءهم ؟ وكيف نربي أولادنا لكي يصلوا إلى ما وصل إليه أولئك الأفاضل .

### الحياكة ﷺ :

يقول الشيخ عبدا لفتاح : [ رأى جدي ووالدي بعد أن صلب عودي ، وتكاملت يفاعتي أن أتعلم حرفة أو صناعة ، وقالوا لي : صناعة أو حرفة في اليد أمان من الفقر ، ولم أكن في ذلك فقيراً ببسر أسرتي والحمد لله ، ولكن أرادا أن يكون بيدي حرفة خشية تحول الأيام وتقلبها على الكرام ، فتعلمت حرفة الحياكة .. ] .

وهكذا نجد في تراجم كثير من أهل العلم حرصهم على تعلم بعض الحرف اليدوية خشية تحول الأيام ، وأنت ترى في ذلك عزة النفس التي يتمتع بها هؤلاء ، فهم لا يريدون أن يكونوا عالة على الناس ، ولا يريدون أن يستغلوا في المستقبل جاههم ومكانتهم لتتدفق عليهم الأموال ، بل هؤلاء يأكلون من عمل يدهم ، ولهذا يسهل عليهم قول : لا ، للظلم . لأنهم تمسكوا بالقناعة التي هي كنز لا يفنى .

رأيت القناعة رأس الغنى فصرت بأذيالها ممتسك

فلا ذا يراني على بابـه ولا ذا يراني به منهمـك

أروح وأغدو بلا درهم أمر على الناس مر الملك

فما هي الحرف التي حرصنا أن يتعلمها أبناؤنا ؟ وهل يستطيعون أن يعتمدوا على أنفسهم في كسب لقمة عيشهم ؟

نعم ، هناك في مجتمعنا من الآباء من حرص على ذلك ، ولكن هؤلاء للأسف قلة ، وإلا لكانا الآن نعد من الدول الصناعية المصدرة ، ولكننا للأسف نعتبر من الدول (المستهلكة) ، ومن المعلوم أن المستهلك ضعيف ، دائما ينظر إلى غيره من المحسنين ... والسبب الأول وراء ذلك هو نحن، وطريقة تربيتنا لأجيالنا، فإذا كان أحد يلام فإنه (نحن) وليست (أمريكا) التي لسان حالها يقول { **فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ** } [إبراهيم: ٢٢]

وإذا أردنا أن نحلل أسباب الضعف الاقتصادي وتخلف ركبنا فلندرسها بهذه الطريقة بنظرة عميقة ، فوالله لو أننا ربينا أبناءنا على معالي الأمور ومكارم الأخلاق لكانا الآن في القمة .

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

### التدريس ...

تخرج الشيخ عبدالفتاح أبو غدة من كلية الشريعة بجامعة الأزهر سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ م ، ثم تخصص في أصول التدريس ودرس التربية وعلم النفس ، ثم رجع إلى بلده حلب سنة ١٩٥١ م ، وبدأ عمله مدرسا للتربية الإسلامية في ثانويات حلب ، ثم انتدب للتدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق ، إضافة إلى دروسه وخطبه في المساجد التي كان يحرص على حضورها الآلاف ، بل كان يحضرها غير المسلمين !! وفي عام ١٣٨٥ هـ ١٩٦٨ م طلبه مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ من أجل التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وفي المعهد العالي للقضاء ، وبقي فيها حتى سنة ١٩٩١ م ، انتدب خلالها إلى عدة جامعات إسلامية في السودان واليمن والهند وباكستان وغيرها .

كما عين عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ممثلا لعلماء سورية خلفا لفضيلة الشيخ حسن حبنكة رحمه الله تعالى .



وقد عاش الشيخ عبدالفتاح حياة حافلة بالعطاء ، ولكنها لم تخل من الأذى ، وهكذا تجد حياة الدعاة والمصلحين لا تخلو عن عدو يقف في طريقهم ويحاول أن يتصدى لهم ويمنعهم من الوصول إلى بغيتهم ، أو ابتلاءات تظهر من خلالها قوة بأسهم ، وتكشف عن عز جوهرهم ، وذلك لأن هؤلاء الدعاة المصلحين والعلماء المخلصين هم أشد الناس بلاء بعد الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

فمن أراد أن يسلك دربهم ، وينتهج منهجهم فعليه أن يستعد لتحمل الشدائد والأذى ، فبذلك جرت السنة الإلهية كما قال تعالى : **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}** [الأنعام: ١١٢] ، وقال : **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}** [الفرقان: ٣١].

فإذا كان هذا شأن الرسل وهم أحب الخلق إلى الله وأكرمهم فكيف شأن من هو دونهم من الذين يريدون السير على منهجهم .

### وراء كل شخصية عظيمة مربٍ عظيم:

عاش الشيخ عبدالفتاح حياة حافلة بالعطاء ، ولا شك أن رجلا مثله لم ينشأ من فراغ ، بل كانت هناك عوامل كثيرة أثرت في شخصيته ، وهكذا كل إنسان هناك عوامل كثيرة لها دور في بناء شخصيته وفكره ومنهجه ... وقد يأتي على رأس هذه العوامل والمؤثرات الدور الكبير الذي يؤديه الشيخ أو الأستاذ الذي يحتك به الفرد أو يتأثر به ويتخذة قدوة لنفسه .

وأحيانا قد تكون كلمة واحدة من أشخاص نعتبرهم قدوة لنا لها تأثير عميق في نفوسنا تغير منهجنا في الحياة و تجعلنا نسلك دربا معيننا نختاره في طرق هذه الحياة الوعرة .

وإذا كان البعض يقول ( وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة ) فإننا نقول : ( وراء كل شخصية عظيمة مربٍ عظيم ) .

وكذلك كان الشيخ عبدالفتاح أبوغدة التقى بمربين عظماء استفاد منهم وتأثر بهم ، أولهم هو والده محمد بن بشير بن حسن الحلبي الذي يقول عنه الشيخ عبدالفتاح : **[[ كان أبي كثير تلاوة القرآن ، والمحافظة على قراءته في المصحف ، لم يكن بعالم ، ولكنه يحب العلماء ، ويتقصد حضور مجالسهم ودروسهم ، والاقتباس من علمهم وإرشادهم ، فكان من المتمسكين بحب الدين ، والراغبين في طاعة الله تعالى في**

مختلف الشؤون [] ، فمثل هذا الأب المؤمن الصالح ، الصادق المخلص ، المحب للعلم والعلماء لا شك أن أبنائه سيتأثرون به ، لأن الأبوين هما القدوة الأولى في حياة الطفل.

نعم ، قد تتدخل عوامل أخرى خارجة عن دائرة الأسرة مؤثرة في حياة الأبناء ، وربما تكون تأثيرها أكبر من تأثير الأب والأم ، وقد يكون ذلك نتيجة إهمال الأب والأم تربية الأبناء ، والأخطر أن يتخذ الابن من أبويه قدوة سلبية .

ويحضرني قول الشاعر :

**إذا كان رب البيت للدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص**

تعلم الشيخ عبد الفتاح من والده حب القرآن الكريم ، وحضور مجالس العلم ، واحترام العلم والعلماء ، كما تعلم منه عزة النفس وضرورة الاعتماد عليها في كسب العيش ، فقد سبق وأن ذكرنا أن هذا الأب حرص على تعليم ابنه حرفة يدوية وصناعة التجارة ، كما حرص على أن يلحقه بمدرسة مناسبة ومن ثم إلى الأزهر الشريف .

### البيانوني :

وأما الأساتذة الذين درس عليهم واحتك بهم وتأثر واستفاد منهم فهم قرابة المائة ، ربما كان أولهم الشيخ الصالح عيسى البيانوني ، وقد تعلق به الشيخ عبدالفتاح واستفاد منه في صغره - إضافة إلى علمه - خلق الزهد والتواضع ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكره في مجمع علمي بمدينة جدة سنة ١٤٢٥ هـ عندما طلب منه أن يذكر بعض شيوخه ، فذكر الشيخ البيانوني ، وقال عنه :

[] كان شيخنا من محبي النبي صلى الله عليه وسلم حبا جما جما ، وكان حبه للرسول صلى الله عليه وسلم يؤثر على مجالسيه ، وكان يدرسنا الأخلاق ، والأخلاق تدرس ، ولكن تدريسها غير تطعيمها ، التدريس سماع الأذن ، والتطعيم إشباع القلب ، ففرق بين الأذن والقلب .

**إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى**

فكان الشيخ رحمه الله بحاله ومقاله محببا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سالكا السلوك الصالح التقي النقي مع الزهد والورع والتقوى والحب للخير، والصبر على طلبه العلم ، جزاه الله خيرا [] . ا

فهل أبنائنا اجتمعوا بمثل الشيخ البيانوني ، أو قل هل أمثال هؤلاء الشيوخ يوجدون أصلا في مجتمعنا ؟ ! قد يكونون فلو ( خليت خربت ) ، ولكنهم قلة بل أقل من القليل .

**وقد كنا نعدهم قليلا فقد صاروا أقل من القليل**

لقد كان الملوك في السابق يحرصون على تسليم أبنائهم إلى مربين ينتقونهم من بين شيوخ البلد وصلحائها ، وقد اشتهر بعض الأئمة في السابق بمؤدب أبناء الملوك .

وهكذا نشأ رجال أمثال صلاح الدين الأيوبي ، والظاهر بيبرس ، ومحمد الفاتح ..

فهل نحن حرصنا على أن نسلم أبنائنا إلى صلحاء أفضل ننتقيهم من أجل تربية فلذات أكبادنا ؟ أم نكتفي بالأساتذة الذين يعترضون حياة أبنائنا في المدارس أو الجمعيات أو بعض المؤسسات والمراكز .. الذين ربما كانوا هم أحوج إلى التربية والتأديب ؟ !

أرى أن هذا جانب مهم جدا أهملناه في تربية الأبناء فعلينا أن نتداركه .

### **الابتلاء و المحنة :**

ومن صنوف الأذى والابتلاء ما واجهه الشيخ بعد دخوله المجال السياسي ، حيث انتخب عضوا في المجلس النيابي بسورية في سنة ١٩٦٢م ، وكان انتخابه نائبا عن مدينة حلب بأكثرية كبيرة ، على الرغم من تألب الخصوم عليه من كل الاتجاهات والملل .

قال د. محمد الهاشمي في كتابه ( الشيخ عبد الفتاح أبو غدة كما عرفته ) :

[ ] .. وللشيخ مواقف أخرى كثيرة في خطب الجمعة تصدى فيها للطغاة ، وأسمعهم كلمة الحق التي ينبغي أن يصدع بها العالم الداعية .

كان يطرح في هذه الخطب على آلاف المصلين قضايا الإسلام والمسلمين ، متصديا للدكتاتورية والاستبداد ، مفندا دعاوى العلمانية والتغريب ، ويضيق المستبدون ذرعا به ، وتصله تهديداتهم بين حين وآخر ، فكان يجيبهم عليه بجرأة العالم المسلم الداعية المجاهد :

**ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي.**

وفي سبيل نشاطه الدعوي وحمل لواء الإصلاح السياسي دخل السجن الحربي في سورية من سنة ١٩٦٥م حتى ١٩٦٧ م ، ثم رحل إلى المملكة العربية السعودية ، وأثناء غيابه صودرت مكتبته العظيمة بما فيها من نفائس المخطوطات والمطبوعات .

وأهل العلم وعشاق الكتب يعرفون ما معنى أن يفقد العالم مكتبته ، فإنها مصيبة رهيبة ، حتى قالوا :  
العالم يبيع ثيابه ولا يبيع كتابه .

ولم يسلم الشيخ من الإيذاء حتى في المملكة ، حيث قام بعض المخالفين له الفكر الحاقدين عليه بمحاولة تشويه سمعة الشيخ وصورته في الأوساط العلمية ، وكان سبب ذلك أن الشيخ عبد الفتاح عندما كان مدرسا بكلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٩٠ هـ ، أرادت الكلية أن تقرر على طلابها بعض الكتب بتحقيق بعض المعاصرين ، وطلبت من الشيخ عبد الفتاح أن يذكر رأيه في ذلك ، فقام الشيخ عبد الفتاح برفض هذا الكتاب ، وبين أن المحقق ابتعد فيه عن المنهج العلمي وفيه ما لا يصلح من تعدد على الأئمة عند ذلك قام محقق الكتاب ومن يؤازره بهجوم شنيع على الشيخ عبد الفتاح ، ورميه بأمور باطلة من أجل تشويه صورته ، والخط من مكانته ، وعند ذلك قام الشيخ بإخراج رسالته ( كلمات في كشف أباطيل وافتراءات ) يقول فيها عن أولئك القوم :

[ ] .. نبزوني بأشنع الأوصاف المقدعة .. وقد كانوا سمعوا مني هذا الرأي والنقد مرات كثيرة في سنوات سابقة ، فلم يكن منهم معي خصومة ولا مقاطعة ، فلما قدمته لعمادة الكلية اتخذوه سببا وقاموا بهذا الرد الشنيع والهجوم العنيف والعداء الصارخ ... [ ]

ويقول ص ٤ : [ ] قام بعض الناس خارج المملكة من أصحاب الأغراض السيئة والطوايا المنحرفة الكائنة ، معروفين بأعيانهم ، مدفوعين بأغراضهم ، قاموا بطبع بعض الكتب والنشرات والمقالات والمقدمات والرسائل للنيل مني والإساءة إلي ، والطعون بشخصي وعلمي ، وديني وخلقي وعقيدتي بأسماء صريحة حيناً وبأسماء منحولة مستعارة حيناً آخر..

وقد نسبوا إلي في تلك الكتب والمنشورات المتعددة : المزاعم الباطلة ، وقالوا علي الزور والبهتان ، واحتلقوا على لساني ما طاب لهم من الافتراءات والأكاذيب ...

ولا أظن أن أهل العلم ممن لهم صلة بهم يرضون عن صنيعهم في تشويه الكتب بأمثال تلك التعليقات الباطلة والمشحونة بالإفذاء والسباب ، بل لابد أن يردعهم ويبينوا لهم أن كتب العلم لا تتخذ وسيلة

للشتم والدس والتزوير والعداء ، بالإضافة إلى أن ذلك يسيء إلى العلم وأهله وكتبه ، كما يشين خدمة العلم التي يتظاهرون بها [١] .

تحمل الشيخ كل ذلك ، وكان يسير في طريقه سير المؤمن الواثق بربه ، المدخر لآخرته ، العالم أن الدنيا دار فناء ، ودار اختبار ، والمرء عليه أن يستغل وقته فيها ولا يضيعه في العداوات والمشاحنات ، فلا طائل من وراء ذلك ، والعفو والصفح عن المسيء أفضل عند العاقل ، هذه طريقة (أبوغدة) وطريقة كثير من شيوخه الذين تأثر بهم ، وطريقة البناء في البناء بل هكذا نهج القرآن {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠]..<sup>(١)</sup>

في شهر شعبان ١٤١٧هـ ، الموافق ١٩٩٦م شعر الشيخ بضعف شديد في نظره ، فعاد من حلب إلى الرياض ليستأنف علاجه ، وفي أواخر رمضان من العام نفسه اشتكى الشيخ من ألم شديد ، فأدخل على إثره مستشفى الملك فيصل التخصصي ، وتبين أنه ناتج عن نزيف داخلي بسبب مرض التهابي ، وما لبث أن التحق بالرفيق الأعلى فجر يوم الأحد التاسع من شوال ١٤١٧هـ ، الموافق ١٦ من شباط ١٩٩٧ م عن عمر يناهز الثمانين .

### أبو فهر محمود شاكر \_ الأديب المحدث رَحِمَهُ اللهُ :

أديب و مثقف من طراز فريد ... و لولا التزامه و إحساسه المفرط بأنه صاحب رسالة لكان أشهر على ألسنة الناس من طه حسين و الحكيم و العقاد .

و الرجل ظاهرة فريدة في الأدب والثقافة العربية الحديثة ، فهو كاتب له طريقته الخاصة لا تبارى أو تحاكي ، وشاعر مبدع حقق في الإبداع الشعري ما بلغ ذروته في قصيدته "القوس العذراء" ، ومحقق بارع لكتب التراث ، قادر على فك رموزها وقراءة طلاسمها ، ومفكر متوهج العقل ينقض أعتى المسلمات ، ومثقف واسع الاطلاع في صدره أطراف الثقافة العربية كلها فكانت عنده كتابا واحدا .

أبو فهر محمود محمد شاكر رحمه الله قمة من قمم العربية ، وعلم من أعلامها ، والحديث عنه إنما هو حديث عن تاريخ هذه الأمة العربية : عقيدة ولغة وفكراً ورجالاً . أسأل الله أن يتغمده برحمته وأن

<sup>١</sup> - وقفات مع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (٢٦-)

يجزيه خير جزاء المجاهدين في سبيله.

**مولده ﷺ**: ولد الشيخ رحمه الله ليلة العاشر من المحرم عام ١٣٢٧هـ في مدينة الاسكندرية.

وتوفي يوم الخميس الثالث من ربيع الآخر عام ١٤١٨هـ.

**البداية والتكوين**: ينتمي محمود شاعر إلى أسرة أبي علياء من أشرف جرجا بصعيد مصر، وينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، وقد نشأ في بيت علم، فأبوه كان شيخاً لعلماء الإسكندرية وتولى منصب وكيل الأزهر لمدة خمس سنوات (١٩٠٩-١٩١٣م)، واشتغل بالعمل الوطني وكان من خطباء ثورة ١٩١٩م، وأخوه العلامة أحمد شاعر واحد من كبار محدثي العصر، وله مؤلفات وتحقيقات مشهورة ومتداولة.

انصرف محمود شاعر -وهو أصغر إخوته- إلى التعليم المدني، فالتحق بالمدارس الابتدائية والثانوية، وكان شغوفاً بتعلم الإنجليزية والرياضيات، ثم تعلق بدراسة الأدب وقراءة عيونه، وحفظ وهو فتى صغير ديوان المتنبي كاملاً، وحضر دروس الأدب التي كان يلقيها الشيخ المصرفي في جامع السلطان بربوق، وقرأ عليه في بيته: الكامل للمبرد، والحماسة لأبي تمام.

**المواجهة الخافتة** وربما كان في وسع شاعر أن يكون أحد علماء الرياضيات أو فروع الطبيعة بعد حصوله على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) من القسم العلمي سنة ١٩٢٥ لكنه فضل أن يدرس العربية في كلية الآداب، وكاد قانون الجامعة أن يحول بينه وبين الالتحاق بقسم اللغة العربية، لولا تدخل طه حسين لدى أحمد لطفي السيد مدير الجامعة وإقناعه بأن يلتحق شاعر بكلية الآداب فأصدر قراراً بذلك.

وفي الجامعة استمع شاعر لمحاضرات طه حسين عن الشعر الجاهلي وهي التي عرفت بكتاب "في الشعر الجاهلي"، وكما كانت صدمته حين ادعى طه حسين أن الشعر الجاهلي منتحل وأنه كذب ملفق لم يقله أمثال امرئ القيس وزهير، وإنما ابتدعه الرواة في العصر الإسلامي، وضاعف من شدة هذه الصدمة أن ما سمعه من المحاضر الكبير سبق له أن قرأه بحذافيره في مجلة استشرافية بقلم المستشرق الإنجليزي مرجليوث.

وتتابعت المحاضرات حول هذا الموضوع، ومحمود شاعر عاجز عن مواجهة طه حسين بما في صدره، وتمنعه الهيبة والأدب أن يقف مناقشاً أستاذه، وظل على ذلك زمناً لا يستطيع أن يتكلم حتى إذا لم يعد في الصبر والتحمل بقية، وقف يرد على طه حسين في صراحة وبغير مداراة، لكنه لم يستطع أن

يواجهه بأن ما يقوله إنما هو سطو على أفكار مرجليوث بلا حياء أو اكتراث .  
وتولد عن شعوره بالعجز عن مواجهة التحدي خيبة أمل كبيرة فترك الجامعة غير آسف عليها وهو في السنة الثانية ، ولم تغلق المحاولات التي بذلها أساتذته وأهله في إقناعه بالرجوع ، وسافر إلى الحجاز سنة ١٩٢٨ مهاجرا ، وأنشأ هناك مدرسة ابتدائية عمل مديرا لها ، حتى استدعاه والده الشيخ فعاد إلى القاهرة .

**العالم الإسلامي في بيت شاكر :** كانت فترة الخمسينيات فترة مشهودة في حياة شاكر ، فقد ترسخت مكانته العلمية وعرف الناس قدره ، وبدأت أجيال من الدارسين للأدب من أماكن مختلفة من العالم الإسلامي يفدون إلى بيته ، يأخذون عنه ويفيدون من علمه ومكتبته الحافلة ، من أمثال : ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، وشاكر الفحام ، وإبراهيم شيوخ ، فضلا عن كثير من أعلام الفكر الذي كانوا يحرصون على حضور ندوته الأسبوعية كل يوم جمعة عقب صلاة المغرب ، مثل فتحي رضوان ويحيى حقي ، ومحمود حسن إسماعيل ، ومالك بن نبي ، وأحمد حسن الباقوري ، وعلال الفاسي ، وعبد الرحمن بدوي ، وعبد الله الطيب .

وشهدت هذه الندوة الدروس الأسبوعية التي كان يلقيها شاكر على الحاضرين في شرح القصائد الشعرية التي تضمنها كتاب الأصمعيات ، وقد انتفع بهذه الدروس كثيرون ، وكان الأديب الكبير يحيى حقي يعلن في كل مناسبة أن شاكر هو أستاذه الذي علمه العربية وأوقفه على بلاغتها ، وأن ترجمات كتب مالك بن نبي خرجت من بيت شاكر ، فقد قام أحد أفراد ندوته وترجمها إلى العربية وهو الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين ، وكان آنذاك شابا صغيرا في بداية مشواره العلمي .

### محنته و سجنه ﷺ :

وفي ندواته الفكرية في بيته كان يعارض عبد الناصر علانية ويسخر من رجالات الثورة ، ويستنكر ما يحدث للأبرياء في السجون من تعذيب وإيذاء وكان يفعل ذلك أمام زواره ومن بينهم من يشغل منصب الوزارة ، كالشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف آنذاك ، ونتيجة لذلك لم يسلم شاكر من بطش السلطة ، فألقت القبض عليه سنة ١٩٥٩م ، وبقي رهن السجن ٩ أشهر حتى تدخلت شخصيات عربية ، فأفرج عنه وعاد لمواصلة نشاطه في تحقيق كتاب تفسير الطبري الذي بدأ في نشره من قبل ، وانتظمت ندوته مرة أخرى .

### أباطيل وأسمار :

وظل شاكر في عزلته الاختيارية بين كتبه وتلاميذه ومحبيه، لا يشارك في الساحة الفكرية بمقالاته وآرائه حتى بدأ لويس عوض في نشر سلسلة مقالات له في جريدة الأهرام سنة ١٩٦٤م، تحت عنوان "على هامش الغفران" وكان الكاتب قد لمع نجمه بعد تعيينه مستشارا ثقافيا لجريدة الأهرام، وأصبح مهمينا على أمور الثقافة في مصر وصار له حواريون وسدنة يبشرون بآرائه .

وقد أثارت مقالات لويس عوض موجة من الشغب بين أوساط كثير من المثقفين لما فيها من تحامل على الشيخ المعري، ولم يجرؤ أحد على الرد سوى محمود شاكر الذي خرج من عزلته، وانبرى للويس عوض في سلسلة من المقالات المبهرة في مجلة الرسالة، كشفت عما في مقالات لويس عوض من الوهم والخلط التاريخي والتحريف في الاستشهاد بشعر أبي العلاء المعري، وعدم تمحيص الروايات التاريخية، والادعاء بتلقي المعري علوم اليونان على يد أحد الرهبان. وكانت مقالات شاكر التي ظهرت تباعا حدثا ثقافيا مدويا كشفت عن علم غزير ومعرفة واسعة بالشعر وغيره من الثقافة العربية، وقدرة باهرة على المحاجاة والبرهان، ولم تقف هذه المقالات التي بلغت ثلاثا وعشرين مقالة عند حدود الرد على كلام لويس عوض، بل انتقلت إلى الحديث عن الثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي، وما طرأ عليها من غزو فكري ولا سيما حركة التبشير التي غزت العالم الإسلامي .

وتدخل الناقد الكبير محمد مندور عند شاكر ليوقف مقالاته دون جدوى، وأصاب لويس عوض الذعر والهلع من مقالات شاكر التي فضحته بين أوساط المثقفين، وكشفت عن ضعف ثقافته حتى في تخصصه في الأدب الإنجليزي حين كشف شاكر عن فساد ترجمته العربية لمسرحية الضفادع لأرسطوفان، وراح لويس عوض يطوف على المجلات والصحف يستنصرهم ضد شاكر ويزعم أن المعركة بينهما معركة دينية، ولم يتوقف شاكر عند كتابة مقالاته حتى أغلقت مجلة الرسالة نفسها، وألقي به في غياهب السجن سنتين وأربعة أشهر من آخر شهر أغسطس سنة ١٩٦٥م، حتى آخر شهر ديسمبر سنة ١٩٦٧م، وقد جمعت هذه المقالات في كتابه "أباطيل وأسما" الذي يعد من أهم الكتب التي ظهرت في المكتبة العربية في النصف الأخير من القرن العشرين .

### معارك فكرية أخرى ﷺ :

وبعد خروجه من السجن هذه المرة عاد إلى ما كان عليه من قبل، فكتب في مجلة "المجلة" ٧ مقالات إضافية تحت عنوان "نمط صعب، نمط مخيف" استجابة لصديقه الأديب يحيى حقي، حين أشاد بترجمة الشاعر الألماني "جوته" لقصيدة من قصائد الشاعر الجاهلي "تأبط شرا" وتساءل حول الترتيب



الذي اقترحه الشاعر الألماني حين ترجم القصيدة إلى الألمانية، وحول الشعر القديم وروايته وافتقاد القصيدة العربية إلى الوحدة، وقد اقتضت الإجابة حول هذه الأسئلة تشعباً في الكلام، وامتداداً في أطرافه بلغ ٤٠٠ صفحة حين جمع المقالات في كتاب، وقد تخلل ذلك نقد محكم للدكتور عبد الغفار مكاوي حين أعاد ترجمة قصيدة جوته إلى العربية، ودارت بينهما معركة قصيرة حول هذه الترجمة التي اتهمها شاعر بالركاكة والسقم .

ثم دارت معركة أخرى بينه وبين الباحث العراقي الدكتور علي جواد الطاهر حول تحقيقه كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي، وتولد عن ذلك كتابه "برنامج طبقات فحول الشعراء".

### تحقيق كتب التراث:

يعد شاعر على رأس قائمة محققي التراث العربي، وأطلق عليه العقاد المحقق الفنان، وإنجازاته في هذا المجال كثيرة، وهي عنوان على الدقة والإتقان، ومن أشهر الكتب التي حققها: تفسير الطبري (١٦ جزءاً)، طبقات فحول الشعراء (مجلدان)، تهذيب الآثار للطبري (٦ مجلدات).. وشاكر لا يحب أن يوصف بأنه محقق لنصوص التراث العربي، وإنما يحب أن يوصف بأنه قارئ وشارح لها، وهو يكتب على أغلفة الكتب التي يقوم بتحقيقها عبارة: "قرأه وشرحه" وهذه العبارة كما يقول الدكتور محمود الربيعي "هي الحد الفاصل بين طبيعة عمله وطبيعة عمل غيره من شيوخ المحققين، إنه يوجه النص ويبين معناه بنوع من التوجيه أو القراءة التي تجعله محرراً؛ لأنها قراءة ترفدها خبرة نوعية عميقة بطريقة الكتابة العربية، وهو إذا مال بالقراءة ناحية معينة أتى شرحه مقارباً، وضبطه مقنعاً، وأفق فهمه واسعاً، فخلع على النص بعض نفسه وأصبح كأنه صاحبه ومبدعه".

**صاحب رسالة ﷺ:** لم يكن شاكر في يوم من الأيام موظفاً يمد يده نهاية كل شهر إلى مرتب ينتظره فتكون للحكومة كلمة نافذة في رزقه ومكانته، بل انقطع لعلمه وفكره ومكتبته وبحثه ودرسه وزملائه وتلاميذه كالراهب الذي انقطع للعبادة في صومعته .

وعاش على أقل القليل يكفيه ويسد حاجته، ومرت عليه سنوات عجاف لكنه لم ينحن أو يميل على الرغم من أن بيته كان مفتوحاً لتلاميذه وأصدقائه وعارفي فضله .

ولم يكن له من مورد سوى عائده من كتبه التي كان يقوم بتحقيقها، وكان اسمه على صدرها يضمن لها النجاح والرواج، ولم يكن يأخذ شيئاً على مقالاته التي يكتبها، فأعاد لمجلة العربي الكويتية سنة ١٩٨٢م مائة وخمسين دولاراً نظير مقالة كتبها رداً على الكاتب اليمني عبد العزيز المقالح حول طه

حسين، ورفض أن يتسلم من دار الهلال مكافأته عن تأليفه كتابه المهم "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا". ولأنه كان يشعر أنه صاحب رسالة فإنه كان ينتفض حين يرى انتهاك حرمة من حرمت اللغة العربية فيقف مدافعا عنها بكل ما يملك من أدوات علمية وفكرية، تجعل الخصم يسلم بما يقول أو يلوي هاربا. ومعاركه كلها جمعت في كتب وصارت وثائق في تاريخنا الفكري الحديث، كتبها هو من موقع المدافع والحارس لثقافة الأمة، ولولا خصومه لما ظهرت معظم مؤلفاته؛ لأنها كانت استجابة لتحديات عظيمة، وهي تظهر عظمة شاكر؛ لأنه لم يحتشد لها مثلما يحتشد المؤلفون عند تأليف كتبهم وإنما دخلها كارها مستندا إلى ثقافة واسعة وعلم غزير، وفكر ثاقب وروح وثابة، فأتى بالعجب العجائب. وفي أخريات عمره رد له بعض الاعتبار، فنال جائزة الدولة التقديرية في الأدب سنة ١٩٨١م، ثم جائزة الملك فيصل في الأدب العربي عام ١٩٨٤م، وفي أثناء ذلك اختير عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق، ثم بالقاهرة.

وبعد رحلة حياة عريضة رحل أبو فهر شيخ العربية وإمام المحققين في الساعة الخامسة من عصر الخميس الموافق ٣ من ربيع الآخر ١٤١٨هـ = ٦ من أغسطس ١٩٩٧م) ولبي نداء ربه.. فسلام عليك أبا فهر (١).

### الشيخ محمد بن مال الله بن عبد الله الخالد رحمه الله

**مولده رحمه الله:** ولد في مدينة المحرق في منطقة حالة أبي ماهر أصله: من قبيلة بني خالد في نجد من قبيلة بني خالد... وهاجر أجداده إلى البحرين منذ زمن بعيد واستقروا فيها تخرج من مدرسة الهداية الخليفية في المحرق وبعث إلى الأزهر لتكملة دراسته لأنه كان من العشرين الأوائل على البحرين و لكن ظروفه لم تسمح بسفره بعد أن توفي والده قبل السفر بعدة أيام فقد تأثر بفكر الشيخ بن باز والشيخ بن عثيمين رحمهما الله تعالى والشيخ ابن جبرين والشيخ الفوزان والشيخ بكر أبو زيد حفظهم الله تعالى ثم عمل في وزارة العدل والشؤون الإسلامية وفي الثمانينات أصبح خطيبا لمسجد (الخير) في مدينة حمد ثم أصبح خطيبا لجامع (فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم و رضي عنها) ، ثم أصبح مأذونا شرعيا في أواخر الثمانينات رغم صغر سنّه لقد كان في العشرينات من عمره

عندما أصبح خطيباً و كان ذو شخصية قوية ، لقد كان شديد الذكاء قوي الحفظ فصيح اللسان خفيف الظل كريماً سخياً رقيق القلب يحب المزاح و التلطف في الكلام ، كان حنوناً جداً على أهله و عطوفاً باراً بوالدته و محباً لها كثيراً و لقد بكته أمه كثيراً بعد وفاته ، جاءته مكالمات هاتفية قبل وفاته بشهر تخبره بأن أمه في المستشفى بين الحياة و الموت فحزن كثيراً عليها و صمّم على أن يذهب لوداعها مع انه كان لا يستطيع المشي إلا قليلاً بعد أن أصيب بجلطة دماغية جعلته عاجزاً عن المشي إلا بصعوبة ، لقد أخذه ابنه عبد الرحمن بالكرسي المتحرك إلى المستشفى لوداعها ظناً منه انه لن يراها مرة أخرى فأخذ يقبلها و تقبله و قالت له إنها راضية عنه من قلبها لأنه أفضل أولادها إلى قلبها و لأنه بار بها و سبحانه الله فشاء القدر أن تشفى أمه قبل وفاته بعدة أيام بعد أن شفت من داء القلب و كانت قد أصبحت عمياً لا ترى أي شيء و بعد أن أجريت لها العملية في عين واحدة أصبحت ترى قليلاً .لقد فرحت جداً عندما شاهدت وجه ابنها لأول مرة قبل أن يموت بعد أيام طويلة و ليالي من العمى و الظلام فقالت له (أنا سعيدة لأنني أشاهد وجهك لأول مرة منذ زمن بعيد ..لقد اشتقت إلى رؤية وجهك كثيراً) فكانت هذه آخر مرة تشاهد فيها وجه ولدها رحمه الله تعالى ، نسأل الله العظيم أن يلهمها الصبر على مصيبتها لقد توفي لها تسعة أولاد حتى الآن و قد أصيبت بالعمى بسبب كثرة الدموع و الحزن عليهم. و في العام الماضي توفت كبرى بناتها و في هذا العام توفي أعز أولادها إلى قلبها ..

فقد الله أن تعيش هي و تخرج من المستشفى و يموت هو بعد أن ذهب إلى وداعها كان رحمه الله من الشخصيات النادرة التي تجعلك غير قدير البتة على الوفاء بحقوقها العامة لا في الحياة و لا في الممات .. لقد كان غزير الآثار لقد ألف أول كتاباً له و هو في العشرين من عمره بعد أن قرأ كثيراً و تأثر كثيراً بعلم ابن خاله الشيخ عبد الله السبب حفظه الله تعالى في الكويت و تعلم العلم الغزير منه وساعده كثيراً في تعلم العقيدة السلفية السليمة و كان أول شخص ينشر العقيدة السلفية السليمة في البحرين و أنشأ مع الشيخ خالد آل خليفة أول مكتبة سلفية أثرية في البحرين (مكتبة ابن تيمية)

و تأثر كثيراً بمؤلفات الشيخ إحسان الهي الذي كان يكتب عن عقيدة الشيعة و بدعهم وضلالهم و سار على نهجه و دربه لقد أكمل مشواره بعد أن قتل الشيخ إحسان اله يفي باكستان من قبل الرافضة حسبنا الله و نعم الوكيل رحم الله الشيخ إحسان رحمة واسعة اللهم اجعله من الشهداء و ادخله فسيح جناتك.

لقد بقي الشيخ محمد مال الله المدافع الجريء عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافح بكل سلاح مباح عن عقيدة التوحيد و عن التفاسير السليمة للتاريخ و الدفاع عن حمى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم و الدفاع عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

و كان له كثيرا من المحاضرات في المعاهد و الجامعات في كثير من الدول الإسلامية رغم مرضه و عجزه ألا انه كان يستقبل كثيرا من طلبة العلم و الباحثين في المعاهد و الجامعات للاطلاع على الكتب و المخطوطات التي يكتنيها أو للسؤال عن قضية من القضايا أو حادثة من الحوادث التاريخية أو المناقشة فيما كتبه من المخطوطات و كان صدره يتسع لهؤلاء جميعا رغم مرضه و معاناته و إعاقته ولم يكن يحجر عن طلبته أي شيء مما يكتنيه و لم يتردد في مساعدة أي شخص في البحث في أي لحظة من ليل أو نهار.

في آخر زيارة له في المملكة العربية السعودية ذهب إلى الرياض قبل أن يشتد عليه المرض كان يحرص على زيارة العلماء جميعا و قد وفقه الله لزيارة شيخه الحبيب إلى قلبه الشيخ ابن جبرين حفظه الله تعالى و أهدى إليه كتابه (أيلتقي النقيضان و حوار مع القرضاوي)

و فرح الشيخ كثيرا بما كتبه و بارك له بعد أن راجعه و شجعه على طباعته و كان العلامة ابن جبرين كلما زاره طلبة العلم من البحرين يسألهم عن صحة أبا عبد الرحمن و يثني عليه و يوصيهم عليه ، و كذلك ذهب لزيارة الشيخ الفوزان و أهدى إليه الكتاب و كذلك الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله و شافاه.

**محنته و سجنه ﷺ** : لقد تعرض الشيخ محمد مال الله في حياته لكثير من المحن و المؤامرات و الدسائس الكيدية المحبوكة من قبل الرافضة حتى اتهم بعدة تهمة و حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات ، وبعد محاولات كثيرة من قبل المشايخ و أهل العلم أفرج عنه بعد خمس سنوات بواسطة أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان رحمه الله تعالى و غفر له .

لقد تعرض الشيخ في السجن لأمراض عديدة بسبب الحرارة الشديدة و عدم وجود المكيف و كان مصاب بالسكر فزاد عليه المرض و كان يشكو من ألم في بطنه بسبب الفشل الكلوي بعد خروجه من السجن و أصيب بالجلطة الدماغية مرتين ثم أصيب بتضخم في القلب و التهاب الرئتين و فشل كلوي حاد و كل هذه الأمراض سببت له سكتة دماغية و كانت النهاية.

و لم يكن أحد يعرف بمرضه حتى أقرب الناس إليه و كان دائم الحمد لله و كان يشكو بئنه و حزنه إلى الله سبحانه بعد أن صادروا ممتلكاته و فصل من العمل و جلس يعمل بصمت في البيت و مات في بيته على فراشه رحمه الله تعالى رحمة واسعة و جزاه الله أجرا عظيما على صبره و بلواه.

قبل وفاته بمدة قصيرة وقع بين يديه كتاب من أهل البدع و الضلالة الرافضة فيه كثير من السب و الطعن و تكفير العلماء مثل الشيخ بن باز رحمه الله و الشيخ بن عثيمين رحمه الله و الشيخ صالح الفوزان و نقص في أسماء الله تعالى و صفاته فاشتد غيظا عليهم و صمم رغم مرضه الدفاع عن العقيدة و عن أسماء الله الحسنى و صفاته و الدفاع عن العلامة بن باز و بن عثيمين و الفوزان في آخر كتاب ألفه قبل وفاته بمدة قصيرة اسمه (الدفاع عن العقيدة و عن العلامة بن باز رحمه الله والرد على جهالات المرتزقة) و هو الآن تحت الطبع في المملكة العربية السعودية.

و قد أخذ الشيخ محمد إلى الرياض لعدة أشهر إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي على نفقة الأمير عبد العزيز بن فهد جزاه الله خير الجزاء و بارك فيه لعلاج من جلطة في المخ و تحسنت حالته و لكن بعيد مدة قصيرة أصيب بفشل كلوي حاد و لم يكن يشكو لأحد عن مرضه رحمه الله.

و توجد عند الشيخ مكتبة فريدة من نوعها فيها كتب كثيرة متنوعة في جميع مجالات الأدب و الدين و السياسة وجميع الثقافات و علم النفس و الكثير من المخطوطات و نصف كتبه كتب الرافضة أنفسهم و مراجعهم جمعها من كل أنحاء العالم من ثلاث و عشرين سنة لقد جاءته قبل وفاته مغريات كثيرة لشراء كتبه و مكتبته لتكون وقفية لكن رفض و قال عندما أموت سوف أجعلها مكتبة وقفية خاصة لوجه الله (رغم ظروفه المادية الصعبة لقد كان عزيز النفس عفيفاً)

بعد أن زاره عدة من المملكة العربية السعودية قبل وفاته بمدة قصيرة ، وصاهم بأن تكون كتبه وقفية في المملكة لأنهم يقدرون العلم و العلماء و كان يحبهم كثيرا و كان لهم أفضالا كثيرة عليه و لا ينسى ذلك حتى بعد مماته و لأنه يوجد كثيرا من طلبة العلم اللذين درسهم في حياته و علمهم كيف يسيروا على نهجه و يدافعوا عن أهل السنة والجماعة و الصحابة ، رحمه الله عاش غربيا في بلاده و مات غربيا و لم يعرفوا قدره فطوبى للغرباء ... و بشرى لأهل العلم بهذه المكتبة العلمية الوقفية النادرة ليستفيدوا من الكتب الموجودة فيها بأنه تجرى الإجراءات الآن من قبل بعض المشايخ و العلماء في السعودية

الشقيقة من أجل إنشاء مكتبة قيمة تسمى باسم الشيخ محمد مال الله الخالد يرحمه الله تعالى ، نسأل الله أن يبارك جهود القائمين عليها.

رحم الله الشيخ أبا عبد الرحمن لم ينقطع عن طلبه العلم و زواره أبداً حتى في اللحظات الأخيرة من حياته وأثناء المعاناة الشديدة مع المرض و احتضاره ، لقد زاره عدة طلبة من الخارج قبل وفاته بعدة ساعات ليلاً...آخر شخص زاره الساعة التاسعة و النصف مساءً يوم الجمعة وتوفي في نفس اليوم الساعة الرابعة فجراً .



### عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

**ترجمته رحمه الله** : فقيه حنبلي ، عالم بالتفسير والعقائد وعلوم العربية. ولد ونشأ وتعلم في "الدرعية"، وكان مرجع قضاة نجد في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وابنه سعود، وحفيده عبد الله بن سعود، اعتقله إبراهيم باشا (ابن محمد علي باشا والي مصر) بعد استيلائه على الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ، ونقله إلى مصر، وتوفي بها (١)

<sup>١</sup> - معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١/ ٣٢٥)



### الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله

ترجمه مختصرة عن سيرة الشيخ الألباني - رحمه الله -

العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أحد أبرز العلماء المسلمين في العصر الحديث، ويعتبر الشيخ الألباني من علماء الحديث البارزين المتفردين في علم الجرح والتعديل، والشيخ الألباني حجة في مصطلح الحديث وقال عنه العلماء المحدثون إنه أعاد عصر ابن حجر العسقلاني والحافظ بن كثير وغيرهم من علماء الجرح والتعديل .

**مولده ونشأته رحمته الله :**

وقد ولد في مدينة (( أشقودرة )) في ألبانيا ، سنة ١٣٣٢ هـ ، الموافق ١٩١٤ م ، وقد توفي بعد عمر في هذه الفانية بلغ حوالي ٨٥ سنة .

**هجرته واستقراره ﷺ :** هاجر هو وأهله من ألبانيا ، وكان عمره آنذاك تسع سنوات ، حفاظاً من والده على دين أهله ، واستقر به المقام في دمشق عاصمة سوريا ، ثم تنقل بين بيروت والإمارات حتى استقر به المقام في عمان الأردن ، حيث توفي فيها .

**طلبه للعلم - رحمه الله -** كانت بدايته في طلبه للعلم - رحمه الله - مع كتاب الحافظ العراقي (( المغني عن حمل الأسفار )) ، وهو كتاب خرّج فيه الحافظ العراقي كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي ، فقام الشيخ الألباني بنقل كتاب العراقي ، وأتم أحاديثه ، وشرح غريبه ، وقد انتفع بهذا الكتاب كثيراً كما قال هو رحمه الله .

وقد كان لمجلة المنار ، وبالأخص مقالات صاحبها محمد رشيد رضا أعظم الأثر في حياة الشيخ رحمه الله للعلم .

**جلده في طلب العلم ﷺ :** ونذكر في ذلك حادثتين :

**الأولى:** أنه أصيب في عينه أيامه الأولى في الشام ، وطلب منه الطبيب أن يمكث شهراً لا يعمل بمهنة الساعات ، ولا يقرأ شيئاً ! فمكث أياماً ، ثم أصابه الملل ، فطلب من بعض إخوانه أن ينسخ له من المكتبة الظاهرية في دمشق كتاب "ذم الملاهي " لابن أبي الدنيا .

فنسخ الناسخ حتى وصل إلى مكان فيه ورقة ضائعة ، قطعت اتصال الكلام ، فلما أخبر الشيخ بذلك طلب إليه الشيخ أن يستمر بالنسخ .

فلما فرغ الناسخ وانتهت مدة العلاج ؛ ذهب الشيخ يبحث عن تلك الورقة الضائعة في المكتبة الظاهرية ، فطل الشيخ ينقب عن تلك الورقة ، فلم يجدها ، وفي تلك الأثناء كان يدون الأحاديث التي يقف عليها في المخطوطات ، حتى دون أكثر من أربعين مجلداً من الأحاديث بخط يده !! وكان عدد المخطوطات آنذاك حوالي عشرة آلاف مخطوطة !!

**الثانية :** وقد بلغت الهمة والجلد في الشيخ رحمه الله أنه كان ينسى معهما الطعام والشراب ، فكان يأتي إلى مكتبة الظاهرية قبل موظفيها ، ويخرج بعدهم !!

ويأتيه أهله بطعام الإفطار ، فيظل على ما هو عليه إلى موعد الغداء ، فيؤخذ طعام الإفطار ويوضع طعام الغداء ! وهكذا مع العشاء .



وقد ظل الشيخ الإمام رحمه الله على هذه المهمة إلى أن توفاه الله ، فإذا كان يعجز عن البحث قرأ ، فإذا عجز عن القراءة قرأ عليه .

ومن رأى همة الشيخ ونشاطه قبل مرضه الأخير لم يفرق بين أول حياته وبين هذه الأيام .

وإذا قيل للشيخ في رحلاته أن يرتاح ، قال : إن راحتي في الكلام والبيان !! لا في السكوت .

**رجوعه إلى الحق :** والشيخ رحمه الله عرف عنه رجوعه إلى الحق ، حتى أصبح متميزاً به ، فكم من حديث صححه وانتشر في الآفاق بسببه ، ولما تبين له ضعفه من بعد الطلبة تراجع عنه بقوة وإنصاف ، ومثال ذلك حديث دخول المنزل (( اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج )) فهو حديث صححه الشيخ ثم تراجع عنه .

وقل الأمر نفسه في المسائل الفقهية العملية ، كما هو الحال في مسألة جماع الزوجة بعد طهرها من الحيض ، حيث كان الشيخ يرى أنه يكتفى بانقطاع الدم دون الغسل ، ثم تراجع عنه إلى قول الجمهور ، وهو عدم جواز الجماع إلا بعد الغسل .

وهذا الأمر — أعني تراجعه إذا تبين له الحق — استغله بعض الجهلة والحساد لبيان أن ذلك من تناقضه ولم يدر هؤلاء أن هذا من أعظم أخلاق الدين ، وقد قل أهله في هذا الزمان ، فكم من إنسان جادل بالباطل من بعد ما تبين له الحق فأصر مستكبراً كأن لم يسمع الحق !!؟

والشيخ برأه الله من ذلك وكتبه طافحة برجوعه عن أقواله التي تبين فيها خطؤه ملياً ، ولم ينقصه ذلك بل رفعه الله به ، ولكن عند المنصفين العقلاء ، وهذا هو المهم ، والأهم أنه كان يراقب ربه ولا يهمله ما يقال بعد لك .



### الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

الرجل وفي عهد الرئيس السادات أراد تغيير قوانين الأحوال الشخصية، والافتيات على حقوق الجماهير الشرعية، وتقييد تعدد الزوجات، فقام الشيخ يخطب مندداً بهذا المشروع، وقامت الغزالي، تاريخه وجهوده بمظاهرات تطالب بإلغاء هذا القانون، وقد كان لهم ما أرادوا. (الشيخ محمد الفكري للشيخ محمد الغزالي، ص: وآراؤه، للدكتور عبد الحليم عويس، ص: ٩، وانظر: العطاء ١٩٢-١٩١

زمن حكومة ومن جهاد الشيخ ما لاقاه من اضطهاد وعنت، بل وحبس وتعذيب، فقد اعتقل الشيخ في وبعدها، وقد حكى ما إبراهيم عبد الهادي باشا، ومكث في سجن الطور سنة، وكان سجنه قبل الثورة وفي (الحق، ص: ٩٨-١٠٨ حدث له تفصيلاً في المعتقل، وذلك في كتابه "قذائف الحق" (قذائف الرجل الشرعية، عهد الرئيس السادات أراد تغيير قوانين الأحوال الشخصية، والافتيات على حقوق الجماهير بمظاهرات تطالب وتقييد تعدد الزوجات، فقام الشيخ يخطب مندداً بهذا المشروع، وقامت الغزالي، تاريخه وجهوده وآراؤه، للدكتور بإلغاء هذا القانون، وقد كان لهم ما أرادوا. (الشيخ محمد الفكري للشيخ محمد الغزالي، ص: ١٩٢-١٩١ عبد الحليم عويس، ص: ٩، وانظر: العطاء

زمن حكومة ومن جهاد الشيخ ما لاقاه من اضطهاد وعنت، بل وحبس وتعذيب، فقد اعتقل الشيخ في وبعدها، وقد حكى ما إبراهيم عبد الهادي باشا، ومكث في سجن الطور سنة، وكان سجنه قبل الثورة (الحق، ص: ٩٨-١٠٨ حدث له تفصيلا في المعتقل، وذلك في كتابه "قذائف الحق" (قذائف

### شهادته في قضية فرج فودة :

عن الدولة، ويرى والكاتب فرج فودة من الكتاب العلمانيين الذين كانوا يدعون صراحة إلى فصل الدين وكان يدعو إلى أن تكون الدولة أن تحكيم الشريعة من الرجعية؛ لأن الزمن تغير، والأحوال تغيرت، مدنية بعيدة عن الدين.

بعد أن قال وقام بعض الشباب باغتيال فرج فودة، وكان لزاما على المحكمة أن تقول كلمتها فيهم، محاموهم بأن فرج فودة مرتد عن الإسلام، والمرتب يُقتل في الإسلام عند تعطيلها، واستدعت المحكمة الشيخ الغزالي، وأفتى بجواز أن يقوم أفراد الأمة بإقامة الحدود أنه لا يجوز قتل من قتل وإن كان هذا افتياتا على حق السلطة، ولكن ليس عليه عقوبة، وهذا يعني فرج فودة.

على الخير من فقامت الدنيا ولم تقعد بعد شهادة الشيخ الغزالي، وأتهم الرجل بألسنة حداد أشحة. أناس لم يستقر الإيمان في قلوبهم، فضلا عن يعادي منهج الإسلام فرج فودة، وذهب وزير إلى بيت الشيخ، وطلب منه أن يصرح أو يكتب مقالا يفسر به موقفه من قضية أنا لم أكتب مقالا في :لكن الشيخ أصر على موقفه، وعاد الوزير مرة ثانية يلح على الشيخ، فأجابه استدعيت للشهادة أمام محكمة، صحيفة، ولا ألقيت خطبة في جامع، ولا محاضرة في جمعية، ولكني عليه، فإذا كان في شهادتي بعض الغموض فشهدت بما أعتقد أنه الحق الذي أدين الله به وألقاه موقفي (الشيخ الغزالي كما عرفته، ص: ٢٧١-٢٧٥، فلتدعني المحكمة مرة أخرى، وأنا أشرح لها الردة والمرتدين من خلال شهادتي الغزالي ومزروعة، ص للدكتور يوسف القرضاوي. وانظر: أحكام (طبعة خاصة بالمؤلف ١٤١٤هـ ٢٩٨-٣٠٠، للدكتور محمود مزروعة،

ولو جاز للأمة .وهكذا كانت شخصية الشيخ وصفاته الحميدة التي تعتبر امتدادا لتاريخ سلفنا الصالح محمد الغزالي، فإننا نحسبه أن تبكي موتها، فما يكفي الأمة أن تمكث السنين بكاء على شيخ الإسلام وتشرب منه، ووهب حياته لخدمة دينه، فرحمه الله امتدادا لمدرسة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقد أحبه رحمة واسعة، وعوض الأمة عنه خيرا



## الباب الرابع

## فيمن حبس و قتل في فتنة القول بخلق القرآن

### فصل فيمن حبس و قتل في فتنة القول بخلق القرآن

الإمام أحمد بن حنبل - رحمته الله

. ترجمته رحمته الله (١)

---

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ١١ / ص ١٧٨) طبقات ابن سعد ٧ / ٣٥٤، ٣٥٥، مقدمة كتابه " الزهد "، التاريخ الكبير ٢ / ٥ التاريخ الصغير ٢ / ٣٧٥، تاريخ الفسوي ١ / ٢١٢، الجرح والتعديل ١ / ٢٩٢ - ٣١٣ و ٢ / ٦٨، ٧٠، حلية الأولياء ٩ / ١٦١، ٢٣٣، الفهرست: ٢٨٥، تاريخ بغداد ٤ / ٤١٢، ٤٢٣، طبقات الحنابلة ١ / ٤، ٢٠، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١١٠، ١١٢، وفيات الأعيان ١ / ٦٣، ٦٥، تهذيب الكمال، ورقة: ٣٦، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣١، العبر ١ / ٤٣٥، تهذيب التهذيب ١ / ٢٢، الوافي بالوفيات ٦ / ٣٦٣، ٣٦٩، مرآة الجنان ٢ / ١٣٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢ / ٢٧، ٣٧، البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٥، ٣٤٣، غاية

أحمد بن حنبل هو الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا، أبو عبد الله، أحمد بن حنبل

١- التعريف بنسبه رحمه الله : قال الإمام محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ رحمه الله : " هو الإمام حقا ، وشيخ الإسلام صدقا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن زهل بن ثعلبة ، وبعض النسابين يقدّم زهل بن شيبان ، وساق النسب إلى بكر بن وائل ، ثم قال الذهبي الشيباني المروزي ، ثم البغدادي أحد الأئمة الأعلام هكذا ساق نسبه ولده عبد الله ، واعتمده أبو بكر الخطيب في تأريخه وغيره ، ويلتقي نسبه بنسب النبي صلى الله عليه وسلم في نزار بن معد بن عدنان .

٢- مولده رحمه الله : قال الإمام الذهبي : " وكان محمد والد أبي عبد الله من أجناد مرو مات شاباً ؛ له نحو ثلاثين سنة ورّبي أحمد يتيماً ، وقيل أنّ أمّه تحوّلت من مرو ؛ وهي حاملٌ به رحمها الله ، ونقل أبو داود سمعت يعقوب الدورقي سمعت أحمد يقول : ولدت في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة .

٣- نشأته رحمه الله : نشأ يتيماً في حجر أمّه ، ونقل صالح عن أبيه أنّه قال : ثقت أُمّي أذني ، فكانت تصير فيهما الؤلؤتين ، فلما ترعرعت نزعتهما ، فكانت عندها ، ثمّ دفعتهما إليّ ، فبعتهما بنحو ثلاثين درهماً .

٤- بداية طلبه للعلم رحمه الله : قال الإمام الذهبي : " كان وهو ابن خمس عشرة سنة في العام الذي مات فيه مالك ، وحماد بن زيد " قلت كان ذلك في عام ١٧٩ هـ .

## ٥- حفظه للعلم ﷺ:

قال المروزي : " وذكر مرةً شيئاً ، وقال : هذا عند هشيم ، فقلت : لا . وكان ربما ذكر العشرة أحاديث فأحفظها ، فإذا قام قالوا لي ، فأملئها عليهم ، وحدثنا عبد الله بن أحمد قال لي أبي خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف إن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد ،

النهاية في طبقات القراء ١ / ١١٢ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، طبقات الحفاظ : ١٨٦ ، مناقب الإمام أحمد ، خلاصة تذهيب

الكمال : ١١ ، ١٢ ، طبقات المفسرين ١ / ٧٠ ، الرسالة المستطرفة : ١٨ ، شذرات الذهب ٢ / ٩٦ ، ٩٨ .

وإن شئت الإسناد حتى أخبرك بالكلام " قلت : يريد بالكلام المتن أي الحديث الذي يتوصل إليه بالإسناد .

قال الإمام الذهبي : سمعت أبا إسماعيل الترمذي يذكر عن ابن نمير قال : كنت عند وكيع فجاءه رجلٌ أو قال جماعةٌ من أصحاب أبي حنيفة ، فقالوا له : هاهنا رجلٌ بغدادي يتكلم في بعض الكوفيين ، فلم يعرفه وكيعٌ ، فبينما نحن كذلك ؛ إذ طلع أحمد بن حنبل ، فقالوا : هذا هو ، فقال وكيعٌ : هاهنا يا أبا عبد الله ، فافرجوا له ، فجعلوا يذكرون عن أبي عبد الله الذي ينكثرون وجعل أبو عبد الله يحتج بالأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا لو كيع : هذا بحضرتك ترى ما يقول فقال : أي وكيع رجلٌ يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيش أقول له ثم قال : ليس القول إلا كما قلت يا أبا عبد الله فقال القوم لو كيع خدعك والله البغدادي .

وعن أحمد الدورقي عن أبي عبد الله قال : نحن إذا كتبنا الحديث من ستة وجوه أو سبعة لم نضبطه فكيف يضبطه من كتبه من وجه واحد .

قال عبد الله بن أحمد : قال لي أبو زرعة أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، فقليل : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته ، فأخذت عليه الأبواب .

قال الإمام الذهبي : فهذه حكايةٌ صحيحة في سعة علم أبي عبد الله ، وكانوا يعدون في ذلك المكرر والأثر ، وفتوى التابعين ، وما فسر ، ونحو ذلك ، وإلا فالتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك .

قال إبراهيم الحربي : رأيت أبا عبد الله كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين .

قال الخلال : أخبرنا المروزي : سمعت محمد بن يحيى القطان يقول : رأيت أبي مكرماً لأحمد بن حنبل : لقد بذل له كتبه أو قال حديثه .

وقال القواريري : قال يحيى القطان : ما قدم عليّ من بغداد أحب إليّ من أحمد بن حنبل .

وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي يقول : شقّ على يحيى بن سعيد يوم خرجت من البصرة .

قال عمرو بن العباس : سمعت عبد الرحمن بن مهدي ذكر أصحاب الحديث فقال : أعلمهم بحديث الثوري أحمد بن حنبل ؛ قال : فأقبل أحمد بن حنبل ، فقال : من أراد أن ينظر إلى ما بين كتفي الثوري ، فليُنظر إلى هذا .

وقال أبو الوليد الطيالسي : ما بعد المصريين رجلاً أكرم عليّ من أحمد بن حنبل .

قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي يقول : قدمت صنعاء أنا ويحيى بن معين ، فمضيت إلى عبد الرزاق في قريته ، وتخلّف يحيى ، فلما ذهبت أدقّ الباب ؛ قال بقالّ تجاه داره : لاتدق فإنّ الشيخ يُهاب ، فجلست حتى إذا كان قبل المغرب خرج ، فوثبت إليه ، وفي يدي أحاديث انتقيتها ، فسلمت عليه ، وقلت : حدّثني بهذه الأحاديث رحمك الله ، فإني رجلٌ غريب ؛ قال : ومن أنت ؟ وزبرني . قلت : أنا أحمد بن حنبل . قال : فتقاصر ، وضمني إليه ، وقال : بالله أنت أبو عبد الله . قال : ثمّ أخذ الأحاديث ، وجعل يقرأها حتى أظلم . قال للبقال : هلمّ المصباح وكان عبد الرزاق يؤخر صلاة المغرب

#### ٦- ورعه، وثناء العلماء عليه ﷺ :

قال الإمام الذهبي (١) : " قال الخلال : حدثنا الرمادي : سمعت عبد الرزاق ، وذكر أحمد بن حنبل ، فدمعت عيناه فقال : بلغني أن نفقته نفذت فأخذت بيده فأقمته خلف الباب ، وما معنا أحدٌ وقلت له : لاتجتمع عندنا الدنانير إذا بعنا الغلة أشغلناها في شيءٍ ، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها ، وأرجو ألا تنفقها حتى يتهيباً شيءٌ فقال : يا أبا بكر لو قبلت من أحدٍ قبلت منك .

وقال عبد الله : قلت لأبي بلغني أنّ عبد الرزاق عرض عليك دنانير ؟ قال : نعم ، وأعطاني يزيد ابن هارون خمس مائة درهم أظنّ ، فلم أقبل ، وأعطى يحيى بن معين ، وأبا مسلم ، فأخذوا منه . قال المروزي : قال أبو عبد الله : كنّا عند يزيد بن هارون ، فوهم في شيءٍ ، فكلمته ، فأخرج كتابه ، فوجده كما قلت : فغيّره ، فكان إذا جلس يقول : يا ابن حنبل ادن هاهنا ، ومرضت فعادني ، فنطحه الباب .



قال المروزي : سمعت بعض الواسطيين يقول : ما رأيت يزيد بن هارون ترك المزاح لأحدٍ إلا لأحمد ابن حنبل .

وقال : قتيبة : خير أهل زماننا ابن المبارك ، ثم هذا الشاب يعني أحمد بن حنبل .

وقال حرمله سمعت الشافعي يقول : خرجت من بغداد ، فما خلّفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ، ولا أفقه ، ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

وقال نصر بن علي الجهضمي : أحمد أفضل أهل زمانه .

وقال : إمام الأئمة ابن خزيمة : سمعت محمد بن سحنون ؛ سمعت أبا عمير بن النحاس الرملي وذكر أحمد بن حنبل ، فقال رحمه الله عن الدنيا : ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه وبالصالحين ما كان أحقه ، عرضت له الدنيا فأبأها ، والبدع فنفاها .

وقال قتيبة : لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد لأحدثوا في الدين ؛ أحمد إمام الدنيا .

وروي عن إسحاق بن راهوية : أحمد حجة بين الله وبين خلقه .

وعن ابن المديني قال : أعزّ الله الدين بالصدّيق يوم الردة ، وبأحمد يوم المحنة .

وقال النفيلي : كان أحمد بن حنبل من أعلام الدين .

وقال علي بن خشرم سمعت بشر بن الحارث يقول : أنا أسئل عن أحمد بن حنبل أحمد بن حنبل أدخل الكير فخرج ذهباً أحمر .

وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن علي بن المديني ، وأحمد بن حنبل أيهما أحفظ فقال : كانا في الحفظ متقاربين ، وكان أحمد أفقه ، إذا رأيت من يحب أحمد فاعلم أنّه صاحب سنة .

وقال أبو زرعة : أحمد بن حنبل أكبر من إسحاق وأفقه ، وما رأيت أحداً أكمل من أحمد .

وقال ابن واره : كان أحمد صاحب فقه ؛ صاحب حفظ ؛ صاحب معرفة .

وقال النسائي : جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث ، والفقه ، والورع ، والزهد ، والصبر .

قال الإمام الذهبي: " قال ابن دُرَيْج العكبري : طلبت أحمد بن حنبل ، فسلمت عليه وكان شيخاً مخضوباً طَوَّالاً أسمر ؛ شديد السمرة .

وعن محمد بن عباس النحوي ؛ قال : رأيت أحمد بن حنبل : حسن الوجه ؛ رَبْعَةً ؛ يخضب بالحنِّ خضاباً ؛ ليس بالقاني في لحيته شعراتٌ سود ، ورأيت ثيابه ؛ غلاظاً بيضاً ، ورأيتَه معتمّاً وعليه إزار .

وقال المروزي : رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت عامة جلوسه متربعا ، خاشعاً ، فإذا كان برّاً لم يتبين منه خشوع ، وكنت أدخل ، والجزء في يده يقرأ .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : تزوجت وأنا ابن أربعين سنة ، فرزق الله خيراً كثيراً .  
وقال أبو بكر الخلال في كتاب أخلاق أحمد ؛ وهو مجلد أُملى علي زهير بن صالح بن أحمد قال :  
تزوج جدي عباسة بنت الفضل من العرب ، فلم يولد له منها غير أبي ، وتوفيت ، فتزوج بعدها ریحانة ، فولدت له عبد الله عمي ، ثم توفيت فاشترى حسناً ، فولدت له أم علي زينب ، وولدت له الحسن والحسين توأمان ، وماتا بقرب ولادتهما ، ثم ولدت الحسن ومحمدا ، فعاشا حتى صارا من السن نحو أربعين سنة ، ثم ولدت سعيداً ؛ قيل كانت والدته عبد الله عوراء ، وأقامت معه سنين " اهـ (١) .

## ٨- المحنة في عهد الوثائق :

روى أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن محمد بن نوح : أن الرشيد ، قال : بلغني أن بشر بن غياث المريسي ، يقول : القرآن مخلوق ، فله علي إن أظفرنني به ، لاقتلنه .

قال الدورقي : وكان متواريا أيام الرشيد فلما مات الرشيد ، ظهر ، ودعا إلى الضلالة .

قلت : ثم إن المأمون نظر في الكلام ، وناظر ، وبقي متوقفا في الدعاء إلى بدعته .

قال أبو الفرج بن الجوزي : خالطه قوم من المعتزلة ، فحسنوا له القول بخلق القرآن ، وكان يتردد ويراقب بقايا الشيوخ ، ثم قوي عزمه ، وامتحن الناس .

أخبرنا المسلم بن محمد في كتابه: أخبرنا أبو اليمن الكندي، أخبرنا أبو منصور الشيباني، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو بكر الحيري، أخبرنا أبو العباس الاصم، أخبرنا يحيى بن أبي طالب، أخبرني الحسن بن شاذان

الواسطي، حدثني ابن عرعة، حدثني ابن أكتثم، قال: قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون، لأظهرت أن القرآن مخلوق.

فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومن يزيد حتى يتقى؟ فقال: ويحك! إني أخاف إن أظهرته فيرد علي يختلف الناس، وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة.

فقال الرجل: فأنا أخبر ذلك منه، قال له: نعم.

فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد، وقال: يا أبا خالد، إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: إني أريد أن أظهر خلق القرآن، فقال: كذبت على أمير المؤمنين.

أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه.

فإن كنت صادقاً، فاقعد.

فإذا اجتمع الناس في المجلس، فقل.

قال: فلما أن كان الغد، اجتمعوا.

فقام، فقال كمقالته، فقال يزيد: كذبت على أمير المؤمنين، إنه لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، وما لم يقل به أحد.

قال: فقدم، وقال: يا أمير المؤمنين، كنت أعلم، وقص عليه، قال: ويحك يلعب بك!!

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي، يقول: لما دخلنا على إسحاق بن إبراهيم للمحنة، قرأ علينا كتاب

الذي صار إلى طرسوس، يعني: المأمون، فكان فيما قرئ علينا: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ**

**الْبَصِيرُ}** [الشورى: ١١] و **{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}** [الأنعام: ١٠٢] فقلت: **(وَهُوَ السَّمِيعُ**

**الْبَصِيرُ)** قال صالح: ثم امتحن القوم، ووجه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعاً غير أربعة:

أبي، ومحمد بن نوح، والقواريري، والحسن بن حماد سجادة.

ثم أجاب هذان، وبقي أبي ومحمد في الحبس أياما، ثم جاء كتاب من طرسوس بحملهما مقيدتين زميلين.

الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبو معمر القطيعي، قال: لما أحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة، وكان أحمد بن حنبل قد أحضر فلما رأى الناس يجيئون، وكان رجلا لينا، فانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين.

فقلت: إنه قد غضب لله، فقلت أبشر: حدثنا ابن فضيل، عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي سلمة، قال: كان من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من إذا أريد على شيء من أمر دينه، رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون.

عن الحسين بن محمد الخفاف قال: سمعت ابن أبي أسامة، يقول: حكى لنا أن أحمد قيل له أيام المحنة: يا أبا عبد الله، أولا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟ قال: كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق.

عن عباس الدوري: سمعت أبا جعفر الانباري، يقول: لما حمل أحمد إلى المأمون، أخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تعنيت.

فقلت: يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن، ليجيب خلق، وإن أنت لم تجب، ليمتنعن خلق من الناس كثير.

ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت، فاتق الله ولا تجب.

فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله.

ثم قال: يا أبا جعفر، أعد علي فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله.

قال الفضل بن زياد، سمعت أحمد بن حنبل يقول: أول يوم امتحنه إسحاق، لما خرج من عنده، وذلك في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة ومئتين، ففقد في مسجده، فقال له جماعة: أخبرنا بمن أجاب.

فكأنه ثقل عليه، فكلّمه أيضا.

قال: فلم يجب أحمد من أصحابنا، والحمد لله.

ثم ذكر من أجاب ومن أتاهاهم على أكثر ما أرادوا.

فقال: هو مجعول محدث.

وامتحانهم مرة مرة، وامتحانني مرتين مرتين.

فقال لي: ما تقول في القرآن؟ قلت: كلام الله غير مخلوق.

فأقامني وأجلسني في ناحية، ثم سألهم، ثم ردني ثانية، فسألني وأخذني في التشبيه.

فقلت: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] فقال لي: وما السميع البصير؟

فقلت: هكذا قال تعالى.

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يذكرون أبا عبدالله بالرقعة في التقية وما روي فيها.

فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: "إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار، لا يصدده ذلك عن دينه" (١) فأيسنا منه.

وقال: لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلا بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط.

فسمعه بعض أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سري عنه.

عن محمد بن إبراهيم بن مصعب، وهو يومئذ صاحب شرطة المعتصم خلافة لاختيه إسحاق بن إبراهيم،

قال: ما رأيت أحدا لم يداخل السلطان، ولا خالط الملوك، كان أثبت قلبا من أحمد

يومئذ، ما نحن في عينه إلا كأمثال الذباب.

وحدثني بعض أصحابنا عن أبي عبدالرحمن الشافعي، (٢)، أو هو حدثني أنهم أنفذوه إلى أحمد في

محبيه ليكلمه في معنى التقية، فلعله يجيب.

قال: فصرت إليه أكلمه، حتى إذا أكثرت وهو لا يجيبني.

١ - أخرجه أحمد ٥ / ١٠٩ و ١١٠، والبخاري ١٢ / ٢٨١ في أول الاكراه، وأبو داود

٢ - هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن العباس... وهو ابن بنت الشافعي الامام رضي الله عنه، وأمه زينب بنت الشافعي،

انظر ترجمته في "تهذيب الاسماء واللغات" للامام النووي برقم (٥٥٧)، وفي "طبقات الشافعية" ٢ / ١٨٦.

ثم قال لي: ما قولك اليوم في سجدتي السهو؟ وإنما أرسلوه إلى أحمد لئلا كان بينه وبين أحمد أيام لزومهم الشافعي.

فإن أبا عبد الرحمن كان يومئذ ممن يتقشف ويلبس الصوف، وكان أحفظ أصحاب الشافعي للحديث من قبل أن يتبطن بمذاهبه المذمومة.

ثم لم يحدث أبو عبد الله بعد ما أنبأتك أنه حدثني في أول خلافة الواثق، ثم قطعه إلى أن مات، إلا ما كان في زمن المتوكل.

قال صالح بن أحمد: حمل أبي ومحمد بن نوح من بغداد مقيدتين، فصرنا معهما إلى الانبار.

فسأل أبو بكر الاحول أبي: يا أبا

عبدالله، إن عرضت على السيف، تجيب؟ قال: لا.

ثم سيرا، فسمعت أبي يقول: صرنا إلى الرحبة<sup>(١)</sup>، ورحلنا منها في جوف الليل، فعرض لنا رجل، فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقليل له: هذا، فقال للجمال: على رسلك، ثم قال: يا هذا، ما عليك أن تقتلها هنا، وتدخل الجنة؟ ثم قال: أستودعك الله، ومضى.

فسألت عنه، فقليل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشعر في البادية، يقال له: جابر بن عامر، يذكر بخير.

أحمد بن أبي الحواري: حدثنا إبراهيم بن عبدالله، قال: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق.

قال: يا أحمد، إن يقتلك الحق، مت شهيدا، وإن عشت، عشت حميدا.

فقوى قلبي.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنة<sup>(٢)</sup>، ورحلنا منها في جوف الليل، وفتح لنا بابها، إذا رجل قد دخل.

<sup>١</sup> - وهي رحبة مالك بن طوق، تقع بين الرقة وبغداد، على شاطئ الفرات، تبعد عن بغداد مئة فرسخ، وعن الرقة نيفا وعشرين فرسخا.

<sup>٢</sup> - بفتحات، وهي بلد مشهور من الثغور، قرب المصيصة

فقال: البشرى ! قد مات الرجل يعني: المأمون.

قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه.

محمد بن إبراهيم البوشنجي: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: تبينت الاجابة في دعوتين: دعوت الله أن لا يجمع بيني وبين المأمون، \* ودعوته أن لا أرى المتوكل.

فلم أر المأمون، مات بالبذندون (١)، قلت وهو نهر الروم.

وبقي أحمد محبوبا بالرقعة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، فرد أحمد إلى بغداد.

وأما المتوكل فإنه نوه بذكر الإمام أحمد، والتمس الاجتماع به، فلما أن حضر أحمد دار الخلافة بسامراء ليحدث ولد المتوكل ويبرك عليه، جلس له المتوكل في طاقة، حتى نظر هو وأمه منها إلى أحمد، ولم يره أحمد.

قال صالح: لما صدر أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس، ردا في أقيادهما.

فلما صار إلى الرقة، حملا في سفينة، فلما وصلا إلى عانة (٢)، توفي محمد، وفك قيده، وصلى عليه أبي.

وقال حنبل: قال أبو عبد الله: ما رأيت أحدا على حداثة سنه، وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير.

قال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي.

أنت رجل يقتدى بك.

١ - البذندون، بفتحيتين وسكون النون ودال مهملة وووا ساكنة ونون: قرية بينها وبين طرسوس يوم، من بلاد الثغر، مات بها المأمون فنقل إلى طرسوس، ودفن بها.

ولطرسوس باب يقال له: باب بذندون، عنده في وسط السور قبر أمير المؤمنين المأمون عبد الله بن هارون، كان خرج غازيا، فأدركته وفاته هناك، وذلك سنة ٢١٨ هـ.

٢ - بلد مشهور بين الرقة وهيت، يعد في أعمال الجزيرة، وهي مشرفة على الفرات، وبها قلعة حصينة

قد مد الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله، أو نحو هذا.

فمات، وصليت عليه، ودفنته.

أظن قال: بعانة.

قال صالح: وصار أبي إلى بغداد مقيدا.

فمكث بالياسرية (١) أياما، ثم حبس في دار اكتريت عند دار عمارة، ثم حول إلى حبس العامة في درب الموصلية.

فقال: كنت أصلي بأهل السجن، وأنا مقيد.

فلما كان في رمضان سنة تسع عشر - قلت: وذلك بعد موت المأمون بأربعة عشر شهرا - حولت إلى دار إسحاق بن إبراهيم، يعني: نائب بغداد.

وأما حنبل، فقال: حبس أبو عبد الله في دار عمارة ببغداد في إصطبل الأمير محمد بن إبراهيم أخي إسحاق بن إبراهيم، وكان في حبس ضيق، ومرض في رمضان.

ثم حول بعد قليل إلى سجن العامة، فمكث في السجن نحوا من ثلاثين شهرا.

وكنا نأتيه، فقرأ علي كتاب "الإرجاء" وغيره في الحبس، ورأيتَه يصلي بهم في القيد، فكان يخرج رجله من حلقة القيد وقت الصلاة والنوم.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: كان يوجه إلي كل يوم برجلين، أحدهما يقال له: أحمد بن أحمد بن رباح، والآخر أبو شعيب الحجام، فلا يزالان يناظراني، حتى إذا قاما دعي بقيد، فزيد في قيودي، فصار في رجلي أربعة أقياد.

فلما كان في اليوم الثالث، دخل علي فناظرني، فقلت له: ما تقول في علم الله؟ قال: مخلوق.

قلت: كفرت بالله، فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحاق بن إبراهيم: إن هذا رسول أمير المؤمنين.

١ - قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى، بينها وبين بغداد ميلان



فقلت: إن هذا قد كفر.

فلما كان في الليلة الرابعة، وجه، يعني: المعتصم، ببغا الكبير إلى إسحاق، فأمره بحملي إليه، فأدخلت على إسحاق، فقال: يا أحمد إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلى، إن لم تجبه، أن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يقتلك في موضع لا يرى فيه شمس ولا قمر.

أليس قد قال الله تعالى: **{جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}** [الزخرف: ٣] أف يكون مجعولا إلا مخلوقا؟

فقلت: فقد قال تعالى: **{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}** [الفيل: ٥] أفخلقهم؟ قال: فسكت.

فلما صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان، أخرجت، وجيء بدابة فأركبت وعلي الأقياد، ما معي من يمسكني، فكدت غير مرة أن أخرج على وجهي لثقل القيود.

فجئ بي إلى دار المعتصم، فأدخلت حجرة، ثم أدخلت بيتا، وأقفل الباب علي في جوف الليل ولا سراج.

فأردت الوضوء، فمددت يدي، فإذا أنا بإناء فيه ماء، وطست موضوع، فتوضأت وصليت.

فلما كان من الغد، أخرجت تكتي، وشدت بها الأقياد أحملها، وعطفت سراويلي.

فجاء رسول المعتصم، فقال: أجب فأخذ بيدي، وأدخلني عليه، والتكة في يدي، أحمل بها الأقياد، وإذا هو جالس، وأحمد بن أبي دواد حاضر، وقد جمع خلقا كثيرا من أصحابه.

فقال لي المعتصم: أدنه أدنه.

فلم يزل يدنيني حتى قربت منه.

ثم قال: اجلس، فجلست، وقد أثقلتني الأقياد، فمكثت قليلا، ثم قلت: أتأذن في الكلام؟

قال تكلم، فقلت: إلى ما دعا الله ورسوله؟ فسكت هنية<sup>(١)</sup>،

ثم قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فقلت: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله.

<sup>١</sup> - وهنية مصغر هنة، أصلها هنوة، أي: شئ يسير.

ثم قلت: إن جدك ابن عباس يقول: لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، سأله عن الإيمان، فقال: "أتدرون ما الإيمان؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا الخمس من المغنم" (١).

قال أبي: فقال، يعني: المعتصم: لو لا أنني وجدتك في يد من كان قبلي، ما عرضت لك.

ثم قال: يا عبدالرحمن بن إسحاق، ألم آمرك برفع المحنة؟ فقلت: الله أكبر! إن في هذا لفرجا للمسلمين.

ثم قال لهم: ناظروه، وكلموه، يا عبدالرحمن كلمه.

فقال: ما تقول في القرآن؟

قلت: ما تقول أنت في علم الله؟

فسكت، فقال لي بعضهم: أليس قال الله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٦] والقرآن أليس شيئاً؟

فقلت: قال الله {تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ} [الأحقاف: ٢٥] فدمرت إلا ما أراد الله..

فقال بعضهم: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ} [الأنبياء: ٢] أفيكون محدث إلا مخلوقاً؟

فقلت: قال الله: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص: ١] فالذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولا م.

وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين "إن الله خلق الذكر"، فقلت: هذا خطأ، حدثنا غير واحد: "

إن الله كتب الذكر" (٢) واحتجوا بحديث

ابن مسعود: "ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي" (٣).

فقلت: إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض، ولم يقع على القرآن.

١ - أخرجه البخاري ١ / ١٢٠، ١٢٥، وأخرجه مسلم (١٧)

٢ - أخرجه البخاري ٦ / ٢٠٥، ٢٠٧ في أول بدء الخلق، و ١٣ / ٣٤٥، ٣٤٧ في التوحيد:

٣ - ذكره السيوطي في "الدر المنثور" ١ / ٣٢٣،

فقال بعضهم: حديث خباب: " يا هنتاه، تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشئ أحب إليه من كلامه " (١)، فقلت: هكذا هو.

قال صالح: وجعل ابن أبي دواد ينظر إلي أبي كالمغضب.

قال أبي: وكان يتكلم هذا، فأرد عليه.

ويتكلم هذا، فأرد عليه، فإذا انقطع الرجل منهم، اعترض ابن أبي دواد، فيقول: يا أمير المؤمنين، هو،

والله، ضال مضل مبتدع ! فيقول: كلموه، ناظروه، فيكلمني هذا، فأرد عليه، ويكلمني هذا، فأرد عليه، فإذا انقطعوا، يقول المعتصم: ويحك يا أحمد، ما تقول ؟ فأقول: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله عرشه على الماء، عن عمران بن حصين، قال: دخلت على النبي، صلى الله عليه وسلم، وعقلت ناقتي بالباب، فإذا ناس من بني تميم، فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم.

قالوا: قد بشرتنا، فأعطنا مرتين.

ثم دخل عليه ناس من اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم.

قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض."

أو سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى أقول به.

فيقول أحمد بن أبي دواد: أنت لا تقول إلا ما في الكتاب أو السنة ؟ فقلت له: تأولت تأويلاً،

فأنت أعلم، وما تأولت ما يحبس عليه، ولا يقيد عليه

قال حنبل: قال أبو عبد الله: لقد احتجوا علي بشئ ما يقوى قلبي، ولا ينطلق لساني أن أحكيه.

١ - أخرجه الآجري في " الشريعة " ص: ٧٧، وسنده صحيح.

أنكروا الآثار، وما ظننتهم على هذا حتى سمعته، وجعلوا يرغون، يقول الخصم كذا وكذا، فاحتججت عليهم بالقرآن بقوله {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} [مريم: ٤٢] أفهذا منكر عندكم؟ فقالوا: شبه، يا أمير المؤمنين، شبه.

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: حدثني بعض أصحابنا أن أحمد ابن أبي دواد أقبل على أحمد يكلمه، فلم يلتفت إليه، حتي قال المعتصم: يا أحمد ألا تكلم أبا عبدالله؟ فقلت: لست أعرفه من أهل العلم فأكلمه!! قال صالح: وجعل ابن أبي دواد، يقول: يا أمير المؤمنين، والله لئن أجابك لهو أحب إلي من مئة ألف دينار، ومئة ألف دينار، فيعد من ذلك ما شاء الله أن يعد.

فقال: لئن أجابني لاطلقن عنه بيدي، ولا ركن إليه بجندي، ولا طأن عقبه.

ثم قال: يا أحمد، والله إني عليك لشفيق، وإني لأشفق عليك كشفقتي على ابني هارون، ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئا من كتاب الله وسنة رسوله.

فلما طال المجلس، ضجر وقال: قوموا، وحبسني، (يعني عنده) وعبد الرحمن بن إسحاق يكلمني.

وقال: ويحك! أجبني

وقال: ويحك! ألم تكن تأتينا؟ فقال له عبدالرحمن: يا أمير المؤمنين، أعرفه منذ ثلاثين سنة، يرى طاعتك والحج والجهاد معك.

فيقول: والله إنه لعالم، وإنه لفقيه.

وما يسوءني أن يكون معي يرد عني أهل الملل.

ثم قال: ما كنت تعرف صالحا الرشيدي؟ قلت: قد سمعت به قال: كان مؤدبي، وكان في ذلك الموضع جالسا، وأشار إلى ناحية من الدار.

فسألني عن القرآن، فخالفتني، فأمرت به فوطئ وسحب! يا أحمد، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج، حتى أطلق عنك بيدي.

قلت: أعطوني شيئا من كتاب الله وسنة رسوله.

فطال المجلس، وقام، ورددت إلى الموضع.

فلما كان بعد المغرب، وجه إلي رجلين من أصحاب ابن أبي دواد، يبيتان عندي وينظراني ويقيماني معي، حتى إذا كان وقت الإفطار، جيء بالطعام، ويجتهدان بي أن أفطر فلا أفعل -قلت: وكانت ليالي رمضان -قال: ووجه المعتصم إلي ابن أبي دواد في الليل، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول؟ فأرد عليه نحو مما كنت أرد.

لقد كتب اسمك في السبعة: يحيى بن معين وغيره فمحوته.

ولقد ساءني أخذهم إياك.

ثم يقول: إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس.

ويقول: إن أجابني، جنئت إليه حتى أطلق عنه بيدي، ثم انصرف.

فلما أصبحنا جاء رسوله، فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه، فقال لهم: ناظروه وكلموه، فجعلوا يناظروني، فأرد عليهم.

فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في الكتاب والسنة، قلت: ما أدري ما هذا.

قال: فيقولون: يا أمير المؤمنين، إذا توجهت (له) الحجة علينا، ثبت، وإذا كلمناه بشيء، يقول: لا أدري ما هذا؟ فقال: ناظروه.

فقال رجل: يا أحمد، أراك تذكر الحديث وتنتحله، فقلت: ما تقول في قوله: **{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي**

**أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ}** [النساء: ١١]؟ قال: خص الله بها المؤمنين.

قلت: ما تقول: إن كان قاتلاً أو عبداً؟

فسكت، وإنما احتججت عليهم بهذا، لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن.

فحيث قال لي: أراك تنتحل الحديث، احتججت بالقرآن، يعني: وإن السنة خصت القاتل والعبد، فأخرجتهما من العموم.

قال: فلم يزالوا كذلك إلى قرب الزوال.

فلما ضجر، قال: قوموا، ثم خلاصي، وبعيد الرحمن بن إسحاق، فلم يزل يكلمني، ثم قام ودخل.

وردت إلى الموضع .

قال: فلما كانت الليلة الثالثة، قلت: خليك أن يحدث غدا من أمري شيء فقلت للموكل بي: أريد خيطا فجاءني بخيط، فشددت به الاقياد، وردت التكة إلى سراويلي مخافة أن يحدث من أمري شيء، فأتعري.

فلما كان من الغد، أدخلت إلى الدار، فإذا هي غاصة، فجعلت أدخل من موضع إلى موضع، وقوم معهم السيوف، وقوم معهم السياط، وغير ذلك.

ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء.

فلما انتهيت إليه، قال: اقعد.

ثم قال: ناظروه، كلموه.

فجعلوا يناظروني، يتكلم هذا، فأرد عليه، ويتكلم هذا، فأرد عليه، وجعل صوتي يعلو أصواتهم.

فجعل بعض من هو قائم على رأسي يومئ إلي بيده، فلما طال المجلس، نحاني، ثم خلا بهم، ثم نحاهم، وردني إلى عنده، وقال: ويحك يا أحمد ! أجبني حتى أطلق عنك بيدي، فردت عليه نحو ردي.

فقال: عليك، وذكر اللعن، خذوه اسحبوه خلعهوه.

فسحبت وخلعت.

قال: وقد كان صار إلي شعر من شعر النبي، صلى الله عليه وسلم، في كم قميصي، فوجه إلي إسحاق بن إبراهيم، يقول: ما هذا المصروع؟

قلت: شعر من شعر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وسعى بعضهم ليخرق القميص عني، فقال المعتصم: لا تخرقوه، فنزع، فظننت أنه إنما درئ عن القميص الخرق بالشعر.

قال: وجلس (المعتصم) على كرسي، ثم قال: العقابين والسياط، فجئ بالعقابين، فمدت يداي، فقال بعض من حضر خلفي: خذ ناتئ الخشبتيين بيدك، وشد عليهما.

فلم أفهم ما قال، فتخلعت يداي.

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: ذكروا أن المعتصم ألان في أمر أحمد لما علق في العقابين، ورأى ثباته وتصميمه وصلابته، حتى أغراه أحمد بن أبي دواد، وقال: يا أمير المؤمنين، إن تركته، قيل: قد ترك مذهب المأمون، وسخط قوله، فهاجه ذلك على ضربه.

وقال صالح: قال أبي: ولما جيء بالسياط، نظر إليها المعتصم، فقال: اثتوني بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدم إلي الرجل منهم، فيضربني سوطين، فيقول له: شد، قطع الله يدك ! ثم يتنحى ويتقدم آخر، فيضربني سوطين، وهو يقول في كل ذلك: شد، قطع الله يدك ! فلما ضربت سبعة عشر سوطاً، قام إلي، يعني: المعتصم، فقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق، وجعل عجيف ينخسني بقائمة سيفه، وقال: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم ؟ وجعل بعضهم يقول: ويلك ! إمامك على رأسك قائم.

وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي، اقتله، وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين، أنت صائم، وأنت في الشمس قائم ! فقال لي: ويحك يا أحمد، ما تقول ؟ فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله أقول به.

فرجع وجلس.

وقال للجلاذ: تقدم، وأوجع، قطع الله يدك، ثم قام الثانية،

وجعل يقول: ويحك يا أحمد.

أجبني.

فجعلوا يقبلون علي، ويقولون: يا أحمد، إمامك على رأسك قائم ! وجعل عبدالرحمن يقول: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع ؟ والمعتصم يقول: أجبني إلى شيء (لك) فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي، ثم رجع، وقال للجلاذ: تقدم، فجعل يضربني سوطين ويتنحى، وهو في خلال ذلك يقول: شد، قطع الله يدك.

فذهب عقلي، ثم أفقت بعد، فإذا الأقياد قد أطلقت عني.

فقال لي رجل ممن حضر: كببناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك بارية (١) ودسناك ! (قال أبي): فما شعرت بذلك، وأتوني بسويق، وقالوا: اشرب وتقياً، فقلت: لا أفطر.

ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت الظهر، فتقدم ابن سماعة، فصلى.

فلما انقفل من صلاته، وقال لي: صليت، والدم يسيل في ثوبك ؟ قلت: قد صلى عمر، وجرحه يثعب دماً (٢).

قال صالح: ثم خلي عنه، فصار إلى منزله.

وكان مكثه (في السجن) منذ أخذ إلى أن ضرب وخلي عنه، ثمانية وعشرين شهراً.

وبه قال ابن أبي حاتم: حدثني أحمد بن سنان، قال: بلغني أن أحمد ابن حنبل، جعل المعتصم في حل يوم فتح (عاصمة) بابل (٣) وظفر به، أو في فتح عمورية، فقال: هو في حل من ضربي.

### وفاته - رضي الله عنه

<sup>١</sup> - بكسر الراء، وفتح الياء المشددة: الحصار المنسوج، وهي فارسية الاصل.

<sup>٢</sup> - أخرجه مالك في "الموطأ" رقم (٧٩):

<sup>٣</sup> - بابل الخرمي هو أحد المارقين عن الاسلام، أراد أن يقيم ملة المجوس في فارس بعد مقتل أبي مسلم الخراساني.

واليه تنتمي الحركة البابكية "الخرمية"، التي كان مركزها "البند"، وهي بلد في أذربيجان. ولم يقتصر بابل عليها، بل مد نفوذه إلى أذربيجان كلها وإلى همذان وأصفهان وبلاد الاكراد.

وعندما وصل المعتصم إلى عرش الخلافة ٢١٨ هـ، قرر أن يقطع دابرهم بكل الوسائل الممكنة، فخصص ميزانية كبيرة لحربه، وعين أكبر قواده وهو الافشين الذي كان عارفا بحرب الجبال.

ومع كل ذلك فإن "البند" عاصمة بابل لم تسقط بيد الافشين إلا في عام ٢٢٢ هـ، ولم يقع بابل في يده إلا في العام التالي، حيث حمل إلى سامراء، وأعدم فيها في اليوم الثاني من حمله إليها.

ويمكن تلخيص مبادئ البابكية الخرمية بأنها تقول بتناسخ الارواح، وأن الوحي لا ينقطع أبداً، ويعظمون أمر أبي مسلم الخراساني، ويقولون بإباحة النساء، وإباحة كل ما يستلذ النفس، وينزع إليه الطبع، كما رفضوا جميع الفروض الدينية، وتبركوا بالخمور والاشربة.

وقانا الله شر البدع والاهواء.

انظر بعض التفصيلات عن هذه الحركة في



قال المسعودي (١): وكانت وفاة أحمد بن حنبل في خلافة المتوكل بمدينة السلام، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين، ودُفن بباب حَرْب في الجانب الغربي، وصلى عليه محمد بن طاهر، وحضر جنازته خلقٌ من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع في جنازة مَنْ سلف قبله، وكان للعامّة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس وال ضد في الأمور: منها أن رجلاً منهم كان ينادي: العنوا الواقف عند الشبهات، وهذا بال ضد عما جاء عن صاحب الشريعة عليه السلام في ذلك، وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفاً بعد موقف أمام الجنازة وينادي بأعلى صوته:

وأظلمت الدنيا لفقد محمد ... وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك أن الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه الصلاة والسلام، وأنها أظلمت عند موت ابن حنبل، كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم.

### الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف رحمهم الله

**ترجمته رحمهم الله (٢)** يقول الإمام الذهبي - رحمه الله - الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف، الإمام العلامة الفقيه المحدث الثبت، قاضي القضاة بمصر، أبو عمرو، مولى زيان بن الأمير عبد العزيز بن مروان، الأموي المصري.

**مولده رحمهم الله:** مولده في سنة أربع وخمسين ومئة.

**رحلته العلمية رحمهم الله:** وإنما طلب العلم على كبر.

سأل الليث عن مسألة واحدة، وفاته ابن لهيعة ومالك والكبار.

<sup>١</sup> - مروج الذهب - (ج ٢ / ص ٨٢)

<sup>٢</sup> - سير أعلام النبلاء - (١٢ / ٥٤) الجرح والتعديل ٣ / ٩٠، تاريخ بغداد ٨ / ٢١٦، ٢١٨، طبقات الفقهاء للشيرازي: ١٣٠، وفيات الأعيان ٢ / ٥٦، ٥٧، تهذيب الكمال: ٢٢١، ٢٢٢، تهذيب التهذيب ١ / ١١٥ / ٢، تذكرة الحفاظ ٢ / ٥١٤، ٥١٥، العبر ١ / ٤٥٥، طبقات الشافعية للسبكي ٢ / ١١٣، ١١٤، تاريخ ابن كثير ١١ / ٧، الديباج المذهب ١ / ٣٣٩، ٣٤٠، تهذيب التهذيب ٢ / ١٥٦، ١٥٨، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٨٩ و ٣٣١، طبقات الحفاظ: ٢٢٤، خلاصة تهذيب الكمال: ٦٩، شذرات الذهب ٢ / ١٢١.

وحمل عن: سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وابن القاسم، وتفقه بهما، وعن يوسف بن عمرو الفارسي، وبشر بن عمر الزهراني، وأشهب، وغيرهم.

حدث عنه: أبو داود، والنسائي، وولده أحمد بن الحارث، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبو يعلى الموصلي، وعلي بن قديد، ومحمد ابن زيان بن حبيب، وأبو بكر بن أبي داود، وعبد الله بن محمد بن يونس السمناني، وآخرون.

**أقوال العلماء فيه و الثناء عليه ﷺ:** سئل عنه أحمد بن حنبل، فأثنى عليه، وقال فيه قولاً جميلاً.

وقال يحيى بن معين: لا بأس به (١).

ونقل علي بن الحسين بن حبان، عن أبيه قال: قال أبو زكريا، يعني ابن معين: الحارث بن مسكين خير من أصبغ.

وأفضل (٢).

**سجنه و محنته ﷺ:** قال الكندي: وكان أصحاب الأصم قد أشاروا عليه بامتحان الحارث في القرآن، عند قدوم الحارث من العراق فقال لهم: السلطان لم يمتحنه هناك، أنا أمتحنه، اسكتوا عن هذا.

وذلك إن ابن أبي دؤاد كان أوصاه به، لأن الحارث حضر جنازة له، فشكر ذلك له.

قال الأمير أبو نصر: حمل إلى بغداد للفتنة، فحبس بها إلى أن ولي المتوكل فأطلقه. وقال الخطيب مثله. وزعم أن الذي حمله المأمون، وفيه يقول سعد بن زيد:

لو تراه وأبا زيد معاً      وهما للدين حصن وعضد

يدرسون العلم في مسجدهم      وإذا جنَّهم الليل هجد

١ - "تاريخ بغداد" ٨ / ٢١٧، "تهذيب الكمال": ٢٢٢، و "طبقات الشافعية" للسبكي ٢ / ١١٤.

٢ - "تاريخ بغداد" ٨ / ٢١٧، و "تهذيب الكمال": ٢٢٢، وتتمته فيه: وأفضل من عبدالله بن صالح كاتب الليث. وكان أصبغ من أعلم خلق الله كلهم.

وإذا ما وردت مغلقة أسند للقوم إليهم ما ورد

نور الله بهم مسجده فهم للمسجد نور يتقد (١)

وقال أبو بكر الخطيب (٢): كان فقيها ثقة ثبتا، حمله المأمون إلى بغداد في المحنة، وسجنه، فلم يجب، فما زال محبوسا ببغداد إلى أن استخلف المتوكل، فأطلقه، فحدث ببغداد، ورجع إلى مصر متوليا قضاء مصر، ثم استعفى من القضاء في سنة خمس وأربعين ومئتين، فأعفي.

ومات في شهر ربيع الاول سنة خمسين ومئتين، وله ست وتسعون سنة.

**جراته و شجاعته ﷺ:** و يقول ابن فرحون: وكان فقيها ورعا زاهدا صدوق اللهجة وكان عدلا

في قضاؤه بمصر محمود السيرة وهدم مسجدا كان قد بناه خراساني بين القبور بناحية المقطب في الصحراء وكان يجتمع فيه للقراءة والقصص والتعبير.

وبمثل هذا أفتى يحيى بن عمر في كل مسجد بني نائبا عن القرية حيث لا يصلي فيه أهل القرية وإنما يصلي فيه من ينتابه وبذلك أفتى في مسجد السبت في القيروان وبمثلته أفتى أبو عمران في المسجد الذي بني في جبل فاس.

قال محمد بن عبد الحكم: قال لي بن أبي داود: لقد قام حارثكم مقام الأنبياء وكان بن أبي داود يحسن ذكره ويعظمه جدا ويكتب بالوصاة به. توفي الحارث سنة خمسين ومائتين وسنه خمس وتسعون سنة مولده سنة أربع وخمسين وقيل سنة ست وخمسين ومائة (٣).

يقول الذهبي: قلت: وكان، مع تقدمه في العلم والزهد والتأله، قوالا بالحق، من قضاة العدل، رحمه الله تعالى.

قال بحر بن نصر الخولاني: عرفنا الحارث بن مسكين أيام ابن وهب على طريقة زهادة وورع وصدق حتى مات.

١ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٢١١)

٢ - "تاريخ بغداد" ٨ / ٢١٦، وانظر "وفيات الاعيان" ٢ / ٥٦، و "تهذيب الكمال": ٢٢٢.

٣ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - (١ / ٥٩)

وقال يوسف بن يزيد القراطيسي: قدم المأمون مصر، وبها من يتظلم من عامليه: إبراهيم بن تميم، وأحمد بن أسباط.

فجلس الفضل ابن مروان الوزير في الجامع، واجتمع الأعيان، وأحضر الحارث بن مسكين ليولى القضاء، فبينما الفضل يكلمه إذ قال له متظلم: سلّه - أصلحك الله - عن ابن تميم وابن أسباط.

فقال: ليس لذا حضر، قال، أصلحك الله، سلّه.

قال: ما تقول فيهما؟ فقال: ظالمين غاشمين.

قال: فاضطرب المسجد، فقام الفضل، فأعلم المأمون، وقال: خفت على نفسي من ثورة الناس مع الحارث، فطلب الحارث، وقال: ما تقول في هذين؟

قال: ظالمين غاشمين.

قال: هل ظلماك بشيء؟

قال: لا.

قال: فعاملتهم؟

قال: لا.

قال: فكيف تشهد عليهما؟

قال: كما شهدت أنك أمير المؤمنين، ولم أراك إلا الساعة.

قال: أخرج من هذه البلاد، وبع قليلك وكثيرك، وحبسه في خيمة، ثم انحدر إلى البشرد (١)، وأخذه معه، فلما فتح البشرد طلب الحارث، وسأله عن المسألة التي سأله عنها بمصر، فرد الجواب بعينه.

قال: فما تقول في خروجنا؟

قال: أخبرني ابن القاسم، عن مالك، أن الرشيد كتب إليه يسأله عن قتالهم، فقال: إن كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم، وإن كانوا إنما شقوا العصا فقتالهم حلال.

<sup>١</sup> - بفتح الباء والشين المعجمة، وضم الراء المهملة، وسكون الواو، والدادل مهملة: كورة من كور بطن الريف بمصر

فقال: أنت تيس، ومالك أتييس منك، ارحل عن مصر.

قال: يا أمير المؤمنين، إلى الثغور؟ قال: بل بمدينة السلام.

وروى داود بن أبي صالح الحراني، عن أبيه، قال: لما أحضر الحارث مجلس المأمون، جعل المأمون يقول: يا ساعي، يرددها - يعني: يا مرافع - قال: والله ما أنا بساع، ولكني أحضرت، فسمعت وأطعت، ثم سئلت عن أمر، فاستعفيت ثلاثاً، فلم أعف، فكان الحق آثر عندي من غيره، فقال المأمون: هذا رجل أراد أن يرفع له علم ببلده، خذه إليك.

قال أحمد المؤدب: خرج المأمون، وأخرج الحارث في سنة سبع عشرة ومئتين، وخرجت زوجة الحارث، فحجت، وذهبت إلى العراق.

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: قال لي ابن أبي دواد: يا أبا عبد الله، لقد قام حارثكم لله مقام الأنبياء.

وكان ابن أبي دواد، إذا ذكره عظمه جداً.

قال أبو يزيد القراطيسي: فأقام الحارث ببغداد ست عشرة سنة،

وأطلقه الواثق في آخر أيامه، فرجع إلى مصر.

وقال ابن قديد: أتاها - يعني: الحارث - في سنة سبع وثلاثين كتاب توليه القضاء، وهو بالاسكندرية، فامتنع.

فلم يزل به إخوانه حتى قبل، فقدم مصر، فجلس للحكم، وأخرج أصحاب أبي حنيفة والشافعي من المسجد، وأمر بنزع حصرهم من العمد، وقطع عامة المؤذنين من الأذان، وأصلح سقف المسجد، وبنى السقاية، ولاعن بين رجل وامرأته، ومنع من النداء على الجنائز، وضرب الحد في سب عائشة أم المؤمنين، وقتل ساحرين.

عن الحسن بن عبد العزيز الجروي: أن رجلاً كان مسرفاً على نفسه، فمات، فرئي في النوم، فقال: إن الله غفر لي بحضور الحارث ابن مسكين جنازتي، وإنه استشفع لي، فشفع في.

توفي الحارث لثلاث بقين من ربيع الأول سنة خمسين ومئتين.

قرأت على ابن عساكر، عن أبي روح، أخبرنا تميم، أخبرنا أبو سعد، أخبرنا ابن حمدان، أخبرنا أبو يعلى، حدثنا الحارث بن مسكين، حدثنا ابن وهب، أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: " قال موسى: أنت آدم الذي نفخ الله فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك الاسماء كلها؟ قال: نعم.

قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال: من أنت؟ قال: أنا موسى.

قال: أنت موسى بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب، فلم يجعل بينك وبينه رسولا؟ قال: نعم.

قال: فتلومني على أمر قد سبق من الله القضاء قبلي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: فحج آدم موسى " (١). (٢)

<sup>١</sup> - إسناده حسن من أجل هشام بن سعد، وأخرجه أبو داود (٤٧٠٢) في السنة: باب في القدر من طريق أحمد بن صالح عن ابن وهب بهذا الاسناد، وفي الباب عن أبي هريرة عند مالك ٢ / ٨٩٨، والبخاري ١١ / ٤٤١، ومسلم (٢٦٥٢) كلاهما في القدر، والترمذي (٢١٣٥) وأبي داود (٤٧٠١).

<sup>٢</sup> - سير أعلام النبلاء - (١٢) / ٥٤-٥٨



### العلامة أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي رحمه الله - :

البويطي رحمه الله (١) الإمام العلامة، سيد الفقهاء، يوسف أبو يعقوب بن يحيى،

المصري البويطي، صاحب الإمام الشافعي، لازمه مدة، وتخرج به، وفاق الأقران.

وحدث عن: ابن وهب، والشافعي، وغيرهما.

### ثناء العلماء عليه - رحمه الله - :

روى عنه: الربيع المرادي، وإبراهيم الحربي، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، وأبو محمد الدارمي، وأبو

حاتم - وقال: هو صدوق (٢) - وأحمد بن إبراهيم بن فيل، والقاسم بن هاشم السمسار، وآخرون.

١ - سير أعلام النبلاء - (١٢ / ٥٨) الجرح والتعديل ٩ / ٢٣٥، الفهرست: ٢٦٥، ٢٦٦، طبقات الشافعية للعبادي: ٧، تاريخ بغداد ١٤، ٢٩٩، ٣٠٣، طبقات الفقهاء للشيرازي: ٧٩، الانساب، ورقة: ٩٥ / ب، الباب ١ / ١٨٩، وفيات الاعيان ٧ / ٦١، ٦٤، تهذيب الكمال: ١٥٦٢، ١٥٦٣، تهذيب التهذيب ٤ / ١٩٢، ١ / ٤١١، طبقات الشافعية للسبكي ٢ / ١٦٢، ١٧٠، طبقات الشافعية لالاسنوي: ٢٠٨، طبقات الشافعية لابن قاضي شهاب: ٤٥، تهذيب التهذيب ١١ / ٤٢٧، ٤٢٩، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٦٠، ٢٦١، حسن المحاضرة ١ / ١٢٣، خلاصة تهذيب الكمال: ٤٤٠، شذرات الذهب ٢ / ٧١، ٧٢. العبر في خبر من غير - (١ / ٧٧) ٢ - "الجرح والتعديل" ٩ / ٢٣٥.

وكان إماما في العلم، قدوة في العمل، زاهدا ربانيا، متهجدا، دائم الذكر والعكوف على الفقه.

بلغنا أن الشافعي قال: ليس في أصحابي أحد أعلم من البويطي.

قال ابن خزيمة: كان محمد بن عبدالله بن عبد الحكم أعلم من رأيت بمذهب مالك، فوقع بينه وبين البويطي عند موت الشافعي، فحدثني أبو جعفر السكري قال: تنازع ابن عبد الحكم والبويطي مجلس الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال الآخر كذلك.

فجاء الحميدي، وكان بمصر، فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف، ليس أحد من أصحابي أعلم منه.

فقال ابن عبد الحكم: كذبت.

قال: بل كذبت أنت وأبوك وأمك.

وغضب ابن عبد الحكم.

فجلس البويطي في مكان الشافعي، وجلس ابن عبد الحكم في الطاق الثالث<sup>(١)</sup>.

قال أبو جعفر الترمذي: فحدثني الثقة، عن البويطي، أنه قال: برئ الناس من دمي إلا ثلاثة: حرمة والمزني وآخر.

قلت: استفق، ويحك، وسل ربك العافية، فكلام الأقران بعضهم في بعض أمر عجيب، وقع فيه سادة، فرحم الله الجميع.

وقال أبو سعيد بن يونس كان من اصحاب الشافعي وكان متقشفا حمل من مصر ايام المحنة بالقرآن إلى العراق فأرادوه على الفتنة فامتنع فسجن ببغداد إلى أن<sup>(٢)</sup>

وقال ابن عبد البر كان من أهل الدين والعلم والفهم والثقة صلبا في السنة فيرد على أهل البدع وكان حسن النظر

<sup>١</sup> - "تاريخ بغداد" ١٤ / ٣٠١، ونقله عنه ابن خلكان في "وفيات الاعيان" ٧ / ٦٣.

وهو في "طبقات الشافعية" للسبكي ٢ / ١٦، وسيرد الخبر في الصفحة: ٤٩٩.

<sup>٢</sup> - تهذيب التهذيب - (١١ / ٣٧٦)



## محنته - رضي الله عنه

وقال الربيع بن سليمان: كان البويطي أبدا يحرك شفثيه بذكر الله، وما أبصرت أحدا أنزع (١) بحجة من كتاب الله من البويطي.

ولقد رأيته على بغل في عنقه غل، وفي رجله قيد، وبينه وبين الغل سلسلة فيها لبنة وزنها أربعون رطلا، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق ب " كن "، فإذا كانت مخلوقة، فكأن مخلوقا خلق بمخلوق. ولئن أدخلت عليه لأصدقته.

يعني: الواثق، ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم (٢).

حدثنا الربيع بن سليمان قال: رأيت البويطي على بغل، وفي عنقه غل، وفي رجله قيد، وبين الغل والقيد سلسلة حديد، وفيها طوبة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق بكن، فإذا كانت كن مخلوقة، فكان مخلوقاً خلق مخلوقاً، فوالله لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، ولئن أدخلت إليه لأصدقته - يعني الواثق - قال الربيع: وكتب إلي من السجن يقول: إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقك، واستوص بالغرباء خاصة خيراً، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رحمه الله يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولا تكرم النفس التي لا تهينها (٣)

وقال الخطيب كان صالحاً متعبداً زاهداً وقال محمد بن بشر الزبيري سمعت الربيع يقول كنا عند الشافعي فقال للبويطي أنت تموت في الحديد فذكر الحكاية.

قال الربيع فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيتته مقيدا إلى أنصاف ساقيه مغلولة يداه إلى عنقه.

١ - وفيات الاعيان " ٧ / ٦٣، و " تهذيب الكمال " : ١٥٦٣، و " طبقات الشافعية " للسبكي ١٦٤ / ٢.

٢ - تاريخ بغداد " ١٤ / ٣٠٢، و " وفيات الاعيان " ٧ / ٦٢، و " طبقات السبكي " ١٦٤ / ٢.

٣ - المنتظم - (٣ / ٣٥٨)

قلت: وقال الساجي كان أبو يعقوب إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجنان ارجع فيقول اللهم انك تعلم أنني أجبت داعيك فمنعوني وقال الشافعي ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف ابن يحيى وليس أحد من أصحابي أعلم منه

مات ببغداد في السجن والقيد في رجله، وكان حمل من مصر في فتنة القرآن فأبى أن يقول بخلقه فسجن وقيد حتى مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين..<sup>(١)</sup>

عن الربيع بن سليمان قال: كان البويطي حين مرض الشافعي بمصر هو، وابن عبد الحكم، والمزني، فاختلفوا في الحلقة أيهم يقعد فيها؟ فبلغ الشافعي فقال: الحلقة للبويطي فلهذا اعتزل ابن عبد الحكم وأصحابه. وكانت أعظم حلقة في المسجد، والناس إليه في الفتيا والسلطان إليه. فكان أبو يعقوب البويطي يصوم ويقرأ القرآن، ولا يكاد يمر يوم وليلة إلا وختم. مع صنائع المعروف إلى الناس. قال: فسعى به، وكان أبو بكر الأصم من سعى به، ليس هو بابن كيسان الأصم. وكان أصحاب ابن أبي دؤاد وابن الشافعي ممن سعى به، حتى كتب فيه ابن أبي دؤاد إلى والي مصر، فامتحنه، فلم يجب. وكان الوالي حسن الرأي فيه. فقال: قل فيما بيني وبينك. قال إنه يفتدى بي مائة ألف، ولا يدرون المعنى. قال: وكان قد أمر أن يحمل إلى بغداد في أربعين رطل حديد.؟ قال الربيع: وكان المزني ممن سعى به، وحرمة.

قلت: ولما توفي الشافعي جلس في حلقة بعده أبو يعقوب البويطي، ثم إنه حمل في أيام المحنة إلى العراق مقيداً، فسجن إلى أن مات في سنة إحدى وثلاثين ومائتين في رجب، رضي الله عنه.

قال أبو عمرو المستملي: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي، فقرأ علينا كتاب البويطي إليه، وإذا فيه: والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث، لعل الله يخلصني بدعائهم، فإني والحديد، وقد عجزت عن أداء الفرائض الطهارة والصلاة. فضج الناس بالبكاء والدعاء له. <sup>(٢)</sup>

<sup>١</sup> - المصدر السابق و مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - (١ / ٢٥٢) وطبقات الفقهاء - (١ / ٩٨) وطبقات الفقهاء - (١ / ٩٨)

(٩٨ /

<sup>٢</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (٤ / ٣٤٨)



### عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله

**ترجمة رحمه الله** أبو عثمان أكبر بني عبد الله بن عبد الحكم وهم: عبد الحكم هذا وعبد الرحمن وسعد ومحمد ولم يكن فيهم أفقه من عبد الحكم ولا أجود خطأً. وكان خيراً فاضلاً له سماع كثير من أبيه وابن وهب وغيرهما من رواة مالك وكان من أكابر أصحاب بن وهب ولم يكن في أصحاب بن وهب أتقن منه ولا أجود خطأً.

حدث عنه الرمادي وتوفي بمصر في سجن يزيد التركي وعذابه سنة تسع وثلاثين ومائتين وقيل: إن موت عبد الحكم إنما كان بسبب المحنة في القرآن وأنه دخن عليه بالكبريت حتى مات وأنه لم يرجع فضرب نحو ثلاثين سوطاً في غلالة رحمه الله تعالى ورضي عنه<sup>(١)</sup>

ويقال إن بني عبد الحكم ألزموا في نوبة ابن الجروي بأكثر من ألف ألف دينار، ثم بعد مدة ورد كتاب المتوكل بإخراج من بقي منهم في السجن، ورد أموالهم إليهم وسجن القاضي الأصم الذي تعصب عليه وحلقت لحيته وضرب بالسياط وطيف به على حمار. وكانت وفاة عبد الحكم في حدود الأربعين ومائتين.<sup>(٢)</sup>

<sup>١</sup> - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - (١ / ٢٢٠)

<sup>٢</sup> - الوافي بالوفيات - (٦ / ٤٨)

قال ابن حارث: وكانوا بمصر أربعة إخوة فقهاء علماء. بنو عبد الله بن عبد الحكم. فأما عبد الحكم بن عبد الله، أبو عثمان، فكان أكبر بني عبد الله. قال ابن أبي دليم، وابن حارث، ولم يكن فيهم أفقه منه ولا أجود حظاً، وكان خيراً، فاضلاً. له سماع كثير من أبيه، وابن وهب، وغيرهما من رواة مالك. وكان من أكابر أصحاب ابن وهب. قال الكندي: كان فقيهاً. قال أبو الطاهر: لم يكن في أصحاب ابن وهب أتقى منه، ولا أجود حظاً. حدث عنه الزيايدي. وتوفي بمصر، في سجن يزيد التركي وعذابه سنة سبع وثلاثين ومائتين.

قال زكريا بن يحيى بن عبد الحكم. شهدت يحيى بن عبد الله بن عبد الحكم، ابن عبد الحكم. فقال لي أبوه: يحضر طعام ابن أخيك. فأتى بثريدة فأكلنا. ثم أتى بجفنة بطيخ، وكان ابن عبد الحكم هو الذي يخدمنا، ويوصينا. وكذلك كان طعامه للناس. ووجه الى المسلمين الذين حوله، في صلاة المغرب لكل مسجد ثريدة وجفنة بطيخ.

### خبر محنته-رحمه الله:-

كان القاضي نصر ابن أبي الليث الأصم، وكان معتزلياً. وقد امتحن بني عبد الحكم مع سائر الفقهاء، وأهل الفضل في القرآن، كما قدمنا. ثم وردت على الأصم كتب من العراق، في استخراج مال الجروي. من عند بني عبد الله بن عبد الحكم وغيرهم. فشهد جماعة بذلك، وشهد بنو عبد الحكم وآخرون: أن الجروي إبراهيم فتحامل عليهم ابن أبي الليث، وحكم على بني عبد الحكم بألف ألف دينار، وأربعمائة ألف، وأربعة آلاف دينار وحكم على زكريا بن يحيى كاتب العمري، بثمانية آلاف. وألزمهم المال، ودفع القصة إلى يزيد التركي، الموجه في الحال من قبل المتوكل. فألزم المال بني عبد الحكم، وشد عليهم، وسجنهم. فعذب عبد الحكم بن عبد الله حتى مات في عذابه، لأربع بقين من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين. واستصفيت أموال بني الحكم وأصحابهم، ونهبت منازلهم، وملئت السجون من الناس، الى أن ورد كتاب المتوكل بإخراجهم من السجن، ورد أموالهم إليهم، وسجن الأصم القاضي، وقد كان ورد قبل هذا كتابه بسجنه، وسجن أصحابه، واستصفاء أموالهم، ولعنه على المنبر، فلعن. ولعنته الأمة على إثر ذلك. ثم أخرج من السجن، لينظر في أمر بني عبد الحكم، فوضع يده على بيت المال، فبذره. وذلك نحو مائة ألف وعشرين ألفاً. ودفعوا الى كل واحد منهم من الذين سجنوا معه العشرة الآلاف ونحوها، فأمر المتوكل بسجنه، وأمر بحلق رأسه ولحيته، وضربه بالسوط. وحمله على

حمار بأكافٍ، وتطويقه بالفسطاط، ففعل ذلك كله به. وحكى ذلك أبو عمر الكندي، في كتاب الموالي، وفي كتاب القضاة. وذكر غيره، أن موت عبد الحكم إنما كان بسبب المحنة في القرآن، وأنه دُخِّنَ عليه بالكبريت حتى مات. وقال المالكي: سجنه الأصم وابن أبي الجواد فلم يرجع. فضرب في مسجد مصر أقل من ثلاثين سوطاً في خلافته. (١)

### نعيم بن حماد بن معاوية رحمهم الله

**ترجمته رحمهم الله** (٢) نعيم بن حماد بن معاوية ابن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام العلامة الحافظ، أبو عبد الله الخزاعي المروزي الغرضي الأعور، صاحب التصانيف.

**منزلته رحمهم الله**: وروى الميموني عن أحمد قال: أول من عرفناه يكتب المسند نعيم ابن حماد.

قال أبو بكر الخطيب: يقال: إن أول من جمع المسند، وصنفه نعيم (٣).

وقال أحمد: كان نعيم كاتباً لابي عصمة - يعني نوحاً - وكان شديد الرد على الجهمية، وأهل الأهواء، ومنه تعلم نعيم (٤)

١ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ٢٦٣)

٢ - سير أعلام النبلاء - (١٠ / ٥٩٥) طبقات ابن سعد ٧ / ٥١٩، التاريخ الكبير ٨ / ١٠٠، الجرح والتعديل ٨ / ٤٦٢، الكامل لابن عدي لوحة ٨٠٦، تاريخ بغداد ١٣ / ٣٠٦، ٣١٤، الجمع بين رجال الصحيحين ٢ / ٥٣٤، المعجم المشتمل: ٣٠٢، تهذيب الكمال لوحة ١٤١٨، تهذيب التهذيب ٤ / ١٠١ / ٢، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤١٨، ميزان الاعتدال ٤ / ٢٦٧ - ٢٧٠، الكاشف ٣ / ٢٠٧، العبر ١ / ٤٠٥، دول الإسلام ١ / ١٣٨، تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٥٨، مقدمة فتح الباري: ٤٤٧، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٥٧، طبقات الحفاظ: ١٨٠، ١٨١، حسن المحاضرة ١ / ٣٤٧، خلاصة تهذيب الكمال: ٤٠٣، شذرات الذهب ٢ / ٦٧، الرسالة المستطرفة: ٤٩.

٣ - تاريخ بغداد " ١٣ / ٣٠٦.

٤ - تاريخ بغداد " ١٣ / ٣٠٧، و " تهذيب الكمال " لوحة ١٤١٩

قال صالح بن مسمار: سمعت نعيم بن حماد يقول: أنا كنت جهميا، فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث، عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل<sup>(١)</sup>

يوسف بن عبد الله الخوارزمي: سألت أحمد بن حنبل عن نعيم بن حماد، فقال: لقد كان من الثقات<sup>(٢)</sup>

عن أحمد بن ثابت أبو يحيى، سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان: نعيم بن حماد معروف بالطلب، ثم ذمه يحيى وقال: يروي عن غير الثقات<sup>(٣)</sup>

إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد: سمعت يحيى بن معين - وسئل عن نعيم - فقال: ثقة.

قال أحمد العجلي: نعيم بن حماد ثقة مروزي<sup>(٤)</sup>

وقال أبو زرعة الدمشقي: يصل أحاديث يوقفها الناس<sup>(٥)</sup>

وقال أبو حاتم: محله الصدق<sup>(٦)</sup>

### محنته ﷺ :

قال أحمد بن محمد بن سهل الخالدي: سمعت أبا بكر الطرسوسي يقول: أخذ نعيم بن حماد في أيام المحنة سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومئتين، وألقوه في السجن، ومات في سنة تسع وعشرين ومئتين، وأوصى أن يدفن في قيوده، وقال: إني مخاصم<sup>(٧)</sup>.

<sup>١</sup> - "تاريخ بغداد" ١٣ / ٣٠٧، و "تهذيب الكمال" لوحة ١٤١٩

<sup>٢</sup> - "تهذيب الكمال" لوحة ١٤١٩.

<sup>٣</sup> - "الكامل" لابن عدي: ٤ / لوحة ٨٠٦.

<sup>٤</sup> - "تهذيب الكمال" لوحة ١٤١٩.

<sup>٥</sup> - "تاريخ بغداد" ١٣ / ٣١٣.

<sup>٦</sup> - "تهذيب الكمال" لوحة ١٤١٩.

<sup>٧</sup> - "تاريخ بغداد" ١٣ / ٣١٣، و "تهذيب الكمال" لوحة ١٤٢٠.

أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن المعدل سنة ثلاث وتسعين وست مئة، أخبرنا الإمام أبو عن محمد بن إسماعيل الترمذي، سمعت نعيم بن حماد يقول: من شبه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه، فقد كفر، وليس [ في ] ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهه.

قلت: هذا الكلام حق، نعوذ بالله من التشبيه ومن إنكار أحاديث الصفات، فما ينكر الثابت منها من فقه، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان: تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب، فما أولها السلف ولا حرفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمروها كما جاءت.

المقام الثاني: المبالغة في إثباتها، وتصورها من جنس صفات البشر، وتشكلها في الذهن، فهذا جهل وضلال، وإنما الصفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف عز وجل لم نره، ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيهه: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ}** [الشورى: ١١] فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية الباري، تعالى الله عن ذلك، فكذلك صفاته

المقدسة، نقر بها ونعتقد أنها حق، ولا نمثلها أصلاً ولا نتشكلها.

قال محمد بن مخلد العطار: حدثنا الرمادي، سألت نعيم بن حماد عن قوله تعالى **{وَهُوَ مَعَكُمْ}** [الحديد: ٤]، قال: معناه أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه، ألا ترى قوله **{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ}** [المجادلة: ٧]

قال محمد بن سعد: طلب نعيم الحديث كثيراً بالعراق والحجاز، ثم نزل مصر، فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق - يعني المعتصم - فسئل عن القرآن، فأبى أن يجيب فيه بشيء مما أرادوه عليه، فحبس بسامراء، فلم يزل محبوساً بها حتى مات في السجن سنة ثمان وعشرين ومئتين (١).

وكذاك أرخ مطين، وأبو سعيد بن يونس، وابن حبان.

وقال العباس بن مصعب: سنة تسع.

قال ابن يونس: حمل فامتنع أن يجيبهم، فسجن، فمات ببغداد غداة يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى، وكان يفهم الحديث، وروى مناكير عن الثقات (١).

قلت: وقال أبو القاسم البغوي، وإبراهيم بن عرفة نفطويه، وابن عدي: مات سنة تسع وعشرين (١). زاد نفطويه: وكان مقيدا محبوبا لامتناعه من القول بخلق القرآن، فجر بأقياده، فألقي في حفرة، ولم يكفن، ولم يصل عليه.

فعل به ذلك صاحب ابن أبي دواد (٢).

قال نعيم بن حماد: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي: أنت الذي تقطع حديثي؟ قال: قلت: يا رسول الله إنه يبلغنا عنك الحديث فيه ذكر الصلاة وذكر الصيام وذكر الزكاة، فيجعل ذا في ذا، وذا في ذا، قال: فنعم إذاً.

قال أحمد أظنه ابن حنبل قال لي نعيم: وضعت ثلاثة كتب على الجهمية، اكتبها. قلت: لا، قال: لم؟

قلت: أخاف أن يقع في قلبي منها شيء، قال: تركها والله خير لك، قلت: فلم تدعوني إلى شيء تركه أحب إلي؟

فأبيت أن أكتبها.

ولما حمل نعيم بن حماد المحنة كبل بالحديد، وحبس، فاجتمع القوم يقولون: من يناظره؟

فاتفقوا على ابن عوف، وكان متكلمهم.

فأتاه ابن عوف وأصحابه إلى السجن، فأخرج نعيم، فقال له ابن عوف: أقول أو تقول؟

قال: أقول.

قال: قل. قال: أخبرني عن هذه المقالة التي دعوتهم الناس إليها، هو رأيك؟

١ - تاريخ بغداد " ١٣ / ٣١٤.

٢ - تاريخ بغداد " ١٣ / ٣١٤، وصاحب ابن أبي دواد هو المعتصم.



قال: نعم، قال: ورأيي الخليفة؟

قال: نعم، قال: فإن رجع الخليفة ترجع أنت عنها؟

قال: نعم، قال: قم، فإنك بلا دين، دينك دين الملك فتفرقوا عنه، وأقبل أصحابه عليه، فقالوا: فضحتنا، قطعك بكلمة واحدة.

ولما مات في الحبس ممتنعاً من القول بخلق القرآن جر بأقياده، فألقي في حفرة، ولم يكفن، ولم يصل عليه، فعل ذلك به صاحب ابن أبي دؤاد.



### أبو مسهر عبد الأعلى رحمته الله

ترجمته أبو مسهر رحمته الله (١) عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسهر، الإمام، شيخ الشام، أبو مسهر بن أبي ذرامة الغساني الدمشقي الفقيه.

مولده رحمته الله مولده سنة أربعين ومئة.

١ - سير أعلام النبلاء - (ج ١٠ / ص ٢٢٨) طبقات ابن سعد ٧ / ٤٧٣، تاريخ ابن معين: ٣٣٩، التاريخ الكبير ٦ / ٧٣، التاريخ الصغير ٢ / ٣٣٩، الجرح والتعديل ٦ / ٢٩، تاريخ بغداد ١١ / ٧٢ - ٧٥، ترتيب المدارك ٢ / ٤١٦ - ٤١٩، مناقب الامام أحمد: ٤٨٦ - ٤٨٧، تهذيب الكمال لوحة ٧٦١، تهذيب التهذيب ٢ / ١٩٨، ١ / ٢، العبر ١ / ٣٧٤، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٨١، الكاشف ٢ / ١٤٧، عيون التواريخ ٧ / لوحة ٣١٤، طبقات القراء لابن الجزري ١ / ٣٥٥، تهذيب التهذيب ٦ / ٩٨، طبقات الحفاظ: ١٦٣، خلاصة تهذيب الكمال: ٢٢١، شذرات الذهب ٢ / ٤٤.

**رحلته العلمية رحمته الله:** قرأ القرآن على أيوب بن تميم، وصدقة بن خالد، وسويد بن عبد العزيز عن تلاوتهم على يحيى الذماري.

وقرأ القرآن أيضا على سعيد بن عبد العزيز، ولأزمه، وسمع منه، ومن عبد الله بن العلاء بن زبر، وسعيد بن بشير، ومعاوية بن سلام،

ومالك بن أنس، ويحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر، ويحيى بن حمزة

القاضي، وإسماعيل بن عياش، ومحمد بن مهاجر، وإسماعيل بن عبد الله بن سماعة، وخالد بن يزيد المري، وعدة، وأخذ بمكة عن ابن عيينة، وأخذ حرف نافع بن أبي نعيم، عنه، وكان من أوعية العلم. قال دحيم: ولد في صفر سنة أربعين ومئة (١).

قال أبو زرعة عن أبي مسهر: ولد لي ولد والأوزاعي حي، وجالست سعيد بن عبد العزيز ثنتي عشرة سنة، وما كان أحد من أصحابي أحفظ لحديثه مني، غير أبي نسيب (٢).

### محنته — رحمه الله—

قال ابن سعد: كان أبو مسهر راوية سعيد بن عبد العزيز، وكان أشخص من دمشق إلى المأمون بالرقعة، فسأله عن القرآن، فقال: هو كلام الله، وأبى أن يقول: مخلوق، فدعا له بالنطع والسيف ليضرب عنقه، فلما رأى ذلك، قال: مخلوق.

فتركه من القتل، وقال: أما إنك لو قلت ذاك قبل السيف، لقبيلت منك، ولكنك تخرج الآن، فتقول: قلت ذاك فرقا من القتل، فأمر بحبسه ببغداد في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة، ومات بعد قليل في الحبس في غرة رجب من السنة، فشاهده قوم كثير من أهل بغداد (٣).

وسمعت أبا مسهر يقول: كتب إلي أحمد بن حنبل لأكتب إليه بحديث أم حبيبة في مس الفرج (٤).

<sup>١</sup> - تاريخ بغداد " ١١ / ٧٢

<sup>٢</sup> - تاريخ دمشق " لابي زرعة ١ / ٥٨٠، ٥٨١، و " تاريخ بغداد " ١١ / ٧٢

<sup>٣</sup> - " طبقات ابن سعد " ٧ / ٤٧٣، و " مناقب الإمام أحمد " لابن الجوزي ص ٤٨٦، ٤٨٧، و " تهذيب الكمال " لوعة ٧٦٢، و "

تهذيب التهذيب " ٦ / ١٠٠

<sup>٤</sup> - " تاريخ دمشق " لابي زرعة ١ / ٣٩٦ و " تاريخ بغداد " ١١ / ٧٣

قال أبو إسحاق الجوزجاني: سمعت يحيى بن معين يقول: الذي يحدث ببلد به [ من هو ] أولى بالتحديث منه أحمق، وإذا رأيتني أحدث ببلد فيها مثل أبي مسهر فينبغي للحيتي أن تحلق (١).

### ثناء العلماء عليه - رحمه الله -

عن محمد بن عائذ، عن ابن معين قال: منذ خرجت من الانبار إلى أن رجعت ما رأيت مثل أبي مسهر (٢).

قال أبو حاتم: حدثنا أحمد بن أبي الحواري، سمعت ابن معين، يقول: ما رأيت منذ خرجت من بلاد أحد أشبه بالمشيخة الذين أدركتهم من أبي مسهر (٣).

قال فياض بن زهير: سمعت يحيى بن معين يقول: كل من ثبت أبو مسهر من الشاميين فهو مثبت (٤).

قال أبو زرعة الدمشقي: قال لي أحمد بن حنبل: عندكم ثلاثة أصحاب حديث: الوليد، ومروان بن محمد، وأبو مسهر (٥).

قال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا مسهر، ما كان أثبتته، وجعل يطريه (٦).

قال أبو زرعة: رأيت أبا مسهر يحضر الجامع بأحسن هيئة في البياض والساج والخف، ويعتم على طويلة بعمامة سوداء عدنية (٧).

قال محمد بن عوف الطائي: سمعت أبا مسهر يقول: قال لي سعيد ابن عبد العزيز: ما شبهتك في الحفظ إلا بجذك أبي ذرمة، ما كان يسمع شيئاً إلا حفظه (٨).

١ - " تاريخ بغداد " ١١ / ٧٤، و " تهذيب الكمال " لوحة ٧٦١، و " الجرح والتعديل " ٦ / ٢٩.

٢ - تهذيب الكمال " لوحة ٧٦٢.

٣ - " الجرح والتعديل " ٦ / ٢٩.

٤ - تهذيب الكمال " لوحة ٧٦٢.

٥ - " تاريخ دمشق لابي زرعة ١ / ٣٨٤، و " تاريخ بغداد " ١١ / ٧٣.

٦ - " تاريخ بغداد " ١١ / ٧٣، و " تهذيب الكمال " لوحة ٧٦١.

٧ - الجرح والتعديل " ٦ / ٢٩.

٨ - تهذيب الكمال " لوحة ٧٦٢.

قال أبو حاتم الرازي: ما رأيت أحدا أعظم قدرا من أبي مسهر، كنت أراه إذا خرج إلى المسجد، اصطف الناس يسلمون عليه، ويقبلون يده (١).

### جراته و شجاعته و محنته — رحمه الله—

وكان لأبي مسهر حلقة في الجامع بين العشاءين عند حائط الشرقي، فبينما هو ليلة، إذ قد دخل الجامع ضوء عظيم، فقال أبو مسهر: ما هذا ؟

قالوا: النار التي تدلى من الجبل لأمر المؤمنين حتى تضئ له الغوطة.

فقال: { أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩].

وكان في الحلقة صاحب خبر للمأمون، فرفع ذلك إلى المأمون، فحقدها عليه، وكان قد بلغه أيضا أنه كان على قضاء أبي العميطة.

فلما رحل المأمون، أمر بحمل أبي مسهر إليه، فامتحنه بالرقعة في القرآن.

قلت: قد كان المأمون بأسا وبلاء على الإسلام.

قال أبو محمد، سمعت أصبغ — وكان مع أبي مسهر هو وابن أبي النجا خرجا معه يخدمانه — فحدثني أصبغ أن أبا مسهر دخل على المأمون بالرقعة، وقد ضرب رقبة رجل وهو مطروح، فأوقف أبا مسهر في الحال، فامتحنه، فلم يجبه، فأمر به، فوضع في النطع ليضرب عنقه، فأجاب إلى خلق القرآن، فأخرج من النطع، فرجع عن قوله، فأعيد إلى النطع، فأجاب، فأمر به أن يوجه إلى العراق، ولم يثق بقوله، فما حذر، وأقام عند إسحاق بن إبراهيم — يعني نائب بغداد — أياما لا تبلغ مئة يوم، ومات رحمه الله (٢).

عن عبد الرحمن، عن رجل يكنى أبا بكر: أن أبا مسهر أقيم ببغداد ليقول قولاً يبرئ فيه نفسه من المحنة، ويوقى المكروه، فبلغني أنه قال في ذلك الموقف: جزى الله أمير المؤمنين خيرا، علمنا ما لم

١ - الجرح والتعديل " ٦ / ٢٩

٢ - تاريخ بغداد " ١١ / ٧٢، ٧٣.

نكن نعم، وعلم علما ما علمه من كان قبله، وقال: قل: القرآن مخلوق وإلا ضربت عنقك، ألا فهو مخلوق.

قال: فأرجو أن يكون له في هذا المقالة نجاة.

قال إسحاق بن إبراهيم: لما صار المأمون إلى دمشق ذكروا له أبا مسهر، ووصفوه بالعلم والفقه، فأحضره، فقال: ما تقول في القرآن؟ قال: كما قال الله تعالى **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى**

**يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}** [التوبة: ٦] فقال: أمخلوق هو أو غير مخلوق؟ قال: ما يقول أمير

المؤمنين؟ قال: مخلوق، قال: يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو التابعين؟ قال: بالنظر، واحتج عليه.

فقال: يا أمير المؤمنين نحن مع الجمهور الاعظم أقول بقولهم، والقرآن كلام الله غير مخلوق.

قال: يا شيخ أخبرني عن النبي صلى الله عليه وسلم هل اختتن؟ قال: ما سمعت في هذا شيئاً.

قال: فأخبرني عنه أكان يشهد إذا زوج أو تزوج؟ قال: ولا أدري.

قال: اخرج قبحك الله، وقبح من قللك دينه، وجعلك قدوة (١).

وقيل: عاش أبو مسهر تسعا وسبعين سنة.

قال الذهلي: سمعت أبا مسهر ينشد: ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له \* من الله في دار المقام نصيب

فإن تعجب الدنيا رجالاً فإنه \* متاع قليل والزوال قريب قال أبو حسان الزياتي، وغيره: مات أبو

مسهر في رجب سنة ثمان عشرة ومئتين. (٢)

قلت: حديثه في الكتب الستة. (٣)

١ - ترتيب المدارك " ٢ / ٤١٨ ، ٤١٩ .

٢ - " تاريخ بغداد " ١١ / ٧٥ .

٣ - سير أعلام النبلاء - ( ج ١٠ / ص ٢٢٨-٢٣٧ )



### أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي رحمه الله

ترجمته — (١) رحمه الله — الإمام الكبير الشهيد، أبو عبد الله، أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي المروزي ثم البغدادي.

### منزلته وثناء العلماء عليه رحمه الله:

كان جده أحد نقباء الدولة العباسية، وكان أحمد أمارا بالمرحوم، قولا بالحق.

سمع من: مالك، وحماد بن زيد، وهشيم، وابن عيينة.

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ١١ / ص ١٦٦) المحبر: ٤٩٠، التاريخ الصغير ٢ / ٣٦١، تاريخ الطبري ٩ / ١٣٥، ١٣٩، و ١٩٠، الجرح والتعديل ٢ / ٧٩، تاريخ بغداد ٥ / ١٧٣، ١٧٦، طبقات الحنابلة ١ / ٨٠، ٨٢، الأنساب ٥ / ١١٦، ١١٧، الكامل في التاريخ ٧ / ٢٠، ٢٣، تهذيب الكمال ورقة: ٤٥، ٤٦، العبر ١ / ٤٠٨، تهذيب التهذيب ١ / ٢٨، ٢٩، الوافي بالوفيات ٨ / ٢١١، ٢١٢، طبقات الشافعية ٢ / ٥١ وما بعدها، البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٣، ٣٠٧، تهذيب التهذيب ١ / ٧٨، خلاصة تهذيب الكمال: ١٣، شذرات الذهب ٢ / ٦٩.

وروى قليلا.

حدث عنه: عبد الله بن الدورقي، ومحمد بن يوسف بن الطباع، ومعاوية بن صالح الاشعري، وآخرون قال ابن الجنيد: سمعت يحيى بن معين يترحم عليه، وقال: ختم الله له بالشهادة، قد كتبت عنه، وكان عنده مصنفات هشيم كلها، وعن مالك أحاديث.

وكان يقول عن الخليفة: ما دخل عليه من صدقه.

ثم قال يحيى: ما كان يحدث، ويقول: لست هناك.)<sup>(١)</sup>

يقول الخطيب البغدادي قلت وكان أحمد بن نصر من أهل الفضل والعلم مشهوراً بالخير أماراً بالمعروف قوالاً بالحق

### محنته ﷺ:

يقول الذهبي — رحمه الله — قال الصولي: كان هو وسهل بن سلامة حين كان المأمون بخراسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قدم المأمون فبايعه سهل، ولزم ابن نصر بيته، ثم تحرك في آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلق يأمرن بالمعروف.

قال: إلى أن ملكوا بغداد، وتعدى رجالان موسران من أصحابه، فبذلا مالا، وعزما على الوثوب في سنة إحدى وثلاثين، فتم الخبر إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم، فأخذ أحمد وصاحبيه وجماعة، ووجد في منزل أحدهما أعلاما، وضرب خادما لأحمد، فأقر بأن هؤلاء كانوا يأتون أحمد ليلا، ويخبرونه بما عملوا.

فحملوا إلى سامراء مقيدتين، فجلس الواثق لهم، وقال لأحمد: دع ما أخذت له، ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله.

قال: أفمخلوق هو؟

قال: كلام الله.

قال: فترى ربك في القيامة؟

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ١١ / ص ١٦٦)

قال : كذا جاءت الرواية .

قال : ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم ، ويحويه مكان ويحصره ناظر ؟

أنا كفرت بمن هذه صفته ، ما تقولون فيه ؟

فقال قاضي الجانب الغربي : هو حلال الدم ، ووافقه فقهاء ، فأظهر أحمد بن أبي دؤاد أنه كاره لقتله .

وقال : شيخ مختل ، تغير عقله ، يؤخر .

قال الواثق : ما أراه إلا مؤديا لكفره قائما بما يعتقده ، ودعا بالصمصامة ، وقام .

وقال : أحسب خطاي إلى هذا الكافر .

فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل وهو مقيد ، ونصب رأسه بالجانب الشرقي ، وتتبع أصحابه فسجنوا .

قال الحسن بن محمد الحربي : سمعت جعفر بن محمد الصائغ ، يقول : رأيت أحمد بن نصر حين قتل قال رأسه : لا إله إلا الله .

قال المروزي : سمعت أحمد ذكر أحمد بن نصر ، فقال : رحمه الله ، لقد جاد بنفسه .

وعلق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها : هذا رأس أحمد بن نصر ، دعاه الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ، ونفي التشبيه ، فأبى إلا المعاندة ، فعجله الله إلى ناره .

وكتب محمد بن عبد الملك .

وقيل : حنق (عليه) الواثق لأنه ذكر للواثق حديثا ، فقال : تكذب .

فقال : بل أنت تكذب .

وقيل : إنه قال له : يا صبي ، ويقول في خلوته عن الواثق : فعل هذا الخنزير .

ثم إن الواثق خاف من خروجه ، فقتله في شعبان سنة إحدى وثلاثين ، وكان أبيض الرأس واللحية .

ونقل عن الموكل بالرأس أنه سمعه في الليل يقرأ : (يس) وصح أنهم أقعدوا رجلا بقصبة ، فكانت الريح تدير الرأس إلى القبلة ، فيديره الرجل .



قال السراج: سمعت خلف بن سالم، يقول بعدما قتل ابن نصر، وقيل له: ألا تسمع ما الناس فيه يقولون: إن رأس أحمد بن نصر يقرأ ؟ ! ! فقال: كان رأس يحيى يقرأ.

وقيل: رثي في النوم، ف قيل: ما فعل الله

بك ؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله، فضحك إلي.

قال: غضبت له فأباحني النظر إلى وجهه.

بقي الرأس منصوباً ببغداد، والبدن مصلوباً بسامراء ست سنين إلى أن أنزل، وجمع في سنة سبع وثلاثين، فدفن رحمة الله عليه.<sup>(١)</sup>

أبو بكر المروزي قال سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل وذكر أحمد بن نصر فقال رحمه الله ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه

عن العباس بن سعيد -قلت وليس بابن عقدة هذا شيخ مروزي- قال لم يصبر في المحنة إلا أربعة كلهم من أهل مرو أحمد بن حنبل أبو عبد الله وأحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ومحمد بن نوح بن ميمون المضروب ونعيم بن حماد وقد مات في السجن مقيداً فأما أحمد بن نصر ف ضربت عنقه وهذه نسخة الرقعة المعلقة في إذن أحمد بن نصر بن مالك: بسم الله الرحمن الرحيم هذا رأس أحمد بن نصر هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون وهو الواثق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق القرآن ونفى التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره

وكتب محمد بن عبد الملك ومات محمد بن نوح في فتنة المأمون والمعتصم ضرب أحمد بن حنبل والواثق قتل أحمد بن نصر وكذلك نعيم بن حماد ولما جلس المتوكل دخل عليه عبد العزيز بن يحيى المكي فقال يا أمير المؤمنين ما رؤى أعجب من أمر الواثق قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن قال فوجد المتوكل من ذلك وساء ما سمعه في أخيه إذ دخل عليه محمد بن عبد الله الزيات فقال له يا بن عبد الملك في قلبي من قتل أحمد بن نصر فقال يا أمير المؤمنين أحرقتني الله بالنار أن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً ودخل عليه هرثمة فقال يا هرثمة في قلبي من قتل أحمد بن نصر فقال يا أمير المؤمنين قطعني الله إرباً إرباً أن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً قال ودخل عليه أحمد بن أبي داود

<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (ج ١١ / ص ١٦٩)

فقال يا أحمد في قلبي من قتل أحمد بن نصر فقال يا أمير المؤمنين ضربني الله بالفالج أن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً

قال المتوكل فأما بن الزيات فأنا أحرقتة بالنار ، وأما هرثمة فإنه هرب وتبدى واجتاز بقبيلة خزاعة فعرفه رجل في الحي فقال يا معشر خزاعة هذا الذي قتل بن عمكم أحمد بن نصر فقطعوه إرباً إرباً ، وأما بن أبي داود فقد سجنه الله في جلده

عن أحمد بن كامل القاضي قال حمل أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي من بغداد إلى سر من رأى فقتله الواثق في يوم الخميس ليومين بقيا من شعبان سنة إحدى وثلاثين وفي يوم السبت مستهل شهر رمضان نصب رأسه ببغداد على رأس الجسر وأخبرني أبي أنه رآه قال وكان شيخاً أبيض الرأس واللحية وأخبرني أنه وكل برأسه من يحفظه بعد أن نصب برأس الجسر وأن الموكل به ذكر أنه يراه بالليل يستدير إلى القبلة بوجهه فيقرأ سورة يس بلسان طلق وأنه لما أخبر بذلك طلب فخاف على نفسه فهرب

عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال كان أحمد بن نصر خلى فلما قتل في المحنة وصلب رأسه أخبرني أن الرأس يقرأ القرآن فمضيت فبت بقرب من الرأس مشرفاً عليه وكان عنده رجاله وفرسان يحفظونه فلما هدأت العيون سمعت الرأس تقرأ: {الم (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) [العنكبوت: ١ - ٢] فاقشعر جلدي ثم رأيته بعد ذلك في المنام وعليه السندس والإستبرق وعلى رأسه تاج فقلت ما فعل الله بك يا أخي قال غفر لي وأدخلني الجنة إلا أنني كنت مغموماً ثلاثة أيام قلت ولم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بي فلما بلغ خشبتي حول وجهه عني فقلت له بعد ذلك يا رسول الله قتلت على الحق أو على الباطل فقال أنت على الحق ولكن قتلك رجل من أهل بيتي فإذا بلغت إليك أستحي منك

عن أبي بكر المطوعي قال لما جيء برأس أحمد بن نصر صلبوه على الجسر كانت الريح تديره قبل القبلة فاقعدوا له رجلاً معه قصبه أو رمح فكان إذا دار نحو القبلة أداره إلى خلاف القبلة

قال وسمعت خلف بن سالم يقول بعد ما قتل أحمد بن نصر وقيل له ألا تسمع ما الناس فيه يا أبا محمد قال وما ذاك قال يقولون إن رأس أحمد بن نصر يقرأ القرآن قال كان رأس يحيى بن زكريا يقرأ عن إبراهيم بن الحسن قال رأى بعض أصحابنا أحمد بن نصر بن مالك في النوم بعد ما قتل فقال ما فعل بك ربك فقال ما كنت إلا غفوة حتى لقيت الله فضحك إليّ.

عن محمد بن عبيد وكان من خيار الناس يقول رأيت أحمد بن نصر في منامي فقلت يا أبا عبد الله ما صنع بك ربك فقال غضبت له فأباحني النظر إلى وجهه تعالى. قلت لم يزل رأس أحمد بن نصر منصوباً ببغداد وجسده مصلوباً بسر من رأى ست سنين إلى أن حط وجميع بين رأسه وبدنه ودفن بالجانب الشرقي في المقبرة المعروفة بالمالكية

عن موسى بن هارون قال دفن أحمد بن نصر بن مالك ببغداد في شوال سنة سبع وثلاثين بعد الفطر بيوم أو يومين

قال عبد الله بن محمد البغوي سنة سبع وثلاثين فيها دفن أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي بعد الفطر بيومين قرأت على البرقاني عن أبي إسحاق المزكي قال قال محمد بن إسحاق السراج قتل أحمد بن نصر بن مالك يوم السبت غرة رمضان سنة إحدى وثلاثين وأنزل رأسه وأنا حاضر ببغداد يوم الثلاثاء لثلاث خلت من شوال سنة سبع وثلاثين ومائتين.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - تاريخ بغداد - (٢) / ٤٦٥-٤٦٨

### أحمد أبو محمد بن نوح العجلي رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي المعروف والده بالمضروب: كان أحد المشهورين بالسنة وحدث شيئاً يسيراً وروى عن إسحاق بن يوسف الأزرق حديثاً غريباً أنبأناه أبو بكر البرقاني حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن حمدان النيسابوري بخوارزم حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد الصيدلاني بنيسابور حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن حجاج المروزي حدثنا محمد بن نوح وأثنى عليه أحمد بن حنبل خيراً قال حدثنا إسحاق الأزرق عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من أمة إلا بعضها في الجنة وبعضها في النار إلا أمتي فإنها في الجنة " .

قال لنا البرقاني: بلغني أن محمد بن نوح هذا جار أحمد بن حنبل وأن أحمد بن حنبل قال لمن سألته عنه: اكتب عنه فإنه ثقة قال البرقاني: وقال الدارقطني تفرد بهذا الحديث إسحاق الأزرق ولم يحدث به غير محمد بن نوح المضروب وتفرد به عنه أبو بكر المروزي.

أخبرنا التنوخي حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد الشيباني حدثنا أحمد بن محمد أبو بكر الصيدلاني الحنبلي حدثنا أبو بكر المروزي حدثنا محمد بن نوح وسألت عنه أحمد بن حنبل فقال ثقة حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق فذكر الحديث مثل ما سقناه عن البرقاني قلت: وكان المأمون كتب وهو بالرقعة إلى إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة ببغداد بحمل أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح إليه بسبب المحنة فأخرجوا من بغداد على بعير متزاملين ثم أن محمد بن نوح أدركه المرض في طريقه. (١)

<sup>١</sup> - تاريخ بغداد - (ج ٢ / ص ١٢٢)

**محنته ﷺ :**

عن حنبل بن إسحاق بن حنبل قال : سمعت أبا عبد الله يقول : ما رأيت أحداً على حداثة سنة وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير قال لي ذات يوم وأنا معه خلويين : يا أبا عبد الله !؟ الله الله إنك لست مثلي أنت رجل يقتدى بك وقد مد هذا الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك فاتق الله واثبت لأمر الله أو نحو هذا من الكلام.

قال أبو عبد الله : فعجبت من تقويته لي وموعظته إياي.

ثم قال أبو عبد الله : انظر بما ختم له فلم يزل بن نوح كذلك ومرض حتى صار إلى بعض الطريق فمات.

قال أبو عبد الله : فصليت عليه ودفنته أظنه قال بعانة قلت : وكانت وفاته في سنة ثمان عشرة ومائتين.



### محمد بن نوح بن سعيد بن دينار المؤذن رحمته الله

حدث عن أبيه روى عنه محمد بن مخلد.

حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن المظفر حدثنا محمد بن مخلد بن حفص حدثنا محمد بن نوح بن سعيد بن دينار المؤذن حدثني أبي حدثنا عبد الصمد بن علي عن أبيه عن جده ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راكباً إذ التفت فنظر إلى العباس فقال: يا عباس قال: لبيك يا رسول الله فقال: يا عم النبي أن الله أبتدأ بي الإسلام وسيختمه بسلام من ولدك وهو الذي يتقدم لعيسى بن مريم.

وكان رفيق الامام أحمد في سجنه وكان يشجعه على الثبات وأثنى عليه أحمد، ويبدو أن العجلي كانت له علاقات قوية معه، ولا أدري ما العلاقة بينهما في النسب ولكنهما "عجليان" ولما زاره العجلي في سجن صور عرض عليه ابن نوح شيئاً من المال مما كان عنده إذا أخرج له بضعة دنانير وقال: "خذ منها حاجتك، أراك رث الهيئة".

قال العجلي: "فاخرجت إليه منطقة لي فيها دنانير بعث بها بزا في أنطاكية فقلت له: لو كنت أحوج الخلق أجئ إلى أسير آخذ منه؟".

وقد مات ابن نوح وهو في قيده أثناء عودته مع الامام أحمد من الشام.<sup>(١)</sup>

عن حنبل بن إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - يقول: ما رأيت أحداً على حداثة سنه وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، وإنني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير، قال لي ذات يوم وأنا معه جلوس: يا أبا عبد الله لست مثلي أنت رجل يقتدى بك، وقد مد هذا

<sup>١</sup> - معرفة الثقات - (ج ١ / ص ٤٢)

الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله، واثبت لأمر الله. ونحو هذا، فانظر هذا الكلام، فعجبت منه من موعظته لي وتقويته إياي، فصار في بعض الطريق فمات، فصليت عليه ودفنته. أظنه قال: بعانة. فانظر بماذا ختم له.)<sup>(١)</sup>

## الباب الخامس

### قضاة وراء القضبان

<sup>١</sup> - المنتظم - (ج ٣ / ص ٣١٤)

## الباب الخامس قضاة وراء القضبان

### ابن أبي سبرة رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** (١) ابن أبي سبرة الفقيه الكبير، قاضي العراق، أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم - وكان جد أبيه أبو سبرة بدريا، من السابقين المهاجرين - ابن أبي رهم بن عبدالعزى القرشي، ثم العامري.

توفي زمن عثمان - رضي الله عنهما - وكانت أمه برة عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخوه لامه أبا سلمة المخزومي - رضي الله عنه - وما علمته روى شيئا.

**محنته و سجنه رحمته الله**: قال مصعب الزبيري: كان من علماء قریش، ولاه المنصور القضاء، وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن، وكان على صدقات أسد وطى، فقدم على محمد بأربعة وعشرين ألف دينار، فلما قتل محمد، أسر ابن أبي سبرة وسجن، ثم استعمل المنصور جعفر بن سليمان على المدينة، وقال له: إن بيننا وبين ابن أبي سبرة رحما، وقد أساء وأحسن، فأطلقه وأحسن جواره.

وكان الإحسان أن عبد الله بن الربيع الحارثي قدم المدينة بعدما شخص عنها عيسى بن موسى، ومعه العسكر فعاثوا بالمدينة، وأفسدوا، فوثب على الحارثي سودان المدينة والرعا، فقتلوا جنده، وطردوهم،

١ - سير أعلام النبلاء - (٧ / ٣٣٠) تذهيب التهذيب: خ: ٤ / ٢٠١، ميزان الاعتدال: ٤ / ٥٠٣ - ٥٠٤، العقد الثمين: ٨ / ١٣،

تهذيب التهذيب: ١٢ / ٢٧ - ٢٨، خلاصة تذهيب الكمال: ٤٤٤.



ونهبوا متاع الحارثي، فخرج حتى نزل ببئر المطلب، يريد العراق، فكسر السودان السجن، وأخرجوا ابن أبي سبرة حتى أجلسوه على المنبر، وأردوا كسر قيده، فقال: ليس علي ذا فوت، دعوني حتى أتكلم، فتكلم في أسفل المنبر،

وحذرهم الفتنة، وذكرهم ما كانوا فيه، ووصف عفو المنصور عنهم، وأمرهم بالطاعة، فأقبل الناس على كلامه، وتجمع القرشيون، فخرجوا إلى عبد الله ابن الربيع، فضمنوا له ما ذهب له ولجنده، وكان قد تأمر على السودان وثيق الزنجي، فامسك وقيد، وأتى ابن الربيع، ثم رجع ابن أبي سبرة إلى الحبس، حتى قدم جعفر بن سليمان، فأطلقه وأكرمه، ثم صار إلى المنصور، فولاه القضاء.

قال ابن سعد: ولي القضاء لموسى الهادي إذا هو ولي عهد، ثم ولي قضاء مكة لزياد بن عبيد الله، وعاش ستين سنة، فلما مات استقضي بعده القاضي أبو يوسف.

قال: وتوفي ببغداد سنة اثنتين وستين ومئة، وكذا ورخ موته جماعة. وفي (طبقات) أبي اسحاق: سنة اثنتين وسبعين.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (٧ / ٣٣١)

### القاضي بكار بن قتيبة رحمته الله

**ترجمته رحمته الله :** بكار بن قتيبة \* ابن أسد بن عبيد الله بن بشير بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكرة نفيح بن الحارث، الثقفي البكراوي البصري، القاضي الكبير، العلامة المحدث، أبو بكرة، الفقيه الحنفي، قاضي القضاة بمصر. مولده في سنة اثنتين وثمانين ومئة بالبصرة.

### خشيتته و خوفه من الله رحمته الله :

أحمد بن سهل الهروي قال: كنت ساكنا في جوار بكار بن قتيبة، فانصرفت بعد العشاء، فإذا هو يقرأ: \* {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: ٢٦] قال: ثم نزلت في السحر، فإذا هو يقرأها، ويبكي، فعلمت أنه كان يتلوها من أول الليل.

قال ابن خلكان: وكان بكار تاليا للقرآن، بكاء صالحا دينيا، وقبره مشهور قد عرف باستجابة الدعاء عنده (١).

قال محمد بن يوسف الكندي: قدم بكار قاضيا إلى أن توفي، فأقامت مصر بلا قاض بعده سبع سنين، ثم ولي خمارويه محمد بن عبدة القضاء.

قال: وكان أحمد بن طولون أراد بكارا على لعن الموفق، يعني: ولي العهد، فامتنع، فسجنه، إلى أن مات أحمد بن طولون، فأطلق القاضي بكار، وبقي يسيرا ومات، فغسل ليلا، وكثر الناس، فلم يدفن إلى العصر.

١ - وفيات الاعيان " ١ / ٢٧٩ و ٢٨٠.

قلت: كان عظيم الحرمة، وافر الجلالة، من العلماء العاملين، كان السلطان ينزل إليه، ويحضر مجلسه، فذكر أبو جعفر الطحاوي أن بكار ابن قتيبة استعظم فسخ حكم الحارث بن مسكين في قضية ابن السائح، يعني لما حكم عليه، فأخرج من يده دار الفيل، وتوجه ابن السائح إلى العراق بغوث على ابن مسكين.

قال الطحاوي: وكان الحارث إنما حكم فيها بمذهب أهل المدينة، فلم يزل يونس بن عبد الأعلى يكلم القاضي بكارا، ويجسده حتى جسد، ورد إلى ابني السائح الدار.

ولا أحصي كم كان أحمد بن طولون يجيء إلى مجلس بكار وهو يملي، ومجلسه مملوء بالناس، فيتقدم الحاجب، ويقول: لا يتغير أحد من مكانه، فما يشعر

بكار إلا وأحمد إلى جانبه، فيقول له: أيها الأمير، ألا تركتني كنت أقضي حقك وأقوم؟

قال: ثم فسد الحال بينهما حتى حبسه، وفعل به ما فعل (١).

وقيل: إن بكارا صنف كتابا ينقض فيه على الشافعي رده على أبي حنيفة (٢)، وكان يأنس بيونس بن عبد الأعلى، ويسأله عن أهل مصر وعدولهم.

ولما اعتقله ابن طولون لم يمكنه أن يعزله، لأن القضاء لم يكن إليه أمره.

وقيل: إن بكارا كان يشاور في حكم يونس، والرجل الصالح موسى ولد عبد الرحمن بن القاسم، فبلغنا أن موسى سأله: من أين المعيشة؟

قال: من وقف لأبي أتكفي به.

قال: أريد أن أسألك يا أبا بكرة، هل ركبك دين بالبصرة؟ قال: لا.

قال: فهل لك ولد أو زوجة؟

قال: ما نكحت قط، وما عندي سوى غلامي.

قال: فأكرهك السلطان على القضاء؟

١ - النجوم الزاهرة " ٣ / ١٩.

٢ - حسن المحاضرة " ١ / ٤٦٣.

قال: لا.

قال: فضربت آباط الإبل بغير حاجة إلا لتلي الدماء والفروج؟

لله علي لا عدت إليك، قال: أقلني يا أبا هارون.

قال: أنت ابتدأت بمسألتي، انصرف، ولم يعد إليه.

قلت: رضي الله عن موسى، فلقد صدقه، وصدعه بالحق.

ولم يكن بكار مكابرا، فيقول: تعين علي القضاء.

### محنته و سجنه ﷺ :

قال الحسن بن زولاق في ترجمة بكار: لما اعتل أحمد بن طولون، راسل بكارا، وقال: إنا رادوك إلى منزلك، فأجبني، فقال:

قل له: شيخ فان وعليل مدنف، والملتقى قريب، والقاضي الله عز وجل.

فأبلغها الرسول أحمد، فأطرق، ثم أقبل يكرر ذلك على نفسه، ثم أمر بنقله من السجن إلى دار اكتريت له، وفيها كان يحدث، فلما مات الملك قيل لأبي بكرة: انصرف إلى منزلك، فقال: هذه الدار بأجرة، وقد صلحت لي، فأقام بها (١).

قال الطحاوي: فأقام بها بعد أحمد أربعين يوما ومات.

قلت: كان ولي العهد الموفق قد استبد بالأمور، وضيق على أخيه الخليفة المعتمد.

قال الصولي: تخيل المعتمد من أخيه، فكاتب أحمد بن طولون، واتفقا، وقال المعتمد:

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤكل باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شيء في يديه ؟ ! !

فبلغنا أن ابن طولون جمع العلماء والأعيان، وقال: قد نكت الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد فخلعوه، إلا بكار بن قتيبة.

وقال: أنت أوردت علي كتاب المعتمد بتوليته العهد، فهات كتابا آخر منه بخلعه.

قال: إنه محجور عليه ومقهور؟ قال: لا أدري.

فقال له: غرك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار، أنت قد خرفت وقيده وحبسه، وأخذ منه جميع عطائه من سنين، فكان عشرة آلاف دينار، فقيل: إنما وجدت بختومها وحالها.

وبلغ ذلك الموفق، فأمر بلعن ابن طولون على المنابر.

ونقل القاضي ابن خلكان أن ابن طولون كان ينفذ إلى بكار في العام ألف دينار، سوى المقرر له، فيتركها بختمها، فلما دعاه إلى خلع الموفق، طالبه بجملة المال، فحمله إليه بختومه ثمانية عشر كيسا، فاستحيا ابن طولون عند ذلك، ثم أمره أن يسلم القضاء إلى محمد بن شاذان الجوهري، ففعل، واستخلفه، وكان يحدث من طاقة السجن، لأن أصحاب الحديث طلبوا ذلك من أحمد، فأذن لهم على هذه الصورة (١).

قال الطحاوي: كان على نهاية في الحمد على ولايته، وكان ابن طولون على نهاية في تعظيمه وإجلاله إلى أن أراد منه خلع الموفق، قال: فلما رأى أنه لا يلتئم له ما يحاوله ألب عليه (٣) سفهاء الناس، وجعله لهم خصما، فكان يقعد له من يقيمه، مقام الخصوم، فلا يأبى، ويقوم بالحجة لنفسه، ثم حبسه في دار، فكان كل جمعة يلبس ثيابه وقت الصلاة، ويمشي إلى الباب، فيقولون له الموكلون به: ارجع، فيقول: اللهم اشهد.

قال أبو عمر الكندي: قدم بكار قاضيا من قبل المتوكل في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومئتين، فلم يزل قاضيا إلى أن توفي في ذي الحجة سنة سبعين ومئتين.

وقيل: شيعه خلق عظيم أكثر ممن يشهد صلاة العيد، وأمهم عليه ابن أخيه محمد بن الحسن بن قتيبة الثقفي.

رحمه الله تعالى.

يقول الذهبي قلت: عاش تسعا وثمانين سنة.

<sup>١</sup> - وفيات الاعيان " ١ / ٢٨٠ ونقلها عنه ابن تغري بردي في " النجوم الزاهرة " ٣ / ١٩.

وقال الطحاوي: لما قبض أحمد بن طولون يد بكار عن الحكم وسجنه، أمره أن يسلم القضاء لمحمد بن شاذان الجوهري كالخليفة له ففعل. ثم كان بكار إذا حضر مجلس المظالم للمناظرة يُعاد إلى السجن إذا انقضى المجلس. وكان يغتسل في كل يوم جمعة، ويلبس ثيابه، ويجيء باب السجن، فيرده السجن ويقول: اعذرني أيها القاضي، فما أقدر على إخراجك، فيقول: الله أشهد، فبلغ ذلك أحمد، فأرسل إليه: كيف رأيت المغلوب المقهور لا أمر له ولا نهى، ولا تصرف في نفسه. لا تزال هكذا حتى يرد عليّ كتاب المعتمد بإطلاقك.

ولما طالب حبس بكار طلب أصحاب الحديث إلى أحمد بن طولون أن يأذن لهم في السماع منه، فأذن لهم، فكان يحدثهم من طاق في السجن، فأكثر من سمع منه في آخر عمره، كان كذلك.<sup>١</sup>

”ولما مات ابن طولون قيل لبكار: انصرف إلى منزلك، فقال: الدار بأجرة وقد صلحت لي، فأقام وجاء أصحاب الدار يطلبون أجرة ما مضى فقال بكار: على مذهبي الغاصب لا أجرة عليه ولكن أدفع لكم في المستقبل وليس علي فيما مضى أجرة لأنني كنت مغضوباً على نفسي.“<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - وفيات الأعيان - (ج ١ / ص ٢٨١)

### موسى بن عبد الرحمن المعروف بالقطان رحمته الله

**ترجمته رحمته الله:** موسى القطان موسى بن عبد الرحمن بن حبيب، أبو الأسود، المعروف بالقطان:

قاض من فقهاء المالكية.

أصله من موالى بني أمية.

كان من تلاميذ محمد بن سحنون.

وولي قضاء إطرابلس (طرابلس الغرب) فنفذ الحقوق وأخذها للضعيف من القوى (كما يقول الداوودي)

فبغى عليه وأوذى، وعزل، وحبس شهورا.

واتفق أن عرضت قضية اختلف فيها القضاة، فأفتى بها وهو في السجن، فقال الوالي: مثل هذا لا

يحبس. وأطلقه.

له كتاب (أحكام القرآن) اثنا عشر جزءا (البيان المغرب ١: ١٨١ واسم جده فيه (جندب) تحريف

(حبيب) والتصحيح من مخطوطة طبقات المفسرين للداوودي))<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ٥ / ص ٣٣٤) الأعلام للزركلي - (٧ / ٣٢٤)



### القاضي ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي رحمه الله

**ترجمته رحمه الله :** محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بكسر اللام المشددة بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد بن علي بن عامر بن حسان بن عبد الله بن عطية بن عبد الله بن أنيس الصحابي الجهنني رضي الله تعالى عنه، القاضي كاتب السر كمال الدين أبو المعالي، بن القاضي كاتب السر ناصر الدين، بن الكمال، بن الفخر، بن النجم الحموي، المشهور بابن البارزي، نسبة إلى باب ابرز أحد أبواب بغداد. وكان أصله أبرزي ثم خفف لكثرة الدور فقليل البارزي. وإلى هذا الباب أشار الإمام زين الدين ابن الوردي بقوله موجهاً:

بي هيفاء من بنات العراق      أطلقت ادمعي وشدت وثاقي

ثم قالت إن جنئت من باب ابرز      بالعطايا رأيت باب الطاق

ولد صاحب الترجمة ليلة الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة بحماه. وسمع البخاري على عائشة بنت عبد الهادي، وبحث في الفقه والنحو. ودخل القاهرة مع أبيه سنة خمس وعشرين وثمانمائة، فأخذ عن العز بن جماعة قراءة وسماعاً لما كان يقرأ عليه من الفنون. ولزم العلماء البخاري. وولي بعد والده كتابة السر سنة ثلاث وعشرين. ثم ولي نظر الجيش. ثم ولي قضاء دمشق وكتابة السر بها. ثم أعيد أيام الظاهر جقمق إلى كتابة السر بالقاهرة. وكان غاية في الرئاسة، والحلم والشهامة، والكرم والإحسان إلى طلبة العلم، والفقراء، مهذباً كثير الخير، قليل الشر. وله في الأدب اليد الطولى، والشعر الرائق، والنثر الفائق. مات يوم الأحد سادس عشر صفر سنة ست وخمسين وثمانمائة. ومن شعره مقررطاً لنظم بن ناهض في سيرة المؤيد موجهاً، وكان أبوه القاضي ناصر الدين قد كتب قوله :



هذا كتاب يا ابن ناهض قاعد عن مدحه أدبي وعن تهذيبه

فاشكر لما دحه على تقصيره ولن هجاه فإنه يهذي به

فكتب القاضي كمال الدين :

مرت على سمعي وحلو وصفها مكرر فما عسى أن أسمعها

ووالدي دام علا سؤده لم يبق فيها للكمال موضعا

وكتب إلى الشرف يحيى بن العطار من دمشق إلى القاهرة :

خيالك في فكري يوآنس وحدتي على أن داء الشوق في مهجتي أعيا

فإن مات من فرط اشتياقي تصبري أعلله بالود من سيدي يحيى

وقال :

لئن ازمنت هجري بعد ود وقرب كنت منه في أنتعاش

جعلت الأرض من فكري مهاداً لما سطرت والأرض الفراش

وحققت المحرف فيه حتى ترى خط الكمال على الحواشي

وقال صاحبنا الشهاب المنصوري يخاطبه :

فيك حكمٌ وجلال ولك الناس عيال

يا جواداً لا يباري جوده السحب الثقال

حيي الجود بجدوا لك وقد مات السوال

قد ترقيت مقاماً عنه ينحط الهلال

لاح في العلياء نقص حين غبتم واختلال

عندها غيبة يومٍ منك أعوام طوال

ثم مذ رضيت عنها      عمها منك الجمال  
 فاستطالت واعتراها      بك عجب واختيال  
 وتولى النقص عنها      ولها عاد الكمال<sup>(١)</sup>

### محنته ووفاته ﷺ

في يوم الأربعاء ثامن شوال، دفن على ولده الشهابي أحمد، المقدم ذكره في السنة الخالية، تجاه شبك الإمام الشافعي، رضي الله عنه. ومولده بحماة في يوم الاثنين رابع شوال سنة تسع وستين وسبع مائة. ومات أبوه في سنة ست وسبعين، ونشأ تحت كنف أخواله، وحفظ القرآن الكريم، وكتاب الحاوي في الفقه، وطلب العلم، وتفقه بجماعة، وبرع في الفقه والعربية والأدب والإنشاء، وتولى قضاء حماة، ثم ولي كتابة سرها، ثم سحب الملك المؤيد في أيام نيابته بدمشق، ولزم خدمته، وتولى قضاء حلب في نيابة المؤيد عليها. ثم قبض عليه الملك الناصر، وحبسه ببرج الخيالة بقلعة دمشق. ونظم وهو في السجن المذكور قصيدته المشهورة التي أولها: البسيط

هو الزمان فلا تلقاه بالرهب      سلامة المرء فيه غاية العجب

أنشدني القصيدة المذكورة ولده العلامة كمال الدين بن البارزي من لفظه، وقد سمعها من لفظ أبيه غير مرة، وأثبت القصيدة بتمامها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي إذ هو محل التطويل في التراجم. ومن شعره أيضاً - وهو مما أنشدني ولده القاضي كمال الدين المقدم ذكره عن أبيه:

طاب افتضاحي في هواه محارباً      فلهوت عن علمي وعن أدابي

وبذكره عند الصلاة وباسمه      أشد فواطرباه في المحراب

ولا زال بالحبس بقلعة دمشق إلى أن قدمها الملك الناصر فرج، وأراد قتله، فشفع فيه الوالد وأطلقه والسلطان عنده على باب دار السعادة بدمشق. وتوجه إلى حماة، ثم عاد إلى الملك المؤيد ثانياً. ولا زال معه حتى قتل الملك الناصر، وقدم صحبته إلى مصر، وتولى توقيعه عوضاً عن شهاب الدين الصفدي وهو

<sup>١</sup> - نظم العقيان في أعيان الأعيان - (ج ١ / ص ٥٧-٥٨)

أتابك. فلما تسلطن المؤيد، خلع عليه في شوال من سنة خمس عشرة وثمانمائة باستقراره كاتب السر الشريف بالديار المصرية، عوضاً عن فتح الدين فتح الله بعد عزله ومصادرته، فباشر الوظيفة بحرمة وافرة، ومهابة زائدة، وعظم وضخم، ونالته السعادة، وصار هو صاحب الحل والعقد في المملكة. وكان يبيت عند الملك المؤيد في ليالي البطالة، ويناديه ويجاريه في كل فن من الجد والهزل، لا يدانيه أحد من جلساء الملك المؤيد في ذلك. هذا مع الفضل العزيز، وطلاقة اللسان، وحفظ الشعر، وحسن المحاضرة، والإقدام والتجري على الملوك، والمراجعة لهم فيما لا يعجبه، وهو مع ذلك قريب من خواطرهم لحسن تأديبه ما يختاره. وبالجمله فهو أعظم من رأيناه ممن ولي هذه الوظيفة، ثم بعده ابنه القاضي كمال الدين الآتي ذكره في محله، بل كان ولده المذكور أرجح في أمور يأتي بيانها في محلها. (١)



<sup>١</sup> - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - (٤ / ٦٦)

## سلطان العلماء ابن عبد السلام رحمه الله

**ترجمته رحمه الله - (١)** سلطان العلماء ابن عبد السلام عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي.

**مولده رحمه الله و مشايخه** ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسائة، وحضر أبا الحسن أحمد بن الموازيني، والخوشعي، وسمع عبد اللطيف بن إسماعيل الصوفي، والقسم بن عساكر، وابن طبرزد، وحنبل المكير، وابن الحرستاني وغيرهم، وخرج له الدمياطي أربعين حديثاً عوالي، روى عنه: الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والدمياطي، وأبو الحسين اليونيني، وغيرهم، وتفقه على الإمام فخر الدين بن عساكر، وقرأ الأصول والعربية، ودرس وأفتى، وصنف، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، وقصده الطلبة من البلاد، وتخرج به أئمة، وله الفتاوي السديدة.

وكان ناسكاً، ورعاً، آمراً بالمعروف، نهياً عن المنكر، ولي خطابة دمشق بعد الدولعي، فلما تملك الصالح إسماعيل دمشق وأعطى الفرنج صفد والشقيف قال ابن عبد السلام فيه على المنبر، وترك الدعاء له، فعزله وحبسه، ثم أطلقه فنزح إلى مصر، فلما قدمها تلقاه الصالح نجم الدين وبالع في احترامه. واتفق موت قاضي القضاة شرف الدين ابن عين الدولة فولى بدر الدين السنجايي قضاء القاهرة وولي الشيخ عز الدين هذا قضاء مصر القديمة والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر، ثم إن بعض غلمان وزير الصلاح وهو معين الدين ابن الشيخ بنى بنياناً على سطح مسجد مصر وجعل فيه طبلخانة فأنكر عز الدين ذلك ومضى بجماعته وهدم البنيان، وعلم أن السلطان والوزير يغضبان فأشهد عليه بإسقاط عدالة الوزير وعزل نفسه عن القضاء، فعظم ذلك على السلطان وقيل له: اعزله عن الخطابة وإلا شنع عليك على المنبر كما فعل في دمشق فعزله، فأقام في بيته يشغل الناس.

<sup>١</sup> - المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي - (ج ٢ / ص ١٢٧)

**جراته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ﷺ:** قال الشيخ الباجي : طلع عز بن عبد السلام مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة فشاهد العسكر مصطفىين بين يديه ومجلس المملكة والسلطان فيه يوم العيد من الأبهة ، وقد خرج على قومه في زينته علي عادة سلاطين الديار المصرية وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يديه ، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه يا أيوب : ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوء لك ملك مصر ثم تبيح الخمر ؟ ؛ ! فقال السلطان ، هل جرى ذلك ؛ !

فقال : نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمر وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ، يناديه بأعلى صوته والعساكر واقفون ، فقال السلطان أيوب : يا سيدي هذا من زمان أبي ، فقال الشيخ : أنت من الذين يقولون ، إنا وجدنا آباءنا علي أمة ، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة قال الشيخ الباجي : سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر : يا سيدي كيف الحال ؛ فقال : رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لثلاث تكبر عليه نفسه فتؤذيه . فقلت : يا سيدي أما خفته ؛

فقال : والله يا بني استحضرته هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط .<sup>(١)</sup> واستمر على هذه الطريقة إلى أن ترك جميع المناصب والولايات.

واشتهر أمره، وطار ذكره حتى صار يضرب به المثل فيقال : مَا أَنْتَ إِلَّا مِنَ الْعَوَامِ، ولو كنت ابن عبد السلام.

وكان يقول : مَا احْتَجْتُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ إِلَى أَنْ أَكْمِلَهُ عَلَى الشَّيْخِ الَّذِي أَقْرَأَهُ عَلَيْهِ. وَمَا تَوَسَّطْتُهُ، حَتَّى يَقُولَ لِي: اسْتَغْنَيْتَ عَنِّي وَاسْتَغْلَ فِيهِ مَعَ نَفْسِكَ. وَمَهْ ذَٰلِكَ مَا كُنْتُ أَتْرُكُهُ حَتَّى أَخْتِمَهُ عَلَيْهِ.

ومن تصانيفه: التفسير، والمجاز في القرآن، وقواعد الإسلام، والقواعد الصغرى، ومختصر النهاية، ومختصر الرعاية، والفتاوى المجموعة، والأُمالي والفتاوى الموصلية، وعدة تصانيف لطاف.

وكان صرفه عن القضاء لغضبة غضبها من الوزير معين الدين ابن الشيخ فعزل نفسه. فقيّل للسلطان: اعزله وإلا قال فيك على المنبر، كما قال في الصالح إسماعيل، فعزله من الخطابة، واقتصر على تدريس الصالحة إلى أن مات.

وسئل أن يقرر وظائفه لأولاده فقال: مَا فِيهِمْ مَنْ يَصْلَحُ لَهَا، ولكنها تصلح للقاضي تاج الدين، يعني ابن بنت الأعز.

وكان صرفه عن القضاء في ذي القعدة سنة أربعين وستمائة. فاستقر بعده موهوب الجزري، وَكَانَ يَنْوِبُ عَنْهُ.

ففي سنة ٦٣٩هـ تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب وأعطاهم نظير ذلك مدينة صيدا الساحلية وقلعة الشقيف، وأباح لهم دخول دمشق وذلك لأول مرة منذ اشتعال الحملات الصليبية، وأباح لهم شراء السلاح والمؤن، وكان العز بن عبد السلام وقتها خطيب الجامع الأموي ومفتي الشافعية ورأس علماء دمشق، فصعد الشيخ العز على منبر الجامع يوم الجمعة وألقى خطبة نارية من العيار الثقيل أفتى فيها بحرمة البيع والشراء مع الصليبيين، وشدد على التحريم وأنكر على الصالح إسماعيل فعلته، وفي آخر الخطبة ترك الدعاء للصالح إسماعيل كما هي العادة وقال بدلاً من ذلك قولته المشهورة التي صارت مثلاً سائراً ودعاءً متداولاً: (اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشداً، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك ويأمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر).

كان قطع الدعاء في الخطبة للصالح إسماعيل بمثابة إعلان خلع وعزل من قبل العز بن عبد السلام، فاستشاط الصالح إسماعيل غضباً وقامت قيامته، وعزل الشيخ العز عن الخطبة والإفتاء، وأمر باعتقاله، فأخذ الغضب يسري في أواسط الشعب الدمشقي الذي كره الصالح إسماعيل وجرائمه، وكان للصالح إسماعيل وزير سوء يزين له كل جرائمه، وهو غزال المسلماني، فنصح به باستمالة الشيخ العز بن عبد السلام وإغرائه بإرجاعه لكافة مناصبه الدينية من خطابة وإفتاء، مع امتيازات أخرى، وذلك نظير خضوع العز بن عبد السلام للصالح إسماعيل وتقبيله ليده في محضر عام من الناس.

فلما جاء الرسول للشيخ العز بن عبد السلام برسالة الصالح إسماعيل، جاءت إجابته عزة على جبين العلم والعلماء ومفخرة لكل عالم رباني عبر العصور تتناقلها الأجيال، حيث قال للرسول: (يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكُم به) عندها أمر الصالح إسماعيل باعتقاله مرة أخرى والتشديد عليه.

استعد الصالح إسماعيل للخروج من دمشق بصحبة الصليبيين للهجوم على مصر وأخذها من ابن أخيه نجم الدين أيوب، ولكنه خاف من وجود الشيخ العز في دمشق، وتخوف من قيام الناس بإخراجه من

السجن وثورته عليه ، فاصطحب الشيخ العز معه في معسكره مع الصليبيين ، وفي الطريق وقعت عدة كرامات للشيخ ، وأثنى عليه الصليبيون كثيراً حتى قال كبيرهم للصالح إسماعيل : (لو كان هذا الشيخ قسيسنا لغسلنا رجله وشربنا مرقتها).

### محن سلطان العلماء و سجنه ﷺ

تفتحت عينا العز بن عبد السلام على أحداث حسام كان يموج بها العالم الإسلامي ، وعاش ثلاثاً وثمانين سنة (ت ٦٦٠هـ) عاصر فيها أحداثاً سياسية مؤلة.

فقد أدرك انتصارات صلاح الدين الأيوبي المجيدة ، واسترداده بيت المقدس من أيدي الصليبيين (٥٨٣هـ) ، وشاهد دولة الأيوبيين في هرمها وآخر أيامها ، وشاهد دولة المماليك البحرية في نشأتها وعزها ، وشاهد بعض الحملات الصليبية على فلسطين ومصر ، وشاهد الغزوة التتريّة المغولية الهمجية على الخلافة العباسية في بغداد ، وتدميرها للمدن الإسلامية ، وشاهد هزيمة التتار في عين جالوت بفلسطين بقيادة سيف الدين قطز سلطان مصر.

شاهد شيخنا كل هذه الأحداث ، فأثرت في نفسه ، وراعته تفتت الدولة الأيوبية القوية -قاهرة الصليبيين- إلى دويلات عندما اقتسم أبناء صلاح الدين الدولة بعد وفاته : فدويلة في مصر ، ودويلة في دمشق ، ودويلة في حلب ، ودويلة في حماة ، وأخرى في حمص ، ودويلة فيما بين النهرين . وبين حكام هذه الدويلات تعشش الأحقاد والدسائس ، والصليبيون على الأبواب ، والتتار يتحفزون للانقضاض على بلاد الشام ومصر.

### موقفه ﷺ من الملك الصالح في دمشق :

إزاء هذه الأوضاع المتردية أخذ العز بن عبد السلام يدعو إلى أن يتحد سلطان الأيوبيين ، وتتحد كلمة المسلمين لمواجهة الأخطار المحدقة بهم . وكانت وسيلته في ذلك : الخطب على المنابر ، والوعظ ونصح الأمراء ، وقول كلمة الحق الجريئة التي ألزم الله بها العلماء..

ولكن أنى يتسجيب المتشبهون بكراسي الحكم إلى كلمة الحق ، والتدبر في العواقب؟ فقد حدث في ظل هذه الأوضاع القائمة أن الملك الصالح إسماعيل الأيوبي تصالح مع الصليبيين على أن يسلم لهم صفداً وقلعة الشقيف وصيدا ، وغيرها من حصون المسلمين الهامة ، مقابل أن ينجدوه على الملك الصالح نجم

الدين أيوب! فأنكر عليه الشيخ ابن عبد السلام ذلك، وترك الدعاء له في الخطبة، فغضب الصالح إسماعيل منه، وخرج العز مغاضباً إلى مصر (٦٣٩ هـ) فأرسل إليه الصالح أحد أعوانه يتلطف به في العود إلى دمشق، فاجتمع به ولائته، وقال له: ما نريد منك شيئاً إلا أن تنكسر للسلطان، وتقبل يده لا غير. فقال له الشيخ بعزة وإباء العالم المسلم: "يا مسكين! ما أرضاه يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده! يا قوم، أنتم في واد ونحن في واد، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاكُم" ([١]).

**الشيخ رحمه الله في مصر:** وتوجه الشيخ إلى مصر - وقد سبقته شهرته العلمية وغيرته الدينية وعظمته الخلقية - فاستقبله سلطانها نجم الدين أيوب، وأكرمه وولاه الخطابة في جامع عمرو بن العاص، وقلده القضاء في مصر، والتف حوله علماء مصر وعرفوا قدره، وبالغوا في احترامه..

فامتنع عالم مصر الجليل الشيخ زكي الدين المنذري عن الإفتاء بحضوره احتراماً له وتقديراً لعلمه، فقال: "كنا نفتي قبل حضوره، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه" (٣).

**جنازة الشيخ رحمه الله:** وهكذا تمضي حياة العز بن عبد السلام في كفاح متواصل، وتواضع جم، ونفس أبية مترفعة عن حطام الدنيا، فنال ثوابي الدنيا والآخرة...

ويختاره الله إلى جواره، وتمر جنازته تحت القلعة بالقاهرة، وشاهد الملك الظاهر بيبس كثرة الخلق الذين معها، فقال لبعض خواصه: "اليوم استقر أمري في الملك، لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس: اخرجوا عليه لانتزع الملك مني" (٢).

وكانت وفاته بالمدرسة الصالحية في عاشر جمادى الأولى سنة ست وستين وستمائة وصلّى عليه السلطان الظاهر بيبس فمن دونه. ورثاه أبو الحسن الجزار بقصيدة أولها:

أما الفتاوى فعليها السلام . \* \* \* مذ فقد الشيخ ابن عبد السلام

راعني الله لفقد امرئ \* \* \* قام بحق الله حق القيام (٣)

<sup>١</sup> - السبكي (طبقات الشافعية الكبرى): ٢٠٩/٨؛ ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة): ٢٠٨/٧؛ ابن العماد

الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب): ٢٠٣/٥ حسن المحاضرة في ملوك مصر - (ج ٢ / ص ١١١)

<sup>٢</sup> - طبقات الشافعية الكبرى : ٢١٢/٨

<sup>٣</sup> - رفع الإصر للحافظ ابن حجر - (١ / ٢٣٧)



## القاضي عضد الدين رحمته الله

**ترجمته - رحمته الله** (١) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الأيحي

**مولده - رحمته الله** ولد بايج من نواحي شيراز بعد السبع مائة وأخذ عن مشايخ عصره ولازم زين الدين تلميذ البيضاوي وكان إماما في المعقول قائما بالأصول والمعاني والبيان والعربية مشاركا في سائر الفنون وله شرح مختصر المنتهى وقد انتفع الناس به من بعده وسار في الأقطار واعتمده العلماء الكبار وهو من أحسن شروح المختصر من تدبره عرف طول باع مؤلفه فانه يأتي بالشرح على نمط سياق المشروح ويوضح ما فيه خفاء ويصلح ما عليه مناقشة من دون تصريح بالاعتراض كما يفعله غيره من الشراح وقل أن يفوته شيء مما ينبغي ذكره مع اختصار في العبارة يقوم مقام التطويل بل يفوق وله المواقف في الكلام ومقدماته وهو كتاب يقصر عنه والوصف لا يستغنى عنه من رام تحقيق الفن وله السؤال المشهور الذي حرره إلى المحقق الجاربردى في كلام صاحب الكشف على قوله تعالى **{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}** [البقرة: ٢٣]

وأجابه بجواب فيه بعض خشونة فاعترضه صاحب الترجمة باعتراضات وتلاعب به وبكلامه وهو شيخه ولكنه لم ينصفه في الجواب حتى يستحق التأدب معه وقد أجاب عن اعتراضات صاحب الترجمة ابن الجاربردى وادّعى ذلك مؤلفا مستقلا

**محبته وسجنه رحمته الله** وقد ولى قضاء المالكية في أيام أبى سعيد وكان كثير الأفضال على الطلبة كريم النفس وجرت بينه وبين الأبهري منازعات وما جرايات وله تلامذة نبلاء منهم السعد التفتازانى صاحب التصانيف المشهورة سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ومنهم شمس الدين الكرمانى وغيرهما وجرت له محنة مع صاحب كرمان فحبسه بالقلعة ومات مسجوناً في سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة

١ - أبجد العلوم - (٣ / ٥٨) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١٠١ - (ج ١ / ص ٣٠٣)

### القاضي عيسى بن المنكدر رحمه الله

**ترجمته - رحمه الله** (١) عيسى بن المنكدر بن محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن محرز ابن

عبد العزي بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي المنكدر بن المدني الأصل، نزيل مصر، أبو محمد.

ولد بقصر عمران بن النعمان المعافري بالفسطاط. وكانت ولايته من قبل عبد الله ابن طاهر لما أمره المأمون على مصر.

### توليته قضاء مصر رحمه الله :

قال أبو يعقوب البُويطي: لما ولي أبو طاهر إمرة مصر أمر بإحضار أهل مصر، فحضر الناس، وحضر عبد الله بن الحكم. فقال ابن طاهر: إن جمعي لكم لترتادوا لأنفسكم قاضياً فكان أول من تكلم يحيى بن عبد الله بن بكير. فقال: أيها الأمير ولّ قضاءنا من رأيت، وجنبنا رجلين. لا تولّ قضاءنا غربياً لا زراحاً. يعني بالغريب إبراهيم بن الجراح، وبالزراح عيسى بن فليح. فنهض إبراهيم بن الجراح فقال: اصلح الله الأمير، رجل من أبناء الدولة قديم الحرمة. فلم يستمع ابن طاهر له.

ثم تكلم أبو ضمرة الزهري فقال: أيها الأمير، الفقيه العالم أصبغ بن الفرّج، واصبغ حاضر، فعارضه سعيد بن كثير بن عُفَيْر. فقال: ما بال أبناء الصباغين والمقامص يُذكرون في المواضع التي لم يجعلهم الله لها أهلاً! قال: فقام أصبغ فأخذ بمجامع ثوب سعيد بن عُفَيْر وقال: أنت شيطان. ومن أين علمت أنني من أبناء الصباغين! وارتفع الأمر بينهما حتى كادت تكون فتنة. فذكر عبد الله بن عبد الحكم، عيسى بن المنكدر، فأننى عليه بخير. فقلده عبد الله بن طاهر وذلك لعشر خلون من رجب سنة اثنتي عشرة. قاله الكندي.

١ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (ج ١ / ص ٢١٥) تاريخ قضاة الأندلس - (ج ١ / ص ١٤) رفع الإصر عن قضاة مصر - (ج ١ /

ص ١٣٠) حسن المحاضرة في ملوك مصر - (ج ٢ / ص ٩٥) تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ٤ / ص ١٥٢)

وقال ابن يونس سنة إحدى عشرة. قال البويطي وقال سعيد بن عفير في أصبغ: ليس هذا الرجل كما وصفت. هذا رجل بذي طويل اللسان وسجع في كلامه فقام أصبغ فقال: إن الأمير أمر أن يحضر مجلسه الفقهاء وأهل العلم لا الشعراء ولا الكهنة فقال البويطي أنا أذكر للأمير ستة يجعل هذا الأمر فيمن رأى منهم. قال: من هم؟ قال قلت: عبد الله بن الحكم وسعيد بن هاشم وعيسى بن المنكر وابنا مَعْبَد وجعفر بن هارون. فأثنى ابن عبد الحكم علي عيسى فولاه فقال ابن عبد الحكم: إنه مُقْلٌ فأجرى عليه سبعة دنائير في كل يوم فاستمرت للقضاة، وأجرى عليه أربعة آلاف درهم في كل شهر ووصله بألف دينار.

واستكتب عيسى إبراهيم بن أبي أيوب قليلاً. ثم كتب له أبو الأسود النضر بن عبد الجبار وداود ابن أبي طيبة فتنازعا. فقال النضر: لا أكتب لك حتى تنحي داود، فامتنع من تنحيته، فانصرف النضر وثبت داود، وكان محتاجاً إليه فانقطع عنه النظر. وكان القائم بأمر عيسى كله سليمان بن بُرد، وكان مقدام بن داود يقول: ما رأيت أحداً أعلم بالقضاء وآلاته من سليمان، ولم يضطرب أمر عيسى حتى مات سليمان آخر سنة اثنتي عشرة ومائتين.

وقال عيسى بن لهيعة: كان سعيد بن عيسى بن تلي على مسائل عيسى، ثم ضم إليه عبد الله بن عبد الحكم. فذكر يحيى بن عثمان أن ابن عبد الحكم أدخل في العدالة من لا قَدَر له ولا بيت، مثل فلان الحائك وفلان المسلماني، وفلان البياع. فيقال: إن أبا خليفة حميد بن هشام الرعياني لقيه فقال له: يا ابن عبد الحكم، كان الأمر مستوراً فهتكته، وأدخلت في الشهادة من ليس لها أهلاً. فقال له ابن عبد الحكم: إن هذا الأمر دين، وإنما فعلت ما يجب علي. فقال أبو خليفة: اسأل الله ألا يبلغك الشهادة أنت ولا أحداً من ولدك.))

### طريقته في الحكم و القضاء ﷺ :

وقال ابن يونس ومحمد بن محمد بن الأشعث: ذكر عيسى بن المنكر عنده أبي شريك المرادي فقيل كان لا يحسن القضاء، فقال: معاذ الله، بل كان رجلاً صالحاً. ولقد كانت فيه خصلة حسنة نافعة للمسلمين لما ولي القضاء جعل له صاحب مسائل يسأل له عن الشهود، ولم يقنع بذلك حتى يتنكر بالليل ويغطي رأسه ويمشي في السكك يسأل عن الشهود. وقد رآه غير واحد من الثقات كذلك.

وكان يَضَعُ قمطره في حانوت في دار عمرو بن خالد ففسدت قضية منها، فامتنع عمرو بن خالد من إدخال القمطرة داره فاكترى منزلاً في دار عمرو بن العاص، فكان عيسى إذا انصرف وضع القمطر فيها. وخُتِمَ على الباب.

وقال ابن عبدن الحكم: أشار والدي على عيسى بوجوب اليمين للمدعي على المدعي عليه بالمال - يعني يمين الاستظهار - ولو لم تقم بينهما بيعة بخلطة. فأخذ بذلك لأن الناس فسدوا. وذكر نحوه عن أصبغ في الغرباء الذين يضربون في الأرض ولا يشتررون ولا يبيعون إلا ممن لا يعرفونه ولا يخالطونه.

وقال محمد بن عيسى بن فليح: اختصم رجلان إلى عيسى بن المنكدر وكان ربما حان منه خفة في الحكم، فقضى لأحدهما على الآخر، وقال للمحكوم له: أضجع خصمك. فأضجعه فقلت في نفيس: ترى يريد ذبحه! ثم قال له: قُمْ فاجعل رجلك على خدّه حتى يذل للحق. فلما خرجا قيل له خالفت الناس في هذا. فقال: فإني لا أعود.

وقال أبو مسعود عن أبيه: خاصمت إلى عيسى فصال علي خصمي، فقال لي: ابصق في وجهه. فتوقفت فقال: والله لا أحكم لك حتى تبصق في وجهه، ففعلت فقال له: أذلك الحق فقم فادفع إليه حقه.

وقال أبو الرقراق: جاء عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم إلى عيسى برسالة أبيه في شيء فقال: لا والله لا فعلت. فلما خرج ابن عبد الحكم قال عيسى: إنه أباه يدلّ علي كأنه ألحقني بالمنكدر.

وقال أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: سمعت الشافعي يقول لعيسى بن المنكدر: أشكر الله وعائشة، فهي جعلت لكم قُرْطَيْن من ذهب.

### سبب محنته و عزله ثم سجنه ﷺ

وكان سبب عزله أنه كان بمصر جماعة من الصوفية وكانوا يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر. كان عيسى معهم. فلما ولي القضاء كانوا يأتونه فيقولون: جرى كذا وكذا فينهض معهم، فإذا لامه إخوانه قال: لا بد من القيام بحق الله. فاتفق أن المأمون ولي أخاه أبا إسحاق إمرة مصر فخافوا من سطوته، فسألوا القاضي أن يكتب إلى المأمون أنهم لا يرضون بولاية أبي إسحاق. فأقرأه المأمون الكتاب فغضب وقال: لأعلن بعيسى كذا وكذا، وأمر بعزله، فلما دخل مصر أمر بحبسه وحُبس ابن عبد الحكم لكونه من جهته فمات، وأقام ابن المنكدر للناس فخاصموه وادعوا عليه دعاوي، فاستمر محبوساً حتى خرج

أبو إسحاق من مصر. وكان عزله في رمضان سنة أربع عشرة، ثم أمر أبو إسحاق بإحضاره إلى العراق، فأخرج في ذي القعدة سنة خمس عشرة فسجنه حتى مات هناك.

قال ابن يونس: وكانت وفاته قبيل العشرين، ولم يول أبو إسحاق على مصر بعد عيسى أحدًا فبقيت مصر بغير قاض إلى أن ولي هارون بن عبد الله الزهري سنة سبع عشرة، ولكن أقام كيدر أمير مصر محمد بن مكنف بن عبّاد ينظر في المظالم ويحكم بين الناس.

وقال يحيى بن عثمان: بقيت مصر بغير قاض سنة خمس عشرة وسنة ست عشرة، فلما قدم المأمون مصر أمر يحيى بن أكثم أن يقضي بين الناس.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - رفع الإصر عن قضاة مصر - (ج ١ / ص ١٣١-١٣٢ ترتيب المدارك وتقريب المسالك - (١ / ١٩٤)

### أبو المطرف عبد الرحيم بن قاسم الشعبي رحمته الله -

**ترجمته - رحمته الله** شيخ المالكية، أبو المطرف عبدالرحيم بن قاسم الشعبي المالقي،

مفتي بلده.

سمع من قاسم المأموني بالمرية، وأبي الحسن بن عيسى المالقي، وله إجازة من يونس بن عبدالله بن شعيب، وطائفة.

روى عنه أبو عبد الله بن سليمان وغيره.

### حبسه رحمته الله :

ولي قضاء بلده، ثم سجنه أميرها تميم لأمر بلغه، فلما استولى ابن تاشفين، دعاه للقضاء فأبى، وأشار بأبي مروان بن حسون، فكان أبو مروان لا يبرم أمرا دونه، وعمر دهرًا، وبعد صيته.

مات في رجب سنة سبع وتسعين وأربع مئة، وله خمس وتسعون سنة.

مات هو وابن الطلاع في جمعة.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - سير أعلام النبلاء - (١٩ / ٢٢٧) وانظر عيون التواريخ: ١٣ / لوحة ١٢٦، والعبر: ٣ / ٣٤٩، وشذرات الذهب: ٣ / ٤٠٧.

### محمد بن علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي — رحمه الله

**ترجمته — رحمه الله —** : محمد بن علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالح ابن الكشك

صدر

الدين ابن علاء الدين، اشتغل قديماً وتمهر، ودرس وأفتى وخطب بحسبان مدة ثم ولي قضاء دمشق في المحرم سنة تسع وسبعين، ثم ولي قضاء مصر بعد ابن عمه فأقام شهراً ثم استعفى ورجع إلى دمشق على وظائفه.

**سجنه — رحمه الله —** ثم بدت منه هفوة اعتقل بسببها، ثم مات في هذه السنة بعد أن أقام مدة فقيراً خاملاً إلى أن جاء الناصري فرفع إليه أمره فأمر برد وظائفه إليه، فلم تطل مدته بعد ذلك، ومات في ذي القعدة. (١)



### محمد بن محمد بن عثمان أبو عبد الله بن الكمال بابن البارزي - رحمه الله

محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله ناصر الدين أبو عبد الله بن الكمال بن الفخر بن الكمال الجهنني الحموي الشافعي والد الكمال محمد والشهاب أحمد ويعرف كسلفه بابن البارزي

#### مولده و نشأته العلمية رحمه الله :

ولد في يوم الإثنين رابع شوال سنة تسع وستين وسبعمائة ومات أبوه وهو ابن سبع فنشأ في كنف أحواله وحفظ القرآن والحاوي وغيره واشتغل ببلده حتى تميز في فنون وتصرف في الأبد والإنشاء وولي قضاءها في سنة ست وتسعين ثم كتابة سرها وناكده نائبها يشبك من ازدمر وأخذ منه مالاً فراسله المؤيد شيخ وهو حينئذ نائب طرابلس يشفع فيه فأطلقه فتوجه إليه بطرابلس فأقام معه ومال إليه حتى صار من خواصه وباشر نظر جيش حلب مدة يسيرة في سنة تسع وثمانمائة ثم عاد إلى بلده فلما ارتقى المؤيد لنيابة دمشق فولاه خطابتها وبالع في إكرامه واستمر معه

#### توليئه القضاء و سجنه رحمه الله :

اعتقل بقلعة دمشق إلى أن قدمها الناصر لقتال شيخ ونوروز فأطلقه فلما كانت وقعة اللجون بين شيخ والناصر خرج إلى شيخ فأكرمه وتوجه معه إلى القاهرة فراغى له سالف خدمته ومخاطرته معه بنفسه في عدة مرار وكتب له التوقيع قبل سلطنته ثم بعدها بثلاثة أشهر ولاه كتابة سر الديار المصرية عوضاً عن فتح الله في شوال سنة خمس عشرة وبالع في إكرامه والاختصاص به بحيث لم يكن يخرج عن رأيه في غالب الأمور ولا يفارقه بل يأمره بالمبيت عنده في كثير من الليالي وصار مدار الدولة المؤيدية عليه وحصل أموالاً جمّة وأحمد ذكر كثير ممن كان يناوئه ونال من الحرمة والوجاهة ما لم ينله غيره من أبناء جنسه واستقر به خطيب جامعته وخازن كتبه وكان بيته متنزهاً له، وسار على طريقة الملوك في مماليكه وحشمه إلى أن مرض في أوائل رمضان ولزم الفراش مدة، ثم مات بعلّة الصرع في يوم الأربعاء ثامن شوال سنة ثلاث وعشرين ودفن بجوار الإمام الشافعي تحت شباكه من القرافة على ولده الشهاب



أحمد ومشى الناس في جنازته من منزله بالخراطين إلى الرميطة ولم يصل عليه السلطان لأنه كان حينئذ في غاية الضعف بل حضر جنازته كل من بالقاهرة من القضاة والعلماء والمشايخ والأمراء والخليفة وتقدمهم الشافعي ، وظهرت له أموال عظيمة احتاط السلطان على معظمها..<sup>(١)</sup>



---

<sup>١</sup> - الضوء اللامع - (٤ / ٣٥٣) نظم العقيان في أعيان الأعيان - (ج ١ / ص ٥٧) طبقات الشافعية - (ج ١ / ص ٢١٩)

## محمد بن أحمد بن مخلد القرطبي رحمته الله

**ترجمته - رحمته الله :** محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد:

من أهل قرطبة وقاضيه؛ يكنى: أبا عبد الله.

**توليه القضاء و محنته - رحمته الله - :**

روى عن أبيه أحمد، وعمه أبي الحسن عبد الرحمن وتولى القضاء بقرطبة مرتين. الأولى بتقديم محمد بن جمهور، والثانية بتقديم المأمون يحيى بن ذي النون، ولم تحفظ له قضية جور، ولا ارتشا في حكم، وكان من بيته علم ونباهة وفضل وجلالة، وقد حدث عنه أبو علي الغساني وغيره. وأنا عنه ابنه أبو الحسن، وأبو القاسم بما رواه. وصرف عن القضاء وامتنح بسببه محنة عظيمة نفعه الله بها. وتوفي بمدينة إشبيلية بعد انطلاقه من اعتقاله في صفر سنة سبعين وأربع مائة. ومولده في سنة سبع وتسعين وثلاث مائة. أخبرني بذلك ابنه شيخنا أبو القاسم.<sup>(١)</sup>

يقول الذهبي - رحمه الله : وولي القضاء مرتين، ولم تحفظ له قضية جَوْر.

روى عنه: أبو علي الغساني، وابنائه أبو الحسن وأبو القاسم ابنا أبي عبد الله.

وعزل ثاني مرة، وامتنح بسبب القضاء محنة عظيمة. ومات بعد إطلاقه من السجن في صفر بإشبيلية، وله ثلاث وسبعون سنة.<sup>(٢)</sup>



<sup>١</sup> - الصلة - (ج ١ / ص ١٧٨)

<sup>٢</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (٧ / ٢٨٣)

## القاضي عبد الله بن محمد بن أبي القاسم رحمته الله

**ترجمته - رحمته الله -** عبد الله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري

التونسي الأصل المدني المولد والمنشأ كنيته أبو محمد

قرأ القرآن على الشيخ أبي عبد الله القصري المقرئ وروى عنه وسمع الحديث بالمدينة على والده وعلى أبي عبد الله: محمد بن حريث البلنسي ثم السبتي خطيب سبتة وفتيها وعلى الشيخ عز الدين: يوسف الزرندي والشيخ جمال الدين: محمد بن أحمد المقرئ والشيخ شرف الدين: الزبير الأسواني وسراج الدين الدمنهوري والشيخ أبي عبد الله: محمد بن جابر الواداشي وقطب الدين بن مكرم المصري وزين الدين الطبري وسمع بمكة من الشيخ رضي الدين الطبري وغير هؤلاء وخرج له الفقيه المحدث شرف الدين بن بكر المصري نزيل مكة المشرفة -

### مشيخة كثيرة حافلة مشتملة على ذكر شيوخه ومروياته. - رحمته الله -

أخذ علم الفقه والعربية عن والده كان من أكابر الأئمة الأعلام ومصابيح الظلام عالماً بالفقه والتفسير وفقه الحديث ومعانيه وسمعه يقول: لازمت تفسير بن عطية حتى كدت أحفظه وكان بارعاً في علم العربية وتآليفه فيها شاهدة له بذلك ولما لقيه الشيخ أثير الدين أبو حيان شيخ عصره وإمام وقته في العربية - ووقف على كلامه في إعراب بانته سعاد فقال: ما ظننت أنه يوجد بالحجاز مثل هذا الرجل واستعظم علمه وأثنى عليه وسمعه يقول: اشتغلت في علم العربية وأنا بن ثمان عشرة سنة وتخرج عليه فيها جماعة فضلاء.

### مكانته العلمية ومحنته - رحمته الله -

وكانت مشاركته في أصول الدين مشاركة حسنة وحدث ودرس وأفاد وإليه انتهت الرياسة بالمدينة النبوية أقام مدرساً للطائفة المالكية ومتصدراً للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة وانفرد في آخر عمره بعلو الإسناد فلم يكن في المدينة أعلى سناً وسنداً منه وكان صبوراً على السماع والأشغال وكان كهفاً لأهل السنة يذب عنهم ويناضل الأمراء والأشراف وانتهى به ذلك إلى أن امتحن ورصد في السجن في طريق الحرم فطعن طعنة عظيمة أريد بها قتله فصرف الله عنه شرها وعافاه منها.

**عبادته ﷺ :**

وكان عليه مدار أمور الناس بالمدينة النبوية وناب في القضاء نحو أربعة وعشرين سنة وأم في المحراب النبوي في بعض الصلوات ودعي إلى أن يقوم بالخطابة والإمامة نائباً فامتنع إعظماً للمقام النبوي وكان كثير التلاوة ليلاً ونهاراً خصوصاً في آخر عمره حتى إنني شاهدته في أيام الموسم والناس في أشد ما هم فيه من الاشتغال وهو مشغول بورده في التلاوة لا يقطعه عنه شيء وكان يحيي غالباً الثلث الأخير من الليل بالصلاة والتلاوة من حادثة سنه إلى أن ثقل بمرض الموت رحمه الله.

وكان مواظباً على الصلوات في الصف الأول من الروضة النبوية نحو ستين سنة وما يفتح باب الحرم في السحر إلا وهو على الباب وحج نحو خمسة وخمسين حجة ولم يخرج من المدينة إلا إلى مكة المشرفة للحج إلى أن مات بالمدينة.

وكان ممن جمع الله تعالى له العلم والعمل والدنيا والدين فكان أعظم أهل المدينة يساراً وأكثرهم عقاراً وأوسعهم جاهاً وأنفذهم كلمة وأعظمهم حرمة وألينهم عريكة وأحسنهم بشاشة صبوراً على الأذى يجزي بالحسنة السيئة ويسع الناس بخلقه ويواسي الفقراء بمعرفه ويصل أعداءه ببره ويحفظ من مات منهم في ذريته وبهمته وسياسته أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإمامية من المدينة فعزلت قضاتهم وانكسرت شوكتهم وخمدت نارهم وذلك أنه لما باشر الأحكام نيابة عن القاضي تقي الدين الهوريني في سنة ست وأربعين وسبعمائة - سعى في عزل قضاتهم فنودي في شوارع المدينة بتبديل أحكامهم والإعراض عن حكاهم فكان ذلك أول أسباب قوة أهل السنة وعلو أمرهم وكم له من حسنات في تمهيد إعزاز السنة وإخماد البدعة نفعه الله بنيته وتغمده برحمته.

**مؤلفاته - رحمه الله -** وله تآليف عديدة في أنواع شتى منها كتاب الدر المخلص من التقصي الملخص جمع فيه أحاديث الكتابين المذكورين وشرحه بشرح عظيم الفائدة في أربع مجلدات سماه: كشف المغطا في شرح مختصر الموطا وشرح مختصر التفريع لابن الجلاب النيلي سماه: كفاية الطلاب في شرح مختصر الجلاب وله: نهاية الغاية في شرح الآيات وأسئلة وأجوبة على آيات من القرآن. وله في العربية: العدة في إعراب العمدة عمدة الأحكام في الحديث أعربها إعراباً جامعاً لوجوه الإعراب واللغة والاشتقاقات وسلك فيه مسلكاً غريباً لم يسبق إلى مثله وهو آخر ما ألف وقرئ عليه مراراً وله كتاب التيسير في علمي البناء والتغيير في النحو وكتاب المسالك الجلية في القواعد العربية وشفاء الفؤاد في

إعراب بانة سعاد وله شرح قواعد الإعراب لابن هشام وغير ذلك من التقاييد والتعليق المفيدة وكتبه كلها في غاية الجودة والإتقان.

### وفاته ﷺ :

ولما حج آخر حجاته قال: هذه حجة الوداع فلما أحس بالمرض أمر بحفر قبره في بقعة مخصوصة فظهر مقطع جص لم يدفن فيه أحد قبله وأوصى أن يعتق عند قبره عبيد وأن يتصدق على الفقراء بصدقة واسعة وكتب وصيته بيده وأخرج من ماله وصايا وتبرعات وصدقات وأوقافاً نحو ثلاثين ألفاً ووقف على الفقراء فرناً تصرف غلته عليهم في كل يوم وأعتق في حياته عدة عبيد وإماء وكان له خادم في الحرم تقرب به لخدمة الضريح النبوي وكان مطمئن النفس بقاء الله عز وجل مستحضراً لما ينبغي استحضاره ولما دخل في السياق ذكرته: فقال: ما أنا بغافل رحمه الله تعالى ويشبه هذا الجواب ما وقع للشيخ تاج الدين الفاكهاني - لما حضرته الوفاة - قال صهره الفقيه ميمون: شهدت بين يديه ففتح الشيخ عينيه وأنشد:

وغدا يذكرني عهداً بالحمى ومتى نسيت العهد حتى أذكرا؟

توفي رحمه الله يوم الجمعة عاشر ربيع الأخير سنة تسع وستين وسبعمائة. مولده يوم الثلاثاء السادس من جمادى الأخيرة سنة ثلاث وتسعين وستمائة رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>.



<sup>١</sup> - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - (١ / ١٨٣-١٨٧) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - (ج ١ / ص ٢٨٨) الضوء اللامع - (ج ٢ / ص ٤٥١) الوفيات لابن رافع - (ج ١ / ص ٨٨) معجم المؤلفين - (ج ٦ / ص ١٣٧)

القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد الله التَّحْريري المالكي رحمته الله

قدم القاهرة وهو فقير جدا، فاشتغل، وأقرأ الناس في العربية، ثم ولي قضاء طرابلس فسار إليها، ونالته محنة من منطاش، ضربه فيها وسجنه بدمشق، فلما فرّ منطاش رجع إلى القاهرة وقد تمّول، فسعى إلى أن ولي قضاء المالكية في محرم سنة أربع وتسعين فلم تحمد سيرته، فصرف في ذي القعدة، واستمرّ إلى أن مات معزولا في رجب.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩/ ٤٣)

### القاضي ابن المأمون أحمد بن علي بن هبة الله بن الحسن رحمهم الله

**ترجمته رحمهم الله -** ابن المأمون: أحمد بن علي بن هبة الله بن الحسن بن علي ابن محمد بن يعقوب بن الحسين بن عبد الله المأمون العباسي المعروف بابن المأمون البغدادي شهاب الدين حبسه المستنجد مع القضاة إحدى عشرة سنة أفرجه المستضيئ بالله مولده سنة ٥٠٩ وتوفي سنة ٥٨٦ ست وثمانين وخمسائة له أسرار الحروف والكلمات. شرح الفصيح لثعلب في الفقه.<sup>(١)</sup>

أحمد بن علي بن المأمون النحوي القاضي صاحب الخط المليح والنقل الصحيح، مولده سنة تسع وخمس مائة ووفاته سنة ست وثمانين وخمس مائة، وهو ابن علي بن هبة الله بن الحسن بن علي الزوال، وأصله الزول وإنما غيره المتكلمون به وزادوه ألفاً، والزول الرجل الشجاع، ابن محمد بن يعقوب بن الحسين بن عبد الله المأمون بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ختم القرآن وقرأه للعشرة هو وإسماعيل بن الجواليقي وكانا يتعاضدان على القراءة، وكتب الخط على الحسن بن منصور بن الحسن الجزري، وقرأ اللغة والنحو على أبي منصور بن الجواليقي، قرأ عليه من حفظه وغير حفظه كثيراً،

**توليئه القضاء وحبسه رحمهم الله -** وتولى القضاء سنة أربع وثلاثين وخمس مائة، ولما تولى المستنجد حبس القضاة وبقي ابن المأمون في الحبس إحدى عشرة سنة

وأخذ جميع ما يملكه وكتب في الحبس ثمانين مجلدة منها "الجمهرة" لابن دريد مجلدان. و "شرح سيبويه" ثلاث مجلدات. و "إصلاح المنطق" محشى مجلدة. و "الغريبين" للهروي مجلدة. و "أشعار الهذليين". ثلاث مجلدات. و "شعر المتنبي" مجلدة. و "غريب الحديث" لأبي عبيد مجلدتان، وأشياء غير ذلك، وحفظ أولاده الختمة وحفظهم كتباً كثيرة في العربية والتفسير وغريب القرآن والخطب والأشعار وشرح لهم "كتاب الفصيح" وجمع لهم كتاباً سماه "كتاب أسرار الحروف" يبين مخارجها ومواقعها من الزوائد والمنقلب والمبدل والمتشابه والمضاعف وغير ذلك. ولما ولي المستضيئ رحمه الله تعالى أفرج عن ابن المأمون وأعاد عليهم كل ما كان في الخزانة بأسمائهم وكان في ذلك

<sup>١</sup> - هدية العارفين - (١ / ٤٦) ابن المأمون البغدادي

صرة فيها ثلاث مائة دينار إمامية صحاح وأعد سهاماً في ثلاث قرايا على ابن المأمون وأعادته إلى ولايته، ومن شعره:

فؤاد المشوق كثير العنا      ومن كتم الوجد أبدى الضنى

وكم مدنفٍ في الهوى بعدهم      وكانوا الأمانى له والمنى

ينادي من الشوق في إثرهم      إذا آده ما به قد منا

بيا جسداً ناحلاً بالعراق      مقيماً وقلباً بوادي المنى

تحرقه زفرات الحنين ... ويغدو بهن الشجا ديدناً<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - الوافي بالوفيات - (ج ٢ / ص ٤٥١)



### القاضي جـار الله إبراهيم الحلواني الوعظ رحمته الله

**محنته و محبسه رحمته الله** - أحضر قاضي الحنفية جـار الله إبراهيم الحلواني الوعظ فعززه وسجنه ومنعه من الكلام، وذلك أنه كان يوماً في ميعاده يقرأ بالجامع الأزهر فأحضر له شخص يقال له القدسي كتاباً فيه من مناقب الشافعي، فقال له: أمرك القاضي برهان الدين بن جماعة أن تقرأ هذا الكتب على الناس، فقرأه فمر فيه أن شخصاً رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقرأ هذه الآية: **{فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ}** [الأنعام: ٨٩] ، وأشار عند قوله: " هؤلاء " إلى أبي حنيفة وأصحابه وبقية الآية إلى الشافعي وأصحابه، فبلغ ذلك بعض الحنفية فشكوه إلى جـار الله، فأحضره وعززه وأحضر القدسي فحلف أن ابن جماعة لم يأمره بشيء من ذلك وإنما اقترح هو ذلك من قبل نفسه وأراد أن تسمع الناس مناقب الشافعي ولم يعرف أن فيها هذه القصة فعززه الحنفي أيضاً وسجنه، ثم سعى الشيخ سراج الدين البلقيني في أمر الحلواني إلى أن أخرج من السجن وأقام في منزله ممنوعاً من قراءة البخاري، ثم سعى هو حتى أذن له في الكلام على عادته، وأعانه برهان الدين بن جماعة. (١)



١ - إنبياء الغمر بأبناء العمر - ( ١ / ٧٠ )

### القاضي السفطي، ولي الدين محمد بن أحمد - رَحِمَهُ اللهُ -

**ترجمته - رَحِمَهُ اللهُ -** محمد بن أحمد بن يوسف بن حجاج، قاضي القضاة ولي الدين السفطي الشافعي. ولد سنة ست وتسعين وسبعمائة. وأخذ الفقه عن الجلال البلقيني، والبرهان البيهقوري، والنحو عن الشطنوفي. ولازم العز بن جماعة، والعلاء البخاري. وولي مشيخة الجمالية عن نور الدين علي بن الشيخ ولي الدين العراقي. ثم ولي قضاء القضاة بالديار المصرية، ثم عزل وأهين. مات في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وثمانمائة.<sup>(١)</sup>

### محبته وسجنه - رَحِمَهُ اللهُ -

وفي هذا اليوم، أخرج ولي الدين السفطي من سجن المقشرة، وذهب ماشياً من السجن إلى بيت قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، ثم توجه منه راكباً إلى المدرسة الصالحية، وحضر قاضي القضاة أيضاً بالصالحية، فلم ينفصل له أمر، طلق من الغد من الترسيم.<sup>(٢)</sup>



<sup>١</sup> - نظم العقيان في أعيان الأعيان - (ج ١ / ص ٤٧)

<sup>٢</sup> - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - (٤ / ٢٨٨)

### القاضي محمد بن ظهيرة -رحمه الله-

**ترجمته -رحمه الله-** : محمد بن ظهيرة: محمد بن أبي السعود بن إبراهيم، الشيخ الإمام العلامة،

قاضي قضاة مكة المشرفة صلاح الدين بن ظهيرة المكي الشافعي.

**محنته وحبسه -رحمه الله-** : جرت له محنة في أيام الجراكسة، وهي أن السلطان الغوري حبسه بمصر

من غير جرم ولا ذنب. بل للطمع في مال يأخذه منه على عادته، ولما خرج بعساكره من مصر لقتال السلطان سليم بن عثمان. أطلق كل من في حبسه من أرباب الجرائم وغيرهم، ولم يطلق صاحب الترجمة. بل أبقاه في الحبس، وسافر، فقتل في مرج دابق، فلما وصل الخبر بقتله، وكسر عسكر الجراكسة إلى مصر، وتسلم طومان باي. توجه السلطان طومان باي إلى الحبس، وأطلق القاضي صلاح الدين، ثم لما وصل السلطان سليم خان إلى مصر جاء إليه القاضي صلاح الدين، فأكرمه وعظمه وخلع عليه وجهزه إلى مكة معزوزاً مكرماً مع الإحسان إليه، وكان بمصر جماعة من الحجازيين، فأحسن السلطان سليم إليهم كلهم، وكان القاضي صلاح الدين هو المشار إليه في تفرقة الصدقات السليمية في تلك السنة، وخطب عام إذ في الموقف الشريف خطبة عرفة، وبقي بمكة إلى أن توفي رحمه الله تعالى - في أواخر سنة ست أو أوائل سنة سبع وعشرين وتسعمائة. وصلي عليه غائباً بالجامع الأموي بدمشق يوم الجمعة سابع عشري ربيع الأول سنة وعشرين وتسعمائة.)<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة - (١ / ١٢) معجم المؤلفين - (ج ١٠ / ص ٢٤)

## القاضي ابن زرقون - رحمه الله -

**ترجمته - رحمه الله (١)** ابن زرقون \* شيخ المالكية أبو الحسين محمد ابن الإمام الكبير أبي عبد الله

محمد ابن سعيد بن أحمد الأنصاري الأشبيلي، ابن زرقون.

حمل عن أبيه، وابن الجد، وأبي العباس بن مضاء، وطائفة.

وبرع في الفقه، وصنف كتاب " المعلى في الرد على المحلى ".

وقيل: له إجازة من أبي مروان بن قزمان، وقد امتحن وقيد وسجن بعد أن عزموا على قتله لكونه منع

من إلقاء الفقه، فإن صاحب الغرب يوسف بن يعقوب منع من قراءة الفروع جملة، وبالغ في ذلك،

وألزم الناس بأخذ الفقه من الكتاب

والسنن على طريقة أهل الظاهر، فنشأ الطلبة على هذا بالمغرب من بعد سنة ثمانين وخمس مئة.

## محنته وحبسه - رحمه الله -

وكان القاضي أبو الحسين أديبا له النظم والنثر، وكان كامل العقل، ريش المزاج، قل أن ترى العيون

مثله، ظفر السلطان به وبالعالم آخر يقرئان الفروع، فأخذوا وأجلسوا للقتل صبورا، ثم قيدوا وسجنا بعد سنة

تسعين، ثم مات رفيقه، وطال هو حبسه، وشدد ابن عبد المؤمن في ذلك، على أن من وجد عنده ورقة

من الفروع قتل دون مراجعته، وخطب بذلك خطبا، فانظر إلى هذه البلية، وأحرقت كتب المذكورين.

ولأبي الحسين كتاب " فقه حديث بريرة " وكتاب " قطب الشريعة ".

روى عنه عدد كثير.

وتوفي سنة اثنتين وعشرين وست مئة (٢)، وله نحو التسعين، فإنه كان يقول: رأيت شريح بن محمد.

<sup>١</sup> - التكملة لابن الأبار: ٢ / ٦١٦ - ٦١٧، وشذرات الذهب: ٥ / ٩٦. تهذيب الكمال - (٢٩ / ٤٣) سير أعلام النبلاء - (٢٢ / ٣١١)

<sup>٢</sup> سير أعلام النبلاء - (ج ٢٢ / ص ٣١٢)

## القاضي الحسين الزهراء رحمته الله

**ترجمته رحمته الله - الشيخ الحسين الزهراء.**

شاعر من شعراء السودان في العصر الحديث، ولد في قرية واد شعير بالقرب من المسلمية جنوب الخرطوم من أبويين عباسيين، حفظ القرآن، وتلقى مبادئ التعليم الديني.

**محنته و سجنه رحمه الله -** ثم سافر إلى القاهرة لمواصلة تعليمه في الأزهر، ثم عاد إلى بلده معلماً، ثم داعياً من دعاة الثورة المهدية، وجعل من شعره لساناً للثورة، تولى القضاء ولقب بقاضي الإسلام، ثم سجن حتى مات في سجنه.<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - معجم الشعراء العرب (ص: ١٧٧٧)

### عمر الرافعي رحمته الله

**ترجمته رحمته الله** عمر تقي الدين بن عبد الغني بن أحمد بن عبد القادر الرافعي.

وهو أول من لقب بهذا اللقب وإليه تنسب الرافعية في مصر والشام.

**محنته و سجنه رحمته الله** -قاضي اديب وشاعر ومفتي متصوف نشأ وترعرع في طرابلس الشام ودرس

تفسير القرآن بين يدي الشيخ محمد عبده في مصر

حاول إنشاء جريدة باسم باب النصر بحلب سنة ١٩٠٦ فلم ينجح، عمل محامياً بدمشق سنة ١٩١٣م

ثم سجنه العثمانيون سنة ١٩١٦ بتهمة العمل ضد السلطنة والتعاون مع الجمعية الثورية العربية

وصفه الشيخ عبد الكريم عويضة الطرابلسي بقوله: مجد الأدب الروحي في دنيا العرب تقريباً لكتابه  
مناجاة الحبيب.

انتخب في عام ١٩٤٨ مفتياً لطرابلس وتوجه عمامة الفتوى السيد الحاج عبد الله الغندور.

له: مناجاة الحبيب، أساليب العرب في الشعر والرسائل والخطب، الغضبة المضربة في القضية  
العربية.<sup>(١)</sup>



### بلال بن أبي بردة رحمته الله

<sup>١</sup> - معجم الشعراء العرب (ص: ٦٢٤)

## ترجمته - ﷺ - (١)

بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري أبو عمر ويقال أبو عبد الله أمير البصرة. روى عن أبيه وعمه أبي بكر وأنس بن مالك. وعنه قتادة وثابت البناني وسهل بن عطية وآخرون. وكان ذا رأي ودهاء، وقد ولي أيضاً قضاء البصرة مدة.

## قدومه على عمر بن عبد العزيز

وعن جويرية بن أسماء قال: استخلف عمر بن عبد العزيز فوفد بلال فهنأه وقال: من كانت الخلافة يا أمير شرفته فقد شرفتها ومن كانت زانته فقد زنتها وأنت كما قال مالك بن أسماء: وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسيه أين مثلك أيننا

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

فجزاه عمر خيراً ولزم بلال المسجد يصلي ويقرأ ويتعهد فهم عمر به أن يوليه العراق ثم دس ثقة له فقال لبلال وذكر القصة قال: فنفاه عمر وقال: يا أهل العراق إن صاحبكم أعطى مقولاً ولم يعط معقولاً زادت بلاغته ونقصت زهادته.

وقيل: إن ذاك الرجل أخذ حظ بلال بالمال ثم حمل ذلك الحظ إلى عمر. (٢)

## ظلمه في حكمه

وقال عمر بن شبة: كان بلال بن أبي بردة ظلوماً جائراً لا يبالي ما صنع في الحكم ولا في غيره. وقال المدائني: كان بلال قد خاف الجذام فوصف له سمن يقعد فيه فكان يقعد ثم يأمر بالسمن فيباع فتحب السوق شراء السمن.

وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميري:

<sup>١</sup> - تاريخ الإسلام للذهبي - (٢ / ٤١٢) تهذيب التهذيب ١ / ٣١٤ والوافي ١٠ / ٢٧٨ له ذكر في سير الاعلام ٥ / ٦

<sup>٢</sup> - مختصر تاريخ دمشق - (ج ٢ / ص ٢١٠) تاريخ الإسلام للذهبي

وكل زمان الفتى قد لبست      خيراً وشرّاً وعدماً ومالاً

فلا الفقر كنت له ضارعاً      ولا المال أظهر مني اختيالاً

وقد طفت للمال شرق البلاد      وغربيها وبلوت الرجال

فلو كنت ممتدحاً للنوال      فتى لمدحت عليه بلالاً

ولكنني لست ممن يريد      بمدح الملوك عليه النوال

سيكفي الكريم إزاء الكريم      ويقنع بالود منه سؤالاً

ثم إنه هجا بلالاً بأبيات ، وكان بلال من الأكلة المعدودين .

ذكر المدائني أن بلال أرسل إلى قصاب سحراً قال : فدخلت عليه وبين يديه كانون وعنده تيس ضخمة فقال : اذبحه واسلخه وكبب لحمه . ففعلت ودعا بخوان فوضع وجعلت أكبب اللحم فإذا استوى منه شيء وضعت بين يديه فأكله حتى تعرقت له لحم التيس ولم يبق إلا بطنه وعظامه وبقيت بضعة على الكانون فقال لي : كلها فأكلتها . وجاءت جارية بقدر فيها دجاجتان وفرخان وصحفة مغطاة فقال : ويحك ما في بطني موضع فضعيها على رأسي فضحكنا ، ودعا بشراب فشرب منه خمسة أقداح وسقاني قدحاً .

حدثنا قتادة ، أن بلال بن أبي بردة لما ولي البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : سحابة سيف عن قليل تقشع ، فدعا بلال بخالد ، فقال : أنت القائل سحابة سيف عن قليل تقشع ؟

إما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ، فضربه مائة سوط .

عن الأصمعي ، والعلاء بن الفضل ، عن أبيه ، قال : كان خالد يأتي بلالاً في ولايته ، ويغشاه في سلطانه ، ويغتابه إذا غاب عنه ، ويقول : ما في قلب بلال من الإيمان إلا مثل ما في بيت أجلي الورد الحنفي ، وكان أبو الورد الحنفي مفلساً ، فأخذه بلال ، وخاف أن يقتله ، فسأله أن يطلقه فأبى بلال أن يطلقه ، إلا بعشر كفلاء منهم نعيم بن صفوان ، فكفلوا به على أنه إن غاب فعليهم مائة ألف درهم ، إلا نعيماً فإنه ليس عليه من المال شيء ، فهرب خالد فأخبرهم ، فأخذ بلال المائة ألف من التسعة الكفلاء فقال خالد :



أُتيح لنا من أرضه وسمائه \* بلال أراح الله منه فعجلاً

عن معافى بن نعيم بن مورع العنبري؛ قال: غضب المهدي على شبيب بن شيبه في أمر ذكره، فأمر بهجائه، ثم رضي فأمر بالإذن له، فقال شبيب: إنما مثلي ومثلك ما قال رؤبة لبلاد بن أبي بردة:

إني وقد تعنى أمور تعتني ... على طريق العذر إن عذرتني

فلا ورب الآمات القطن ... يعمرن أماناً بالحرام المأمن

بمحبس الهدى ورب البدن ... ورب وجه من حراء منحني

ما آيب سرّك إلا سرّني ... شكراً وإن عرّك أمر عرّني

ما الحفظ إما النصح إلا أنني ... أخوك والراعي لما استرعيتني

إني إذا لم ترني كأُنني ... أراك بالغييب وإن لم ترني

قال: وكان بلال بخيلاً على المال والطعام يعمل له الطعام الكثير فإذا غرب الشمس أو تغرب وضع الموائد، فإذا مد الناس أيديهم أذن المؤذن، فقام، وقام الناس وانتهبت الموائد، فأصبح جيرانه يشترون ذلك الطعام ممن انتهبه.

عن هشام بن قحذم؛ قال: كان بلال قد خاف الجذام، فوصف له السمن يستنقع فيه فكان يفعل، ثم يأمر بذلك السمن فيبيع، فتتكب الناس شراء السمن بالبصرة.

عن علي بن محمد؛ قال: كتب خالد بن عبد الله القسري إلى بلال بن أبي بردة يأمره بتولية رجل قد سماه، فبعث إلي بلال يدعو فآلفاه رسوله قائماً يصلي؛ فقال: أجب الأمير، فقال: أفرغ من صلاتي ثم آتية، فجاء الرسول إلى بلال فأخبره، فقال: ارجع إليه فقل له: إن الأمر الذي كنت تصلي له قد أتاك فعجل المجيء، يعني أنه كان يراني ليولى، قال وكان بلال أحد المرانين.<sup>(١)</sup>

وقال المدائني: نظر رجل إلى بلال يطيل الصلاة فأرسل إليه، والله لو صليت حتى تموت ما وليتك شيئاً، فقال بلال للرسول. قل له والله لئن وليتني لا تعزلني أبداً، فأرسل إليه فولاه.<sup>(٢)</sup>

<sup>١</sup> - أخبار القضاة - (ج ١ / ص ١١٠)

<sup>٢</sup> - أخبار القضاة - (ج ١ / ص ١١٤)

عن عقيل، قال: أمر بلال بن أبي بردة داود بن أبي هند أن يحضره عند تقدم الخصوم إليه فإنه حكم بخطأ رمى بحصاة ليرجع، وكان داود يفعل، فإذا أخطأ رمى بحصاة ليرجع بلال عن خطئه، وينظر حتى يصيب، فتقدم إليه مولى له ينازع رجلاً، فحكم لمولاه ظلماً، فرمى داود بحصاة، فلم يرجع، ثم عاد فرمى بحصاة حتى رمى بحصياته، فقال له بلال: قد فهمت ما تريد، ولكن ليس هذا مما يرمي له بالحصى هذا مولاي.

ويقال: قدم عليه رجل بكتاب شفاعته من بعض أصحاب خالد، فحكم له على رجل بأرض واسعة، ينتزعها من يد الرجل ظلماً، فمكثت في يد الشفيع عليه زمناً، ثم أتى بلالاً فقال: خذها لي بغلاتها؛ فقال: أما ترضى أن آخذ لك منه الأرض بغير حق ثبت لك عليه، حتى تطالبه فانزعها من يده، وردّها على الأول.

قال أبو عبيدة: لما ولي خالد بلال بن أبي بردة القضاء جعل بلال ينفذ أقضيته إلى سعد بن حيان اليمامي؛ قال: وكان بلالاً ظلوماً، ما يبالي ما صنع في الحكم وغيره.

قالوا وقدم رسول لخالد على بلال يريد السند، فنظر الرسول إلى رجل قاعد قبالة دار بلال، في ظل وعليه مظلة، فأقبل على بلال، فقال: أما ترى الرجل الجالس في الظل وعليه مظلة؟ قال: بلى. قال: فإني أحب أن تأمر بحبسه، فأقام في السجن لا يسمع منه شيء حتى قدم الرسول من السند؛ فقال لبلال: ما فعل الرجل المحبوس؟ قال: على حاله، فأرسل إليه؛ فقال: علام حبستني أصلحك الله؟ قال: لا أدري والله سل هذا؛ فقال للرجل: لم حبستني؟ قال لأنك في الظل، وعليك مظلة.<sup>(١)</sup>

### محنته وحبسه ﷺ

وعن الحكم بن النضر قال: قتل بلالاً دهاؤه فإنه لما حبس قال للسجان: خذ مني مائة ألف وأعلم يوسف بن عمر أنني قد مت - وكان في حبسه - فقال له السجان: فكيف تصنع إذا سرت إلى أهلك - قال: لا يسمع لي يوسف بخبر ما دام حياً على العراق، فأتى السجان يوسف بن عمر فقال: مات بلال قال: أرنيه ميتاً فإني أحب ذلك، فحار السجان فجاء فألقى على بلال شيئاً غمه حتى مات ثم أراه يوسف وذلك في سنة نيف وعشرين ومائة.<sup>(٢)</sup>

<sup>١</sup> - أخبار القضاة - (ج ١ / ص ١١٥)



القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري رحمته الله

**ترجمته** — رحمته الله بن فضل الله العمري، القاضي شهاب الدين ابن القاضي علاء الدين بن القاضي

محيي الدين.

كان بارعاً أديباً فاضلاً، ولي كتابة سر دمشق عوضاً عن فتح الدين أبي بكر محمد بن إبراهيم بن الشهيد في سنة خمس وسبعين وسبعمائة، ودام في الوظيفة إلى أن توفي بدمشق سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وقد أناف على ثلاثين سنة. وولي عوضه كتابة سر دمشق القاضي بدر الدين محمد بن مزهر وشهاب الدين هذا غير عمه القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله صاحب مسالك الأبصار " في ممالك الأمصار ". انتهى<sup>(١)</sup>.

" ثالث عشره: أفرج عن القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري من سجنه بقلعة الجبل، بعدما أقام مسجوناً سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

وسبب الإفراج عنه أنه كان في السجن كاتب قد سجن على تزوير خط السلطان وكان قد قبض عليه في أيام مباشرة شهاب الدين لوظيفة كاتب السر، ورسم السلطان بقطع يده، فمازال شهاب الدين يتلطف في أمره حتى عفي من قطع يده وسجن.

فاتفق في هذا الوقت أنه رفع قصة ينهي فيها توبته، ويسأل العفو عنه، فلم يتذكر السلطان شيئاً من خبره، فقليل له إن شهاب الدين يعرف خبره، فبعث إليه في ذلك وطالعه بأمره، فأفرج عن الكاتب وعن شهاب الدين، ونزل شهاب الدين إلى داره

منزلته في الإنشاء معروفه، وفضيلته في النظم والنثر موصوفه، كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة، بعد أبيه محي الدين، ثم عزل بأخيه القاضي علاء الدين، وكتب السر بدمشق، ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف، حتى مات عن نعمة وافرة، دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان، فنزل بالمدرسة التي أنشأتها، ففرح لي بها، وأنشد فيها بيتين أرسلهما إلى بخطه وهما:

وفي بلد المعرة دار علم بني الوردي منها كل مجد

هي الوردية الحلواء حسناً وماء البئر منها ماء ورد

فأجبت به بقولي:

مولانا شهاب الدين إني حمدت الله إذ بك تم مجدي

<sup>١</sup> - المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي - (ج ١ / ص ٨٨) السلوك لمعرفة دول الملوك - (٢ / ٣٣)

جميع الناس عندكم نزول وأنت جبرتنني ونزلت عندي<sup>(١)</sup>



القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحبال رحمته الله

<sup>١</sup> - المختصر في أخبار البشر - (ج ٢ / ص ٦٥)

في تاسع عشرينه: أحضر القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحبال، قاضي الحنابلة بطرابلس، وضرب بين يدي السلطان، بسبب قيامه مع منطاش وأخذ طرابلس، وقتل من قتل بها، وأن ذلك كان بفتواه لهم.<sup>(١)</sup>

وفي آخر صفر أحضر شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحبال قاضي الحنابلة بطرابلس، وضرب بين يدي السلطان الظاهر بسبب قيامه مع منطاش وفتواه لأهل طرابلس بقتال الظاهر، وأمر بسجنه ثم شفع فيه فأطلق، وقد ولى هذا قضاء الشام في دولة الملك الظاهر ططر بعناية علم الدين ابن الكوايز كاتب السر إذ ذاك بصحبته إياه من طرابلس.<sup>(٢)</sup>



**حبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مري البعلبكي الحنبلي رحمته الله**

<sup>١</sup> - السلوك لمعرفة دول الملوك - (ج ٢ / ص ٤٣٨)

<sup>٢</sup> - إنباء الغمر بأبناء العمر - (ج ١ / ص ١٥٩)

حبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مري البعلبكي الحنبلي أحد أصحاب ابن تيمية، مقيداً في سجن القاضي المالكي تقي الدين الأحنائي بالقاهرة، وضرب بالسياط ضرباً مبرحاً، وشهر في تاسع عشر جمادى الأولى، بعدما أقام في السجن من سادس عشر ربيع الأولى وكان قد عرض على السلطان في نصف ربيع الآخر، فأثنى عليه الأمير بدر الدين بن جنكلي بن البابا، والقاضي بدر الدين بن جماعة، وغيرهما من الأمراء، وعارضهم الأمير أيذر الخطيري، حتى كادت تكون فتنة. ففوض السلطان الأمر لأرغون النائب، فآل الأمر إلى تمكين القاضي المالكي منه كما تقدم. ثم أعيد ابن مري إلى السجن، ثم شفع فيه، فآل أمره إلى أن أفرج عنه، وأخرج إلى القدس بعد يومين من سجنه، وكان مظلوماً. فاتفق عقيب ذلك أن الفقهاء شنعوا على تقي الدين ابن شاس بأنه كفر لتصويبه بعض أراء ابن مري، وشهدوا عليه، فدافع الأحنائي عنه وسكن القضية حتى خمدت، فقال الشيخ برهان الدين إبراهيم الرشيد في ذلك:

يا قاضياً شاد أحكامه      على تقى من الله وأقوى أساس

مقالة في ابن مري لفقت      تجاوزت في الحد حد القياس

وفى ابن شاس حققت ما أثرت      فهل أباح الشرع كفر ابن شاس<sup>(١)</sup>



<sup>١</sup> - السلوك لمعرفة دول الملوك - (١ / ٤٤٥)

## المراجع



## المراجع (١)

- ١- أبجد العلوم / صديق بن حسن القنوجي
- ٢- ابن قيم الجوزية - حياته وآثاره
- ٣- الإحاطة في أخبار غرناطة / لسان الدين ابن الخطيب
- ٤- أخبار القضاة / أبو بكر محمد بن خلف بن حيّان بن صدقة الضبيّ البغداديّ، الملقّب بـ"وكيع"
- ٥- أرشيف ملتقى أهل الحديث
- ٦- الأساس في التفسير / سعيد حوى
- ٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
- أسد الغابة / ابن الأثير
- ٨- الأسماء المبهمة في الأنبياء المحكمّة / لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي
- ٩- الإصابة في تمييز الصحابة / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني
- ١٠- الأعلام للزركلي / خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي
- ١١- إنباء الغمر بأبناء العمر / أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني
- ١٢- أنساب الأشراف / أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري
- ١٣- الأنساب للسمعاني / عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي
- ١٤- بحر الدم / لابن الجوزي
- ١٥-
- ١٦- البدء والتاريخ / المطهر بن طاهر المقدسي
- ١٧- البداية والنهاية / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
- ١٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / محمد بن علي الشوكاني
- ١٩- تاج التراجم في طبقات الحنفية / ابن قطلوبغا
- ٢٠- تاريخ الإسلام / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
- ٢١- تاريخ الخلفاء - السيوطي / عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
- ٢٢- التاريخ الكبير / لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري
- ٢٣- تاريخ دمشق أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر

١ - المراجع مرتبة ترتيب أبجدي

- ٢٤- تاريخ دمشق/ لأبي زرعة
- ٢٥- تاريخ قضاة الأندلس / أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي
- ٢٦- التحبير في المعجم الكبير / الامام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي
- ٢٧- التحرير والتنوير / الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
- ٢٨- تذكرة الحفاظ / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
- ٢٩- ترتيب المدارك وتقريب المسالك / القاضي عياض
- ٣٠- تفسير ابن كثير / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
- ٣١- تفسير الألوسي / شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي
- ٣٢- تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي
- ٣٣- تفسير الخازن / علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن
- ٣٤- تفسير الرازي/ محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي
- ٣٥- تفسير السعدي / عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي
- ٣٦- تفسير الطبري / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري
- ٣٧- تفسير القرطبي / محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله
- ٣٨- تفسير الكشاف / جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري
- ٣٩- تفسير اللباب / لابن عادل
- ٤٠- تفسير فتح القدير / محمد بن علي بن محمد الشوكاني
- ٤١- تفسير محاسن التأويل / محمد جمال الدين القاسمي
- ٤٢- تهذيب الأسماء واللغات / أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي
- ٤٣- تهذيب التهذيب / شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
- ٤٤- تهذيب الكمال/ يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي
- ٤٥- ثقات العجلي/ أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي
- ٤٦- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس / محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي
- ٤٧- الجرح والتعديل / شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي
- ٤٨- جمهرة أنساب العرب/ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي
- ٤٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/ لابن تيمية

- ٥٠- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي / لابن القيم الجوزية
- ٥١- الجواهر المضية في طبقات الحنفية / محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي
- ٥٢- حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة / للسيوطي
- ٥٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
- ٥٤- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة / شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني
- ٥٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب / إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون
- ٥٦- ذيل طبقات الحنابلة / زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي،
- ٥٧- الرد الوافر/ محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي
- ٥٨- رفع الإصر / للحافظ ابن حجر
- ٥٩- الروض المعطار في خبر الأقطار / محمد بن عبد المنعم الحيمري
- ٦٠- السلوك لمعرفة دول الملوك / أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقرئ
- ٦١- سنن ابن ماجه / محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني
- ٦٢- سنن أبي داود /أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني
- ٦٣- سنن الترمذي / محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي
- ٦٤- سير أعلام النبلاء / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
- ٦٥- شذرات الذهب/ لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي
- ٦٦- صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل البخاري
- ٦٧- صفوة الصفوة/ لابن الجوزي
- ٦٨- ضعفاء العقيلي/ الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي
- ٦٩- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي
- ٧٠- طبقات الأولياء/ ابن الملتن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري
- ٧١- طبقات الحفاظ/ أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
- ٧٢- الطبقات السنية في تراجم الحنفية / تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي
- ٧٣- طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي
- ٧٤- طبقات الفقهاء / أبو إسحاق الشيرازي
- ٧٥- طبقات القراء/ لابن الجزري
- ٧٦- الطبقات الكبرى /محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري

- ٧٧- طبقات خليفة / أبي عمرو خليفة بن خياط
- ٧٨- العبر في خبر من غبر / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
- ٧٩- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين/ تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي
- ٨٠- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي.
- ٨١- عيون الأخبار / ابن قتيبة الدينوري
- ٨٢- غاية النهاية في طبقات القراء/ شمس الدين أبو الخير ابن الجزري
- ٨٣- مفتاح دار السعادة / لابن القيم الجوزية
- ٨٤- فتح الباري/ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني
- ٨٥- الفرج بعد الشدة / القاضي التنوخي
- ٨٦- الفهرست/ محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم
- ٨٧- فوات الوفيات/ محمد بن شاکر الكتبي
- ٨٨- في ظلال القرآن /سيد قطب
- ٨٩- قصص الأنبياء/ لابن كثير
- ٩٠- الكامل في التاريخ/ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد عز الدين ابن الأثير
- ٩١- لباب الأنساب والألقاب والأعقاب / أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد البيهقي
- ٩٢- مجموع الفتاوى / لابن تيمية
- ٩٣- مختصر تاريخ دمشق / محمد بن مكرم المعروف بابن منظور
- ٩٤- المختصر في أخبار البشر / بو الفداء عماد الدين إسماعيل
- ٩٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي
- ٩٦- مروج الذهب/ للمسعودي
- ٩٧- مسند الإمام أحمد
- ٩٨- مشاهير علماء الأمصار / ابى حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي
- ٩٩- مشاهير علماء نجد و غيرهم
- ١٠٠- معجم ابن المقرئ / أبو بكر محمد بن إبراهيم المشهور بابن المقرئ
- ١٠١- معجم الشعراء العرب / جمعه من موقع الموسوعة الشعرية

- ١٠٢- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة
- ١٠٣- معجم ما استعجم / عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي
- ١٠٤- المعرف / لابن قتيبة
- ١٠٥- المعرفة ليعقوب
- ١٠٦- المعرفة والتاريخ / أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي
- ١٠٧- مغاني الأخيار / أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن بدر الدين العيني
- ١٠٨- مقاتل الطالبين / أبو الفرج الأصبهاني
- ١٠٩- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك / لابن الجوزي
- ١١٠- منهاج السنة / لابن تيمية
- ١١١- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي / ابن تغري بردي
- ١١٢- موسوعة البحوث والمقالات العلمية
- ١١٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / : ابن تغري بردي
- ١١٤- نسب قريش / : مصعب الزبيري
- ١١٥- نظم العقيان في أعيان الأعيان / جلال الدين السيوطي
- ١١٦- النور السافر عن أخبار القرن العاشر / محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيْدُرُوس
- ١١٧- هدية العارفين / : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي
- ١١٨- الوافي بالوفيات / صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي
- ١١٩- وفيات الأعيان / أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان

## الفهرس

المقدمة.....	٤
الباب الأول أنبياء و راء القضبان .....	٩
محنة خليل الرحمن إبراهيم الصلاة والسلام.....	١٠
ترجمته عليه الصلاة و السلام .....	١٠
منزلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.....	١٠
صفة إبراهيم عليه الصلاة و السلام: .....	١٠
صفاته الخلقية و شمائله صلى الله عليه و سلم.....	١١
محنة خليل الرحمن إبراهيم صلى الله عليه و سلم.....	١٥
مواجهة إبراهيم صلى الله عليه و سلم.....	١٥
سجن خليل الرحمن إبراهيم صلى الله عليه و سلم.....	١٩
محنة نبي الله دانيال عليه السلام.....	٢٣
بشارتان من دانيال عليه السلام] .....	٢٦
محنة نبيي الله أرميا عليه السلام.....	٢٧
ترجمته عليه السلام.....	٢٧
القرآن الكريم وأرميا عليه السلام.....	٢٩
محنة نبي الله يوسف عليه السلام مع إخوته.....	٣٠
الحسد داء الأمم.....	٣١
المؤامرة ضد يوسف عليه السلام.....	٣٣

- ٣٥..... من التخطيط إلى التنفيذ.
- ٣٩..... محنته عليه السلام وهو في الجب وبيعه :
- ٤٣..... محنة الإغراء والشهوة و الفتنة.
- ٤٨..... محنته — عليه السلام — مع نساء عليّة القوم :
- ٥٣..... السجن ولا معصية ربي.
- ٥٥..... محنة السجن .
- ٥٩..... تأويل الرؤيا.
- ٦٢..... إعادة التحقيق في قضيته حتى تظهر براءته :
- ٦٥..... التمكين له عليه السلام.
- ٦٩..... اللقاء مع الإخوة .
- ٧١..... بين الولد و بين أبنائه.
- ٧٣..... وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه.
- ٧٦..... لقاء أخ بأخيه :
- ٧٦..... أيتها العير إنكم لسارقون.
- ٧٨..... تبرئة الإخوة ساحتهم من تلك التهمة التي نسبت إليهم .
- ٧٨..... جزاء من ارتكب هذه الجريمة.
- ٨٠..... فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ :
- ٨٢..... محاولة الإخوة تخليص بنيامين من الرق.
- ٨٣..... قالوا يا أبانا إن ابنك سرق.
- ٨٤..... وقع النبأ على قلب ونفس يعقوب عليه السلام.



- ٨٦..... إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.
- ٨٦..... أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي.
- ٩١..... إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ
- ٩١..... هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي

### الباب الثاني من سجن من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

- ٩٥..... أبو جندل رضي الله عنه.
- ٩٥..... ترجمته
- ١٠٢..... عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه.
- ١٠٢..... ترجمته - رضي الله عنه.
- ١٠٣..... تحمل عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه الشدائد.
- ١٠٥..... الوليد بن الوليد رضي الله عنه.
- ١٠٥..... ترجمته - رضي الله عنه.
- ١٠٧..... سلمة بن هشام بن المغيرة رضي الله عنه.
- ١٠٧..... ترجمته - رضي الله عنه.
- ١٠٩..... أبو هاشم: صحابي، من السابقين. رضي الله عنه.
- ١١١..... خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس رضي الله عنه.
- ١١٢..... هشام بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم رضي الله عنه.
- ١١٢..... ترجمته - رضي الله عنه.
- ١١٤..... خبيب بن عدي رضي الله عنه.
- ١١٤..... ترجمته - رضي الله عنه.

جندب بن كعب بن عبد الله رضي الله عنه ..... ١١٧

ترجمته - رضي الله عنه ..... ١١٧

### الباب الثالث من سجن من التابعين رحمة الله عليهم أجمعين

محمد بن الحنفية ..... ١٢٢

ترجمته - رحمه الله ..... ١٢٢

مولده - رحمه الله ..... ١٢٣

شجاعته رحمه الله ..... ١٢٥

من جميل أقواله رحمه الله ..... ١٢٥

محنته و حبسه رحمه الله ..... ١٢٦

وفاته رحمه الله ..... ١٣٤

الحسن بن محمد بن الحنفية رحمه الله ..... ١٣٥

ترجمته - رضي الله عنه ..... ١٣٦

محنته رحمه الله - وسجنه ..... ١٣٦

من جميل أقواله ' ..... ١٣٧

وفاته رحمه الله ..... ١٣٧

محمد بن سيرين رحمه الله ..... ١٣٨

ترجمته - رضي الله عنه ..... ١٣٨

مولده و نشأته ووصفه رحمه الله ..... ١٣٨

منزلته و ثناء العلماء عليه رحمه الله ..... ١٤٠

عبادته وورعه رحمه الله ..... ١٤٢

- ١٤٣..... محنته رحمه الله — وسجنه.....
- ١٤٤..... مورقا العجلي رحمه الله.....
- ١٤٤..... ترجمته — رحمه الله.....
- ١٤٤..... منزلته العلمية — رحمه الله.....
- ١٤٥..... كرمه وجوده وأدبه رحمه الله :.....
- ١٤٦..... وصيته — رحمه الله.....
- ١٤٦..... محنته و سجنه رحمه الله :.....
- ١٤٧..... إبراهيم بن أدهم رحمه الله :.....
- ١٤٧..... ترجمته منزلته وثناء العلماء وعليه ورع وحرصه :.....
- ١٥٢..... قصه سجنه رحمه الله :.....
- ١٥٢..... وفاته رحمه الله :.....
- ١٥٤..... الحكم بن المطلب بن عبد الله رحمه الله.....
- ١٥٤..... ترجمته :.....
- ١٥٥..... بره بابيه رحمه الله.....
- ١٥٦..... محنته و حبسه رحمه الله :.....
- ١٥٦..... جوده و كرمه ووفاته رحمه الله :.....
- ١٥٨..... وكيع ابن الجراح ، بن مليح ‘.....
- ١٥٨..... ترجمته ومولده ونشأته وعبادته.....
- ١٦٢..... رفضه القضاء رحمه الله.....
- ١٦٣..... محنة وكيع رحمه الله.....

- موسى بن جعفر بن محمد رحمه الله..... ١٦٧
- ترجمته رحمه الله ..... ١٦٧
- محنته و حبسه رحمه الله : ..... ١٦٧
- الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى - رحمه الله-..... ١٦٩
- ترجمته مولده و رحلته العلمية و مؤلفاته : ..... ١٦٩
- مبايعته ومحنته رحمه الله : ..... ١٧٠
- يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسره رحمه الله ..... ١٧٢
- ترجمته و منزلته و ثناء العلماء عليه..... ١٧٢
- استجابة دعوته رحمه الله ..... ١٧٣
- محنته رحمه الله : ..... ١٧٣
- وفاته رحمه الله ..... ١٧٤
- يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله ..... ١٧٥
- مكانته ومحنته رحمه الله..... ١٧٥
- عقيدته منهجه رحمه الله..... : ..... ١٧٧
- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري رحمه الله..... ١٨٠
- ترجمته أوليته رحمه الله..... : ..... ١٨٠
- حاله ومشيوخه ومحنته ..... ١٨٠
- الحافظ عبد الغني رحمه الله..... ١٨٢
- ترجمته رحمه الله..... ١٨٢
- محنته رحمه الله ..... ١٨٢

- محمد بن عبد الله بن عمار بن سودة أبو جعفر الموصلي رحمه الله ..... ١٨٥
- ترجمته رحمه الله ..... : ..... ١٨٥
- محنته و حبسه رحمه الله ..... : ..... ١٨٥
- أحمد بن يحيى بن وزير بن سليمان بن مهاجر رحمه الله ..... ١٨٦
- ترجمته رحمه الله ..... ١٨٦
- حصين بن مالك أبي الحر بن الخشخاش رحمه الله ..... ١٨٧
- ترجمته رحمه الله ..... ١٨٧
- عبد الله بن حسن بن حسن - رحمه الله - ..... ١٨٨
- ترجمته رحمه الله ..... ١٨٨
- أبو عبد الرحمن المؤمل بن إهاب. رحمه الله ..... ١٩١
- ترجمته رحمه الله ..... ١٩١
- سجنه - رحمه الله : ..... ١٩١
- محمد أبو العرب بن أحمد بن تميم التميمي رحمه الله ..... ١٩٣
- ترجمته رحمه الله ..... ١٩٣
- محنته و سجنه رحمه الله : ..... ١٩٣
- جعفر بن أحمد بن بهرام الباهلي رحمه الله ..... ١٩٥
- ترجمته رحمه الله ..... ١٩٥
- محنته و سجنه رحمه الله : ..... ١٩٥
- أبو حنيفة الإمام رفضه تولي القضاء رحمه الله ..... ١٩٦
- ترجمته رحمه الله ..... ١٩٦

- مولده ونشأته رحمه الله : ..... ١٩٦
- ثناء العلماء عليه رحمه الله..... ١٩٧
- عبادته و خوفه رحمه الله : ..... ١٩٨
- محنته — رحمه الله تعالى مع المنصور و سجنه رحمه الله..... ١٩٩
- و فاته رحمه الله : ..... ٢٠١
- سعيد بن المسيب بن حزن أبو محمد القرشي رحمه الله..... ٢٠٢
- ترجمته رحمه الله ‘ : ..... ٢٠٢
- مولده — رحمه الله —..... ٢٠٢
- عبادته وحرصه رحمه الله..... ٢٠٣
- ثناء أهل العلم عليه رحمه الله..... ٢٠٤
- جرأته وثباته رحمه الله ..... ٢٠٥
- ذكر محنته رحمه الله : ..... ٢٠٦
- محمد بن القاسم ..... ٢٠٩
- محمد بن القاسم ..... ٢٠٩
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمرو ابن أمير المؤمنين عثمان ..... ٢١٠
- ترجمته..... ٢١٠
- محنته وسجنه رحمه الله..... ٢١٠
- إبراهيم التيمي رحمه الله..... ٢١١
- ترجمته رحمه الله..... ٢١١
- محنته و سجنه رحمه الله : ..... ٢١٢

- الربيع بن أنس رحمه الله..... ٢١٣
- ترجمته رحمه الله..... ٢١٣
- محنته وسجنه رحمه الله..... ٢١٣
- توبة العنبري رحمه الله..... ٢١٥
- ترجمته رحمه الله..... ٢١٥
- محنته وسجنه رحمه الله..... ٢١٥
- أبو عبيد الله الوزير رحمه الله..... ٢١٧
- ترجمته رحمه الله..... ٢١٧
- ذو النون المصري رحمه الله..... ٢١٩
- ترجمته ..... ٢١٩
- محنته وسجنه رحمه الله : ..... ٢٢٠
- أحمد بن محمد بن فرج رحمه الله..... ٢٢٢
- ترجمته ..... ٢٢٢
- سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبي الوفاء رحمه الله : ..... ٢٢٤
- ترجمته ..... ٢٢٤
- مولده ..... ٢٢٤
- محنته و سجنه ..... ٢٢٥
- الشيخ عبد النبي الصدر شهيدا رحمه الله..... ٢٢٧
- ترجمته ..... ٢٢٧
- محنته وسجنه ..... ٢٢٧

- أحمد بن محمد بن مري البعلبي رحمه الله ..... ٢٢٨
- ترجمته ..... ٢٢٨
- محنته وسجنه رحمه الله ..... ٢٢٨
- أحمد بن عبد البر بن يحيى رحمه الله ..... ٢٣٠
- ترجمه ..... ٢٣٠
- ذكر محنته ..... ٢٣٠
- محمد بن إبراهيم النابلسي رحمه الله ..... ٢٣٢
- ترجمته ..... ٢٣٢
- محنته و سجنه ..... ٢٣٢
- إبراهيم الصائغ رحمه الله ..... ٢٣٣
- ترجمته ..... ٢٣٣
- محمد بن احمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي رحمه الله ..... ٢٣٥
- ترجمته ..... ٢٣٥
- حفظه و سجنه ..... ٢٣٥
- عبد الملك بن غصن الخشني رحمه الله ..... ٢٣٦
- ترجمته ..... ٢٣٦
- محنته و سجنه ..... ٢٣٦
- عبد النبي بن أحمد بن عبد القدوس الحنفي النعماني رحمه الله ..... ٢٣٧
- ترجمته ..... ٢٣٧
- محنته و سجنه ..... ٢٣٧



- الشيخ جمال الدين المزي رحمه الله..... ٢٣٨
- ترجمته ..... ٢٣٨
- مولده ..... ٢٣٨
- محنته ..... ٢٣٩
- أحمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي رحمه الله..... ٢٤١
- ترجمته ..... ٢٤١
- أوليته ..... ٢٤١
- حاله ..... ٢٤١
- نباهته..... ٢٤١
- مشيخته ..... ٢٤٢
- دخوله غرناطة ..... ٢٤٢
- محنته ..... ٢٤٢
- وفاته ..... ٢٤٣
- محمد بن يحيى بن عبد الله رحمه الله..... ٢٤٤
- ترجمته ..... ٢٤٤
- محنته و حبسه ..... ٢٤٤
- أبو جعفر الهاشمي رحمه الله ..... ٢٤٦
- شجاعته و سجنه ..... ٢٤٦
- محمد بن أحمد بن سهل الرملي رحمه الله..... ٢٤٨
- ترجمته ..... ٢٤٢

- ٢٤٨..... محنته و سجنه رحمه الله.
- ٢٥٠..... أبو الوليد ابن البارية رحمه الله.
- ٢٥٠..... ترجمته رحمه الله:
- ٢٥٠..... محنته وحبسه.
- ٢٥١..... شهاب الدين أحمد بن محمد بن مري البعلبكي رحمه الله.
- ٢٥١..... ترجمته.
- ٢٥١..... محنته و حبسه.
- ٢٥٢..... أحمد بن محمد ولي الدين المحلى الشافعي رحمه الله.
- ٢٥٢..... ترجمته.
- ٢٥٢..... أممره بالمعروف و نهيه عن المنكر و محنته.
- ٢٥٣..... الشيخ العلامة عبد الوهاب بن سعيد الحوالى رحمه الله.
- ٢٥٣..... ترجمته.
- ٢٥٣..... محنته وسجنه.
- ٢٥٤..... أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله.
- ٢٥٤..... ترجمته.
- ٢٥٤..... مولده.
- ٢٥٤..... مكانته ومنزلته.
- ٢٥٥..... شهرته ومحبة العلماء والحكام والأمراء له رحمه الله:
- ٢٥٦..... محنته.
- ٢٥٧..... وفاته.

- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله..... ٢٥٩
- ترجمته ..... ٢٥٩
- نشأته ..... ٢٥٩
- خصاله ..... ٢٥٩
- محنة الشيخ في مسألة الصفات وحبسه رحمه الله..... ٢٦١
- محنة الشيخ بدمشق رحمه الله..... ٢٦٢
- ما ذكره البرزالي في حبس الشيخ بالإسكندرية رحمه الله : ..... ٢٦٣
- كتاب السلطان بإرسال الشيخ إلى مصر: ..... ٢٦٥
- إرسال الشيخ ' كتابا من سجنه إلى دمشق: ..... ٢٦٧
- سجن الشيخ ' بسبب فتياه في الطلاق: ..... ٢٦٧
- وفاة شيخ الإسلام رحمه الله..... ٢٦٧
- ابن القيم الجوزية رحمه الله..... ٢٦٩
- ترجمته ..... ٢٦٩
- عبادته و تقواه رحمه الله : ..... ٢٧٠
- ثناء العلماء عليه رحمه الله : ..... ٢٧٠
- مِحْنَةُ و حبسه رحمه الله : ..... ٢٧١
- فتواه بجواز السباق بغير مُحَلٍّ ومحنته بسبب ذلك..... ٢٧٣
- وفاته رحمه الله : ..... ٢٧٥
- السيد محمد بن إسحاق بن الإمام المهدي رحمه الله..... ٢٧٧
- ترجمته ..... ٢٧٧

- ٢٧٧..... تطلعه للخلافة وما حدث له من محن
- ٢٨٠..... الحَسَن بن إِسْحَاق رحمه الله
- ٢٨٠..... ترجمته
- ٢٨٠..... محنته و سجنه
- ٢٨١..... الشيخ عَلِيّش رحمه الله
- ٢٨١..... ترجمته
- ٢٨١..... محنته و سجنه
- ٢٨٢..... إبراهيم التيمي رحمه الله
- ٢٨٢..... ترجمته
- ٢٨٢..... محنته و سجنه
- ٢٨٣..... بَيْرَس المَنْصُوري رحمه الله
- ٢٨٣..... ترجمته ومحنته
- ٢٨٤..... محمد أبو العرب بن أحمد بن تميم التميمي رحمه الله
- ٢٨٤..... ترجمته ومحنته وسجنه
- ٢٨٥..... ابن فرج الجياني رحمه الله
- ٢٨٥..... ترجمته ومنحته
- ٢٨٦..... محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الصنعاني رحمه الله
- ٢٨٦..... ترجمته ومنزلته ومحنته
- ٢٨٨..... السيد صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم رحمه الله
- ٢٨٨..... ترجمته و محنته

- الفقيه على بن عبد الله العمري الصنعاني رحمه الله..... ٢٨٩
- ترجمته وسجنه ..... ٢٨٩
- أحمد بن محمد بن إسماعيل التيمي ابن البرهان رحمه الله..... ٢٩٠
- ترجمته ومحنته ..... ٢٩٠
- العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله ..... ٢٩٢
- ترجمته ونشأته ومنزلته ومحنته ..... ٢٩٢
- الشيخ محمد الخضر حسين التونسي الطولفي الجزائري رحمه الله..... ٢٩٥
- ترجمته ونشأته ومنزلته ..... ٢٩٥
- محنته واعتقاله ..... ٢٩٦
- مشيخة الأزهر رحمه الله..... ٢٩٨
- بديع الزمان النورسي. رجل طابقت سيرته لقبه رحمه الله..... ٣٠٠
- مولده ونشأته ..... ٣٠٠
- محنته و محاكمته رحمه الله: ..... ٣٠١
- عزة المؤمن..... ٣٠٤
- إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة: ..... ٣٠٦
- الشيخ أبو بكر خوقير رحمه الله..... ٣١٠
- ترجمته ومولده ورحلته العلمية ..... ٣١٠
- محنته وسجنه ..... ٣١١
- الشيخ المجاهد مصطفى السباعي رحمه الله تعالى..... ٣١٣
- نشأته وتعليمه و حياته العلمية ..... ٣١٣

- السباعي - عالم مجاهد و محنته و اعتقاله ..... ٣١٤
- محمد أمين بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني رحمه الله ..... ٣١٦
- ترجمته ومحاولات العدو لاعتقاله ..... ٣١٦
- الشهيد سيد قطب بن إبراهيم رحمه الله ..... ٣٢١
- سجنه وإعدامه ..... ٣٢١
- الشيخ العلامة المحدث مقبل بن هادي بن قايدة رحمه الله ..... ٣٢٣
- ترجمته ورحلته العلمية ..... ٣٢٣
- محنته وسجنه رحمه الله ..... ٣٢٥
- شجاعته في إنكار المنكر رحمه الله ..... ٣٢٧
- القاضي العلامة المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوع رحمه الله ..... ٣٢٩
- ترجمته ..... ٣٢٩
- محنته وسجنه ..... ٣٣٠
- الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله ..... ٣٣٤
- سيرته ومحنته وسجنه ..... ٣٣٤
- الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله ..... ٣٣٦
- التربية في الصغر ..... ٣٣٦
- الابتلاء والمحنة ..... ٣٤٠
- أبو فهر محمود شاكر \_ الأديب المحدث رحمه الله : ..... ٣٤٣
- ترجمته ونشأته ..... ٣٤٣

- محنته و سجنه رحمه الله : ..... ٣٤٥
- الشيخ محمد بن مال الله بن عبد الله الخالد رحمه الله ..... ٣٤٨
- مولده ومكانته ..... ٣٤٨
- محنته وسجنه رحمه الله ..... ٣٥٠
- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ..... ٣٥٢
- ترجمته ومحنته ..... ٣٥٢
- الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ..... ٣٥٣
- ترجمته و نشأت و هجرته و استقراره ..... ٣٥٣
- الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ..... ٣٥٦

### الباب الرابع فيمن حبس وقتل في فتنة القول بخلق القرآن

- الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله ..... ٣٥٩
- ترجمته ومناقبه ..... ٣٥٩
- المحنة في عهد الواثق ..... ٣٦٤
- وفاته — رضي الله عنه ..... ٣٧٨
- الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف رحمه الله ..... ٣٧٩
- ترجمته و مولده و رحلته العلمية ..... ٣٧٩
- محنته وسجنه ..... ٣٨٠
- جرأته وشجاعته رحمه الله : ..... ٣٨١
- العلامة أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي رحمه الله ..... ٣٨٥

- ترجمته و ثناء العلماء عليه ..... ٣٨٥
- محنته — رضي الله عنه ..... ٣٨٦
- عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله ..... ٣٨٩
- ترجمته ..... ٣٨٩
- خبر محنته—رحمه الله—..... ٣٩٠
- نعيم بن حماد بن معاوية رحمه الله ..... ٣٩١
- ترجمته ومنزلته ..... ٣٩١
- محنته رحمه الله ..... ٣٩٢
- أبو مسهر عبد الأعلى رحمه الله ..... ٣٩٥
- ترجمته ومولده ورحلته العلمية ..... ٣٩٥
- محنته — رحمه الله—..... ٣٩٦
- أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي رحمه الله ..... ٤٠٠
- ترجمته ومنزلته ومحنته ..... ٤٠٠
- أحمد أبو محمد بن نوح العجلي رحمه الله ..... ٤٠٦
- ترجمته ومحنته ..... ٤٠٦
- محمد بن نوح بن سعيد بن دينار المؤذن رحمه الله ..... ٤٠٨
- ترجمته ومحنته ..... ٤٠٩

### الباب الخامس قضاة وراء القضاة

- ابن أبي سبرة رحمه الله ..... ٤١٠
- ترجمته ومحنته وسجنه ..... ٤١٠



- القاضي بكار بن قتيبة رحمه الله ..... ٤١٢
- ترجمته وخشيته ..... ٤١٢
- محنته و سجنه رحمه الله ..... ٤١٤
- موسى بن عبد الرحمن المعروف بالقطان ' رحمه الله ..... ٤١٧
- ترجمته وسجنه ..... ٤١٧
- القاضي ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي رحمه الله ..... ٤١٨
- ترجمته ..... ٤١٨
- محنته ووفاته رحمه الله ..... ٤٢٠
- سلطان العلماء ابن عبد السلام رحمه الله ..... ٤٢٢
- ترجمته ومولده وجرأته ..... ٤٢٢
- محن سلطان العلماء و سجنه رحمه الله ..... ٤٢٥
- القاضي عضد الدين رحمه الله ..... ٤٢٧
- ترجمته ومولده ومحنته وسجنه ..... ٤٢٧
- القاضي عيسى بن المنكدر رحمه الله ..... ٤٢٨
- ترجمته وتولييه القضاء ..... ٤٢٨
- سبب محنته وعزله ثم سجنه رحمه الله ..... ٤٣٠
- أبو المطرف عبد الرحيم بن قاسم الشعبي رحمه الله ..... ٤٣٢
- ترجمته وحبسه ..... ٤٣٢
- محمد بن علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي - ..... ٤٣٣
- ترجمته وسجنه ..... ٤٣٣

- محمد بن محمد بن عثمان أبو عبد الله بن الكمال بابن البارزي—رحمه الله.....٤٣٤
- ترجمته وسجنه .....٤٣٤
- محمد بن أحمد بن مخلد القرطبي رحمه الله.....٤٣٦
- ترجمته و توليه القضاء و محنته .....٤٣٦
- القاضي عبد الله بن محمد بن أبي القاسم رحمه الله .....٤٣٧
- ترجمته ومكانته العلمية ومحنته .....٤٣٧
- القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد الله التَّحْريري المالكي رحمه الله.....٤٤٠
- القاضي ابن المأمون أحمد بن علي بن هبة الله بن الحسن رحمه الله.....٤٤١
- ترجمته وتوليه القضاء وحبسه .....٤٤١
- القاضي جار الله إبراهيم الحلواني الوعظ—رحمه الله.....٤٤٣
- محنته وحبسه .....٤٤٣
- القاضي السفطي ، ولي الدين محمد بن أحمد—رحمه الله.....٤٤٤
- ترجمته ومحنته وسجنه .....٤٤٤
- القاضي محمد بن ظهيرة —رحمه الله.....٤٤٥
- ترجمته ومحنته وحبسه .....٤٤٥
- القاضي ابن زرقون — رحمه الله —.....٤٤٦
- ترجمته و محنته وحبسه .....٤٤٦
- القاضي الحسين الزهراء رحمه الله.....٤٤٧
- ترجمته ومحنته وحبسه .....٤٤٧
- عمر الرافي رحمه الله.....٤٤٨

٤٤٨..... ترجمته ومحنته وحبسه

٤٤٩..... بلال بن أبي بردة— رحمه الله

٤٤٩..... ترجمته

٤٥٢..... محنته وحبسه— رحمه الله

٤٥٤..... القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري رحمه الله

٤٥٤..... ترجمته

القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحبال رحمه

الله..... ٤٥٦.....

٤٥٧..... حبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مري البعلبكي الحنبلي رحمه الله



















